وقف لله تعالى

سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (٥٠)

شرح

فتح المجيد

بشرح كتاب التوحيد

للإمام / محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله وغفر له

تأليف

الشيخ / عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

أجزل الله لهم المثوبة والمغفرة

الشرح لمعالي الشيخ العلامة

الدكتور / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

احتفى به وأشرف على طبعه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولشايخه

الجزء الثاني

طبع على نفقة

خديجه بنت عبد الهادي بغلف

رحمها الله وغفر لها ولوالديها ولذريتها ولجميع المسلمين

توزيع

جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بسلطانة

الرياض - ص.ب ٩٢٦٧٥ الرمز البريدي ١١٦٦٣

شرح فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد

شرح

فتح المجيد

بشرح كتاب التوحيد

الجزء الثاني

ح مؤسسة التراث الذهبي للنشر والتوزيع، ١٤٤٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبدالله

شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ١/٤، / صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان؛ سلمان جابر عثمان المجلهم - ط١، - الرياض، ١٤٤٤ هـ

٤ مج.

ردمك: ٣-٥-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٧-٧-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

١- التوحيد ٢- العقيدة الاسلامية أ. المجلهم، سلمان جابر عثمان (محقق) ب- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٤/٦٦٢٥

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٦٦٢٥

ردمك: ٣-٥-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٧-٧-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

الطبعة الأولى

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

الإمام الذهبي

مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الفرع الرئيسي: حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦

فرع المصاحف: ت ٢٢٦١٥٠٤٦ - فرع الجهراء: الناصر مول: تلفون: ٩٥٥٥٨٦٠٨

فرع الفحيحيل: البرج الأخضر - شارع الدبوس - تلفون: ٢٥٤٥٦٠٦٩ - ٩٥٥٥٨٦٠٧

فرع الرياض: المملكة العربية السعودية التراث الذهبي - جوال ٥٥٧٧٦٥١٣٨ ٠٠٩٦٦

الخط الساخن: جوال: ٩٤٤٠٥٥٥٩ ٠٠٩٦٥

z.zahby74@yahoo.com imamzahby

شرح

فتح المجيد

بشرح كتاب التوحيد

للإمام/ محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله وغفر له

تأليف

الشيخ/ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب
أجزل الله لهم المثوبة والمغفرة

الشرح لمعالي الشيخ العلامة

الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

٦ - بَابُ
مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِه

ش: قوله: (بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ).

رفعه: إزالته بعد نزوله، ودفعه: منعه قبل نزوله.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ).**

(مِنَ الشِّرْكِ): إن اعتقد أن هذه الأشياء تدفع عنه الشر بنفسها، هذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقد أنها ترفع البلاء أو تدفعه، فهذا شرك أكبر.

أما إن اعتقد أنها سبب، وأن الذي يرفع البلاء أو يدفعه هو الله، فهذا خطأ، وهو شرك أصغر؛ لأن الله لم يجعل هذه الأشياء سببًا لرفع البلايا ودفعها، ليست سببًا، فهو كونه لم يعتقد فيها أنها يحصل منها بذلك بنفسها، فهو شرك أصغر.

قوله: (لِرَفْعِ الْبَلَاءِ): بعدما ينزل، **(أَوْ دَفْعِهِ)**: بعد أن ينزل، فالواجب أن المسلم يعتمد على الله، ويعتقد أنه لا يرفع البلاء أو يدفعه إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويقتصر على الأسباب المباحة مع اعتقاد أن الله هو الذي يرفع أو يدفع، وإنما هذه أسباب شرعها الله سبحانه، مثل الأدوية يتداوى بها الإنسان، فهي سبب، والشافي هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨].

ش: قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: **لَا تَسْتَطِيعُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ،** ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ أي: **الله كافٍ من توكل عليه،** ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨]، **كَمَا قَالَ هُودٌ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **حِينَ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ:** ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٤-٥٦][1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨])، في هذه الآية شاهد للترجمة، ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾: الجواب: لا. ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾، يعني: مانعات الرحمة عني؟ لا. لم يجيبوا ويقولوا: نعم، إنها تمسك أو تكشف، تكشف الشيء بعد نزوله، أو تمنعه قبل نزوله.

فمنعه قبل نزوله: هذا دفع، والكشف بعد نزول: هذا رفعه بعد نزوله، فالآية مطابقة للترجمة، وهذا من التحدي للمشركين.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٠٠).

يأمر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول للمشركين ويتحداهم: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾: أي أخبروني.

﴿مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من الأصنام والأشجار والأحجار والأضرحة والقبور والأولياء والصالحين.

﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر:٣٨]، هذا كما في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٣٨])، فلم يجيبوا، لم يقولوا: إنها تكشف أو ترفع، إنها تكشف أو تمسك، لا يقدرون أن يجيبوا، هذا من باب التحدي لهم.

ثم قال لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾، أي: الله كافيني، هو الذي يمسك ما يشاء، ويرسل ما يشاء، ولا أحد يعترض عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا هو التوحيد: أنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع؛ كما في دعاء الاستفتاح: «**اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٤، ٦٣٣٠، ٦٦١٥، ٧٢٩٢)، ومسلم (٥٩٣)، من حديث المغيرة ابن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨])، إذا كان لا يقدر على هذا إلا الله، فعليه يتوكل المتوكلون، ويتركون الشرك بالله، ويتركون المخلوقات، يتوكلون على الله وحده؛ ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾، لا على غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير[١]، إمام جليل، من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كذلك الذهبي من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، والمزي، كل هؤلاء تتلمذوا على شيخ الإسلام ابن تيمية، وهم من علماء الحديث المتضلعين.

تفسيره هذا من أجود التفاسير على منهج السلف، وهو يعتمد في تفسيره على تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير الكتاب بالسنة، أو تفسير القرآن بتفسير الصحابة، أو تفسير القرآن بتفسير التابعين، هذه هي الخطة التي مشى عليها، وذكرها في مقدمة تفسيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَيْ: لَا تَسْتَطِيعُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ)**، لا تستطيع هذه الآلهة من دون الله، لا تستطيع شيئًا من الأمر؛ لا من الرفع، أو من الدفع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(﴿ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر:٣٨] أي: الله كاف من توكل عليه)**، ولا حاجة لغيره، الله كاف.

---

(١) هو: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، عماد الدين. (المتوفى: ٧٧٤هـ). انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٣٢٠)، ومعجم المفسرين (١/ ٩٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨])، ﴿عَلَيْهِ﴾، أي: لا على غيره، هذا من باب الحصر، تقديم المعمول على العامل يفيد الحصر، ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾، أي: لا على غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال هود** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **حين قال قومه:** ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٤-٥٦])، هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أرسله الله إلى عاد، القبيلة العاتية التي أعطاها الله قوة في الأجسام، وبسطة في الأجسام، اغتروا بقوتهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥]، فبماذا أهلكهم؟ هل الله أرسل عليهم قوة من السماء غلبتهم؟ لا، أرسل عليهم الريح، أرق شيء وألطف شيء، أرسلها، فقضت عليهم، أرسل عليهم الريح، فقضت عليهم مع غلظ أجسامهم وقوة أبدانهم، ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥]، هذه الريح ترفع الواحد منهم إلى السماء، ثم تنكسه على رأسه، فتدق عنقه، فأصبحوا كـ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر:٢٠].

﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾، طوال هم، كبار، ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر:٢٠]، هؤلاء هم عاد الطاغية، لما دعاهم هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى الله، وهم في أرض الأحقاف -في جنوب شرق الجزيرة-، لما دعاهم إلى الله، وأمرهم بعبادة الله، ونهاهم عن الشرك، فإنهم هددوه بآلهتهم أن تنتقم منه؛ ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾: الذي أصابك هذا جنون، وهو من هذه الآلهة،

أصابته بزعمهم، ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾، تحداهم ﷺ، فقال: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾: أنتم وآلهتكم، ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود:٥٤، ٥٥]: لا تتأخروا في عقوبتكم وكيدي، ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾، السبب: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦]. هذا جوابه لهم، تحداهم، وهم يقولون: ﴿يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود:٥٣، ٥٤]، فهو تحداهم، وتحدى آلهتهم، هذه هي المعجزة، واحد يتحدى أمة، هي وآلهتها ومعبوداتها، يتحداهم واحد، ويعجزون عنه، هذه أعظم معجزة، وهم يقولون: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾، هذه أعظم معجزة، وأعظم بينة.

....

ش: **قال مقاتل في معنى الآية: فسألهم النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فسكتوا. أي: لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها، وإنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله، لا على أنهم يكشفون الضر، ويجيبون دعاء المضطر، فهم يعلمون أن ذلك لله وحده؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٥٣، ٥٤].**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال مقاتل في معنى الآية: فسألهم النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فسكتوا. أي: لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها)**، سألهم النبي، أي: هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله)**، لا يعتقدون أنها تخلق وترزق وتدبر، هذا كله يقر أنه لله وحده، توحيد الربوبية، وإنما اتخذوها وسائط بينهم وبين الله -بزعمهم- تشفع لهم عند الله، تتوسط لهم عند الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لا على أنهم يكشفون الضر، ويجيبون دعاء المضطر)**، كما قال الله عن المشركين: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فهم يعلمون أن ذلك لله وحده)**، هذا من توحيد الربوبية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٥٣، ٥٤])، إذا نزلت الكربة والشدة المشركون يعرفون أنه لا يكشفها إلا الله، لذلك يخلصون الدعاء لله عَزَّوَجَلَّ، وينسون آلهتهم؛ لأنها لا تنقذهم من الشدة إذا نزلت بهم، أو تلاطمت بهم الأمواج في البحر.

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس:٢٢]، يعني: يخلصون الدعاء لله، ولا يدعون آلهتهم؛ لعلمهم أنها لا تنفعهم في هذا الموقف؛ لأنه لا يجيب المضطر إلا الله.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [الإسراء:٦٧]، يشركون في الرخاء، ولكن في الشدة يخلصون الدعاء لله وحده، والله يجيبهم وينجيهم، لكن إذا توسعوا، وتأمنوا، عادوا إلى الشرك -والعياذ بالله-، هذا الشيطان يزين لهم ذلك، لكن قامت عليهم الحجة الكاشفة؛ إذا كان لا يخلص من الشدائد إلا الله، فكيف يدعو غيره؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل:٥٣])، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾، يعني: الشدة والكرب، ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾: ترفعون أصواتكم، ﴿تَجْـَٔرُونَ﴾، يعني: ترفعون أصواتكم بالدعاء لله وحده، ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٥٣، ٥٤].

....

ش: قلت: فهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب نفع، أو دفع ضر، وأن ذلك شرك بالله.

وفي الآية بيان أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **وسم أهل الشرك بدعوة غير الله، والرغبة إليه من دون الله، والتوحيد ضد ذلك، وهو أن لا يدعو إلا الله، ولا يرغب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله؛ كما دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة وأئمتها -كما تقدم.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: فهذه الآية)**، «قلت»، يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهذه الآية وأمثالها)**، وأمثالها من الآيات التي تدل على أنه لا يخلص من الشدائد والكربات إلا الله، وهي كثيرة في القرآن الكريم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب نفع، أو دفع ضر)**؛ لأنها لم تعد تنفع ولا تضر، يعني: لا تقدر على جلب النفع ولا دفع الضرر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن ذلك شرك بالله)**: أن من اعتقد أن أحدًا يكشف الضر، ويجيب المضطر غير الله، فهذا مشرك، وهذا ما عليه القبوريون.

الأولون أخف شركًا من القبوريين، لماذا؟ لأن المشركين الأولين يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة، أما القبوريون، فإنهم شركهم دائم

في الرخاء والشدة، حتى في البحر إذا أشرفوا على الهلاك، ينادون آلهتهم، ينادون طواغيتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الآية بيان أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسم أهل الشرك بدعوة غير الله، والرغبة إليه من دون الله، والتوحيد ضد ذلك)**، الشرك بسبب أنهم يعتقدون في غيره أنه ينفع ويضر من دون الله، التوحيد بضد ذلك: الاعتقاد أنه لا ينفع ولا يضر إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله)**، جميع أنواع العبادة، والعبادة أنواع كثيرة؛ كل ما شرعه الله مما يتقرب به العباد إلى الله، فهو عبادة، أعمال العباد التي شرعها الله لهم عبادة، فمن صرف منها شيئًا لغير الله -من دعاء، أو نذر، أو نحر، أو غير ذلك-، فقد أشرك بالله الشرك الأكبر.

وَعنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ رَأى رَجُلا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ. قَالَ: انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا؛ فَإِنَّكَ لَو مِتَّ وَهِيَ عَلَيكَ، مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لا بَأْسَ بِهِ[1].

ش: قال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا المبارك، عن الحسن قال: أخبرني عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْصَرَ عَلَى عَضُدِ رَجُلٍ حَلْقَةً، قَالَ: أُرَاهُا مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: وَيْحَكَ! مَا هَذِهِ؟ قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، انْبِذْهَا عَنْكَ؛ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا».

ورواه ابن حبان في صحيحه، فقال: «فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ، وُكِّلْتَ إِلَيْهَا». والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. وأقره الذهبي.

وقال الحاكم: أكثر مشايخنا على أن الحسن سمع من عمران، وقوله في الإسناد: أخبرني عمران يدل على ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعِنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ. فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ. فَقَالَ: انْزِعْهَا، فَإِنَّهَا لَا تَزِيْدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ؛ مَا أَفْلَحَتَ أَبَدًا»)، عمران بن

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٥٣١)، وأحمد (٣٣/ ٢٠٤)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٤٤٩)، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٧٩)، والحاكم (٤/ ٢٤٠) وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

حصين بن عبد الرحمن صحابيان: عمران صحابي، وأبوه حصين صحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ»: الصفر نوع من المعادن معروف.

«فَقَالَ: **مَا هَذِهِ؟**»: قال له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما هذه؟ هذا فيه دليل على أنك لا تنكر على أحد حتى تسأله عن فعله هذا؛ ما قصده؟

«فَقَالَ: **مَا هَذِهِ؟** قَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ»: نوع من الحمى، يعني: لبستها لتدفع عني الحمى.

«فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **انْزِعْهَا**»: انزعها من يدك، فإنك لو مت وهي عليك، لم تنزعها ما أفلحت أبدًا؛ لأن المشرك لا يفلح أبدًا، وهذا شرك، فدل على أن لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء ودفعه أن هذا شرك، وأن من مات عليه لا يفلح أبدًا، وهذه مطابقة الحديث للترجمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا المبارك، عن الحسن قال: أخبرني عمران بن حصين)**، هذا طريق آخر.

«**لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا**»، يعني: ضعفًا في دينك وإيمانك، وحتى في جسمك، يتسلط عليه المرض، إذا اتخذها خوفًا من المرض، سُلِط عليه المرض، ولا تدفع عنه شيئًا.

«**فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**»؛ لأن المشرك لا يفلح أبدًا؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ورواه ابن حبان في صحيحه، فقال**: «**فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ وُكِّلْتَ إِلَيْهَا**»)، إن مت، وكلك الله إليها؛ فهي لا تنقذك من النار والعذاب يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والحاكم، وقال: صحيح الإسناد**)، ورواه الحاكم أبو عبد الله في مستدركه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأقره**)، الذهبي له تعليقات على مستدرك الحاكم، فإذا أقره على تصحيح الحديث، فإنه يكون صحيحًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال الحاكم: أكثر مشايخنا على أن الحسن سمع من عمران**)، الحسن البصري يعني، سمع من عمران -يعني- فهو متصل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله في الإسناد: أخبرني عمران يدل على ذلك**)، قوله في الإسناد -قول الحسن في الإسناد-: «أخبرني عمران» يدل على الاتصال، وأنه تلقاه عنه مباشرة، فليس فيه انقطاع بين الحسن وعمران.

....

ش: قوله «عن عمران بن حصين» أي: ابن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نجيد -بنون وجيم- مصغر، صحابي ابن صحابي، أسلم عام خيبر، ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة(١).

قوله: «رَأَى رَجُـلًا»، في رواية الحاكم: «دَخَلْتُ على رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عَضُدِي حَلقَةُ صُفرٍ، فَقَالَ: مَا هَذِه؟». الحديث. فالمبهم في رواية أحمد هو عمران راوي الحديث.

قوله: «مَا هَذِه؟» يحتمل أن الاستفهام للاستفصال عن سبب لبسها، ويحتمل أن يكون للإنكار، وهو أظهر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أسلم عام خيبر، ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة)، الذي هو عمران بن حصين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (في رواية الحاكم: «دَخَلْتُ على رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عَضُدِي حَلقَةُ صُفرٍ)، يكون الراوي -عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- هو الذي كان لابسًا لهذه الحلقة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (في رواية الحاكم: «دَخَلْتُ على رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عَضُدِي حَلقَةُ صُفرٍ)، فهذا يبين من المراد بالرجل.

---

(١) انظر في ترجمته: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ٢١٠٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٢٠٨)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٥٢٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالمبهم في رواية أحمد هو عمران راوي الحديث)**، هذا قبل أن يسلم؛ لأنه قال له الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَمْ إِلهًا تَعْبُدُ؟**» قَالَ: سَبْعَةً؛ سِتَّةً فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قالَ: فَاتْرُكِ السِّتَّةَ وَاعْبُدِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْنِ، فَأَسْلَمَ وَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي»(١). الذي في السماء هو الذي يعده لحاجته وضره ونفعه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «مَا هَذِه؟» يحتمل أن الاستفهام للاستفصال عن سبب لبسها)**، فيكون الاستفهام على بابه، وهو معرفة مقصوده؛ ربما يكون مقصوده مباحًا، فلا ينكر عليه، إذا لم يعتقد فيها نفعًا ولا ضرًّا، وربما يكون مقصوده أنها تنفع وتضر، وهذا هو محل الإنكار، فدل على أن المنكر يستفصل قبل أن ينكر.

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٨٣)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وقدر روي هذا الحديث عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من غير هذا الوجه. اهـ. وروى أحمد بنحوه (٣٣/ ١٩٧)، والبزار في مسنده (٩/ ٢٢)، والدارمي في النقض (١/ ٢٢٧- ٢٢٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٢٩)، ورواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٧٢١)، من حديث شبيب بن شيبة عن الحسن عن عمران.

....

ش: قوله: «من الْوَاهِنَةِ» قال أبو السعادات: الواهنة: عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها، فيرقى منها. وقيل: هو مرض يأخذ في العضد، وهي تأخذ الرجال دون النساء، وإنما نُهِي عنها؛ لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم، وفيه اعتبار المقاصد(١).

قوله: «انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إلا وَهْنًا»، النزع: هو الجذب بقوة، أخبر أنها لا تنفعه، بل تضره، وتزيده ضعفًا، وكذلك كل أمر نُهِي عنه، فإنه لا ينفع غالبًا، وإن نفع بعضه، فضره أكبر من نفعه.

قوله: «فَإِنَّكَ لو مِتَّ وَهي عليكَ، ما أَفْلَحْتَ أَبَدًا»؛ لأنه شرك، والفلاح هو الفوز، والظفر، والسعادة.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، وأنه لم يعذر بالجهالة، وفيه الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال أبو السعادات)، أبو السعادات هو ابن الأثير في لغة الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الواهنة: عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها، فيرقى منها. وقيل: هو مرض يأخذ في العضد، وهي تأخذ الرجال دون النساء)، المهم أنه مرض في اليد، فهو يزعم أن هذه الحلقة ترفع عنه هذا المرض.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٣٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفيه اعتبار المقاصد**)، اعتبار المقاصد؛ إن كان قصده شيئًا مباحًا، فلا ينكر عليه، وإن كان قصده شيئًا محرمًا، ينكر عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إلا وَهْنًا»، النزع: هو الجذب بقوة**)، انزعها: بادر بنزعها، ولا تتوان؛ لأنها شرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أخبر أنها لا تنفعه، بل تضره، وتزيده ضعفًا**)، هو اتخذها لتدفع عنه الواهنة، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبره أنها لا تزيده إلا وهنًا، عكس ما يريد هو؛ لأنها شرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكذلك كل أمر نُهِي عنه، فإنه لا ينفع غالبًا، وإن نفع بعضه، فضره أكبر من نفعه**)، فالمنهيات قد يكون ضررها خالصًا، وقد يكون ضررها أكثر من نفعها، وما كان ضرره أكثر من نفعه، فإنه يُنهى عنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «فَإِنَّكَ لو مِتَّ وَهي عليكَ، ما أَفْلَحْتَ أَبَدًا»؛ لأنه شرك، والفلاح هو الفوز، والظفر، والسعادة**)، والمشرك لا يفلح أبدًا، إذا مات على شركه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، قال المصنف: الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسائل الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر**)، إذا قلنا: إن لبس الحلقة من الشرك الأصغر، ومع هذا يقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّكَ لو مِتَّ وَهي عليكَ، ما أَفْلَحْتَ أَبَدًا**»، دل على أن الشرك الأصغر أعظم من الكبائر التي دون الشرك، أعظم من الزنا، أعظم

من شرب الخمر، أعظم من الربا، فلا يتساهل في الشرك، ويقال: هذا أصغر، لا يتساهل فيه؛ أكبر الكبائر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنه لم يعذر بالجهالة)**، أنه لم يعذر بالجهالة؛ «فَإِنَّكَ لو مِتَّ وَهي عليكَ، ما أَفْلَحْتَ أَبَدًا»، مع أنه لابسها جاهلًا، يوم أن يلبسها، وهو جاهل.

المرجئة[1] يقولون الآن: (يعذرون بالجهل)، الجهل والقرآن يتلى عليهم، وفيه تحريم الشرك، والوعيد عليه، والخلود في النار، كيف الجهل، إلى متى؟!!

إذًا ما فائدة القرآن، وهو يتلى عليهم، وهم عرب فصحاء يعرفون معناه؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك)**، أن مسائل الشرك ينكر فيها بشدة؛ زجرًا عنها.

---

(١) المرجئة: قيل من الإرجاء أي: من التأخير لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص ١٣٢)، و(الفرق بين الفِرق) (ص ١٩٠).

ش: قوله: «رواه أحمد بسند لا بأس به»، هو: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، بن هلال، بن أسد، بن إدريس، بن عبد الله، بن حيان، بن عبد الله، بن أنس، بن عوف، بن قاسط، بن مازن، بن شيبان، بن ذهل، بن ثعلبة، بن عكابة، بن صعب، بن علي، بن بكر، بن وائل، بن قاسط، بن هنب، بن أفصى، بن دعمي، بن جديلة، بن أسد، بن ربيعة، بن نزار، بن معد، بن عدنان.

الإمام العالم، أبو عبد الله الذهلي، ثم الشيباني المروزي، ثم البغدادي، إمام أهل عصره، وأعلمهم بالفقه، والحديث، وأشدهم ورعًا، ومتابعة للسنة.

وهو الذي يقول فيه بعض أهل السنة: عن الدنيا ما كان أصبره وبالماضين ما كان أشبهه!! أتته الدنيا، فأباها، والشبه، فنفاها، خُرِج به من مرو وهو حمل، فوُلِدَ ببغداد سنة أربع وستين ومائة في شهر ربيع الأول.

وطلب أحمد العلم سنة وفاة مالك، وهي سنة تسع وسبعين، فسمع من هشيم، وجرير بن عبد الحميد، وسفيان بن عيينة، ومعتمر بن سليمان، ويحيى بن سعيد القطان، ومحمد بن إدريس الشافعي، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وعبد الرحمن بن مهدي، وخلقٍ بمكة، والبصرة، والكوفة، وبغداد، واليمن، وغيرها من البلاد.

روى عنه ابناه: صالح، وعبد الله، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وإبراهيم الحربي، وأبو زرعة الرازي، وأبو زرعة الدمشقي، وعبد الله بن

أبي الدنيا، وأبو بكر الأثرم، وعثمان بن سعيد الدارمي، وأبو القاسم البغوي -وهو آخر من حدث عنه.

وروى عنه من شيوخه: عبد الرحمن بن مهدي، والأسود بن عامر، ومن أقرانه: علي المديني، ويحيى بن معين.

قال البخاري: مرض أحمد لليلتين خلتا من ربيع الأول، ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت منه.

وقال حنبل: مات يوم الجمعة في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة.

وقال ابنه عبد الله، والفضل بن زياد: مات في ثاني عشر ربيع الآخر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «رواه أحمد بسند لا بأس به»، هو: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، بن هلال، بن أسد، بن إدريس......)، هذه سلسلة نسبه إلى عدنان -رحمه الله رحمة واسعة-، وفيه أجداده: شيبان، ولذلك يقال: أحمد الشيباني؛ نسبة إلى جده شيبان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الإمام العالم، أبو عبد الله الذهلي)، هو أكبر الأئمة في العلم -علم الحديث والرواية ومعرفة الرجال-، وهو إمام أهل السنة، فهو يلقب بإمام أهل السنة.

(١) انظر في ترجمة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تاريخ بغداد وذيوله (٥/ ١٧٨)، وتاريخ الإسلام (٥/ ١٠١٠)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٧)، وطبقات الشافعيين (١/ ١٠٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(المروزي، ثم البغدادي)**، البلاد التي عاش فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(المروزي)**، المروزي: نسبة إلى مَرْو؛ لأنه حملت به أمه في مَرْوَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم البغدادي)**، ثم ولادته وإقامته وموته في بغداد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(خُرِج به من مرو وهو حمل)**، خرجت به أمه من مرو، يعني: انتقلت من مرو، وهو حملٌ في بطنها، ولذلك يقال: المروزي نسبة إلى مرو.

ولُقِب بإمام أهل السنة؛ لأنه هو الذي وقف في وجوه الجهمية[1] والمعتزلة[2]، وأبى أن يقول بخلق القرآن، حتى عُذِّب، وسحبوه في الأسواق،

---

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان أبي محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًا عظيمًا، وهو رأس في التعطيل، قُتل سنة ١٢٨هـ، قتله سَلْم بن أحوز. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٣٢٩)، والتعريفات للجرجاني (ص٢٢٢)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٥٣٩).

(٢) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها.

وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة. انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠-٣٢)، والفرق بين الفرق (ص١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨). وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٣٧-٥٣٨).

وضربوه، وسجنوه، وأبى أن يقول بخلق القرآن، ثبته الله، فصار إمامًا لأهل السنة بسبب ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وطلب أحمد العلم سنة وفاة مالك، وهي سنة تسع وسبعين)**، أقدم الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ثم الإمام مالك، ثم الإمام الشافعي، ثم الإمام أحمد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومحمد بن إدريس الشافعي)**، من مشايخه: الإمام الشافعي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعبد الرزاق)**، عبد الرزاق الصنعاني، سافر أخذ رحلات إلى اليمن، وأخذ عن العلماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وخلقٍ بمكة، والبصرة، والكوفة، وبغداد، واليمن، وغيرها من البلاد)**، كانوا يرحلون في طلب العلم إلى البلاد البعيدة، ويتغربون عن بلادهم لطلب الحديث والعلم عن العلماء، لا يأخذون كتبًا ويقرؤونها، ويقولون: نحن صرنا علماء، يتخرجون على كتب وعلى أوراق، لا، بل يأخذون العلم عن الرجال، السند المتصل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(روى عنه ابناه: صالح، وعبد الله)**، صالح وعبد الله، عبد الله: رواي المسند، وله زوائد في المسند، وصالح كان قاضيًا في بغداد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والبخاري، ومسلم، وأبو داود)**، هو شيخ المحدثين: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، كلهم من تلاميذه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأبو القاسم البغوى -وهو آخر من حدث عنه)**، هذا من كبار تلاميذه، وإلا فتلاميذه كثيرون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وروى عنه من شيوخه: عبد الرحمن بن مهدي، والأسود بن عامر)**، روى عنه بعض شيوخه، بعض شيوخه الذين درسوه رووا عنه الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال حنبل)**، حنبل بن إسحاق بن أخ الإمام أحمد، حنبل: من تلاميذ الإمام، وهو ابن أخيه إسحاق.

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ»[١]. وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ»[٢].

ش: قوله: (**وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَـهُ»**.

وفي رواية: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَقَدْ أَشْرَكَ»).

الحديث الأول رواه الإمام أحمد -كما قال المصنف-، ورواه -أيضًا- أبو يعلى والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. وأقره الذهبي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللهُ لَـهُ**)، التميمة: ما يعلق على الأولاد؛ يتقون به العين، من التعاويذ الشركية.

أما إذا كانت التميمة من القرآن، مكتوب فيها القرآن فقط أو الدعاء المشروع، فهذه محل خلاف بين السلف؛ منهم من أجازها، ومنهم من منعها لعموم النهي عن تعليق التمائم، وهذا الذي يرجحه أئمة الدعوة، حتى وإن كانت القرآن لا تعلق على الشخص؛ لأنها داخلة في التمائم؛ وفي الحديث: **«مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً»**، هذا عموم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٦٢٣)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٢٩٥)، وابن حبان (١٣/ ٤٥٠).
(٢) أخرجه أحمد (٢٨/ ٦٣٧).

«**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَّم اللهُ لَهُ**»: دعاء عليه، وفي الحديث الآخر: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَقَدْ أَشْرَكَ**»، فهذا ما يرجح أن التمائم لا يجوز تعليقها، ولو كانت من القرآن.

....

ش: قوله: (وَفِي رِوَايَـةٍ)، أي: من حديث آخر رواه أحمد، فقال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا يزيد بن أبي منصور، عن دُخَيْمٍ الحجري، عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ الجهني: «أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ إليه رَهْطٌ، فَبَايَعَ تِسْعَةً، وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ. فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ! بَايَعْتَ تِسْعَةً، وَأَمْسَكْتَ عَنْ هَذَا؟ فقال: «إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً»، فَأَدْخَلَ يَدَهُ، فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ»». ورواه الحاكم بنحوه، ورواته ثقات(١).

قوله: (عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ): صحابي مشهور، فقيه فاضل، ولي إمارة مصر لمعاوية ثلاث سنين، ومات قريبًا من الستين(٢).

قوله: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً»، أي: علقها متعلقًا بها قلبه في طلب خير، أو دفع شر.

قال المنذري: خرزة كانوا يعلقونها يرون أنها تدفع عنهم الآفات، وهذا جهل وضلالة؛ إذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالى(٣).

وقال أبو السعادات: التمائم: جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٦٣٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٣).

(٢) انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ١٠٧٣)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٧)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٥٢٣)، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٠).

(٣) انظر: الترغيب والترهيب للمنذري (٤/ ٣٠٧).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ١٩٧).

قوله: «فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ»: دعاء عليه.

قوله: «وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً» -بفتح الواو، وسكون المهملة- قال في مسند الفردوس: الْوَدْعُ: شيء يخرج من البحر يشبه الصدف يتقون به العين.

قوله: «فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ» -بتخفيف الدال-، أي: لا جعله في دعة وسكون، قال أبو السعادات: وهذا دعاء عليه[1].

قوله: وفي رواية: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ».

قال أبو السعادات: إنما جعلها شركًا؛ لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه[2].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ» -بتخفيف الدال-، أي: لا جعله في دعة وسكون)، هذا يلزمه القلق والضجر بسبب تعلقه بالودعة، وهو قد اتخذها يريد الهدوء والسكون، الله يعامله بنقيض قصده، فلا يتركه في دعة ولا سكون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال أبو السعادات: إنما جعلها شركًا؛ لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه)، لا يدفع البلاء إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، التمائم والودع لا تدفع البلاء، هذه من أمور الجاهلية.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٦٨).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ١٩٨).

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الحُمَّى، فَقَطَعَهُ، وَتَلا قَوْلَهُ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]»[١].

ش: قوله: (وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الحُمَّى، فَقَطَعَهُ، وَتَلَا قَوْلَهُ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]»).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن الحسين بن إبراهيم بن إشكاب، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم الأحول، عن عروة قال: «دخل حذيفة على مريض، فرأى في عضده سيرًا فقطعه، أو انتزعه. ثم قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]».

وابن أبي حاتم هو: الإمام أبو محمد، عبد الرحمن بن أبي حاتم، محمد ابن إدريس الرازي التميمي الحنظلي، الحافظ، صاحب الجرح والتعديل، والتفسير، وغيرهما، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة[٢].

وحذيفة هو: ابن اليمان، واسم اليمان: حسيل -بمهملتين مصغرًا-، ويقال حسل -بكسر ثم سكون- العبسي -بالموحدة-، حليف الأنصار،

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٨).

(٢) انظر في ترجمة ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللهُ: تاريخ الإسلام (٧/ ٥٣٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٢٤)، وطبقات الشافعيين (١/ ٢٥٤)، والعقد المذهب في طبقات حملة المذهب (ص٤٧).

صحابي جليل من السابقين، ويقال له: صاحب السر[١]، وأبوه -أيضًا- صحابي، مات حذيفة في أول خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ست وثلاثين[٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(عَنْ حُذَيْفَةَ)**، حذيفة بن اليمان.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٧٤٢) عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: «قَدِمْتُ الشَّأْمَ فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَأَتَيْتُ قَوْمًا فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِي، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَقُلْتُ: إِنِّي دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُيَسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَيَسَّرَكَ لِي، قَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ، قَالَ: أَوَلَيْسَ عِنْدَكُمْ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ وَالوِسَادِ، وَالمِطْهَرَةِ، وَفِيكُمُ الَّذِي أَجَارَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، - يَعْنِي عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ سِرِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ يَقْرَأُ عَبْدُ اللهِ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى؟ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيَّ».

(٢) قال أبو نعيم: (حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَهُوَ ابْنُ حَسَلِ بْنِ جَابِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْيَمَانِ. وَقِيلَ: حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ وَلَدِ الْيَمَانِ بْنِ جَرْوَةَ بْنِ الحَارِثِ بْنِ قَطِيعَةَ بْنِ عَبْسٍ، يُكَنَّى أَبَا عَبْدِ اللهِ، مُهَاجِرِيٌّ، هَاجَرَ هُوَ وَأَبُوهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَيَّرَهُ بَيْنَ الْهِجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ، فَاخْتَارَ النُّصْرَةَ، وَحَالَفَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَعِدَادُهُ فِي الْأَنْصَارِ لِحِلْفِهِ، شَهِدَ أُحُدًا، وَاسْتُشْهِدَ أَبُوهُ بِأُحُدٍ، أَخْطَأَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ فَقَتَلُوهُ، فَتَصَدَّقَ بِدَمِ أَبِيهِ وَدِيَتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، سَكَنَ الْكُوفَةَ وَتُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ بِالْمَدَائِنِ، بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَلِيلٍ وَلَمْ يُدْرِكِ الجَمَلَ، وَتَبَرَّأَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَ، وَمِنْ قَتَلَتِهِ، كَانَ يَسْأَلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الشَّرِّ لِيَجْتَنِبَهُ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّ الخَيْرَ لَا يَفُوتُهُ، صَاحِبُ السِّرِّ أَعْلَمَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُنَافِقِينَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَعْيَانِهِمْ، بَعَثَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ سَرِيَّةً وَحْدَهُ، مَنَعَهُ مِنْ شُهُودِ بَدْرٍ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عَهْدِ الْمُشْرِكِينَ وَعَقْدِهِمْ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْوَفَاءِ لَهُمْ، وَأَنْ يَسْتَعِينَ بِاللهِ عَلَيْهِمْ. رَوَى عَنْهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَجُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) معرفة الصحابة (٢/ ٦٨٦). وانظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦١)، والاستيعاب (١/ ٣٣٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى)**، يعني: عاقدًا عليه بخيط، وكثير من يعقدون الخيوط على أذرعهم الآن بسبب الجهل، وعدم معرفة التوحيد والعقيدة، ومنهم من يعلق على السيارات، يعلق عليها خرق، وأشياء معلقات؛ يتقون بها العين، كل هذا من هذا القبيل؛ بسبب أنهم لم يتعلموا العقيدة الصحيحة، فلذلك وقعوا في العادات الباطلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن عروة قال: دخل حذيفة على مريض، فرأى في عضده سيرًا فقطعه، أو انتزعه. ثم قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦])**، يؤمنون بالله توحيد الربوبية، ويشركون في توحيد الألوهية.

هذه آية من سورة يوسف: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]، يعني: يؤمنون بالله توحيد الربوبية، ويشركون في توحيد الألوهية، هذا في أهل الجاهلية، ومن الناس من يسير على هذا المنهج حتى في الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واسم اليمان: حسيل -بمهملتين)**، بمهملتين: الحاء والسين مهملتان، ليس فيهما نقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مصغرًا)**، مصغر، ليس بحَسِيل، حُسَيْلٌ: تصغير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين)**، هو ليس من الأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، لكنه حليف لهم، وعاش معهم، صار من أهل المدينة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويقال له: صاحب السر)**، يقال له: صاحب السر، أي: أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يفضي إليه بسره، ويخبره عن المنافقين؛ فلان منافق، فلان منافق، ولكنه يكتم ذلك، ولا يبينه، حتى إن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سأله بالله: هل عده الرسول من المنافقين؟ قال: لا، والله، ولا أزكي بعدك أحدًا[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأبوه -أيضًا- صحابي)**، يعني اليمان، حذيفة صحابي، وأبوه اليمان صحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قُتِلَ في أحد بسبب سهم أصابه من قبل المسلمين خطأ.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٨١)، والبزار (٧/ ٢٩٢)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٦٩)، والخلال في السنة (٤/ ١١١، ٥/ ٦٧) عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: «مَاتَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ حُذَيْفَةُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَمِنَ الْقَوْمِ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: بِاللهِ، مِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: لَا، وَلَنْ أُخْبِرَ بِهِ أَحَدًا بَعْدَكَ».

....

ش: قوله: «رَأَى رَجُلًا فِي يدهِ خَيطٌ من الحُمَّى» أي: عن الحمى، وكان الجهال يعلقون التمائم والخيوط ونحوها لدفع الحمى.

وروى وكيع عن حذيفة: «أنه دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ، فَلَمَسَ عَضُدَهُ، فَإِذَا فِيهِ خَيْطٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: شَيْءٌ رُقِيَ لِي فِيهِ، فَقَطَعَهُ، وَقَالَ: لَوْ مُتَّ وَهُوَ عَلَيْكَ، مَا صَلَّيْتُ عَلَيْكَ»(١).

وفيه إنكار مثل هذا، وإن كان يعتقد أنه سبب، فالأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله -تعالى- ورسوله، مع عدم الاعتماد عليها.

وأما التمائم، والخيوط، والحروز، والطلاسم، ونحو ذلك مما يعلقه الجهال، فهو شرك يجب إنكاره، وإزالته بالقول والفعل، وإن لم يأذن فيه صاحبه.

قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦])، استدل حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالآية أن هذا شرك.

ففيه: صحة الاستدلال على الشرك الأصغر بما أنزله الله في الشرك الأكبر، لشمول الآية، ودخوله في مسمى الشرك. وتقدم معنى هذه الآية عن ابن عباس، وغيره -والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٥)، والخلال في السنة (٥/ ١٣، ٥/ ٦٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٧٤٣).

وفي هذه الآثار عن الصحابة ما يبين كمال علمهم بالتوحيد وما ينافيه أو ينافي كماله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكان الجهال يعلقون التمائم، والخيوط، ونحوها لدفع الحمى)**، يعقد الخيط على ذراعه أو عضده أو على ساقه؛ يزعم أنه يرفع عنه الحمى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال: لَوْ مُتَّ وَهُوَ عَلَيْكَ، مَا صَلَّيْتُ عَلَيْكَ)**؛ لأن هذا شرك، فلو مات وهي عليه، صار مشركًا، ولا يصلى عليه، هذا وعيد شديد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن كان يعتقد أنه سبب، فالأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله تعالى ورسوله)**، يقول: هذا لا أعتقد فيه، لكنه هو سبب. نقول: لم يجعله الله سببًا، لا يصلح أن يكون سببًا إلا ما جعله الله سببًا، والله لم يجعل الخيوط سببًا لرفع الحمى أو دفعها.

الأدوية؟ نعم، الأدوية؛ «**تَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**»(١)، فالأدوية سبب، وأما الخيوط، فهذه ليست بدواء ولا شيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله -تعالى- ورسوله، مع عدم الاعتماد عليها)**، فالسبب يُفعل، ويتوكل على الله، لا يتوكل على السبب، التوكل على السبب شرك، وترك السبب هذا -أيضًا- نقص في

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الدين؛ لأن الله أمر باتخاذ الأسباب، فيجمع المسلم بين الأسباب النافعة والتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما التمائم، والخيوط، والحروز، والطلاسم ونحو ذلك مما يعلقه الجهال، فهو شرك يجب إنكاره)**، جميع المعلقات التي لم يرد في إجازتها والأمر بتعليقها كلها من الشرك؛ لأنه إن اعتمد عليها، فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنها سبب، فهو شرك أصغر؛ لأن الله لم يجعلها أسبابًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهو شرك يجب إنكاره، وإزالته بالقول، والفعل)**؛ لأن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قطع الخيط وأزاله منه، وقال: «**لَوْ مُتَّ وَهُوَ عَلَيْكَ مَا صَلَّيْتُ عَلَيْكَ**»، وقد جاء إليه؛ ليعوده من المرض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن لم يأذن فيه صاحبه)**، يزيله ولو لم يأذن صاحبه بإزالته؛ لأنه شرك، لا يتوقف إزالته على إذن من اتخذه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦])، استدل حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالآية أن هذا شرك)، يعني: الشرك الأصغر، ﴿ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾، يعني: الشرك الأصغر، فاستدل بالآية النازلة في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.

هذا دليل على أنه يستدل بالآيات النازلة التي في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر؛ لعمومها؛ لأنها تعم هذا وهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ففيه: صحة الاستدلال على الشرك الأصغر بما أنزله الله في الشرك الأكبر، لشمول الآية، ودخوله في مسمى الشرك)**، للعموم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذه الآثار عن الصحابة ما يبين كمال علمهم بالتوحيد وما ينافيه أو ينافي كماله)**؛ لأن الذي ينافي التوحيد هو الشرك الأكبر، والذي ينافي كمال التوحيد هو الشرك الأصغر.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: التَّغْلِيظُ فِي لُبْسِ الْحَلقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِمِثْلِ ذَلِكَ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهِيَ عَلَيْهِ، مَا أَفْلَحَ. فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ أَنَّ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الْكَبَائِرِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَمْ يُعْذَرْ بِالْجَهَالَةِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ فِي الْعَاجِلَةِ، بَلْ تَضُرُّ؛ لِقَوْلِهِ: «لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا».

الْخَامِسَةُ: الْإِنْكَارُ بِالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْأُولَى: التَّغْلِيظُ فِي لُبْسِ الحَلقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِمِثْلِ ذَلِكَ**)، غلظ فيه؛ لأن من يتخذ هذه الأشياء يغرر الناس، أو يغر الناس بأنها تدفع البلاء أو ترفعه، وليس هو عقد الخيط والحلقة ونحوهما، وإنما هو يروج على الناس أن هذه الأشياء إذا عُلِّقَت أنها تدفع البلاء قبل أن ينزل، أو ترفعه بعد أن ينزل، ولا شك أن أكثر الناس ينخدعون بمثل هذه الخرافات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهِيَ عَلَيْهِ، مَا أَفْلَحَ**)؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**انْزِعْهَا، فَإِنَّهَا لَا تَزِيْدُكَ إِلَّا وَهْنًا**»، يعني: ضعفًا.

«**فإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ**»: هي في الدنيا تزيده وهنًا وضعفًا، وإذا مات وهي عليه، لن يفلح أبدًا؛ لأن المشرك؛ ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

فمن مات على الشرك، لن يفلح أبدًا، وما عداه من الذنوب دون الشرك، فهو تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ؛ إن شاء غفره لصاحبه، وإن شاء عذبه، ثم مآله إلى الجنة بعد التعذيب، فهو لن يفلح أبدًا.

أما الذي يفعل كبيرة دون الشرك، فهو يفلح؛ إما فلاحًا تامًّا، وإما فلاحًا ناقصًا، فلا ينفي الفلاح إلا عن المشرك الشرك الأكبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهِيَ عَلَيْه، مَا أَفْلَحَ. فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ أَنَّ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الْكَبَائِرِ)**؛ لأن تعليق الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء ودفعه هذا من الشرك الأصغر. إذا اعتقد أن هذه الأشياء سبب لرفع البلاء أو دفعه، وإنما الذي يفعل ذلك هو الله، فهذا شرك أصغر؛ لأن الله لم يأذن بهذا، ولم يشرعه، فهو لا يفلح أبدًا.

إذا كان هذا في الشرك الأصغر، فكيف بالشرك الأكبر؟! فالشرك لافلاح معه أبدًا؛ أصغر أو أكبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَمْ يُعْذَرْ بِالجَهَالَةِ)**، أنه لم يعذر بالجهالة، فهذا الذي علق الخيط أو الحلقة من صفر، هذا جاهل، بلا شك أنه جاهل، فلايعذر بالجهالة في أمور الشرك والعقيدة؛ لأن هناك من المرجئة الآن من يقولون: (يعذر بالجهل مطلقًا)، هذا كلام باطل؛ فأمور العقيدة لا يعذر فيها بالجهل، وأما الأمور الغامضة، والأمور التي تحتاج إلى بيان، هذه يعذر فيها بالجهل، حتى تبين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ فِي العَاجِلَةِ؛ بَلْ تَضُرُّ؛ لِقَوْلِهِ: «لَا تَزِيْدُكَ إِلَّا وَهْنًا»**)، فهي في العاجلة لا تزيده إلا ضعفًا، عكس اعتقاده أنها ترفع عنه الواهنة، هذا في الدينا، وفي الآخرة إذا مات وهي عليه، لن يفلح أبدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: الإِنْكَارُ بِالتَّغْلِيْظِ عَلَى مَنْ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ**)، فعل شيئًا من أنواع الشرك، فإنه يغلظ عليه في ذلك؛ لأن الله غلظ على المشركين، توعدهم بأشد الوعيد، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أيضًا- أنكر على هذا الرجل بشدة، قال له: «**انْزِعْهَا**»، ثم قال: «**فَإِنَّهَا لَا تَزِيْدُكَ إِلَّا وَهْنًا**»، ثم قال: «**فإِنَّكَ لوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ؛ مَا أَفْلَحتَ أَبَدًا**». هذه أنواع من الوعيد.

السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا، وُكِلَ إِلَيْهِ.

السَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَقَدْ أَشْرَكَ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الْخَيْطِ مِنَ الْحُمَّى مِنْ ذَلِكَ.

التَّاسِعَةُ: تِلَاوَةُ حُذَيْفَةَ الْآيَةَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ يَسْتَدِلُّونَ بِالْآيَاتِ الَّتِي فِي الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ عَلَى الْأَصْغَرِ؛ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ.**

الْعَاشِرَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الْوَدْعِ عَنِ الْعَيْنِ مِنْ ذَلِكَ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً أَنَّ اللهَ لَا يُتِمُّ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ، أَيْ: تَرَكَ اللهُ لَهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا؛ وُكِلَ إِلَيْهِ**)؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**»[1]، من علق قلبه بشيء أنه ينفع أو يضر من دون الله، فإن الله يكله إلى ذلك الشيء؛ خذلانًا له، وجزاءً له؛ لأنه إذا وكله إلى هذا الشيء الضعيف، فإن الله قد عاقبه بذلك، ووكله على من لا يملك نفعًا ولا ضرًّا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**السَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّامِنَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الخَيْطِ مِنَ الحُمَّى مِنْ ذَلِكَ**)، تعليق الخيط، يعني: لأجل لرفع الحمى أو دفعها أنه من الشرك؛ لأنه قال: «**لو مِتَّ**

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٧٢)، وأحمد في مسنده (٣١/ ٧٧، ٨١)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٨٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤١)، من حديث عبد الله بن عكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهِيَ عَلَيْكَ»، يعني: هذه الحلقة، «**مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**»، دل على أنها من الشرك؛ لأن العاصي الذي معصيته دون الشرك يفلح، لا يخسر أبدًا، قد يعذب، لكن في النهاية يفلح بإيمانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: تِلَاوَةُ حُذَيْفَةَ الآيَةَ دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ يَسْتَدِلُّوْنَ بِالآيَاتِ الَّتِيْ فِي الشِّرْكِ الأَكْبَرِ عَلَى الأَصْغَرِ؛ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي آيَةِ البَقَرَةِ**)، حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قطع الخيط للذي رآه عليه، وغلظ عليه في ذلك، واستدل بالآية، وهي قوله تعالى في المشركين: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]، يؤمنون بالله في توحيد الربوبية، ويشركون في توحيد الألوهية.

فلبس الحلقة شرك أصغر، وحذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ استدل بالآية النازلة في الشرك الأكبر؛ لأن الوعيد يعم الشرك الأكبر والأصغر، لا يتهاون به في ذلك؛ ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]، ويشركون في توحيد الألوهية، وهم يقرون بتوحيد الربوبية، لم ينكروه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**العَاشِرَةُ: أَنَّ تَعْلِيْقَ الوَدْعَ عَنَ العَيْنِ مِنْ ذَلِكَ**)، أن تعليق الودع عن العين، يعني: خوفًا من العين، تدفع عنه العين -الإصابة بالعين- أنه من الشرك، (**مِنْ ذَلِكَ**)، يعني: من الشرك؛ لأن الودع لا تدفع العين، إن ما يدفع العين وغيرها هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيْمَةً أَنَّ اللهَ لَا يُتِمُّ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ؛ أَيْ: تَرَكَ اللهُ لَهُ**)، الدعاء على من فعل

ذلك -أيضًا-؛ «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيْمَةً؛ فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ**» ما أراد؛ عكس ما يريد من التميمة؛ عقوبة له.

«**ومَنْ تَعلَّقَ وَدَعَةً**»؛ يتقي بها العين أو غيرها، «**فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ**»، يعني: لا تركه في دعة وسكون وراحة، بل يصيبه بالقلق.

أو «**فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ**»: من ودع، يعني: ترك الشيء؛ أي: لا ترك الله له خيرًا، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾، وفي قراءة: (وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) [الضحى:٣]، يعني: لم يتركك[١].

---

(١) انظر إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه (ص١١٧)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٢٩٢)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للهمذاني (٦/ ٤١٧)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي (٥/ ١٨٧).

٧- بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ) أي: من النهي، وما ورد عن السلف في ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ)**، الرقى جمع رقية، وهي: القراءة على المريض والمصاب، هذه الرقية.

والتمائم: جمع تميمة، وهي ما يعلق من الأشياء؛ دفعًا للعين، أو دفعًا للمرض، أو ما أشبه ذلك.

يعني: باب ما جاء من الوعيد فيها، وأنها على حسب اعتقاد معلقها؛ فإن اعتقد أنها تنفع وتضر من دون الله، فهذا شرك أكبر، وإن اعتقد أنها سبب، فهذا شرك أصغر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أي: من النهي)**، ما جاء من النهي عن ذلك عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما ورد عن السلف في ذلك)**، ما جاء من الأحاديث والآثار في موضوع تعليق التمائم والرقى.

وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: «أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا: ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت»[(١)].

ش: هذا الحديث في الصحيحين.

قوله: (عَنْ أَبِي بَشِيرٍ) -بفتح أوله، وكسر المعجمة-، قيل: اسمه قيس ابن عبيد. قاله ابن سعد[(٢)].

وقال ابن عبد البر: لا يوقف له على اسم صحيح، هو صحابي شهد الخندق، ومات بعد الستين. ويقال: إنه جاوز المائة[(٣)].

قوله رحمه الله: (**فِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ** رضي الله عنه؛ **أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ** صلى الله عليه وسلم **فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ؛ فَأَرْسَلَ رَسُوْلًا أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيْرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ**)، في أحد أسفار الرسول صلى الله عليه وسلم كان معه أبو بشير الأنصاري رضي الله عنه، فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رسولًا ينادي في الناس: «**لا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيْرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ**» أو في رواية: «**أَوْ قِلَادَةٌ** -مطلقًا- **إِلَّا قُطِعَتْ**»؛ لأنهم كانوا في الجاهلية يجعلون القلائد في رقاب الإبل؛ لتقيها من العين، أو من الآفات، الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يزيل هذا النوع من الشرك.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٣١١).

(٣) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٦١٠- ١٦١١).

والوتر: هو وتر القوس؛ لأن القوس يتكون من شيئين: يتكون من القوس، ومن الوتر. القوس شيء يصنع من الخشب اللين، ويجعل فيه الوتر، يعني: لأجل رمي النبل. يخرق هذا القوس، ثم يؤتى بالوتر، ويجعل في أطرفه، يعقد في أطرافه، ويجعل في وسطه شيء يوضع عليه السهم، ثم يجره بقوة، ثم يطلقه، فيخرج السهم من المنفذ الذي في القوس، ويذهب إلى المرمي، فيصيبه.

كان هذا سلاحهم في الجاهلية وفي أول الإسلام، ليس معهم إلا النبل، ليس معهم البارود والنار والرصاص، لم يوجد بعد، سلاحهم هو النبل، فهم كانوا إذا اخْلوْلَقَ الوتر، جعلوه قلائد على الإبل؛ لأنهم يعتقدون فيه؛ لأنه استعمل، ورُمِي به، يعتقدون فيه البركة، ويعتقدون فيه أنه يدفع العين، فيقلدونه الإبل.

وفي رواية: «أَوْ قِلَادَةٌ»، يعني: مطلقًا؛ من وتر أو غيره، إذا كان يعتقد فيها أنها لدفع البلاء أو رفعه، فإنها من الشرك، فيزيله، يجب إزالة ذلك، تعليم الناس وتنبيه الناس عن ذلك، عن هذا المظهر السيء.

أما تقليد الإبل من غير اعتقاد، وإنما هو تقليد للزينة، أو تقليد للهدي؛ ﴿وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [المائدة:٩٧]، هذا لا بأس به؛ نظرًا للمقاصد؛ إن كانت المقاصد طيبة، فهذه القلادة لا بأس بها، وإن كانت المقاصد سيئة، فهذه القلادة قلادة سوء، وهي علامة الشرك، فتزال، ولذلك الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بإزالة هذه القلائد وقطعها من رقاب الإبل؛ إزالة لهذا الاعتقاد السيء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**هذا الحديث في الصحيحين**)، قاله الشارح، الذي هو صاحب تيسير العزيز الحميد؛ الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ.

والشيخ سليمان بن عبد الله كان من المحدثين، يعني: له عناية بالحديث، وتخريج الحديث، ومعرفة عجيبة في تخريج الحديث؛ لأن كان في الدرعية مكتبة ضخمة فيها أمهات المراجع والمخطوطات، فكان هذا الشاب يعكف عليها، ويقرأ فيها، حتى تحصل لديه موهبة عظيمة في علم الحديث.

وأيضًا يقال: إنه التقى بالشوكاني وأخذ عنه، فازداد علمه بعلم الحديث، فهو يتميز على غيره من شباب الدرعية بمعرفته في الحديث، حتى رُوِي عنه أنه قال: (أنا أعرف رجال الحديث؛ كما أعرف رجال الدرعية).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «عَنْ أَبِي بَشِيرٍ» -بفتح أوله، وكسر المعجمة-، قيل: اسمه قيس بن عبيد**)، هذه كناية، أبو بشير: كناية، مثل أبي هريرة، كناية، أبو أو أم.

الكناية: ما صُدِر بأب أو أم، هذه الكناية[1]؛ مثل: أم عبد الله، وهكذا، ما صُدِر بأب أو أم، فإنه يقال له: كناية، وهي تستعمل للتكريم، تكريم الشخص.

وأما اللقب، فقد يراد به ذمًا؛ ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات:١١]، اللقب: ما أشعر بمدح أو ذم[2]، والغالب أنه يستعمل للذم.

---

(١) انظر: التعريفات للجرجاني (ص ١٨٧)، وصبح الأعشى (٥/ ٤٠٥)، وتاج العروس (٣٩/ ٤٢٢).

(٢) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢/ ١٢١٧، ١٤١٣)، وحاشية الدسوقي على مختصر المعاني (١/ ٥٠٧)، والجاسوس على القاموس (ص٢٥٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قاله ابن سعد)**، ابن سعد: صاحب الطبقات، مشهور، طبقات ابن سعد في الحديث، ورجال الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن عبد البر: لا يوقف له على اسم صحيح، هو صحابي)**، هو صحابي على كل حال، أما أنه اختلف في اسمه، فهذا أمر سهل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(شهد الخندق، ومات بعد الستين)**، شهد غزوة الخندق التي هي في السنة الثالثة من الهجرة؛ لأن المشركين جمعوا من القبائل وغزوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة، وأحاطوا بها، وخانت اليهود معهم، نقضوا العهد، والمنافقون انضموا إليهم؛ ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ [الأحزاب:١٠]، فالمشركون من خارج المدينة، والمنافقون واليهود من داخل المدينة، اشتد الأمر بالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جدًّا. سميت الخندق؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حفر خندقًا حول المدينة؛ ليمنع الخيل من دخول المدينة، ونفع الله بهذا الخندق، وكان بمشورة سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، نفع الله به، ودفع به كيد الأعداء. في النهاية أرسل الله الريح عليهم، فكفأت قدروهم، وقلعت خيامهم، وأصابتهم بالحصى، وأصابهم الرعب، فرحلوا منهزمين -والحمد لله-، وفرج الله عن المسلمين بعد الشدة العظيمة.؛﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب:٩]: وهم الملائكة؛ ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: أرسل الله عليهم الريح وأرسل عليهم الملائكة تلقي الرعب في قلوبهم.

....

ش: قوله: «فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ». قال الحافظ: (لم أقف على تعيينه)[١].

قوله: «فَأَرْسَلَ رَسُولًا»: هو زيد بن حارثة. روى ذلك الحارث بن أبي أسامة في مسنده. قاله الحافظ[٢].

قوله: «أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ» -بالمثناة التحتية، والقاف المفتوحتين-، وقلادة: مرفوع على أنه فاعل.

والوتر: بفتحتين، واحد أوتار القوس.

وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر، أبدلوه بغيره، وقلدوا به الدواب؛ اعتقادًا منهم أنه يدفع عن الدابة العين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ». قال الحافظ: لم أقف على تعيينه)**، الحافظ ابن حجر، لم أقف على تعيين هذا السفر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَأَرْسَلَ رَسُولًا »: هو زيد بن حارثة)**، هو: زيد بن حارثة مولى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أبو أسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ» -بالمثناة التحتية)**، المثناة التحتية: هذه الياء، والمثناة الفوقية: هذه التاء والقاف وما أشبهها.

---

(١) انظر: فتح الباري (٦/ ١٤١).
(٢) انظر: فتح الباري (٦/ ١٤١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ» -بالمثناة التحتية، والقاف المفتوحتين)؛ «يَبْقَيَنَّ».**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقلادة: مرفوع على أنه فاعل)**، فاعل: «يَبْقَيَنَّ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقلدوا به الدواب؛ اعتقادًا منهم أنه يدفع عن الدابة العين)**، الإصابة بالعين.

....

ش: قوله: «أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ»، معناه: أن الراوي شك؛ هل قال شيخه: قلادة من وتر، أو قال: قلادة، وأطلق ولم يقيده؟

ويؤيد الأول ما رُوِي عن مالك أنه سئل عن القلادة؟ فقال: ما سمعت بكراهتها إلا في الوتر(١).

ولأبي داود: «ولا قلادة» بغير شك(٢).

قال البغوي في شرح السنة: تأول مالك أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقطع القلائد على أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم والقلائد، ويعلقون عليها العوذ، يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها، وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئًا(٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أو قال: قلادة)، يعني: مطلقة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أو قال: قلادة وأطلق، ولم يقيده؟)، القلادة إذا كان يعتقد فيها، سواء كانت من وتر أو من غيره، كله سواء.

---

(١) انظر: الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ (ص ٢٤٥- ٢٤٦)، وشرح صحيح البخارى لابن بطال (٥/ ١٦٠)، والمنتقى شرح الموطأ (٧/ ٢٥٥)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٨/ ١٥٥).
(٢) انظر: فتح الباري (٦/ ١٤١).
(٣) انظر: شرح السنة (١١/ ٢٧).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فنهاهم النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عنها، وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئًا)**، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كإخوانه من النبيين جاء بالدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك، ومن ذلك: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الغزوة أمر بإزالة القلائد عن الإبل إذا كان يعتقد فيها أنها تدفع العين؛ لأن هذا من اعتقاد الجاهلية، وهو شرك.

....

ش: قال أبو عبيد: كانوا يقلدون الإبل الأوتار، لئلا تصيبها العين، فأمرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإزالتها؛ إعلامًا لهم بأن الأوتار لا ترد شيئًا[(١)]. وكذا قال ابن الجوزي، وغيره[(٢)].

قال الحافظ: ويؤيده حديث عقبة بن عامر، رفعه: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ». رواه أبو داود. وهي ما عُلِقَ من القلائد خشية العين ونحو ذلك. انتهى[(٣)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال أبو عبيد: كانوا يقلدون الإبل الأوتار، لئلا تصيبها العين)، قال أبو عبيد، يعني: القاسم بن سلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الحافظ: ويؤيده حديث عقبة بن عامر، رفعه «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ»)، هذا إنكار؛ «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً»؛ يتقي بها العين، «فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ» أمره، وعكسه عليه.

---

(١) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ٢).
(٢) انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٥٢).
(٣) انظر: فتح الباري (٦/ ١٤٢).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رَوَاهُ أَحْمدُ، وَأَبُو دَاودَ[1].

ش: (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاودَ). وفيه قصة، ولفظ أبي داود: «عَنْ زَيْنَبَ، امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ عبدَ الله رَأَى فِي عُنُقِي خَيْطًا، فقال: ما هَذَا؟ قُلْتُ: خَيطٌ رُقِيَ لِي فِيهِ، قَالَتْ: فَأَخَذَهُ، ثُمَّ قَطَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتُمْ آلُ عَبْدِ اللهِ لأَغْنِيَاءُ عَنِ الشِّرْكِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ. فَقُلْتُ: لَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تَقْذِفُ، وَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى فُلانٍ الْيَهُودِيِّ، فَإِذَا رَقَى، سَكَنَتْ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّمَا ذَلِكَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ، كَانَ يَنْخِسُهَا بِيَدِهِ، فإِذا رَقَى، كَفَّ عَنْهَا، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا». رواه ابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح، وأقره الذهبي[2].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»)، سيفسرها الشيخ -إن شاء الله.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١١٠)، وأبو داود (٣٨٨٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٥٣٠)، وابن حبان (١٣/ ٤٥٦)، والحاكم (٤/ ٢٤١، ٤٦٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفيه قصة، ولفظ أبي داود: « عَنْ زَيْنَبَ، امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ عبدَ الله رَأَى فِي عُنُقِي خَيْطًا، فقال: مَا هَذَا؟)، ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأى في عنق امرأته زينب خيطًا، فسألها: ما هذا؟! قالها إنكارًا لذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثُمَّ قَالَ: أَنْتُمْ آلُ عَبْدِ اللهِ لأَغْنِيَاءُ عَنِ الشِّرْكِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ)، هذا هو السبب بإيراد هذا الحديث: أن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأى في عنق امرأته خيطًا، فقال: ما هذا؟! قالت: رُقِي لي فيه، فذكر هذا الحديث عن رسول الله: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»، فهذ الخيط شرك؛ إذا كان يعتقد فيه أنه ينفع أو يضر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِذَا رَقَى، سَكَنَتْ)، إذا رقاها، سكنت. يعني بينت السبب في عقدها لهذا الخيط؛ أنه من أجل عينها، أنها مصابة بكثرة الدمع، واضطراب العين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّمَا ذَلِكَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ، كَانَ يَنْخِسُهَا بِيَدِهِ، فَإِذَا رَقَى، كَفَّ عَنْهَا)، هذا من الشيطان، هو الذي ينخس العين -عين المرأة-، وتقذف الدمع، فإذا استعملت الرقية الشركية، امتنع الشيطان؛ ابتلاء وامتحانًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً

لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»)، هذه رقية الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إذا رقى المريض، يقول: **«أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»**.

هذه رقية الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فيدعو الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يعلق هذه الأشياء، فيلجأ إلى الله عَزَّوَجَلَّ لكشف الضر.

....

ش: قوله: «إِنَّ الرُّقَى»، قال المصنف: «هي التى تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العين والحمة»، يشير إلى أن الرقى الموصوفة بكونها شركًا هي التي يستعان فيها بغير الله، وأما إذا لم يذكر فيها إلا بأسماء الله وصفاته وآياته، والمأثور عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا حسن جائز أو مستحب.

قوله: «فَقَدْ رَخَّصَ فِيْهِ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ العَيْنِ وَالحُمَةِ»؛ كما تقدم في «باب من حقق التوحيد»، وكذا رخص في الرقى من غيرها؛ كما في صحيح مسلم عن عوف بن مالك: «كُنَّا نَرْقِي فِي الجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا»[(١)]. وفي الباب أحاديث كثيرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «إِنَّ الرُّقَى»)، الرقى فيها تفصيل: إن كانت من القرآن ومن أسماء الله وصفاته، والدعوات المشروعة، فلا بأس بها.

أما إن كانت من الرقية الشركية، فإنها ممنوعة؛ كالاستغاثة بالشياطين أو الجن، ودعائهم من دون الله أن يرفعوا هذا المرض، أو أن يشفوا من هذا المرض، هذا شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ففيها تفصيل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٠).

الرقية فيها تفصيل؛ إن كانت من القرآن، أو من الأدعية المشروعة، فلا بأس بها، وقد رقى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض المـرضى(١)، ورُقِـي هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال المصنف: «هي التي تسمى العزائم»)**، المصنف: الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العين والحمة»)**، من العين والحمة؛ كما مر في أول الكتاب في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَّةٍ»**.

الحمى: هي اللدغة من السموم، والحمة: هي الحمى، يعني: فلا رقية أنفع وأشفى من الرقية لهذين المرضين أو هاتين الإصابتين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وكذا رخص في الرقى من غيرها)**، من غير العين والحمة، جميع الأمراض، لا بأس بالرقية من القرآن والسنة وأسماء الله وصفاته من

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٤٧) (٢١٩١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ؛ يَمْسَحُ بِيَدِهِ اليُمْنَى، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ البَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا».
وأخرج البخاري (٥٧٤٥)، ومسلم (٥٤) (٢١٩٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ: بِاسْمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا».

(٢) أخرجه مسلم (٤٠) (٢١٨٦) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ». و(٣٩) (٢١٨٥) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

جميع الأمراض، لكن قوله: «لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَّةٍ»، يعني: لا رقية أنفع من غيرها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا»**)، «**لَا بَأْسَ بِالرُّقَى**»: جمع رقية.

«**مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا**»: أما إن كانت بالتوحيد، وبالدعوات المشروعة، أو من القرآن، فلا بأس بها؛ هي نوع من الأسباب، طيبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي الباب أحاديث كثيرة**)، يعني: في باب الرقية.

....

ش: قال الخطابي: وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ **قد رَقَى ورُقِي، وأمر بها، وأجازها، فإذا كانت بالقرآن، وبأسماء الله تعالى، فهي مباحة، أو مأمور بها، وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب، فإنه ربما كان كفرًا، أو قولًا يدخله شرك**[(١)].

قلت: من ذلك ما كان على مذاهب الجاهلية التي يتعاطونها، وأنها تدفع عنهم الآفات، ويعتقدون أن ذلك من قبيل الجن ومعونتهم، وبنحو هذا ذكر الخطابي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأمر بها وأجازها)**، يعني: الرقية المشروعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب)**، إذا كانت بلغة العجم، يعني: من شروط الرقية الصحيحة:

أولًا: أن تكون باللسان العربي، ولا تكون باللسان غير العربي؛ لأنها ربما يدخل فيها أشياء شركية، ولا نعرفها، فلابد أن تكون باللغة العربية؛ حتى نفهمها ونعرفها ونميزها ونفحصها، هذا شرط.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإنه ربما كان كفرًا، أو قولًا يدخله شرك)**، ولا ندري؛ لأننا لا نعرف اللغة غير العربية.

---

(١) انظر: معالم السنن (٤/ ٢٢٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قلت: من ذلك ما كان على مذاهب الجاهلية التى يتعاطونها، وأنها تدفع عنهم الآفات)، رقى الجاهلية التي كانوا يتعاطونها، فإنها لا تخلو من الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويعتقدون أن ذلك من قبيل الجن ومعونتهم)، يستعيذون من الجن؛ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]، فكانوا يستعيذون بالجن، وكانوا إذا نزلوا منزلًا، يقولون: نعوذ بسيد هذا الوادي -يعني: من الجن- من شر سفهاء قومه[(١)].

فهذا من أمور الجاهلية، ومن أمور المشركين؛ أنهم يعوذون بالجن، فزادهم الجن ﴿رَهَقًا﴾، يعني: خوفًا، تسلطوا عليهم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٢- ٣٢٣)، وتفسير البغوي (٥/ ١٦٠)، وزاد المسير (٤/ ٣٤٧)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٠).

....

ش: وقال شيخ الإسلام: كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقي به، فضلًا أن يدعو به، ولو عُرِفَ معناه؛ لأنه يكره الدعاء بغير العربية. وإنما يرخص لمن لا يحسن العربية، فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعارًا، فليس من دين الإسلام(١).

وقال السيوطي: قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن تكون بكلام الله، أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربى، وبما يعرف معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال شيخ الإسلام: كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقي به)؛ لئلا يكون من أسماء الشياطين؛ لأنهم كانوا يرقون بأسماء الشياطين، ويعوذون بهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فضلًا أن يدعو به)، ليس لأحد أن يرقي به فضلًا عن أن يدعو به؛ لأن هذا شرك، إذا دعا غير الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولو عُرِفَ معناه)، لا يدعى، ولو عُرِفَ معناه، إذا كان فيه استعاذة بغير الله، ولو كان باللفظ العربي، لا يجوز.

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٦٩).

(٢) لم أقف على هذا النقل عن السيوطي، ولكن وقفت عليه عن الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ١٩٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنما يرخص لمن لا يحسن العربية)**، المسلم العجمي يدعو الله بلسانه لا بأس، أما العربي فلا يدعو الله إلا بالعربية، العربي الذي تعلم اللغة الإنجليزية لا يدعو بها، لا يجوز أن يدعو بها، بل يدعو بالعربية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعارًا، فليس من دين الإسلام)**، وهذا ما وقع فيه الكثير من الناس، إن تعلموا اللغة الأجنبية، يتبجحون بها، ويتخاطبون بها من غير حاجة، هذا لا يجوز، اتخاذ لغة غير العربية للتخاطب هذا لا يجوز، هذا لا يجوز إلا لمن لا يحسن العربية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال السيوطي: قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاث شروط)**، الإمام أبو بكر السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لخص لكم شروط الرقية الجائزة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أن تكون بكلام الله، أو بأسمائه، وصفاته)**، أن تكون الرقية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وبأسماء الله وصفاته، هذا شرط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وباللسان العربي)**، الثاني: أن تكون باللسان العربي، لا باللسان الأجنبي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبما يعرف معناه)**، وبما يعرف معناه، أما ما لا يعرف معناه عند المسلمين، فلا يجوز أن يرقى به؛ لئلا يدخله شيء من الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن يعتقد أن الرقية)**، هذا الشرط الثالث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى)**، الثالث: أن يعتقد أن الرقية سبب فقط، وأن المؤثر هو الله سبحانه، فهي سبب فقط، وأما المؤثر فهو الله، وليست الرقية.

التَّمَائِمُ: شَيْءٌ يُعَلِّقُونَهُ عَلَى الْأَوْلَادِ يَتَّقُونَ بِهِ الْعَيْنَ، لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، مِنْهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالرُّقَى: هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمَ، وَخَصَّ مِنْهَا الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ؛ فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَّةِ.

ش: قوله: (التَّمَائِمُ). قال المصنف: (شَيْءٌ يُعَلِّقُونَهُ عَلَى الْأَوْلَادِ يَتَّقُونَ بِهِ الْعَيْنَ).

وقال الخلخالي: التمائم: جمع تميمة، وهي ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين، وهذا منهي عنه؛ لأنه لا دافع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وبأسمائه وصفاته[1].

قال المصنف: لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «التَّمَائِمُ». قال المصنف: شَيْءٌ يُعَلِّقُونَهُ عَلَى الْأَوْلَادِ يَتَّقُونَ بِهِ الْعَيْنَ)، التمائم: شيء يعلقونه، جمع تميمة، وهي المعلقات التي تعلق على الأولاد الصغار لدفع العين عنهم.

---

(١) انظر: المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ٣١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال الخلخالي: التمائم: جمع تميمة، وهي ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين)، لا شك أن هذا مثل ما سبق من تعلق الحلقة والخيط والودع على الكبار أو الصغار، لا يجوز.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال المصنف): الذي هو الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ يفصل في التميمة؛ فإن كانت تميمة مكتوب فيها القرآن أو شيء من أسماء الله وصفاته، والأدعية المشروعة، هذه رخص فيها بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيها؛ لعموم النهي عن تعليق التمائم، سواء كانت من القرآن أو من غيره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود)، ومنهم: ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ بعموم النهي عن تعليق التمائم، سواء من القرآن أو من غيره.

لكن بعض السلف يقول: لا مانع إذا كانت من القرآن أو من أسماء الله وصفاته، فلا محظور فيها.

....

ش: اعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن، وأسماء الله وصفاته:

فقالت طائفة: يجوز ذلك، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو ظاهر ما رُوِي عن عائشة، وبه قال أبو جعفر الباقر، وأحمد في رواية، وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك.

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك، وبه قال ابن مسعود، وابن عباس، وهو ظاهر قول حذيفة، وعقبة بن عامر، وابن عكيم.

وبه قال جماعة من التابعين، منهم: أصحاب ابن مسعود، وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه، وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وبه قال أبو جعفر الباقر**)، أبو جعفر الباقر هذا من آل البيت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك**)، الذين أجازوا تعليق التمائم من القرآن حملوا النهي في النهي عن التمائم أنه تمائم الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقالت طائفة: لا يجوز ذلك**)، هذا القول الثاني.

قالت طائفة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: لا يجوز تعليق التمائم مطلقًا؛ لا من القرآن، ولا من غيره؛ أخذًا بعموم النهي عن تعليق التمائم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهو ظاهر قول حذيفة)، لما قطع الخيط من يد الرجل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه)**، المنع من التمائم مطلقًا من القرآن وغيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه)**، المتأخرون من الحنابلة احتجوا بعموم الحديث.

....

ش: قلت: هذا هو الصحيح؛ لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل:

الأول: عموم النهي، ولا مخصص للعموم.

الثاني: سد الذريعة؛ فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أنه إذا عُلِّقَ، فلابد أن يمتهنه المتعلق؛ بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء، ونحو ذلك.

وتأمل هذه الأحاديث وما كان عليه السلف -رضي الله تعالى عنهم-، يتبين لك بذلك غربة الإسلام، خصوصًا إن عرفت عظيم ما وقع فيه الكثير بعد القرون المفضلة من تعظيم القبور، واتخاذ المساجد عليها، والإقبال إليها بالقلب والوجه، وصرف جل الدعوات والرغبات والرهبات، وأنواع العبادات -التي هي حق الله تعالى- إليها من دونه؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٦، ١٠٧]، ونظائرها في القرآن أكثر من أن تحصر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قلت: هذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل)، قال الشارح: هذا القول -وهو المنع مطلقًا- هو الصحيح، يعني: الراجح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثاني: سد الذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك)، إذا رُخِّصَ في تعليق التمائم من القرآن، يخشى أنه يعلق غير القرآن، الناس لايقفون عند حد، فسدًا للذريعة تمنع التمائم مطلقًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثالث: أنه إذا عُلِّقَ، فلابد أن يمتهنه المتعلق)، الثالث: تعريض القرآن للامتهان؛ إذا عُلِّقَ على طفل، فإنه يوسخه، وأيضًا يدخل به محلات قضاء الحاجة، وهو لا يدري، فيكون هذا سببًا لامتهان القرآن المكتوب في التميمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وتأمل هذه الأحاديث وما كان عليه السلف -رضي الله تعالى عنهم، يتبين لك)، «تأمل»، «يتبين» جواب الأمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يتبين لك بذلك غربة الإسلام)، يقول الشارح: تأمل، يتبين لك غربة الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وتأمل هذه الأحاديث وما كان عليه السلف -رضي الله تعالى عنهم، يتبين لك بذلك غربة الإسلام)، في هذا الوقت يعني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (خصوصًا إن عرفت عظيم ما وقع فيه الكثير بعد القرون المفضلة من تعظيم القبور، واتخاذ المساجد عليها، والإقبال إليها بالقلب والوجه، وصرف جل الدعوات والرغبات، والرهبات، وأنواع العبادات التي هي حق الله تعالى إليها من دونه)، سد الذرائع هذا خصوصًا في أمور العقيدة أمر متعين؛ لأن الناس إذا رُخِّصَ لهم في أشياء مباحة، تجاوزوها إلى أشياء محرمة، حتى أفضى الأمر إلى تعظيم الأضرحة، وتعظيم الأموات،

ودعائهم من دون الله، فلو أُخِذَ بقول المنع، لكان هذا أحزم من التسهل، وأن يكون وسيلة للشر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى:** ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦])، يقول الله سبحانه لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، يعني: غير الله، ﴿ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ ﴾، يعني: دعوت غير الله؛ ﴿ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦]، يعني: من المشركين؛ لأن الشرك هو أعظم الظلم، هو أعظم أنواع الظلم؛ لأنه وضع للعبادة في غير موضعها، ﴿ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦]، وهذا تحذير للأمة أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لو فعل هذا، لكان من الظالمين، يعني: من المشركين، فكيف بغيره؟!!

والله جَلَّ وَعَلَا قال في الأنبياء: ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨]، فالشرك يحبط الأعمال كلها إذا كان شركًا أكبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾)، فعلق قلبك بالله.

﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ ﴾، يعني: بمرض.

﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾: لا تكشفه الرقى والتمائم والودع وما أشبه ذلك، لا يدفعه إلا الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ ﴾)، ﴿ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ ﴾، لا مانع لما أعطي، ولا معطي لما منع؛ ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ

لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر:٢]، فالأمر بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فعلق قلبك بالله، لا تعلق قلبك بهذه الخزعبلات وهذه العادات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٧])، فالأمر بيد الله سبحانه يصيب به من يشاء.

وَالتِّوَلَةُ: هِيَ شَيءٌ يَصْنَعُونَهُ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ.

ش: قوله: وَالتِّوَلَة، قال المصنف: هِيَ شَيءٌ يَصْنَعُونَهُ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ المَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ. وبهذا فسره ابن مسعود -راوي الحديث-؛ كما في صحيح ابن حبان، والحاكم: «قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَذِهِ الرُّقَى وَالتَّمَائِمُ قَدْ عَرَفْنَاهَا، فَمَا التِّوَلَةُ؟ قَالَ: شَيْءٌ يَصْنَعُهُ النِّسَاءُ يَتَحَبَّبْنَ إلى أَزْوَاجِهِنَّ»(١).

قال الحافظ: التولة -بكسر المثناة، وفتح الواو، واللام مخففًا-: شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضربٌ من السحر -والله أعلم(٢).

وكان من الشرك؛ لما يراد به من دفع المضار، وجلب المنافع من غير الله تعالى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَالتِّوَلَة»، قال المصنف: هِيَ شَيءٌ يَصْنَعُونَهُ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ المَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ)، قال الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب الزوجين أحدهما للآخر، وهو ما يسمى بالصرف والعطف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ: شَيْءٌ يَصْنَعُهُ النِّسَاءُ يَتَحَبَّبْنَ إلى أَزْوَاجِهِنَّ)، هذا كلام ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، هو أبو عبد الرحمن.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٣/ ٤٥٦)، والحاكم (٤/ ٢٤١، ٢٦٣).

(٢) انظر: فتح الباري (١٠/ ١٩٦).

وعَنْ عبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْم رَضِيَٱللَّهُعَنهُ مرْفُوعاً: «منْ تَعلّقَ شيْئًا وُكِل إليه». رواهُ أحْمدُ، والتِّرْمذيُّ[(١)].

ش: وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إليهِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيّ، ورواه أبو داود، والحاكم.

وعبد الله بن عكيم -هو بضم المهملة مصغرًا-، ويكنى أبا معبد الجهني الكوفي.

قال البخاري: أدرك زمن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا يعرف له سماع صحيح[(٢)]. وكذا قال أبو حاتم[(٣)].

قال الخطيب: سكن الكوفة، وقدم المدائن في حياة حذيفة، وكان ثقة[(٤)]. وذكر ابن سعد عن غيره: أنه مات في ولاية الحجاج[(٥)].

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنهُ **مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إليهِ»**)، في هذا الحديث: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا، وُكِلَ إليهِ**» من تعلق قلبه بشيء أنه ينفع ويضر من دون الله -كالخرز، والودع، والحجب، والتمائم،

(١) أخرجه أحمد (٣١/ ٧٧)، والترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم (٤/ ٢٤١)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٨٥).

(٢) انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٣٩).

(٣) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/ ١٢١).

(٤) انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٣٢٤).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ١٧٠).

والحروز-، فإن الله يكله إليها؛ عقوبة له. خلاف من توكل على الله؛ «**مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاهُ**»(١)، علق قلبه بالله، كفاه الله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٢، ٣]، فلا يجوز الاعتقاد في هذه الأشياء التي تعلق من الخيوط والحروز والرقاع التمائم وغير ذلك، لا يجوز ذلك؛ إذا اعتقد أنها تنفع وتضر، فهذا شرك أكبر، وإن اعتقد أنها سبب، فهي ليست سببًا، الله لم يجعلها سببًا، فهذا من الشرك الأصغر، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو بدعة، «**وَكُل بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال البخاري: أدرك زمن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا يعرف له سماع صحيح، وكذا قال أبو حاتم)**، لم يثبت له سماع عند هؤلاء الأئمة من الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهذا يدل على أنه يروي عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، عن صحابي مثله، فهذا مرسل صحابي، وهو صحيح؛ لأن الصحابي لا يرسل إلا عن مثله من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٦٦): عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنْ قَلْبِ ابْنِ آدَمَ بِكُلِّ وَادٍ شُعْبَةً، فَمَنِ اتَّبَعَ قَلْبُهُ الشُّعَبَ كُلَّهَا، لَمْ يُبَالِ اللهُ بِأَيِّ وَادٍ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاهُ التَّشَعُّبَ**».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣)، وأحمد (٢٨/ ٣٧٥)، والدارمي (١/ ٢٢٨)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٤٥)، وابن حبان (١/ ١٧٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٤)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٥).

ش: قوله: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا، وُكِلَ إليهِ»، التعلق يكون بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما.

«وُكِلَ إليهِ» أي: وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه. فمن تعلق بالله، وأنزل حوائجه به، والتجأ إليه، وفوض أمره إليه، كفاه، وقرب إليه كل بعيد، ويسر له كل عسير. ومن تعلق بغيره، أو سكن إلى رأيه وعقله، ودوائه، وتمائمه ونحو ذلك، وكله الله إلى ذلك، وخذله، وهذا معروف بالنصوص والتجارب. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

قال الإمام أحمد: حدثنا هشام بن القاسم، حدثنا أبو سعيد المؤدب، حدثنا من سمع عطاء الخرساني، قَالَ: «لَقِيتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: حَدِّثْنِي حَدِيثًا أَحْفَظُهُ عَنْكَ فِي مَقَامِي هَذَا، وَأَوْجِزْ. قَالَ: نَعَمْ، أَوْحَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى دَاوُدَ: يَا دَاوُدُ، أَمَا وَعِزَّتِي وَعَظَمَتِي، لَا يَعْتَصِمُ بِي عَبْدٌ مِن عِبَادِي دُونَ خَلْقِي، أَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ، فَتَكِيدُهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِهِنَّ فَرَجًا وَمَخْرَجًا. أَمَا وَعِزَّتِي وَعَظَمَتِي، لَا يَعْتَصِمُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِمَخْلُوقٍ دُونِي، أَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ، إِلَّا قَطَعْتُ أَسْبَابَ السَّمَاءِ مِنْ يَدِهِ، وَأَسَخْتُ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ، ثُمَّ لَا أُبَالِي بِأَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ»[1].

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢٥)، وشمس الدين المقدسي في مجموع تخريجه (ص٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إليهِ»، التعلق يكون بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما)، والأصل: القلب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال: لَقِيتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: حَدِّثْنِي حَدِيثًا أَحْفَظُهُ عَنْكَ فِي مَقَامِي هَذَا، وَأَوْجِزْ)، وهب بن منبه: هذا من علماء اليهود في اليمن، أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحسن إسلامه، وهو يروي عن الكتب السابقة، فروى هذا عن أن الله أوحى إلى داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هذا الأثر، وهو يدل دلالة واضحة على أن من توكل على الله كفاه، ومن توكل على غيره، وكله الله إلى ما توكل عليه، وخذله الله عَزَّوَجَلَّ، وقطع الأسباب النافعة عنه، فصار موكولًا إلى هذا الشيء الذي لا يغني عنه شيئًا؛ من ذلك الأسباب، حتى الأسباب التي أمر الله باتخاذها لا يعتمد عليها، وإنما يعتمد على الله، لكن يفعل الأسباب، ويعتمد على الله، لابد أن يجمع بين فعل الأسباب مع التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ، لا يعتمد على الأسباب.

فكيف بالأسباب التي لم يجعلها الله أسبابًا؛ مثل: الخرز، والودع، والحجب، وغير ذلك، والخيوط؟! هذه لم يجعلها الله أسبابًا.

وروى الإمامُ أحمدُ عنْ رُويْفع، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا رُويْفِعُ، لعلَّ الحياةَ ستطولُ بكَ، فأخبرِ النَّاس أنَّ منْ عقدَ لحيتَهُ، أوْ تقلَّدَ وترًا، أوِ استنْجى برجيعِ دابَّةٍ، أوْ عظمٍ؛ فإنَّ محمَّدًا ﷺ بريءٌ منْهُ»[(١)].

ش: (وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ من عَقَدَ لِحْيَتَهُ أو تَقَلَّدَ وَتَرًا أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أو عَظْمٍ، فإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ بَرِيءٌ منه»).

الحديث رواه الإمام أحمد، عن يحيى بن إسحاق، والحسن بن موسى الأشيب، كلاهما عن ابن لهيعة. وفيه قصة اختصرها المصنف. وهذا لفظ حسن: حدثنا ابن لَهِيعَةَ، حدثنا عَيَّاشُ بن عَبَّاسٍ، عن شُيَيْمِ بن بيتان، قال: حدثنا رُوَيْفِعُ بن ثَابِتٍ قال: «كان أَحَدُنَا في زَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْخُذُ جَمَلَ أَخِيهِ على أَنْ يُعْطِيَهُ النِّصْفَ مِمَّا يَغْنَمُ، وَلَهُ النِّصْفُ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَطِيرُ له النَّصْلُ وَالرِّيشُ، وَالآخَرُ الْقِدْحُ، ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ...». الحديث. ثم رواه أحمد عن يحيى بن غيلان، حدثنى المفضل، حدثني عياش بن عباس، أن شُيَيْمِ بن بيتان أخبره أنه سمع شيبان القتباني -الحديث.

ابن لهيعة: فيه مقال، وبالإسناد الثاني «شيبان القتباني»، قيل فيه: مجهول، وبقية رجالهما ثقات.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦)، والنسائي في المجتبى (٥٠٦٧)، وفي الكبرى (٨/ ٣٢٣)، وأحمد في المسند (٢٨/ ٢٠٥).

قوله: «لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ» فيه علم من أعلام النبوة، فإن رويفعًا طالت حياته إلى سنة ست وخمسين، فمات ببرقة من أعمال مصر أميرًا عليها، وهو من الأنصار، وقيل: مات سنة ثلاث وخمسين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**حدثنا رُوَيْفِعُ بن ثَابِتٍ قال: «كان أَحَدُنَا في زَمَانِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ جَمَلَ أَخِيهِ على أَنْ يُعْطِيَهُ النِّصْفَ مِمَّا يَغْنَمُ، وَلَهُ النِّصْفُ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَطِيرُ له النَّصْلُ وَالرِّيشُ وَالآخَرُ الْقِدْحُ**)؛ أنه يأخذ البعير يغزو في سبيل الله على أن تكون الغنيمة بينهما: لصاحب البعير وللغازي، حتى إنهم يقتسمون القليل من الأشياء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ابن لهيعة: فيه مقال، وبالإسناد الثاني «شيبان القتباني»، قيل فيه: مجهول، وبقية رجالها ثقات**)، فالحديث لا بأس به في الجملة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ»**)، هذا من أعلام النبوة؛ لأن الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبره أن الحياة ستطول به، سيعمر هذا الرجل، وقد وقع كما أخبر صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن هذا الرجل عُمِّرَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فيه علم من أعلام النبوة**)، يعني: علامة من علامات النبوة، ومعجزة من معجزات الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقيل: مات سنة ثلاث وخمسين**)، يعني: ثلاث وخمسين من الهجرة.

....

ش: قوله: «فَأَخْبِرِ النَّاسَ»، دليل على وجوب إخبار الناس، وليس هذا مختصًّا برويفع، بل كل من كان عنده علم ليس عند غيره مما يحتاج إليه الناس، وجب إعلامهم به. فإن اشترك هو وغيره في علم ذلك، فالتبليغ فرض كفاية. قاله أبو زرعة في شرح سنن أبي داود.

قوله: «أَنَّ من عَقَدَ لِحْيَتَهُ» -بكسر اللام لا غير-، والجمع لحى - بالكسر والضم- قاله الجوهري[١].

قال الخطابي: أما نهيه عن عقد اللحية، فيفسر على وجهين:

أحدهما: ما كانوا يفعلونه في الحرب، كانوا يعقدون لحاهم، وذلك من زي بعض الأعاجم يفتلونها، ويعقدونها. قال أبو السعادات: تكبرًا، وعجبًا[٢].

ثانيهما: أن معناه معالجة الشعر ليتعقد، ويتجعد، وذلك من فعل أهل التأنيث[٣].

وقال أبو زرعة بن العراقي: والأولى حمله على عقد اللحية في الصلاة؛ كما دلت عليه رواية محمد بن الربيع، وفيه: «أَنَّ من عَقَدَ لِحْيَتَهُ فِي الصَّلاةِ».

قلت: وهذه الرواية لا تدل على تخصيصه في الصلاة، بل تدل على أن فعله في الصلاة أشد من فعله خارجها.

---

(١) انظر: الصحاح (٦/ ٢٤٨٠)، ومختار الصحاح (ص ٢٨٠).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٧٠).

(٣) انظر: معالم السنن (١/ ٢٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَأَخْبِرِ النَّاسَ»، دليل على وجوب إخبار الناس)**، هذا دليل على أن من تحمل علمًا عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يبلغه للناس، واجب عليه ذلك؛ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧]، الله أخذ على العلماء أن يبينوا للناس، ولا يكتموا العلم والناس بحاجة إليه، وهذا فيه وعيد شديد لمن كتم العلم، لاسيما إذا كتمه من أجل طمع الدنيا؛ ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧]، يكتمون العلم؛ لأجل طمع الدنيا والوظائف، ويخافون أن يفصلوا من أعمالهم، فهؤلاء عليهم هذا الوعيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وليس هذا مختصًّا برويفع)**، ليس هذا مختصًّا برويفع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لكن رويفعًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأنه سيطول عمره، وإلا هذا عام لكل مسلم عنده علم أن يبلغه للناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن اشترك هو وغيره في علم ذلك، فالتبليغ فرض كفاية)**، إذا كان هناك من يبلغون هذا العلم، فمن بلغه قام بالواجب، وسقط الإثم عن الباقين، وصار فرض كفاية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَنَّ من عَقَدَ لِحْيَتَهُ» -بكسر اللام لا غير-، والجمع لحى -بالكسر والضم)**، الضم: لُحى، وبالكسر: لِحى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو السعادات: تكبرًا، وعجبًا)**، أبو السعادات: ابن الأثير له «غريب الحديث»، وعلى هذا الوجه أن هذا من فعل الأعاجم، عقد

اللحى من فعل الأعاجم؛ يعقدونها تكبرً وعجبًا، ونحن منهيون عن التشبه بالأعاجم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثانيهما: أن معناه معالجة الشعر ليتعقد، ويتجعد، وذلك من فعل أهل التأنيث)**، ثاني التفسيرين لعقد اللحى: أن الذين يسرفون في تجميل لحاهم بالكد والدهن وغير ذلك، فهذا من فعل المترفين، وهو منهي عنه. نعم، اللحية تنظف ويعتنى بها، لكن لا يبلغ إلى حد الترف والزيادة في ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو زرعة بن العراقي)**، أبو زرعة بن الحافظ العراقي شيخ ابن حجر العسقلاني، هذا أبو زرعة: ابنه عالم جليل -أيضًا-، وله شرح في الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والأولى حمله على عقد اللحية في الصلاة)**، هذا المعنى الثالث: أن المراد عقدها في الصلاة؛ يعبث بلحيته وهو يصلي يجمعها ويمسها ويعبث بها وتشغله عن الصلاة.

ش: قوله: «أو تَقَلَّدَ وَتَرًا»، أي: جعله قلادة في عنقه، أو عنق دابته.

وفي رواية محمد بن الربيع: «أو تَقَلَّدَ وَتَرًا»، يريد تميمة.

فإذا كان هذا فيمن تقلد وترًا، فكيف بمن تعلق بالأموات، وسألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وما يترتب على ذلك من العبادة التي لا يستحقها إلا رب الأرض والسماوات، الذي جاء النهي عنه، وتغليظه في الآيات المحكمات؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «أو تَقَلَّدَ وَتَرًا»**)، الوتر: هو وتر القوس الذي يرمون به، كانوا إذا اخلولق الوتر، فإنهم يقلدونه الإبل؛ تبركًا به، أو يتقلدونه هم؛ تبركًا به، وهذا من فعل الجاهلية؛ لأنه من تعليق الأشياء من باب الاعتقاد بها كتعليق الخرز، وتعليق التمائم؛ كما سبق لكم: «**أَنْ لَا يُبْقِيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةً إِلَّا قُطِعَتْ**»[1]، إذا كان هذا من باب الاعتقاد أنها تمنع العين عن البعير.

كذلك من تقلد الوتر في نفسه أو قلده غيره من أولاده؛ اتقاء العين، فهذا من هذا الباب لا يجوز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «أو تَقَلَّدَ وَتَرًا»، أي: جعله قلادة في عنقه، أو عنق دابته**)، كما سبق.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٧).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفي رواية محمد بن الربيع: «أو تَقَلَّدَ وَتَرًا»، يريد تميمة)**، يريد تميمة، يعني: أن هذا من تعليق التمائم إذا اعتقد فيه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإذا كان هذا فيمن تقلد وترًا، فكيف بمن تعلق بالأموات)**، إذا كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبرأ ممن تعلق الوتر، تبرأ منه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ «فَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيءٌ مِنْهُ»(١)، فكيف بمن تعلق على الأموات -يقول الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ-؟!! هذا أشد من تعليق الوتر.

إذا كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبرأ ممن تقلد الوتر، فالمتعلق بالأموات يدعوهم ويستغيث بهم، ويتعلق بأضرحتهم، ويحج إليها أشد من هذا -والعياذ بالله-، وهذا كثير؛ القبورية كثرت في الناس بعد القرون المفضلة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وسألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وما يترتب على ذلك من العبادة التي لا يستحقها إلا رب الأرض والسماوات)**، وهذا موجود في القبوريين؛ أنهم يصرفون العبادة للأموات، ويبنون على قبورهم المشاهد والمساجد؛ تعظيمًا لهم، واعتقادًا أنهم إذا صلوا عندها أو إليها، أنهم تقضى حوائجهم، ويستجاب دعاؤهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الذي جاء النهي عنه، وتغليظه في الآيات المحكمات)**، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، المساجد تبنى لله، تبنى للصلاة والعبادة، لا تبنى على القبور والأضرحة، هذه مساجد شركية، وهي من فعل اليهود والنصارى.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٩).

....

ش: قوله: «أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ، أو عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ بَرِيءٌ مِنْهُ». قال النووي، أي: برئ من فعله، وهذا خلاف الظاهر.

والنووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا ما يتأول الأحاديث بصرفها عن ظاهرها، فيغفر الله تعالى له، بل هو برئ من الفاعل وفعله.

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «لَا تَسْتَنْجُوا بِالرَّوْثِ وَلا الْعِظَامِ فَإِنَّهُ زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الجِنِّ»(١).

وعليه لا يجزي الاستنجاء بهما؛ كما هو ظاهر مذهب أحمد(٢)؛ لما روى ابن خزيمة، والدارقطني عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُسْتَنْجَى بِعَظْمٍ، أَوْ رَوْثٍ. وَقَالَ: إِنَّهُمَا لَا يُطَهِّرَانِ»(٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ»)، الاستنجاء: هو إزالة أثر الخارج وتنشيف أثر الخارج بالحجارة أو ما يقوم مقامها من ماء ينشف المخرج، ويزيل أثر الخارج، هذا الاستنجاء، يعني: قطع للنجو وهو النجاسة. والأغلب أن هذا يسمى بالاستجمار، وأن الاستنجاء هو غسل المخرج بالماء، لكن قد يطلق أحدهما على الآخر كما هنا.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٥٠).

(٢) انظر: المغني (١/ ٢١٥)، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١/ ٢٢٤).

(٣) أخرجه ابن خزيمة (١/ ٤٣)، والدارقطني (١ / ٨٨) وقال: إسناده صحيح.

والاستنجاء والاستجمار واجبان، على من تبول أو تغوط إزالة أثر الخارج من النجاسة، ولكن لا يستعمل فيها هذان الشيئان:

رجيع الدابة الذي هو البعر، بعر الدابة هذا الرجيع، بعر الدواب.

أو عظم: كذلك العظم لا يجوز الاستنجاء به.

والحكمة في ذلك أو العلة في ذلك: أن رجيع الدواب يكون علفًا لدواب الجن، وأن العظم يكسى لحمًا، فيكون طعامًا لهم إخواننا من الجن المسلمين، فلا نلوثه عليهم وننجسه عليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّ مُحَمَّدًا** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بَرِيءٌ مِنْه**)، **وما تبرأ الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من شيء، فهو من الكبائر، إذا تبرأ من فعل شيء، فهو من الكبائر.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال النووي: أي: برئ من فعله، وهذا خلاف الظاهر**)، «**بَرِيءٌ مِنْهُ**»، لم يقل: برئ من فعله، «**بَرِيءٌ مِنْهُ**».

والله أمرنا على ملة إبراهيم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة:٤]، فيتبرأ من المشرك، ويتبرأ من الصنم والمعبودات من دون الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال النووي: أي: برئ من فعله**)، وهذا تأويل، وهو غير صحيح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والنووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كثيرًا ما يتأول الأحاديث**)، عنده تأويلات رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تأويلات غير صحيحة، وهذا منها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والنووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كثيرًا ما يتأول الأحاديث بصرفها عن ظاهرها**)، مع جلالة قدره ومكانته في علم الحديث، لكن الإنسان بشر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل هو بريء من الفاعل وفعله)**، الفاعل: الذي هو من تعلق، ومن فعله، وهو التعلق، من الاثنين، ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة:٤].

وهنا يتبين غلط من يقولون الآن: أنت تتبرأ من الشرك، لكن لا تتبرأ من المشركين، تبرأ من الشرك، ولا تتبرأ من الأشخاص، وهذا خلاف قوله تعالى: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة:٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا: «لَا تَسْتَنْجُوا بِالرَّوْثِ وَلا بِالْعِظَامِ فَإِنَّهُ زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْجِنِّ»)**، هذه هي العلة: «زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الجِنِّ».

الروث يكون لدوابهم، يعاد علفًا، والعظام تكسى باللحم الطيب، فيكون طعامًا لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعليه لا يجزي الاستنجاء بهما)**، النهي يقتضي الإعادة، من استنجى برجيع دابة أو عظم، فإنه لم يستنج شرعًا، عليه أن يعيد الاستنجاء بغيرهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«أَنَّ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نَهَى أَنْ يُسْتَنْجَى بِعَظْمٍ، أَوْ رَوْثٍ. وَقَالَ: إِنَّهُمَا لَا يُطَهِّرَانِ»)**، هذه علة ثانية، والشيء يجوز أن يعلل بعلتين فأكثر: علة: لأنه طعام الجن، وعلة أخرى: أنه لا يطهر، ولا ينقي.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ[(١)]، قَالَ: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً عَنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ». رَوَاهُ وَكِيعٌ[(٢)].

ش: قوله: (وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ». رَوَاهُ وَكِيعٌ)، هذا عند أهل العلم له حكم الرفع؛ لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي، ويكون هذا مرسلًا؛ لأن سعيدًا تابعي.

وفيه: فضل قطع التمائم؛ لأنها شرك.

ووكيع هو: ابن الجراح بن مُليح الكوفي، ثقة إمام، صاحب تصانيف، منها: الجامع وغيره، روى عنه الإمام أحمد وطبقته، مات سنة سبع وتسعين ومائة[(٣)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، المصنف: الذي هو الشيخ محمد بن الوهاب في المتن، متن كتاب التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)**، سعيد بن جبير: من كبار التابعين، وهو من تلاميذ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فهو تابعي جليل. قتله الحجاج ظلمًا؛

---

(١) انظر في ترجمة سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مشاهير علماء الأمصار (ص ١٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١)، وتاريخ الإسلام (٢/ ١١٠٠)، وإكمال تهذيب الكمال (٥/ ٣٦٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧٥) من طريق حفص عن ليث عن سعيد بن جبير.

(٣) انظر في ترجمة وكيع بن الجراح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مشاهير علماء الأمصار (ص ٢٧٢)، وطبقات الحنابلة (١/ ٣٩١)، وتاريخ الإسلام (٤/ ١٢٣٠)، وإكمال تهذيب الكمال (١٢/ ٢٢٥).

لأنه من جملة الذين خرجوا مع ابن الأشعث في فتنة ابن الاشعث، من جملة الذين وقعوا فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فخرجوا على بني أمية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ». رَوَاهُ وَكِيعٌ**)، **مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً**: التميمة عرفناها.

«**مِنْ إِنْسَانٍ**»، يعني: أزالها عنه.

«**كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ**»: له من الأجر مثل أجر من أعتق رقبة، هذا أجر عظيم، لماذا؟ لأن من أعتق رقبة فقد خلصها من الرق، وجعلها حرة، ومن قطع تميمة من إنسان، خلصه من الشرك، وجعله موحدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**هذا عند أهل العلم له حكم الرفع؛ لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي**)، هو كلام تابعي، لكنه له حكم المرفوع للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذا لا يقال من قبل الاجتهاد، وإنما هذا توقيفي: «**كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويكون هذا مرسلًا؛ لأن سعيدًا تابعي**)، سعيد بن جبير تابعي، من تلاميذ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفيه: فضل قطع التمائم؛ لأنها شرك**)، فيه: فضل قطع التمائم عن من تعلق بها، فإذا رأيت تميمة على إنسان، فإنك تقطعها كما فعل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ذلك، وهذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا تتركه، وتقول: أنا ليس لي شأن به. هو الآن صار بذمتك، إذا تركته صار بذمتك؛ لأنك لم تنبهه، ولم تعلمه، ولم تزل المنكر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**روى عنه الإمام أحمد وطبقته**)، هو من شيوخ الإمام أحمد، وكيع بن الجراح مشهور من أهل العلم الكبار.

وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا، مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ»[(١)].

ش: قوله: (وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا، مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ»)، وإبراهيم هو: الإمام إبراهيم بن يزيد النخعى الكوفي، يكنى أبا عمران، ثقة من كبار الفقهاء.

قال المزي: دخل على عائشة، ولم يثبت له سماع منها[(٢)]. مات سنة ست وتسعين، وله خمسون سنة أو نحوها[(٣)].

قوله: «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ...» إلى آخره، مراده بذلك أصحاب عبد الله بن مسعود؛ كعلقمة، والأسود، وأبي وائل، والحارث بن سويد، وعبيدة السلماني، ومسروق، والربيع بن خثيم، وسويد بن غفلة وغيرهم، وهو من سادات التابعين، وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم، كما بين ذلك الحفاظ؛ كالعراقي، وغيره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا، مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ»)، إبراهيم النخعي من أصحاب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص٣٨٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٦).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٢٣٥).

(٣) انظر في ترجمة إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ: مشاهير علماء الأمصار (ص١٦٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٠٤)، وتهذيب الكمال (٢/ ٢٣٣)، وتاريخ الإسلام (٢/ ١٠٥٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المزي: دخل على عائشة، ولم يثبت له سماع منها)**، يعني معاصر لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ...» إلى آخره)**، «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ»، يعني: أصحاب ابن مسعود كانوا يكرهون التمائم مطلقًا، سواء كانت من القرآن أو من غير القرآن، وقد سبق لنا الخلاف في التمائم إذا كانت من القرآن، فابن مسعود وتلاميذه ممن منعها -ولو كانت من القرآن-؛ أخذًا من عموم النهي عن تعليق التمائم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مراده بذلك أصحاب عبد الله بن مسعود، كعلقمة، والأسود، وأبي وائل، والحارث بن سويد)**، ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في العراق، أرسله عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى العراق قاضيًا ومعلمًا، فصار له تلاميذ في العراق في الكوفة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم)**، في حكاية أقوال أصحاب ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فِيهِ مسائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الرُّقى وَالتَّمائِمِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ التِّوَلَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ كُلُّهَا مِنَ الشِّرْكِ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الرُّقْيَةَ بِالْكَلامِ الْحَقِ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَّةِ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ**)، يعني: انتهى الباب، وفيه المسائل؛ فقه الباب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأُولَى: تَفْسِيرُ الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ**)، تفسير الرقى، وأن المراد بها الرقى الشركية، وأما الرقية بالقرآن، فإنها مطلوبة.

والتمائم: هي ما يعلق خشية العين، وخشية المرض أو الحمة، أو ما أشبه ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ التِّوَلَةِ**)، التولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب الزوجة إلى زوجها، والزوج إلى زوجته، وهو ما يسمى بالصرف والعطف.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ كُلَّهَا مِنَ الشِّرْكِ مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ**)، الرقى والتمائم والتولة، هذه الثلاث شرك؛ «**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»، يعني: من الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: أَنَّ الرُّقْيَةَ بِالْكَلَامِ الحَقِ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَّةِ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ**)، الرقية من القرآن أو من الأدعية المباحة ليست مما نُهي عنه، النبي

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقى المريض، ورُقِـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقاه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من السحر.

فالرقى مشروعة من القرآن أو من الأدعية المشروعية، وفيها نفع للناس، وهي من أنواع العلاج المباح.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ التَّمِيمَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ أَمْ لَا؟

السَّادِسَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الْأَوْتَارِ عَلَى الدَّوَابِّ مِنَ الْعَيْنِ مِنْ ذَلِكَ.

السَّابِعَةُ: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ وَتَرًا.

الثَّامِنَةُ: فَضْلُ ثَوَابِ مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ كَلَامَ إِبْرَاهِيمَ لَا يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الاخْتِلَافِ؛ لِأَنَّ مُرَادَهُ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخَامِسَةُ: أَنَّ التَّمِيمَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ أَمْ لَا؟)، وهذا كما سبق الخلاف فيه، وأما إذا كانت من غير القرآن فإنها ممنوعة، وهي شرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَّادِسَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الْأَوْتَارِ عَلَى الدَّوَابِّ مِنَ الْعَيْنِ مِنْ ذَلِكَ)، مما نُهي عنه، وهو نوع من الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (السَّابِعَةُ: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ عَلَّقَ وَتَرًا)؛ «**فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْه**»، هذا وعيد شديد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّامِنَةُ: فَضْلُ ثَوَابِ مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ)، أنه كعتق رقبة، هذا فضل عظيم، فيجب العمل بهذا؛ لأنه من إزالة المنكر، لا تقل: أنا ليس لي شأن به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: أَنَّ كَلَامَ إِبْرَاهِيمَ لَا يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الاخْتِلَافِ؛ لِأَنَّ مُرَادَهُ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ)، كانوا يكرهون التمائم، كانوا -أصحاب ابن مسعود- وهم الجماعة الذين يرون تحريم التمائم مطلقًا، تحريم تعليق التمائم مطلقًا من القرآن أو من غيره.

٨- بابُ مَنْ تَبرَّك بِشَجرٍ أوْ حجرٍ وَنحْوهِمَا

ش: قوله: (بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا). كبقعة، أو قبر، ونحو ذلك، أي: فهو مشرك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا)، يعني: ماذا عليه؟

التبرك: هو طلب البركة، والبركة: هي دوام الخير وثباته[١]، وهذا لا يكون إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا تكون البركة في أي شيء إلا ما جعله الله مباركًا: كالبيت الحرام؛ ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦]، فجعله الله مباركًا، فهو مبارك، وأما غيره، فلا يقال: هذا مبارك، ولا تطلب منه البركة، وإنما تطلب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ البركة بيد الله، تباركت أسمائه، ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨]، فالبركة هي في الله، وبأسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تطلب منه البركة، وترجى منه البركة، لا من غيره، لا من الأشجار أو الأحجار.

من تبرك بشجرة وحجر أو نحوهما، فهو مثل بني إسرائيل الذين قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨].

كذلك الذين أسلموا في فتح مكة، منهم ناس لم تتمكن العقيدة منهم وعنده جهل، فلما مروا بغزوة حنين، مروا على قوم من المشركين يتبركون

(١) انظر: الصحاح (٤/ ١٥٧٥)، وتهذيب اللغة (١٠/ ١٣١)، ومقاييس اللغة (١/ ٢٢٩).

بشجرة يقال لها: ذات أنواط، يعلقون بها أسلحتهم، يعلقونها بها تبركًا منها، قالوا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبب جهلهم وحداثة إسلامهم، قالوا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»، تعجب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «**إِنَّكُمْ تَجْهَلُونَ، قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]»[1].

لما نجى الله بني إسرائيل، وأهلك عدوهم فرعون، ومشى بهم كليم الله موسى لفتح بيت المقدس لتخليصه من العماليق، مروا على قوم يعكفون على أصنام يتبركون بها، قالوا: يا موسى، ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]. تقليد وتشبه. فلما قال أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»، تعجب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «**قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف:١٣٨-١٤١]».

هذا من باب التشبه بالكفار، التشبه بالكفار حرام ولا يجوز، لا يجوز التشبه بالكفار بما هم عليه من عاداتهم وتقاليدهم وعباداتهم وعقائدهم،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد في المسند (٣٦/ ٢٢٥). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

يجب التبرؤ منهم، التشبه خطير، التشبه بالكفار خطير جدًّا؛ قد يجر إلى الشرك، قد يجر إلى الكفر، فيجب الحذر من التشبه بالكفار.

حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التشبه: «**لَيْسَ مِنَّا مِنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا**»[(١)]، لا يجوز التشبه بالكفار؛ لأنهم على باطل، فكيف يتشبه بهم وهم على باطل وكفر وضلال؟!!

فمن تبرك بشجرة أو حجرة، فهو مشابه لبني إسرائيل في أنهم يتبركون بالأشجار والأحجار.

أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، قالوا: يا موسى، ﴿**ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ**﴾ [الأعراف:١٣٨]؛ تشبه، وهذا فيه خطر التشبه بالكفار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا**)، يعني: فقد اتخذه إلهًا، من تبرك بشيء من هذه الأمور، فقد اتخذه إلهًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**كبقعة، أو قبر، ونحو ذلك، أي: فهو مشرك**)، التبرك بالبقاع التي لم يجعلها الله مباركة، التبرك بالأشجار والأحجار، كل هذا من فعل الجاهلية، ومنه فعل بني إسرائيل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ نَحْوِهِمَا**)، البركة: هي ثبوت الخير ودوامه، أما التبرك، فهو طلب البركة، وطلب البركة من الله هذا مأمور به؛ «**اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٩٥)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٢٣٨)، والشهاب في مسنده (٢/ ٢٠٥)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧٠، ٤٧٩٧، ٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦)، من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ»(١)، التبرك بالله وبأسمائه وصفاته هذا مشروع.

أما التبرك بغير الله -بالأشجار، بالأحجار، بالقبور-، فهو ممنوع، وهو شرك، الذين يتبركون بالأشجار، يتبركون بالأحجار، يتبركون بالقبور هذا شرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا»؛ كبقعة، أو قبر)**، ونحوهما: كبقعة يتبرك بها، أو قبر يتبرك به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كبقعة، أو قبر، ونحو ذلك، أي: فهو مشرك)**، المصنف لم يقل: باب من تبرك. ولم يبين الحكم؛ لأنه سيسوق الأدلة التي تبين الحكم، لم يبين الحكم في الترجمة؛ لأنه سيسوق الأدلة التي تبين حكم ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري مسلم (٣٩٩)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وَقَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٣].

ش: قوله: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٣].

كانوا في الجاهلية يعبدون الأصنام والأشجار والأحجار، ومن أكبر ما يعبدون هذه الأصنام الثلاثة: اللات والعزى ومناة.

قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ﴾، هل نفعت أهلها؟ هل منعت نفسها مما أصابها؟ كيف يتبرك بها وهي أشجار وأحجار مخلوقات ليس لها من الأمر شيء؟!

﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾: أخبروني عن ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ﴾.

اللات: هذا لأهل الطائف، وهو رجل صالح كان يطعم الحجاج، يلت لهم السويق ويطعمهم، فلما مات، عكفوا على قبره، يتبركون به(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم:١٩] «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الحَاجِّ».

وقيل: هو صخرة كان اللات يلت السويق عليها للحجاج، فتبركوا بها -بهذه الصخرة-، هذه اللات(١).

العزى: لأهل مكة، وهي شجرات يتبركون بها قريبة من عرفات، يتبركون بها في الجاهلية(٢).

ومناة: هذه لأهل المدينة في الجاهلية؛ كانوا يحرمون من عندها بالحج والعمرة عند جبل قديد بالمشلل بين مكة والمدينة، كانوا يعبدونها، ويحرمون من عندها؛ تعظيمًا لها(٣). فلما فتح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة المشرفة، كسر الأصنام التي عليها والتي حولها، وجعل يشير إليها وتتساقط، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]، فجعلها تتساقط هذه الأصنام(٤)، فأمر بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخرجت من الحرم

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧- ٤٨)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٤٥٥).
وأخرج سعيد ابن منصور في سننه (٧/ ٦٥٢) -كما في الدر المنثور- قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «كَانَ يَبِيعُ السَّوِيقَ وَالسَّمْنَ عِنْدَ صَخْرَةٍ وَيَصُبُّهُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا مَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَبَدَتْ ثَقِيفُ تِلْكَ الصَّخْرَةَ؛ إِعْظَامًا لِصَاحِبِ السَّوِيقِ. أَبُو صَالِحٍ: إِنَّمَا كَانَ رَجُلًا بِالطَّائِفِ فَكَانَ يَقُومُ عَلَى آلِهَتِهِمْ، وَيَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ، فَلَمَّا مَاتَ عَبَدُوهُ. مُجَاهِدٌ: كَانَ رَجُلٌ فِي رَأْسِ جَبَلٍ لَهُ غُنَيْمَةٌ يَسْلِي مِنْهَا السَّمْنَ وَيَأْخُذُ مِنْهَا الْأَقِطَ وَيَجْمَعُ رِسْلَهَا، ثُمَّ يَتَّخِذُ مِنْهَا حَيْسًا، فَيُطْعِمُ الحَاجَّ، وَكَانَ بِبَطْنِ نَخْلَةَ، فَلَمَّا مَاتَ عَبَدُوهُ، وَهُوَ اللَّاتُّ». وانظر: تفسير القرطبي (١٧/ ١٠٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٦١) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «إِنَّها صَنَمٌ بين مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ».

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٧٢٠)، ومسلم (١٧٨١): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ، وَحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: «﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ:٤٩]».

وأحرقت، وأرسل خالد بن الوليد إلى العزى فقطعها، وأرسل المغيرة بن شعبة وأبا سفيان إلى اللات في الطائف فهدموها، وأرسل علي بن أبي طالب إلى مناة فهدمها. وبذلك انتهت مهمتها عند المشركين، وأزالها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على يد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه اللات والعزى ومناة.

يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ﴾، هل دافعت عن نفسها؟! أين ذهبت؟! هل دافعت عن نفسها حتى تدافع عنكم؟! هل نفعت نفسها حتى تنفعكم؟!! ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾، فالله جَلَّ وَعَلَا يقول لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يقول: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾؛ يخاطب المشركين: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ﴾: أخبروني عن ﴿ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾، هل نفعتكم؟! لأنهم كانوا يتبركون بها، فيقول: هل نفعتكم؟! هل دفعت عنكم؟!! وهذا من باب التحدي لهم. ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴾؛ لأن المشركين ينسبون البنات إلى الله سبحانه، يقولون: الملائكة بنات الله، وهم يكرهون البنات، فينسوبها إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [النحل:٦٢].

فالذي لا يريدونه يجعلونه لله؛ البنات؛ لأن هذه بنات مؤنثات، اللات والعزى ومناة هذه مؤنثات.

الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء:١١٧]، فاللات والعزى ومناة هذه مؤنثات.

....

ش: كانت اللاتُ لثقيف، والعُزَّى: لقريش وبني كنانة، ومناة: لبني هلال. وقال ابن هشام: كانت لهُذيل وخُزاعة[١].

فأما «اللَّاتُ»، فقرأ الجمهور بتخفيف التاء، وقرأ ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وحميد، وأبو صالح، ورويس ويعقوب بتشديد التاء[٢].

فعلى الأولى، قال الأعمش: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز.

قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله -تعالى-، قالوا: اللات مؤنثة منه -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا-، قال: وكذا العزى من العزيز[٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كانت اللاتُ لثقيف)، اللاتُ لقبيلة ثقيف بالطائف عند مسجد العباس، كان على مكان اللات، وهذا من باب تحويل أمكنة الشرك إلى أمكنة توحيد وعبادة.

---

(١) انظر: كتاب الأصنام لأبي المنذر هشام الكلبي (ص ١٤)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٩٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٨/ ٧٢)، والصحاح (٦/ ٢٤٩٨).
أما ابن هشام، فقال: (قال ابن إسحاق: وكانت مناة للأوس والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل يثرب، على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد) سيرة ابن هشام تحقيق السقا (١/ ٨٥).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٧- ٩٨)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٤٧)، والحجة في القراءات العشر (ص٣٦٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والعُزَّى لقريش، وبني كنانة)**، وموقعها قريب من عرفات، وهي شجرات عليها بناء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال ابن هشام: كانت لُهذيل، وخُزاعة)**، ابن هشام صاحب السيرة النبوية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فأما «اللَّات»، فقرأ الجمهور بتخفيف التاء)**، اللَّاتَ، وفي قراءة: (اللَّاتَّ): بالتشديد من لت السويق، يلته اسم فاعل على أن المراد صاحب العمل هذا، وأما (اللَّاتَ) بالتخفيف، فهي الصخرة.

فهو اسم فاعل من لت يلت؛ لأنه أصلها أنه رجل صالح كان يلت السويق للحجاج، يطعمهم إياه، فلما مات بنوا على قبره، وجعلوه وثنًا يعبد من دون الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقرأ ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وحميد، وأبو صالح، ورويس ويعقوب بتشديد التاء)**، (اللَّاتَّ) اسم فاعل، وقراءة حفص الآن: اللَّاتَ، بالتخفيف.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فعلى الأولى، قال الأعمش: سموا اللات من الإله)**، «اللَّات» يقولون: تكون من الإله، والعزى: من العزيز، ومناة: من المنان، من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا من الإلحاد في أسماء الله؛ ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف:١٨٠]، هذا من الإلحاد في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله تعالى)**، هذا من الإلحاد في أسماء الله؛ أن توضع أسماء الله لهذه الأصنام، والله

جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف:١٨٠]، فهذا من الإلحاد في أسماء الله.

فاللات يزعمون أنها من الإله، والعزى من العزيز، ومناة: من اسم الله المنان، اشتقوها من هذه الأسماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقالوا: اللات مؤنثة منه -تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا)**، من اسم الله عَزَّوَجَلَّ.

ش: وقال ابن كثير: اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف، له أستار وسدنة، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف -وهم ثقيف ومن تبعها-، يفتخرون به على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش[١].

قال ابن هشام: فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة، فهدمها، وحرقها بالنار[٢].

وعلى الثانية قال ابن عباس: «كان رَجُلًا يَلُتُّ السَّوِيْقَ لِلحَاجِّ، فَلَمَّا مَاتَ عَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ». ذكره البخاري[٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال ابن كثير: اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف، له أستار، وسدنة، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف)، ولا زالت حتى فتح الله سبحانه الطائف على رسول الله ﷺ، ودخلت في الإسلام، فأرسل المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -لأن المغيرة من أهل الطائف، ثقفي- وأبا سفيان فهدماها.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٥٥).

(٢) انظر: الأصنام لأبي المنذر هشام (ص ١٧).

وأما ابن هشام فذكر هدمها ولم يذكر حرقها. سيرة ابن هشام (٢/ ٥٤١- ٥٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٩) بدون الجملة الأخيرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعلى الثانية قال ابن عباس: «كان رَجُلًا يَلُتُّ السَّوِيْقَ لِلحَاجِّ)**، يعني: على القراءة الثانية؛ اللَّاتَّ: بالتشديد اسم فاعل من لتَّ، يلتُّ، فكان يلت السويق للحجاج، وهو رجل صالح، فلما مات عكفوا على قبره، وبنوا عليه بنية تبركوا بها.

ش: قال ابن عباس: كان يبيع السويق، والسمن عند صخرة، ويسلؤه عليها، فلما مات ذلك الرجل، عبدت ثقيف تلك الصخرة؛ إعظامًا لصاحب السويق[١].

وعن مجاهد نحوه، وقال: فلما مات عبدوه. رواه سعيد بن منصور[٢].

وكذا روى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس: أنهم عبدوه[٣]. وبنحو هذا قال جماعة من أهل العلم[٤].

قلت: لا منافاة بين القولين، فإنهم عبدوا الصخرة والقبر تأليهًا وتعظيمًا.

ولمثل هذا بنيت المشاهد والقباب على القبور، واتخذت أوثانًا.

وفيه: بيان أن أهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين والأصنام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن مجاهد نحوه، وقال: فلما مات عبدوه)**، فيكون هذا من عبادة الأولياء والصالحين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولمثل هذا بنيت المشاهد والقباب على القبور، واتخذت أوثانًا)**، فالقباب على القبور التي تعظم من هذا القبيل، مثل اللات؛ يبنون على القبر يتبركون بصاحبه، أو يطلبون منه الحوائج مثل فعل المشركين عند اللات.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٧/ ١٠٠).

(٢) أخرجه سعيد ابن منصور في سننه (٧/ ٦٥٣) كما في الدر المنثور.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، وابن مردويه؛ كما في الدر المنثور (٧/ ٦٥٣).

(٤) انظر: أخبار مكة للفاكهي (٥/ ١٤٣)، وتفسير الثعلبي (٢٥/ ١١٨- ١١٩)، وتفسير البغوي (٤/ ٣٠٨)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٠٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: بيان أن أهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين، والأصنام)**، بعض الجهال أو الضلال يقولون: الجاهلية إنما كان شركهم في عبادة الأصنام فقط. وهذا غلط، عبادة الجاهلية متنوعة:

- منهم من يعبد الأصنام.
- منهم من يعبد الأشجار والأحجار.
- منهم من يعبد الأموات.
- منهم من يعبد الملائكة.

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج عليهم ولهم عبادات كثيرة أنكرها كلها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يفرق بينها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولمثل هذا بنيت المشاهد والقباب على القبور)**، مثل اللات المشاهد التي على القبور الآن، هذه مثل اللات، لا فرق بينها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واتخذت أوثانًا)**، هذه مثل اللات لا فرق بينهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: بيان أن أهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين والأصنام والأوثان)**، يعبدون الصالحين؛ لأن اللات رجل صالح يلت السويق للحجاج يطعمهم.

....

ش: وأما (العزى)، فقال ابن جرير: كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها[١]؛ كما قال أبو سفيان يوم أحد: «لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا تُجِيبُوهُ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ»[٢].

وروى النسائي، وابن مردويه عن أبي الطفيل، قال: «لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ، بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةٍ، وَكَانَتْ بِهَا الْعُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ، وَكَانَتْ عَلَى ثَلَاثِ سَمُرَاتٍ، فَقَطَعَ السَّمُرَاتِ، وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ، فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا، فَرَجَعَ خَالِدٌ، فَلَمَّا أَبْصَرَتْهُ السَّدَنَةُ، أَمْعَنُوا فِي الْجَبَلِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا عُزَّى، يَا عُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا، تَحْتَفِنُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ، فَقَتَلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: تِلْكَ الْعُزَّى»[٣].

قال أبو صالح: (كانوا يعلقون عليها السيور والعهن)، رواه عبد بن حميد وابن جرير[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٩، ٣٩٨٦، ٤٠٤٣، ٤٠٦٧، ٤٥٦١).
(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠/ ٢٧٩)، وأبو يعلى (٢/ ١٩٦).
(٤) نقله السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٥٣).

قلت: وكل هذا، وما هو أعظم منه يقع في هذه الأزمنة عند ضرائح الأموات، وفي المشاهد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما (العزى)، فقال ابن جرير: كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف)**، بوادي نخلة بين مكة والطائف، يمر بها الطريق الآن؛ نخلة اليمانية، والنخلة الشامية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال أبو سفيان يوم أحد: لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ)**، يوم أحد لما حصلت المعركة، وحصل على المسلمين ما حصل من النكبة، فجاء أبو سفيان -قائد المشركين حين ذاك- يفتخر على المسلمين، ويقول: «لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **أَلا تُجِيبُوهُ؟** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: **قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا)**؛ شيطانة من الشياطين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، **فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: تِلْكَ الْعُزَّى)**، «تِلْكَ الْعُزَّى»، هذه المرأة هي العزى، شيطانة من الشياطين، لما قتلها، أنهى العزى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو صالح: «كانوا يعلقون عليها السيور والعهن»)**، كانوا في الجاهلية يعلقون على هذه الشجرات السيور؛ تبركًا بها، والعهن، يعني: السوط. والجاهلية موجودة الآن، هناك الشاخص الذي على جبل

عرفات، يأتيه الجهال، ويعلقون فيه، والشجرة التي على الجبل يعلقون فيها الخيوط، لا يزال هذا من أمور الجاهلية موجود في الناس، إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: وكل هذا، وما هو أعظم منه يقع في هذه الأزمنة عند ضرائح الأموات وفي المشاهد)**، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا هو الذي عليه عباد القبور هو من هذا النوع؛ يتعلقون بالقبور، ويضعون عليها القباب، ويضعون عليها التسائر، ويضعون لها صناديق التبرعات، هذا هو نفس الذي عند اللات والعزى، فكل هذا وأعظم منه يقع في هذه الأزمنة -أزمنة الشارح-، ولا يزال إلى الآن، بل يزيد الآن، كلما تأخر الزمان، زادت الفتنة -والعياذ بالله-، وهذا مشاهد وموجود في الناس، التبرك بالأشجار والأحجار والقبور موجود وكثير أيضًا.

....

ش: وأما (مناة)، فكانت بالمشلل عند قُديد -بين مكة والمدينة-، وكانت خزاعة، والأوس، والخزرج يعظمونها، ويهلون منها للحج.

وأصل اشتقاقها من اسم الله (المنان)، وقيل: لكثرة ما يمنى -أي: يراق- عندها من الدماء للتبرك بها[(١)].

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديث عروة، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّهَا صَنَمٌ بين مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ»[(٢)].

قال ابن هشام: فبعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًّا فهدمها عام الفتح[(٣)].

وقال العماد ابن كثير: فبعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد في غزوة بني المصطلق فكسرها[(٤)].

فمعنى الآية -كما قال القرطبي-: أن فيها حذفًا تقديره: أفرأيتم هذه الآلهة؟ أنفعت أو ضرت؛ حتى تكون شركاء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟![(٥)].

---

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ٦١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٦١).

(٣) انظر: كتاب الأصنام لأبي المنذر هشام الكلبي (ص ١٥).
أما ابن هشام، فقال: (فبعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها. ويقال: علي بن أبي طالب) سيرة ابن هشام (١/ ٨٦).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٣١).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (١٧/ ١٠٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما «مناة»، فكانت بالمشلل عند قُديد -بين مكة والمدينة)**، بالمشلل: مكان، اسم موضع عند قديد، جبل يقال له: جبل قديد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويهلون منها للحج)**، يتخذونها ميقاتًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقيل: لكثرة ما يمنى -أي: يراق- عندها من الدماء للتبرك بها)**، يذبحون عندها من بهيمة الأنعام، ويتبركون بها، ويتقربون إليها بالذبح كفعل أهل الجاهلية؛ كما تذبح الأنعام الآن عند القبور والأضرحة بكثرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمعنى الآية -كما قال القرطبي-: أن فيها حذفًا تقديره: أفرأيتم هذه الآلهة؟ أنفعت أو ضرت؛ حتى تكون شركاء لله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **؟!)**، هذه الآلهة ذهبت أدراج الرياح، مكانها موجود، لم تدافع عن نفسها، ولم تدافع عن أهلها، ولهذا قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ﴾ [النجم:١٩، ٢٠]؛ أين ذهبت حتى تعبدوها من دون الله؟ لم تنفعكم، ولم تنفع نفسها! هذا فيه إبطال الشرك من أصله.

....

ش: وقوله: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾، قال ابن كثير: أتجعلون له ولدًا، تجعلون ولده أنثى، وتختارون لكم الذكور[(١)]؟

قوله: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾، أي: جور، وباطلة[(٢)].

فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين، كانت جورًا، وسفهًا، فتنزهون أنفسكم عن الإناث، وتجعلونهن لله تعالى؟!!

وقوله: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ [النجم:٢٣]، أي: من تلقاء أنفسكم، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾، أي: من حجة، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾، أي: ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ أنفسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾، قال ابن كثير: ولقد أرسل الله تعالى إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاءوهم به، ولا انقادوا له. اهـ[(٣)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾، قال ابن كثير: أتجعلون له ولدًا، تجعلون ولده أنثى، وتختارون لكم الذكور؟)؛ لأنهم يقولون: الملائكة

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٥٨).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٥٨).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٥٨).

بنات الله، فينسبون البنات إلى الله، مع أنهم يكرهون البنات، ويختارون الذكور لأنفسهم؛ ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [النحل:٦٢]، فهم يجعلون الأبناء والذكور لهم، ويجعلون البنات لله -تعالى الله عن ذلك!

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل:٥٨]: كيف يجعلون هذا لله عَزَّوَجَلَّ؟!!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله:** ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾)، يعني: جائرة، ﴿ ضِيزَىٰٓ ﴾، يعني: جائرة، لم تعدلوا في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ حيث جعلتم له البنات التي تكرهونها، وجعلتم لأنفسكم ما تحبون، وهم الذكور.

هذا من باب التنزل معهم، وإلا فإن الله منزه عن ذلك كله؛ عن الذكور وعن الإناث، ليس له ولد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله:** ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ [النجم:٢٣])، هذا إبطال لها؛ ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾: ليس لها أصل، وليس لها وجود، أسماء اخترعتموها أنتم، ﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾، يعني: من حجة، ليس لكم حجة في ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾، **أي: ليس لهم مستند**)، والعقائد لا يصلح فيها الظن، لابد من اليقين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله:** ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾)، ﴿ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾: بالقرآن الذي نهى عن هذه الأصنام، وعن جميع أنواع الشرك، طهر الأرض من الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن كثير: ولقد أرسل الله تعالى إليهم الرسل بالحق المنير، والحجة القاطعة)**، ليس لهم حجة في بقائهم، ليسوا بجهال؛ لأن الرسل جاءتهم، ونهتهم عن ذلك، فليسوا جهالًا، لكن أصروا على عبادتها واتخاذها آلهة.

فبعد بعثة الرسل لا يعذر بالجهل في أمر العقيدة، واضحة، يعذر بالجهل في المسائل الغامضة، وأما أمور العقيدة، فليس فيها غموض، واضحة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية.

ش: ومطابقة الآيات للترجمة من جهة أن عباد هذه الأوثان إنما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها، ودعائها، والاستعانة بها، والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها ويؤملونه ببركتها وشفاعتها، وغير ذلك.

فالتبرك بقبور الصالحين -كاللات-، وبالأشجار -كالعزى ومناة- من ضمن فعل جملة أولئك المشركين مع تلك الأوثان.

فمن فعل مثل ذلك، واعتقد في قبر، أو حجر، أو شجر، فقد ضاهى عباد هذه الأوثان فيما يفعلونه معها من هذا الشرك، على أن الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك. والله المستعان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومطابقة الآيات للترجمة من جهة أن عباد هذه الأوثان إنهم كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها، ودعائها)، الترجمة -باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحو ذلك- مطابقة الآية لها واضحة، اللات والعزى تبركوا بها وعبدوها من دون الله، فماذا أغنت عنهم؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالتبرك بقبور الصالحين -كاللات-، وبالأشجار -كالعزى ومناة- من ضمن فعل جملة أولئك المشركين مع تلك الأوثان)، فالتبرك بالأضرحة والقبور مثل التبرك باللات؛ لأنه رجل صالح يلت السويق، ولما مات عكفوا على قبره، هذا في الجاهلية، والذين أحدثوا هذا في الإسلام مثل هؤلاء، لا فرق بينهم، مثل أهل اللات.

والذين يتبركون بالأشجار والأحجار مثل الذين يتبركون بالعزى؛ لأن العزى سمرات عند مكة شجرات، ولهذا أرسل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد فقطع هذه الشجرات، هذا التبرك بالشجر، واللات: التبرك بالحجر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن فعل مثل ذلك، واعتقد في قبر، أو حجر، أو شجر فقد ضاهى عباد هذه الأوثان فيما يفعلونه معها من هذا الشرك)**، لماذا المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (باب من تبرك بشجر أو حجر ونحو ذلك)، ثم أورد هذه الآية: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ﴾ [النجم:١٩-٢٠]؟

لأن الآية مطابقة تمامًا؛ لأن اللات والعزى ومناة أشجار وأحجار تبركوا بها، وعبدوها من دون الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(على أن الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك)**، ما وقع من عباد القبور بعد مجيء الإسلام أشد مما وقع من أهل الجاهلية مع اللات والعزى ومناة.

وعَنْ أبي واقدٍ اللَّيْثيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال: «خرجْنا مع رسولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى حُنَيْنٍ، ونَحْنُ حُدثَاءُ عهدٍ بكُفْرٍ، ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يعْكُفُون عِنْدَها، ويَنُوطُون بها أسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لها: ذاتُ أنْواطٍ. قالَ: فمَرَرْنا بالسِّدْرَةِ، فقُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنا ذاتَ أنْواطٍ كمَا لَهُمْ ذاتُ أنْواطٍ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **اللهُ أكْبَرُ! إنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ والَّذي نَفْسي بيَدِه كَمَا قَالَتْ بَنُو إسْرَائيلَ لِمُوسَى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]. **لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ**(١).

ش: (أَبُو وَاقِدٍ): اسمه الحارث بن عوف، وفي الباب عن أبي سعيد، وأبي هريرة، قاله الترمذي(٢).

وقد رواه أحمد، وأبو يعلى، وابن أبي شيبة، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني بنحوه(٣).

قوله: (عَنْ أَبِي وَاقِدٍ) تقدم ذكر اسمه في قول الترمذي، وهو صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين، وله خمس وثمانون سنة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٩٨).

(٢) انظر: سنن الترمذي (٤/ ٤٧٥).

(٣) أخرجه أحمد (٣٦/ ٢٢٥، ٢٣١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٧٩)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ١٠٠)، والطبري في تفسيره (١٠/ ٤١٠- ٤١١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٥٤)، وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر المنثور (٣/ ٥٣٤)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٢١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ)، لما فتح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة، خافت هوازن من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصل إليها، هوازن خافت على نفسها؛ لأنها حول مكة -قبيلة حول مكة-، فأرادوا أن يغزوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الرسول بادر وخرج إليهم في مكانهم في حنين -وادي حول مكة- خرج إليهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم ينتظر حتى يأتوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ)، حدثاء: لأنهم أسلموا عام الفتح ولم يتعلموا، وجاء الغزو وبادروا مع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خرجوا للغزو وهم لم يتعلموا مثل غيرهم من الأنصار والمهاجرين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فهذا مضرة الجهل، لاحظ مضرة الجهل ماذا تحدث!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بها أَسْلِحَتَهُمْ)، في طريق حنين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَيَنُوطُونَ بها أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لها: ذَاتُ أَنْوَاطٍ)، يعلقون بها أسلحتهم؛ تبركًا بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَقُلْنَا: يَا رَسُوْلَ اللهِ، اجْعَلْ لَنا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ)، طلبوا من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعل لهم سدرة يتبركون بها، ويعلقون بها أسلحتهم كسدرة المشركين، من باب التشبه، وسبب ذلك الجهل؛ لأنهم حدثاء عهد بشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ!»)، تعجب: «اللهُ أَكْبَرُ!»، كان صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا تعجب من شيء أو استنكر شيئًا، يكبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («قُلْتُم -وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنو إِسْرَائِيْلَ لِمُوْسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾»)، ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]، هؤلاء الذين قالوا للرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»، مثل مقالة أولئك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»)، يعني: تقليد وتشبه، التشبه خطره شديد وعظيم، فيجب الحذر من التشبه بالكفار وبعاداتهم وتقاليدهم.

فقوله: «لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ»، أي: طريق «مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، هذا إخبار من الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه سيحصل التقليد من المشركين، وهو خبرٌ يراد به التحذير من هذا العمل.

....

ش: قوله: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ»، وفي حديث عمرو ابن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو عند ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني قال: « غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ وَنَحْنُ أَلْفُ وَنَيِّفٌ،... حَتَّى إِذَا كُنَّا بَيْنَ حُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ...» ـ الحديث.

قوله: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ»، أي: قريب عهدنا بالكفر، ففيه دليل على أن غيرهم ممن تقدم إسلامه من الصحابة لا يجهل هذا، وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة. ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ففيه دليل على أن غيرهم ممن تقدم إسلامه من الصحابة لا يجهل هذا)**، وفي هذا فضل العلم؛ لأن الذي أوقع أبا واقد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا هو الجهل، حديث عهد بالإسلام، لم يتعلم بعد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة)**، الذي ينتقل من الباطل لا يأمن أن يبقى في قلبه شيء من الباطل؛ لأنه لا يزول بالكلية حتى يتمكن الإيمان، ويحصل العلم، فحينئذ يزول الباطل، لكن ما دام الإنسان لم يتمكن الإيمان منه، وأيضًا هو لم يتعلم، فهذا حريٌّ أن يصاب بجهله، لاسيما وهو يشاهد الناس وعباد القبور؛ فيتأثر بهم من كثرة ما يشاهد وكثرة ما يرى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ذكره المصنف)**، المصنف: الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

ش: قوله: «وللمشركين سدرة يعكفون عندها»، العكوف: هو الإقامة على الشيء في المكان، ومنه قول الخليل عليه السلام: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢]. وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركًا بها، وتعظيمًا لها.

وفي حديث عمرو: «كَانَ يُنَاطُ بِهَا السِّلَاحُ، فَسُمِّيَتْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، وَكَانَتْ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ»[1].

قوله: «وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ»، أي: يعلقونها عليها للبركة.

قلت: ففي هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم، والعكوف، والتبرك، وبهذه الأمور الثلاثة عُبِدَت الأشجار ونحوها.

قوله رحمه الله: (قوله: «وللمشركين سدرة يعكفون عندها»، العكوف: هو الإقامة على الشيء في المكان، ومنه قول الخليل عليه السلام: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢])، العكوف: هو البقاء في المكان، يقال: عكف في المكان إذا أقام فيه ولو قليلًا، ومنه: العكوف في المساجد، الاعتكاف في المساجد: هو لزوم مسجد لطاعة الله سبحانه وتعالى[2].

---

(١) حديث عمرو بن عوف أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ٢١).

(٢) انظر مادة (عكف) في: العين (١/ ٢٠٥)، وتهذيب اللغة (١/ ٢٠٩)، والصحاح (٤/ ١٤٠٦)، ومقاييس اللغة (٤/ ١٠٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي حديث عمرو: «كَانَ يُنَاطُ بِهَا السِّلَاحُ، فَسُمِّيَتْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»)**، تعلق، يتبركون بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: ففي هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم، والعكوف، والتبرك، وبهذه الأمور الثلاثة عُبِدَت الأشجار ونحوها)**، وليس المراد: يصلون لها، ويسجدون لها، ويذبحون لها، لا. مجرد اعتقاد البركة فيها يكون من الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

ش: قوله: «فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لنا ذَاتَ أَنْوَاطٍ».

قال أبو السعادات: سألوه أن يجعل لهم مثلها فنهاهم عن ذلك.

و«أَنْوَاطٍ»: جمع نوط، وهو مصدر سُمِيَ بها المنوط[١].

ظنوا أن هذا محبوب عند الله، وقصدوا التقرب به، وإلا فهم أجل قدرًا من أن يقصدوا مخالفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهُ أَكْبَرُ!»، وفي رواية: «سُبْحَانَ اللهِ»[٢]، والمراد تعظيم الله تعالى، وتنزيهه عن هذا الشرك بأي نوع كان، مما لا يجوز أن يطلب، أو يقصد به غير الله.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعمل التكبير والتسبيح في حال التعجب؛ تعظيمًا لله وتنزيهًا له، إذا سمع من أحد ما لا يليق بالله مما فيه هضم للربوبية والإلهية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال أبو السعادات)، أبو السعادات: ابن الأثير في غريب الحديث.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ظنوا أن هذا محبوب عند الله، وقصدوا التقرب به، وإلا فهم أجل قدرًا من أن يقصدوا مخالفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ولذلك طلبوا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يذهبوا هم يعلقون.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٢٨).

(٢) هذه رواية الترمذي (٢١٨٠).

فيه: الرجوع إلى أهل العلم عندما يحصل للإنسان اشتباه في شيء، أو يرى المشركين يعملون شيئًا، يستحسنه، لا يقدم عليه، بل يسأل أهل العلم: هل يفعل هذا الشيء أو لا؟

....

ش: قوله: «إِنَّهَا السُّنَنُ» -بضم السين- أي: الطرق.

قوله: «قُلْتُم -وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنو إِسْرَائِيْلَ لِمُوْسَى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ [الأعراف:١٣٨]»، شبه مقالتهم هذه بقول بني إسرائيل، بجامع أن كلًا طلب أن يجعل له ما يألهه، ويعبده من دون الله، وإن اختلف اللفظان، فالمعنى واحد، فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة.

ففيه: الخوف من الشرك، وأن الإنسان قد يستحسن شيئًا يظن أنه يقربه إلى الله، وهو أبعد ما يبعده من رحمته، ويقربه من سخطه، ولايعرف هذا على الحقيقة إلا من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير من العلماء والعباد مع أرباب القبور؛ من الغلو فيها، وصرف جل العبادة لها، ويحسبون أنهم على شيء، وهو الذنب الذي لا يغفره الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأن الإنسان قد يستحسن شيئًا يظن أنه يقربه إلى الله، وهو أبعد ما يبعده من رحمته، ويقربه من سخطه)، بسبب الجهل

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولايعرف هذا على الحقيقة إلا من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير من العلماء، والعباد مع أرباب القبور)، هذا تعيب من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حالة أهل زمانه من عباد القبور والأضرحة الكثيرة في بلاد المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والعباد مع أرباب القبور، من الغلو فيها وصرف جل العبادة لها، ويحسبون أنهم على شيء، وهو الذنب الذي لا يغفره الله)**، نسأل الله العافية، مع أنهم يظنون أن هذا يقربهم إلى الله، وأن هذا محبة للصالحين، واقتداء بالصالحين. وهذا تسويل من الشيطان.

الواجب على الإنسان أنه يسأل أهل العلم، ولا يقدم على شيء -ولو استحسنه-، لا يقدم عليه حتى يسأل أهل العلم: هل هذا جائز أو غير جائز؟

ش: قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المعروف بأبي شامة في كتاب «البدع والحوادث»: ومن هذا القسم -أيضًا- ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة: تخليق الحيطان والعمد، وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحدًا ممن شُهِرَ بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك. ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي من بين عيون، وشجر، وحائط، وحجر.

وفي مدينة دمشق من ذلك مواضع متعددة كعوينة: الحمى -خارج باب توما-، والعمود المخلق -داخل باب الصغير-، والشجرة الملعونة -خارج باب النصر- في نفس قارعة الطريق -سهل الله قطعها، واجتثاثها من أصلها-، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث!!. انتهى[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المعروف بأبي شامة في كتاب «البدع والحوادث»)**، كتاب البدع والحوادث لأبي شامة، اسمه: «الباعث على إنكار البدع والحوادث»، وهو رسالة صغيرة مطبوعة.

---

(١) انظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص٢٥-٢٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي مدينة دمشق من ذلك مواضع متعددة)**، كلام أبي شامة، وهو سوري.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كعوينة الحمى -خارج باب توما- والعمود المخلق -داخل باب الصغير-، والشجرة الملعونة -خارج باب النصر- في نفس قارعة الطريق)**، ينكر أبو شامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما في سوريا في وقته من هذه الأمور، ويسأل الله أن يزيلها عنها.

وهذا الأمر ليس بخاص لأهل الشام، هذا ينتشر الآن في كثير من البلاد؛ يأتيهم واحد، ويقول: أنا رأيت جبريل، أو رأيت عمر في هذا المكان، رأيته في الرؤيا في هذا المكان، فيأتون ويعظمون هذا المكان، ويقصدونه ويزورونه؛ بناء على رؤيا قد تكون من الشيطان، الرؤيا لا تكون صحيحة.

الشيطان يأتي للإنسان بالرؤيا، ويقول له: افعل كذا، فليست كل الرؤى تصدق.

....

ش: وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ نحو ما ذكره أبو شامة، ثم قال: فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله -ولو كانت ما كانت-، ويقولون: إن هذا الحجر، وهذه الشجرة، وهذه العين تقبل النذر، أي: تقبل العبادة من دون الله، فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له(١).

وسيأتي ما يتعلق بهذا الباب عند قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»(٢).

وفي هذه الجملة من الفوائد: أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار -من التبرك بها، والعكوف عندها، والذبح لها- هو الشرك، ولا يغتر بالعوام والطغام، ولا يستبعد كون الشرك بالله يقع في هذه الأمة.

فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسنًا، وطلبوه من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى بين لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾، فكيف لا يخفى على من هو دونهم في العلم والفضل بأضعاف مضاعفة مع غلبة الجهل، وبعد العهد بآثار النبوة؟ بل خفي عليهم عظائم الشرك في الإلهية والربوبية، فأكثروا فعله، واتخذوه قربة.

ومنها: أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء؛ ولهذا جعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلبهم كطلب بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كونهم سموها ذات

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢١٢).

(٢) أخرجه الإمام مالك مرسلا في الموطأ (٨٥) (١/ ١٧٢)، من حديث عطاء بن يسار.

أنواط، فالمشرك مشرك، وإن سمى شركه ما سماه؛ كمن يسمى دعاء الأموات والذبح والنذر لهم ونحو ذلك تعظيمًا ومحبة، فإن ذلك هو الشرك، وإن سماه ما سماه، وقس على ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا يستبعد كون الشرك بالله يقع في هذه الأمة)، الشرك وقع في هذه الأمة كثيرًا بعد القرون المفضلة، بعد مضي القرون المفضلة وانتشار الجهل، واختلاط المبتدعة مع أهل السنة، خصوصًا على أيدي الفاطميين الباطنية الشيعة، انتشرت البدع والخرافات في مصر وفي الشام، وفي كل مكان إلا من عصمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليحذر المسلم من هذه الأمور، ويحذِّر منها، ويدعو إلى الله على بصيرة.

لو أن طلاب الجامعات -وفقهم الله-: الجامعة الإسلامية، وجامعة الإمام، وجامعة أم القرى، لو أنهم ينتشرون في بلادهم، ويبينون للناس، لحصل النفع الكثير، ولكن يسكتون، ويظنون أنهم لا يستطيعون هذا الشيء، ويخافون من قومهم، وهذا لا يجوز.

فعلى الإنسان أن يبذل المجهود، ويدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنى، والجدال بالتي هي أحسن، فيحصل الخير- إن شاء الله-، ولا يحقرن الإنسان شيئًا من هذه الأمور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسنًا، وطلبوه من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فإذا كان بعض الصحابة -وهو أبو واقد الليثي، هذا صحابي- ظن أن ذلك حسنًا، وقال: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ

أَنْوَاطٍ»، مع أنه صحابي، ومع أنه مع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن بسبب أن إسلامه قريب لم يتمكن العلم منه، ففيه: داء الجهل، خطر الجهل على الإنسان، خطر التقليد والتشبيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل خفي عليهم عظائم الشرك في الإلهية والربوبية، فأكثروا فعله، واتخذوه قربة)**، يتخذون الباطل حقًّا، والشرك يتخذونه توحيدًا، وكله من الجهل والتقليد والتشبه، آفات خطيرة جدًّا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء؛ ولهذا جعل النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **طلبهم كطلب بني إسرائيل)**، هم ما قالوا: «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ»، لكن قالوا: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»، المعنى واحد، المعنى واحد وإن اختلف اللفظ، فالعبرة بالمعنى، ليست العبرة باللفظ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالمشرك مشرك، وإن سمى شركه ما سماه، كمن يسمى دعاء الأموات والذبح والنذر لهم ونحو ذلك تعظيمًا ومحبة، فإن ذلك هو الشرك، وإن سماه ما سماه)**، إذا قيل لهم: هذا شرك، قالوا: أنت لا تحب الصالحين، ولا تحب الأولياء، ولا ...، ولا ......

أولياء الله والصالحون يتبرءون من هذا الشرك ولا يقرونه، لكنهم أموات لا يقدرون، وإلا لو كانوا أحياء لنهوا عن ذلك، وقاتلوا من فعل.

....

ش: قوله: «لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ من كان قَبْلَكُمْ» -بضم الموحدة، وضم السين-، أي: طرقهم، ومناهجهم، وقد يجوز فتح السين على الإفراد، أي: طريقهم، وهذا خبر صحيح، والواقع من كثير من هذه الأمة يشهد له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ من كان قَبْلَكُمْ» -بضم الموحدة، وضم السين- أي: طرقهم، ومناهجهم)، لما مر الغزاة مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حنين، ومعه أناس حديثو عهد بالإسلام؛ أسلموا يوم فتح مكة، ولم يتعلموا ويتمكنوا من معرفة التوحيد.

وهذا فيه ذم الجهل، وعدم تعلم عقيدة التوحيد، بل هناك من ينفر من تعليم التوحيد وتعليم العقيدة -عقيدة أهل السنة والجماعة-، ويقول: إنها تعلم الإرهاب، ولم يدروا أن الإرهاب هو في الجهل، الدين مع الجهل، التدين مع الجهل هو الذي يحدث الإرهاب.

أما التدين مع العلم الصحيح، فإنه يكون على برهان وعلى نور، وهو يستنكر الإرهاب والإجرام.

لكن هؤلاء عندهم عداوة للعقيدة، ويريدون أن ينفروا منها بهذا الكلام؛ أنها تعلم الإرهاب، وتعلم التكفير، هل الناس كلهم ليس فيهم كفار، وليس فيهم منافقون، كلهم صالحون؟!!

لابد من بيان الحق من الباطل، ولابد من الرد على أهل النفاق وأهل الشرك، لا تتضح العقيدة إلا بهذا.

الرسل أول ما يبدءون دعوتهم بتعليم التوحيد؛ ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]، فيؤمرون بعبادة الله، وينهون عن الشرك؛ لأن العبادة لا تصح مع الشرك، من يعبد الله ويعبد معه غيره فإن عبادته باطلة، وإلا فالمشركون كانوا يعبدون الله بانواع من العبادات، ولكنهم يخلطونها بالشرك، فلا تقبل، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

وهذا هو معنى لا إله إلا الله؛ لا إله: لا معبود بحق إلا الله جَلَّ وَعَلَا؛ فهي تثبت التوحيد، وتنفي الشرك.

وهذا معنى قوله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وهذا معنى لا إله إلا الله: أنه كفرٌ بالطاغوت -وهو ما عُبِدَ من دون الله-، وإيمان بالله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهؤلاء معهم جهل بالعقيدة؛ لأنهم حدثاء عهد بالإسلام، فلما مروا على قوم من المشركين يعكفون على شجرة، يقال لها: ذات أنواط، ينوطون بها أسلحتهم تبركًا بها، هذا من التبرك بالأشجار، وهذا شرك، طلب البركة من غير الله هذا شرك، البركة لا تكون إلا من الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

يتبركون بالأشجار، ويعلقون أسلحتهم بهذه الشجرة، ويسمونها ذات أنواط، وينوطون بها أسلحتهم.

فقال هؤلاء الجهلة: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»؛ من باب التشبه، التشبه بالغير، التشبه آفة خطيرة، التشبه بالكفار والمنافقين آفة خطيرة، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١)، لا يجوز التشبه بالكفار والمنافقين وأعداء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»: اختر لنا شجرة نعلق بها أسلحتنا، ونتبرك بها؛ «كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ».

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر عليهم، وتعجب، وقال: «اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ»، كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أعجبه شيء كبر، وإذا استنكر شيئًا كبر؛ إجلالًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«إِنَّهَا السُّنَنُ» أو «إِنَّهَا السَّنَنُ»: السُّنَنُ: جمع سنة، وهي الطريقة، والسَّنَنُ: مفرد، يعني: أنها سنة المشركين، وطريق المشركين.

«قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف:١٣٨-١٤١]».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٩/ ١٢٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فالذين قالوا لمحمد صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»، مثل الذين قالوا لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾؛ تشبه، والتشبه منهي عنه، وخصوصًا التشبه بالكفار والمشركين، خصوصًا التشبه بهم في عباداتهم وعقائدهم.

كانوا في الجاهلية يبنون المشاهد على القبور، فجاء بعد القرون المفضلة في هذه الأمة من يتشبه بالمشركين، فيبني القباب على القبور، والمشاهد على القبور، فالتشبه جرهم إلى الشرك، التشبه خطير جدًا.

«**قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾**»؛ النظر إلى المعنى، وليس النظر إلى اللفظ، النظر إلى المعنى، فهذا هو معنى قول بني إسرائيل: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(وهذا خبر صحيح)**، يقول الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ: وهذا خبر صحيح ثابت، هذا الحديث ثابت عن الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(والواقع من كثير من هذه الأمة يشهد له)**، الواقع من كثير من هذه الأمة يشهد لقول الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾**»، فالذين بنوا على القبور، وتبركوا بها، تبركوا بالأشجار والأحجار، اتخذوها آلهة مع الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، اتخذوها آلهة مع الله جَلَّوَعَلَا، والسبب: هو التشبه بأعداء الله.

يقولون: هؤلاء متقدمون، هؤلاء سبقونا بالحضارة، سبقونا بالصناعة، نعم، لكن العقيدة فاسدة عندهم، عندهم صناعة، وعندهم أمور دنيوية، وعندهم ازدهار للدنيا، عندهم مدنية، لكن ليس عندهم عقيدة، وليس عندهم توحيد، كفرة مشركون، فلا تعجبنا زهرة الحياة الدنيا التي عندهم دون أن ننظر إلى عقيدتهم.

....

ش: وفيه: علمٌ من أعلام النبوة من حيث إنه وقع كما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي الحديث: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية وأهل الكتاب فيما كانوا يفعلونه، إلا ما دل الدليل على أنه من شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: **وفيه التنبيه على مسائل القبر، أما: من ربك؟ فواضح. وأما: من نبيك؟ فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما: ما دينك؟ فمن قولهم: اجعل لنا إلهًا... إلخ.**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وفيه: علمٌ من أعلام النبوة من حيث إنه وقع كما أخبر به** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فيه علم: في قوله: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**».

فيه علمٌ من أعلام النبوة، أي: آية من آيات النبوة، ومعجزة من معجزات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه أخبر أن من هذه الأمة من يتبع سنن المشركين الذين مضوا من قبلنا، وقد وقع الآن، وُجِد في هذه الأمة من يعبد القبور، ويبني عليها، ويتبرك بها، من يتبرك بالأشجار والأحجار، وقع ما تخوفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبر عن وقوعه؛ تحذيرًا، المراد من ذلك: التحذير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وفي الحديث: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية، وأهل الكتاب فيما كانوا يفعلونه**)؛ تحريم التشبه، النهي يقتضي التحريم، تحريم التشبه بأهل الجاهلية في عباداتهم ومعتقداتهم، وما هم عليه من الباطل، ولا يغتر بها

بأيديهم من زهرة الدنيا والتقدم الحضاري -كما يقولون-، دون نظر على دينهم وعقيدتهم، فالله جَلَّ وَعَلَا قد يمهل ولا يهمل، وقد يبتلي الكفار بزهرة الدنيا؛ ليزيد كفرهم وطغيانهم؛ ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾، يعني: القرآن؛ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم:٤٤]، هذا من باب الاستدراج.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إلا ما دل الدليل على أنه من شريعة محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، ما كانوا يفعلونه وهو حق، فهذا لا نتركه من أجل أنهم يفعلونه؛ هذا حق، وما كان يفعلونه وهو باطل، فلا نقلدهم فيه، ولا نتشبه بهم فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وفيه التنبيه على مسائل القبر، أما: من ربك؟ فواضح. وأما: من نبيك؟ فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما: ما دينك؟ فمن قولهم: اجعل لنا إلهًا... إلخ)**، الميت «**إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ**»: أحدهما اسمه منكر، والآخر اسمه نكير، فتعاد روح الميت في بدنه، ويحيي حياة برزخية، ليست بحياة الدنيا، حياة برزخية في القبر، لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فيجلسانه في قبره، فيقولان له: من ربك؟ فالمؤمن يقول: ربي الله، والمنافق والمرتاب يقول: لا أدري.

السؤال الثاني: من نبيك؟ المؤمن يقول: نَبِيِّي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمنافق والمرتاب يقول: ها ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

ثم يقولان له: ما دينك؟ فيقول: ها ها لا أدري، والمؤمن يقول: ديني الإسلام.

فالذي يقول: ربي الله، ونَبِيِّي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وديني الإسلام، ينادي منادٍ أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، ويوسع له في قبره حتى يكون مد بصره، هذا المؤمن الذي أجاب بإجابات صحيحة على المسائل الثلاث.

وأما المرتاب، فيقول: ها ها لا أدري، فيقولان له: «لا دريت ولا تليت»؛ لا تعلمت، ولا اتبعت من هو على الحق، فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل من خلق الله إلا الثقلين -إلا الإنسان-، ولو سمعها الإنسان لصعق، لمات، ثم يضيق عليه في قبرة حتى تختلف أضلاعه -والعياذ بالله-، ويفتح له باب إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها[(١)].

(١) كما في الحديث الطويل الذي أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (٣٠/ ٤٩٩- ٥٠٣): عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ» قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، =

= فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ المُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ». قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ المُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠] فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا». =

هذا عذاب القبر أو نعيم القبر، وهو حق؛ فالميت إما في روضة من رياض الجنة، وإما في حفرة من حفر النار.

= ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١] «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».

....

ش: **وفيه: أن الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمة؛ خلافًا لمن ادعى خلاف ذلك.**

وفيه: الغضب عند التعليم، وأن ما ذم الله به اليهود والنصارى، فإنه قال لنا لنحذره. قاله المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: أن الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمة)**؛ لأن قوله: «لَتَتَّبِعُنَّ» فيه دليل على أن الشرك سيقع في هذه الأمة؛ ردًا على من يقول: لايتصور أن الشرك يقع في هذه الأمة، لا يتصور هذا، وهذا الذي يفعلونه ليس بشرك، يقولون: هذا ليس بشرك، هذا طلب للشفاعة، وطلب الوسيلة؛ كما يقولون: هذا ليس بشرك. بسمون الشرك بغير اسمه؛ ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦]، يكون فيهم علماء متبحرون في الفقه، ويقولون هذه المقالة؛ لأنهم لا يعرفون العقيدة الصحيحة ولم يتعلموها، ولم يعبؤوا بها، فهذا مصيرهم -والعياذ بالله- في القبر، وما بعد القبر أشد.

ولهذا المؤمن إذا رأى كرامات الله له، يقول: يا رب أقم الساعة؛ حتى أرجع إلى أهلي ومالي، والمنافق والمرتاب يقول: يا رب لا تقم الساعة؛ لأنه يعلم أن ما بعد قيام الساعة أشد مما قبل ذلك في القبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: أن الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمة؛ خلافًا لمن ادعى خلاف ذلك)**، من ادعى أن الشرك لا يقع في هذه الأمة، وربما يحتجون

بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»(١)، هذا فيه إخبار أن الشيطان يئس، لما رأى من كثرة الخير وكثرة العلم، يئس، أما أنه لا يقع ما يريده، فهذا يقع، الحديث لا يأتي بخلاف ما جاء في الأحاديث الأخرى.

ولماذا نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشرك وعن الغلو في الصالحين؟ لماذا نهى عن هذه الأمور؟ إذا كان لا يقع في هذه الأمة الشرك، فليست هناك حاجة إلى هذا النهي وهذا التشديد، والإنكار على الشرك والمشركين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفيه: الغضب عند التعليم)**، الغضب عند التعليم، الرسول غضب لما قالوا له: «**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ**»، غضب حتى عُرِفَ ذلك في وجهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ غيرة لدين الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأن ما ذم الله به اليهود والنصارى، فإنه لنا لنحذره)**، فإنه لنا لنحذره، نحذر ما وقع في اليهود والنصارى، ولا نأمن على أنفسنا من ذلك؛ الرسول حذر من هذا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: وأما ما ادعاه بعض المتأخرين من أنه يجوز التبرك بآثار الصالحين، فممنوع من وجوه:

منها: أن السابقين الأولين -من الصحابة ومن بعدهم- لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا في حياته، ولا بعد موته، ولو كان خيرًا، لسبقونا إليه، وأفضل الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وقد شهد لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن شهد له بالجنة، وما فعله أحد من الصحابة والتابعين مع أحد من هؤلاء السادة، ولا فعله التابعون مع ساداتهم في العلم والدين، وهم الأسوة، فلا يجوز أن يقاس على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحد من الأمة، وللنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حال الحياة خصائص كثيرة، لا يصلح أن يشاركه فيها غيره.

ومنها: أن في المنع عن ذلك سدًا لذريعة الشرك كما لا يخفى.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وأما ما ادعاه بعض المتأخرين من أنه يجوز التبرك بآثار الصالحين، فممنوع من وجوه)، بعضهم يجيز التبرك بآثار الصالحين، وهذا وسيلة إلى الشرك، أو هو الشرك؛ لأن طلب البركة من غير الله شرك.

فالتبرك بآثار الصالحين هذا؛ إما أنه وسيلة إلى الشرك، أو هو الشرك نفسه، لا يجوز التبرك بآثار الصالحين -في منازلهم، في مساكنهم، في آثارهم في الأرض-، لا يجوز التبرك بهم.

حتى آثار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير الآثار المنفصلة من جسمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو من شعره، مجرد المنازل التي نزل فيها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حجرات الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لايجوز التبرك بها؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك أو هو الشرك نفسه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(منها: أن السابقين الأولين -من الصحابة، ومن بعدهم- لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، لا في حياته، ولا بعد موته)**، لم يكونوا يتبركون بآثار الصالحين مع ما في السابقين من الصالحين من صحابة وتابعين وعباد من عباد الله، لا يتبركون بآثارهم، لم يفعلوا هذا، وهم أعرف بما يجوز وما لا يجوز، فمن تبرك بآثار الصالحين، فقد خالف السلف الصالح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولو كان خيرًا لسبقونا إليه)**، لو كان التبرك بآثار الصالحين خيرًا لسبقونا، ولتبركوا بآثار الصالحين.

وأما كان يفعله ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من تتبع آثار الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أسفاره، وأنه كان يصلي في المكان الذي صلى فيه، ويتوضأ في المكان الذي توضأ فيه، فهذا ليس من باب التبرك، لم يكن ابن عمر يتبرك، إنما قصده الاتباع، الاقتداء بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حرصه على الاقتداء بالرسول، فهذا اقتداء، وليس تبركًا مع أن من هو خيرٌ منه من الصحابة لم يفعلوا هذا، أبوه خيرٌ منه، ولم يفعل هذا، بل أبوه قطع الشجرة التي وقعت تحتها بيعة الرضوان؛ ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، لما رأى أناسًا يذهبون إليها، أمر بها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقطعت[(١)].

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٤٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا يجوز أن يقاس على رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أحد من الأمة)**، أما التبرك بما انفصل من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شعر أو ريق أو عرق، فهذا خاص بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يقاس عليه غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: أن في المنع عن ذلك سدًّا لذريعة الشرك كما لا يخفى)**، لأن التبرك بآثار الصالحين يجر إلى الشرك بالله بهذه الآثار والتبرك بها، وطلب الحوائج منها.

فِيهِ مَسائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النَّجْمِ.

الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ صُورَةِ الْأَمْرِ الَّذِي طَلَبُوا.

الثَّالِثَةُ: كَوْنُهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا.

الرَّابِعَةُ: كَوْنُهُمْ قَصَدُوا التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ بِذَلِكَ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ إِذَا جَهِلُوا هَذَا فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى بِالْجَهْلِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالْوَعْدِ بِالْمَغْفِرَةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ.

السَّابِعَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَعْذُرْهُمْ، بَلْ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: «اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ! لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، فَغَلَّظَ الْأَمْرَ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ.

الثَّامِنَةُ: الْأَمْرُ الْكَبِيرُ -وَهُوَ الْمَقْصُودُ-: أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ طِلْبَتَهُمْ كَطِلْبَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا قَالُوا لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ**)، فيه، يعني: الباب، من عادة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه في نهاية الباب يذكر مسائل مستنبطة مما جاء في الباب من النصوص، وهي فقه الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النَّجْمِ**)؛ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٠]، هذه أكبر أصنام العرب، ولم تدفع عن نفسها، ولم تنفع أحدًا، وذهبت كأنها لم تكن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ صُورَةِ الْأَمْرِ الَّذِي طَلَبُوا**)، وهو قولهم: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»؛ أنهم يريدون التبرك بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: كَوْنُهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا**)، لم يفعلوا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، طلبوا من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا فيه الرجوع إلى أهل العلم إذا الإنسان أراد شيئًا، فإنه يسأل أهل العلم، إذا أراد شيئًا، وهو لا يعرف حكمه، لا يكتفي برغبته في ذلك، وطلب نفسه له، حتى يسأل أهل العلم، والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قالوا للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: كَوْنُهُمْ قَصَدُوا التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ بِذَلِكَ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ**)، قصد المخالف للدليل لا ينظر إليه، ولو صلحت النية، ما دام مخالفًا للدليل، فلا ينظر إلى صلاح النية وصلاح القصد وإلى غير ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ إِذَا جَهِلُوا هَذَا فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى بِالْجَهْلِ**)، المسألة الخامسة: أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أو بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إذا جهلوا هذا الأمر، وهو تحريم التشبه بالمشركين -خصوصًا في أمور العقيدة-، فغيرهم من باب أولى بجهلهم، ففيه التحذير من الجهل، ووجوب طلب العلم والتعلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْذُرْهُمْ، بَلْ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: «اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ! لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، فَغَلَّظَ الْأَمْرَ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ**)، أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر عليهم هذا الطلب، وغلظ عليهم في ذلك، وغضب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبين السبب أنه التشبه، وأن التشبه يجر إلى مثل هذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّامِنَةُ: الْأَمْرُ الْكَبِيرُ -وَهُوَ المَقْصُودُ-: أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ طِلْبَتَهُمْ كَطِلْبَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا قَالُوا لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا ﴾)، يقولون: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»، لم يقولوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا ﴾، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن هذا يشبه قول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا ﴾، وإن اختلف اللفظ، فالنظر إلى المعنى وإلى المقصود.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ هَذَا مِنْ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَى أُولَئِكَ.

العَاشِرَةُ: أَنَّهُ حَلَفَ عَلَى الْفُتْيَا، وَهُوَ لَا يَحْلِفُ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الشِّرْكَ فِيهِ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدُّوا بِهَذَا.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُمْ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ» فِيهِ: أَنَّ غَيْرَهُمْ لَا يَجْهَلُ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: التَّكْبِيرُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ؛ خِلَافًا لِمَنْ كَرِهَهُ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: سَدُّ الذَّرَائِعِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ هَذَا مِنْ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَى أُولَئِكَ**)، نفي هذا الطلب: «**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ**»، هو من معنى لا إله إلا الله؛ لأن هذا يشبه قول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، و«لا إله إلا الله»، الألوهية الحقة هي لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**العَاشِرَةُ: أَنَّهُ حَلَفَ عَلَى الْفُتْيَا، وَهُوَ لَا يَحْلِفُ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ**)، من باب التأكيد أنه صادق مصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع هذا حلف؛ «**قُلْتُم وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ**»: هذا حلف، «**كَمَا قَالَتْ بَنو إِسْرَائِيْلَ لِمُوْسَى**»، هذا من باب التلغيظ في النهي عن ذلك، وتأكيد النهي عنه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الشِّرْكَ فِيهِ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدُّوا بِهَذَا**)؛ أن الشرك فيه: أكبر وأصغر؛ أنهم لما قالوا هذا، لم يحكم عليهم بالكفر

والردة، ولكنه أخبر أنه مثل قول بني إسرائيل: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾، فهذا من باب الشرك الأصغر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُمْ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ» فِيهِ: أَنَّ غَيْرَهُمْ لَا يَجْهَلُ ذَلِكَ)**، «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ»: فيه أن غيرهم من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من المهاجرين والأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لا يجهلون حكم ذلك، ولذلك لم يطلبوا من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الطلب، وإنما طلبه من عنده جهل بالعقيدة وقلة علم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: التَّكْبِيرُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ؛ خِلَافًا لِمَنْ كَرِهَهُ)**، التكبير عند التعجب، التكبير عند الاستنكار؛ كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أعجبه شيء، كبر وإذا استنكر شيئًا كبر؛ إجلالًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتعظيمًا له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: سَدُّ الذَّرَائِعِ)**، سد الذرائع التي تفضي إلى الشرك، الرسول لم يجعل لهم ذات أنواط؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنِ التَّشْبُّهِ بِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الْغَضَبُ عِنْدَ التَّعْلِيمِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الْقَاعِدَةُ الْكُلِّيَّةُ لِقَوْلِهِ: «إِنَّهَا السُّنَنُ».

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذَا عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ؛ لِكَوْنِهِ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَا ذَمَّ اللهُ بِهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ لَنَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنِ التَّشْبُّهِ بِأَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ**)؛ بأهل الجاهلية وبالكفار، التشبه منهي عنه؛ «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»[1]، «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا**»[2].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الْغَضَبُ عِنْدَ التَّعْلِيمِ**)، الغضب عند التعليم، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غضب، واستنكر هذا؛ لأن هذا يؤثر في طالب العلم، إذا غضب عليه مدرسه لصدور أمر لا يناسب من الطالب، وغضب عليه مدرسه، فهذا فيه زجر له، وتأثير عليه لترك هذا الشيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الْقَاعِدَةُ الْكُلِّيَّةُ لِقَوْلِهِ: «إِنَّهَا السُّنَنُ»**)، التشبه، «**إِنَّهَا السُّنَنُ**»، يعني: الطرق والتشبه، هذه هي القاعدة الكلية، وهو أن سبب هذه الأمور هو التشبه، فالتشبه بالكفار يجمع محاذير كثيرة: منها محبتهم، ومنها اعتقاد أنهم أكمل من المسلم، ومنها...، ومنها...

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٨).

(٢) سبق تخريجه (ص٩٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذَا عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ؛ لِكَوْنِهِ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ**)، فيه -كما سبق- معجزة، علم، يعني: معجزة من معجزات الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه أخبر عن شيء، ووقع كما أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«**لَتَتَّبِعُنَّ**»، هذا في المستقبل، ووقع كما أخبر، وُجِد من يتشبه بالكفار والمشركين، وهو كثير، التشبه كثير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَا ذَمَّ اللهُ بِهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ لَنَا**)، الله جَلَّ وَعَلَا ذم اليهود والنصارى على أفعال وأمور منكرة يفعلونها ويعتقدونها؛ لأجل تحذيرنا من ذلك، نحن نقرأ في القرآن ذم اليهود والنصارى، وذكر أفعالهم ليس لأجل التاريخ فقط، بل لأجل التحذير من التشبه بهم والاقتداء بهم.

العِشْرُوْنَ: أَنَّهُ مُتَقَرَّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّ العِبَادَاتِ مَبْنَاهَا عَلَى الأَمْرِ، فَصَارَ فِيْهِ التَّنْبِيْهُ عَلَى مَسَائِلِ القَبْرِ؛ أَمَّا (مَنْ رَبُّكَ؟) فَوَاضِحٌ، وَأَمَّا (مَنْ نَبِيِّكَ؟)؛ فَمِنْ إِخْبَارِهِ بِأَنْبَاءِ الغَيْبِ، وَأَمَّا (مَا دِينُكَ؟) فَمِنْ قَوْلِهِمْ: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا) إِلَى آخِرِهِ.

الحَادِيَةُ وَالعِشْرُوْنَ: أَنَّ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَذْمُومَةٌ كَسُنَّةِ الْمُشْرِكِينَ.

الثانية وَالعِشْرُوْنَ: أَنَّ الْمُنْتَقِلَ مِنَ الْبَاطِلِ الَّذِي اعْتَادَهُ قَلْبُهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ الْعَادَةِ؛ لِقَوْلِهِمْ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العِشْرُوْنَ: أَنَّهُ مُتَقَرَّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّ العِبَادَاتِ مَبْنَاهَا عَلَى الأَمْرِ)، ولذلك لم يقدموا على اتخاذ ذات أنواط، بل رجعوا إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه يشرع.

ففيه: الرجوع إلى أهل العلم، وسنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا أعجبك شيء، فلا تقدم عليه حتى تعرضه على كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَصَارَ فِيْهِ التَّنْبِيْهُ عَلَى مَسَائِلِ القَبْرِ)، مسائل القبر الثلاث: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ كما سبق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَمَّا (مَا دِينُكَ؟) فَمِنْ قَوْلِهِمْ: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا) إِلَى آخِرِهِ)، أنهم في الدين رجعوا إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اجْعَلْ لَنَا)، دل على أن الدين لا يجوز تشريع شيء إلا بدلالة الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحَادِيَةُ وَالعِشْرُوْنَ: أَنَّ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَذْمُومَةٌ كَسُنَّةِ الْمُشْرِكِينَ)، لا فرق بين أهل الكتاب والمشركين، هذا في أهل الكتاب المنحرفين، أما أهل الكتاب المستقيمون المؤمنون، فهم إخواننا؛ ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران:١٩٩]، ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران:١١٣، ١١٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثانية وَالعِشْرُوْنَ: أَنَّ الْمُنْتَقِلَ مِنَ الْبَاطِلِ الَّذِي اعْتَادَهُ قَلْبُهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ الْعَادَةِ؛ لِقَوْلِهِمْ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ»)؛ أن المنتقل من دين الكفر إذا لم يتمكن من العلم، قد يبقى في قلبه شيء مما انتقل منه، لا يذهب سريعًا، بل تبقى رواسب من آثار الباطل، حتى يرسخ الإيمان في قلبه، حتى يتعلم.

٩- بَابُ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ)، أي: من الوعيد، وأنه شرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ)، أي: ما جاء من الأدلة على تحريم الذبح لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن الذبح على وجه التقرب والعبادة لا يكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣]. ﴿وَنُسُكِي﴾: المراد به الذبح.

وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، فقرن الذبح مع الصلاة؛ كما في الآية السابقة قرنه مع الصلاة؛ فقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢] مثل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، فالنسك والذبح بمعنى واحد.

فلا يجوز الذبح لغير الله -لا للقبور والأضرحة، ولا للأولياء والصالحين- على وجه التقرب؛ لأنه عبادة، والعبادة لا يجوز صرفها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وسيأتي في الباب الآيات والأحاديث في هذا الموضوع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «بَابُ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ»، أي: من الوعيد، وأنه شرك)، ما جاء من الوعيد لمن ذبح لغير الله، وسيأتي في حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»[1]، هذا وعيد، متوعد باللعنة، وهي الطرد والإبعاد من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٥٥)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٥٢).

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

ش: قال ابن كثير: يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذي يعبدون غير الله، ويذبحون لغير اسمه بأنه أخلص لله صلاته وذبيحته؛ لأن المشركين يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى[(١)].

قال مجاهد: النسك: الذبح في الحج، والعمرة.

وقال الثوري، عن السدي، عن سعيد بن جبير: ونسكي: ذبحي. وكذا قال الضحاك[(٢)].

وقال غيره: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾، أي: وما آتيه في حياتي، ومت عليه من الإيمان والعمل الصالح.

﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خالصًا لوجهه ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ﴾ الإخلاص ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: من هذه الأمة؛ لأن إسلام كل نبي متقدم إسلام أمته.

قال قتادة: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، أي: من هذه الأمة[(٣)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢،١٦٣])،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨١- ٣٨٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٧- ٤٨)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٨).

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: فكما لا تجوز الصلاة لغير الله لا يجوز الذبح لغير الله؛ لأن الله قرن النسك مع الصلاة، ﴿لِلَّهِ﴾، أي: لا لغيره.

فالذبح لله عبادة على وجه التقرب، والذبح لغير الله على وجه التقرب إليه شرك؛ لأنه صرف للعبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن كثير: يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذي يعبدون غير الله، ويذبحون لغير اسمه بأنه أخلص لله صلاته، وذبيحته)**، وقد حرم الله جَلَّ وَعَلَا ما أُهل به لغير الله؛ ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٣]، من الذبائح؛ بأن يذكر عليها غير اسم الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لأن المشركين يعبدون الأصنام، ويذبحون لها)**، فالمشركون يعبدون الأصنام ويذبحون لها، وبذلك سموا مشركين بالله عَزَّوَجَلَّ.

الله أمر نبيه أن يخالفهم، ويعلمهم ذلك، ويقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأمره الله تعالى بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى)**، فمن ذبح لغير الله على وجه التقرب إليه، فهو مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال مجاهد: النسك: الذبح في الحج، والعمرة)**، النسك: هو الذبح -ذبح الهدي- في الحج والعمرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال غيره: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: وما آتيه في حياتي، ومت عليه من الإيمان، والعمل الصالح)**، أنه يحيا على التوحيد وعبادة الله، ويموت على ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾)**، المسلمين، أي: المنقادين لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالإسلام: هو الاستسلام لله جَلَّ وَعَلَا بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله[1]، هذا هو الإسلام.

وإلا فالمسلمون من عهد آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، هناك مسلمون، وهم الرسل وأتباعهم، كلهم مسلمون، فالإسلام بالمعنى العام يشمل كل أديان الأنبياء، كلها إسلام، كلهم مسلمون.

نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٧٢]، وهكذا من جاء بعده من الأنبياء كلهم على دين الإسلام، ثم بعد ذلك ختم الله الأنبياء بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعثه بدين الإسلام، وهو الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ بجميع أنواع العبادات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، أي: من هذه الأمة؛ لأن إسلام كل نبي متقدم إسلام أمته)**، إسلام كل نبي متقدم لإسلام أمته؛ لأنهم يتبعونه على إسلامه، فهو يبدأ بنفسه، يلتزم بالإسلام ويأمر به.

---

(١) انظر: ثلاثة الأصول وأدلتها -وشروط الصلاة- والقواعد الأربع (ص١٤).

....

ش: قال ابن كثير: وهو كما قال؛ فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وذكر آيات في هذا المعنى[1].

ووجه مطابقة الآية للترجمة: أن الله تعالى تعبد عباده بأن يتقربوا إليه بالنسك؛ كما تعبدهم بالصلاة وغيرها من أنواع العبادات، فإن الله تعالى أمرهم أن يخلصوا جميع أنواع العبادة له دون كل ما سواه.

فإذا تقربوا إلى غير الله بالذبح، أو غيره من أنواع العبادة، فقد جعلوا لله شريكًا في عبادته، وهو ظاهر في قوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾: نفى أن يكون لله تعالى شريك في هذه العبادات، وهو بحمد الله واضح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن كثير: وهو كما قال، فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له)، الإسلام بالمعنى العام: هو عبادة الله وحده لا شريك له، ثم صار يطلق الإسلام على دين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ خاصة.

فدين الإسلام بعد بعثة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ هو ما عليه محمد، وما عداه من اليهودية والنصرانية وغيرها كله قد نُسِخَ، أو أنه باطل من أصله.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما قال تعالى:** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥])، أخبر الله جَلَّ وَعَلَا أن جميع الرسل يأمرون بهذا: أن يقولوا: لا إله إلا الله، ويأمروا أممهم بذلك، ويقيدونهم بهذا.

وكلهم مسلمون في المعنى العام والإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ، ثم صار الإسلام يطلق على ما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما عداه فليس بإسلام؛ لأن دين محمد نسخ جميع الأديان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ووجه مطابقة الآية للترجمة: أن الله تعالى تعبد عباده بأن يتقربوا إليه بالنسك)**، الشاهد من الآية للترجمة هو: ﴿وَنُسُكِي﴾، والنسك عرفنا أنه هو الذبح، هذا وجه الشاهد من الآية للباب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما تعبدهم بالصلاة وغيرها من أنواع العبادات)**، لأنه قرن النسك مع الصلاة، فدل على أن النسك عبادة مثل الصلاة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإن الله تعالى أمرهم أن يخلصوا جميع أنواع العبادة له دون كل ما سواه)**، دون ما سواه؛ لقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإذا تقربوا إلى غير الله بالذبح، أو غيره من أنواع العبادة، فقد جعلوا لله شريكًا في عبادته)**، كل من ذبح لغير الله على وجه التعظيم فإنه مشرك الشرك الأكبر بأي نوع، سواء ذبح للجن؛ إذا نزل في البيت يذبح للجن؛ ليسلم من شره، هذا شرك أكبر؛ لأنه ذبح لغير الله.

وكذلك إذا أنشأ مصنع أو غيره، فأول ما يعمل يذبح في هذا المكان، وهذا شرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

وكذلك إذا جاء المعظم -كالسلاطين والملوك-، فإذا نزلوا من مركوبهم ذبحوا لهم، لا لأجل الضيافة والأكل، وإنما هذا من باب التعظيم لهم، يذبحون لهم، هذا شرك أكبر -والعياذ بالله- من باب التحية، يذبحون لهم من باب التحية والتعظيم.

وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢].

ش: قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢]، **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين، وهما: الصلاة والنسك، الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته**[1].

عكس حال أهل الكبر والنفرة، وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم، والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر؛ ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ [الأنعام:١٦٣]، **الآية.**

والنسك: الذبيحة لله تعالى ابتغاء وجهه، فإنهما أجل ما يُتقرب به إلى الله، فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب؛ لأن فعل ذلك سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله -تعالى- من الكوثر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢])، كذلك في قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢]، مثل آية: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ [الأنعام:١٦٣]، فقرن النحر مع الصلاة، فدل على أن النحر لغير الله أنه كالصلاة لغير الله شرك أكبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ [الأنعام:١٦٣]، الآية)، فالذي يبخل بالنسك ويشح بالمال هذا آثر حب المال على العبادة -والعياذ بالله.

---

(١) العدّة هي: الموعد والوعد، وعدٌ، وموعدٌ، وعدّة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والنسك: الذبيحة لله تعالى ابتغاء وجهه)، النسك:** هو الهدي في الحج والعمرة، هو الهدي نسكًا أو تطوعًا، وكذلك الأضاحي في العيد، هذا كله نسك يخلص لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإنهما أجل ما يُتقرب به إلى الله، فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب؛ لأن فعل ذلك سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله تعالى من الكوثر)،** ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر:١]، والكوثر: هو نهر في الجنة أعطيه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، **فأمره الله أن يقابل ذلك بالعبادة لله.**

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾: **الفاء هذه مرتبة على ما قبلها، سببية، بسبب ذلك:** ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾، **شكرًا لله** عَزَّوَجَلَّ.

وقيل: الكوثر: هو الخير الكثير، ويدخل فيه النهر الذي في الجنة، يدخل فيه؛ لأنه خير[(١)].

---

(١) انظر في معنى الكوثر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٨٢- ٦٨٩)، وزاد المسير (٤/ ٤٩٧- ٤٩٨)، والقرطبي (٢٠/ ٢١٦- ٢١٨)، وابن كثير (٨/ ٤٩٨- ٥٠٢).

....

ش: وأجل العبادات البدنية: الصلاة، وأجل العبادات المالية: النحر.

وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها؛ كما عرفه أرباب القلوب الحية، وما يجتمع له في النحر -إذا قارنه الإيمان والإخلاص- من قوة اليقين وحسن الظن أمر عجيب، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير الصلاة، كثير النحر. اهـ[١].

قلت: وقد تضمنت الصلاة من أنواع العبادة كثيرًا، فمن ذلك الدعاء والتكبير، والتسبيح، والقراءة، والتسميع، والثناء، والقيام، والركوع، والسجود، والاعتدال، وإقامة الوجه لله -تعالى-، والإقبال عليه بالقلب، وغير ذلك مما هو مشروع في الصلاة.

وكل هذه الأمور من أنواع العبادة التي لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله، وكذلك النسك يتضمن أمورًا من العبادة؛ كما تقدم في كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأجل العبادات البدنية: الصلاة، وأجل العبادات المالية: النحر)، جمع بين العبادتين: بدنية ومالية، البدنية: الصلاة، والمالية: النحر والذبح؛ لأنه يذبح ملكه، الدابة التي يملكها يذبحها؛ تقربًا لله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣١- ٥٣٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها، كما عرفه أرباب القلوب الحية)**، الصلاة يجتمع فيها ما لا يجتمع في غيرها من أنواع العبادات، ولذلك قدمها الله عَزَّوَجَلَّ، وقدمها الله عَزَّوَجَلَّ وذكرها هنا؛ لأنها تجتمع فيها أنواع العبادات.

والصلاة هي: أقوال وأفعال مبتدئة بالتكبير، ومختتمة بالتسليم(١)، وكلها عبادة لله عَزَّوَجَلَّ: قراءة وركوع وسجود وذكر لله عَزَّوَجَلَّ، تسبيح، تكبير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما يجتمع له في النحر -إذا قارنه الإيمان والإخلاص- من قوة اليقين وحسن الظن أمر عجيب)**؛ لأنه آثر طاعة الله، فذبح له، ونحر له، مع حب النفس للمال، فطابت بذلك لله عَزَّوَجَلَّ، هذا دليل على صدق إيمانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكان النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كثير الصلاة، كثير النحر)**، كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير الصلاة فريضة ونافلة؛ كما ذكر الله ذلك عنه في سورة المزمل، وكما ذكر عنه في آيات من القرآن كثيرة، فهو كثير الصلاة، وكما جاء في الأحاديث، وجاء في سيرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يطيل الصلاة؛ لأنه يتلذذ بها، وإذا حزبه أمرٌ واهتم به، أو أصابته شدة يفزع للصلاة(٢)، ويقول: «**يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**»(٣)، فإذا دخل في الصلاة استراح؛ «**أَرِحْنَا بِهَا**».

---

(١) انظر: عمدة الأحكام (ص٥٣)، والمبدع في شرح المقنع (١/ ٢٦٣).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (١٣١٩)، وأحمد (٣٨/ ٣٥٨)، وأصله في مسلم (١٧٨٨): عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٨٦)، وأحمد (٣٨/ ١٧٨، ٢٢٥).

وقد نحر في حجة الوداع مائة بدنة(١)، وكان قبل حجة الوداع يرسل الهدي ليذبح في مكة.

(١) كما في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل في صفة حج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أخرجه مسلم (١٢١٨)، وفيه: «ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا، فَنَحَرَ مَا غَبَرَ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ».
قال ابن حجر العسقلاني -بعد سوقه هذا الجزء من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: (فَعُرِفَ بِذَلِكَ أَنَّ الْبُدْنَ كَانَتْ مِائَةَ بَدَنَةٍ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحَرَ مِنْهَا ثَلَاثًا وَسِتِّينَ وَنَحَرَ عَلِيٌّ الْبَاقِي) فتح الباري (٣/ ٥٥٥).

وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ**[(١)].

ش: قوله: (عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ»**). رواه مسلم من طرق، وفيه قصة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ»**)، هذا حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمير المؤمنين يقول: «حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: **«لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»**.

واللعن: هو الطرد والإبعاد من رحمة الله[(٢)]، وهذا وعيد شديد على من يذبحون لغير الله من الأضرحة وغير ذلك من معبودات المشركين يتقربون إليها، **«لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»**.

«لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا»: آواه: منع إقامة الحد عليه، يعني: إذا وجب حد على أحد من قصاص أو رجم أو غير ذلك، يمنعه من تنفيذ الحد عليه، من فعل هذا فهو ملعون.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٢) سبق عزوه (ص١٦١).

«**مَنْ آوَى مُحْدِثًا**»: محدثًا حدثًا يوجب عليه حد من حدود الله، حتى الشفاعة في إسقاط الحد لا تجوز.

لما أراد النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قطع يد امرأة مخزومية، جاء أهلها إلى أسامة بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، طلبوا منه أن يشفع عند رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في ترك قطع يد هذه المرأة، فذهب أسامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى رسول الله وكلمه، فغضب رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على أسامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقال: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟ وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»(١).

صرامة ليس بعدها صرامة، وليس فيها تأخر أو تأني عن تنفيذ حدود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولو كانت على أشرف الناس.

وبنو إسرائيل كان إذا سرق فيهم الضعيف، أقاموا عليه الحد، وإذا سرق فيهم الشريف، تركوه، فلعنهم الله عند ذلك، نسأل الله العافية! «**إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ**». فلا يحابى في الحدود: لا الكبير ولا الصغير، ولا الشريف ولا الوضيع، ولا الغني ولا الفقير، تقام الحدود؛ «**لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا**».

«**مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللهَ فِي أَمْرِهِ**»(٢)، لا يجوز الشفاعة فيمن وجبت عليهم الحدود إذا بلغت السلطان.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥، ٣٧٣٣، ٦٧٨٧، ٦٧٨٨، ٦٨٠٠)، ومسلم (١٦٨٨)، من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٢) أخرجه أحمد (٩/ ٢٨٣، ٣٨٠)، وأبو داود (٣٥٩٧)، من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

«تَعَافُوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ»(١)، **«فَإِذَا بَلَغَتِ الْحُدُودُ السُّلْطَانَ، فَلَعَنَ اللهُ الشَّافِعَ وَالْمُشَفِّعَ»**(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ)**، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ**. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: **يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ**»(٣)، فيكون متسببًا في لعن والديه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ)**، قيل: المراد بمنار الأرض: المراسيم التي تكون بين أملاك الناس، إذا قُسِمت ووضعت المراسيم، فلا يجوز تقديمها ولا تأخيرها، من فعل ذلك فهو ملعون.

وقيل: المراد بمنار الأرض: حدود الحرم المكي، فلا تغير، تقدم أو تؤخر.

وقيل: المراد بمنار الأرض: العلامات التي على الطرق؛ يهتدي بها المسافرون(٤)، والحديث يشمل هذا كله.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٧٦)، والنسائي في المجتبى (٤٨٨٥)، والدار قطني في سننه -واللفظ له- (٤/ ١١٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٢٤)، عن ابن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «تَعَافَوْا الحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ بنحوه (٢/ ٨٣٥) من حديث الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وذكره بلفظه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٩٩)، وفي الفتاوى الكبرى (٣/ ٥٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (١٤٦) (٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) انظر: العين (٨/ ٢٧٦)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٦٦)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٦٨)، والفائق في غريب الحديث (٤/ ٢٩).

....

ش: ورواه الإمام أحمد كذلك عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: «قُلْنَا لِعَلِيٍّ: أَخْبِرْنَا بِشَيْءٍ أَسَرَّهُ إِلَيْكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: مَا أَسَرَّ إِلَيَّ شَيْئًا كَتَمَهُ النَّاسَ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الْأَرْضِ»(١) يَعْنِي: المَنَارَ.

وعلي بن أبي طالب: هو الإمام أمير المؤمنين، أبو الحسن الهاشمي، ابن عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزوج ابنته فاطمة الزهراء، وكان من أسبق السابقين الأولين، ومن أهل بدر، وبيعة الرضوان، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، ومناقبه مشهورة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قتله ابن ملجم الخارجي في رمضان سنة أربعين.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (قُلْنَا لِعَلِيٍّ: أَخْبِرْنَا بِشَيْءٍ أَسَرَّهُ إِلَيْكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: مَا أَسَرَّ إِلَيَّ شَيْئًا كَتَمَهُ النَّاسَ)، لم يخص أهل بيته بعلم دون الناس، لم يخصهم بشيء دون الناس، بلغ الرسالة لجميع الناس.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (تُخُومَ الْأَرْضِ)، يعني: المنار.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ومناقبه مشهورة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، مناقبه، فضائله كثيرة، منها ما ذكره هنا، ومنها ما لم يذكره.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٢، ٢٦٤- ٢٦٥، ٢٦٧، ٤٢٨، ٤٣٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قتله ابن ملجم الخارجي في رمضان سنة أربعين)، الخوارج[١] يقتلون المسلمين والمؤمنين، ولا يقتلون الكفار؛ كما وصفهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ**»[٢]، هذا وصفهم -قبحهم الله-، ومنهم ابن ملجم من الخوارج، تأمروا ثلاثة: واحد يقتل علي بن أبي طالب، وواحد يقتل معاوية بن أبي سفيان، وواحد يقتل عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. فأما علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فنفذ فيه قضاء الله وقدره، وقتله الخبيث ابن ملجم، وأما معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقد أصابه بشيء يسير، ونجا منه، لم يضره، وأما عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فصادف أنه لم يصل بالناس في هذا اليوم، وإنما خلف واحدًا، فقُتِلَ الخليفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ونجا عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٣].

---

(١) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ**». أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: مقاتل الطالبيين (ص٤٣-٤٤).

....

ش: قوله: «لَعَنَ اللهُ» اللعنة: البعد عن مظان الرحمة ومواطنها.

وقيل: واللعين والملعون من حقت عليه اللعنة، أو دُعِي عليه بها.

قال أبو السعادات: أصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق: السب والدعاء(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما معناه: إن الله تعالى يلعن من استحق اللعنة بالقول؛ كما أنه يصلي سبحانه على من استحق الصلاة من عباده، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٣، ٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٤]، وقال تعالى: ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب:٦١]. والقرآن كلامه -تعالى-، أوحاه إلى جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبلغه رسوله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجبرائيل سمعه منه -كما سيأتي في الصلاة إن شاء الله تعالى-، فالصلاة ثناء الله تعالى -كما تقدم-، فالله تعالى هو المصلي، وهو المثيب؛ كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وعليه سلف الأمة.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال أبو السعادات)، أبو السعادات: ابن الأثير في غريب الحديث.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الأثر (٤/ ٢٥٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٥٧، ١٢/ ٥٨٨، ١٦/ ٣٧٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أصل اللعن: الطرد، والإبعاد من الله)**، لعنه الله، يعني: طرده الله من رحمته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ما معناه: إن الله -تعالى- يلعن من استحق اللعنة بالقول، كما أنه يصلي سبحانه على من استحق الصلاة من عباده)**، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ [الأحزاب:٤٣]، ﴿يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾: يثني عليكم في الملأ الأعلى.

كذلك يلعن من استحق اللعنة من عباده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الأحزاب:٦٤]**)**، ﴿لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: لعنهم بالقول، ولعنهم -أيضًا- بالطرد والإبعاد من رحمته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال تعالى:** ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب:٦١]**)**، أي: المنافقين ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب:٦١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والقرآن كلامه -تعالى-، أوحاه إلى جبريل** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **وبلغه رسوله محمدًا** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وجبرائيل سمعه منه)**، القرآن نزل به جبريل إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبلغه محمد لأمته، وبلغته أجيال الأمة لمن يأتي بعدها.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢١]، يعني: جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ: **لم يزل الله متكلمًا إذا شاء)، فالله** يتكلم متى شاء بما شاء، وكلامه ليس مثل كلام المخلوق، يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يتكلم حقيقة، يسمعه من يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تسمعه السماوات، إذا تكلم الله بالوحي، أخذت السماوات منه رجفة؛ كما في حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]، وتسمعه الملائكة، وترتجف من خشية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهم يتكلم بكلام يُسمع، وكلامه الذي يأمر به وينهى؛ لأنه كلامه على نوعين: كلام قدري وكلام شرعي.

النوع الأول: كلامه الشرعي: هو القرآن، التوراة، والإنجيل.

النوع الثاني: كلامه القدري: أمره للكائنات؛ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فهو يتكلم، ولا يحصى كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٧)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٣٦)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٤٨)، والآجُرِّيُّ في الشريعة (٣٠٧)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير في تفسيره وساقه بإسناده (٣/ ٥٣٨)، وأبو نُعيم في الحلية (٥/ ١٥٢)، والطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٦٦)، والبَغَوي في تفسيره (٣/ ٦٨٠) عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ -أَوْ قَالَ: رِعْدَةٌ- شَدِيدَةٌ؛ خَوْفًا مِنَ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ، **فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ** ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]. قَالَ: **فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ. فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ».

سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٧]، لا تحصى كلمات الله التي يأمر بها الكونية والشرعية، لا تحصى.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾، والمداد: هو الحبر الذي يكتب به الكلام؛ ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف:١٠٩].

ش: قوله: «مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٣]: ظاهره: أنه ما ذُبِح لغير الله، مثل أن يقول: هذا ذبيحة لكذا. وإذا كان هذا هو المقصود، فسواء لفظ به، أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه: باسم المسيح، أو نحوه.

كما أن ماذبحناه متقربين به إلى الله، كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: بسم الله. فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح، أو الزهرة، فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح، أو الزهرة، أو قصد به ذلك أولى، فإن العبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله. وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه، لحرم، وإن قال فيه: بسم الله؛ كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين قد يتقربون إلى الكواكب بالذبح، والبخور، ونحو ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٣])، الإهلال: رفع الصوت؛ لأن من يريد أن يذبح يرفع صوته بالإهلال لمن هذه الذبيحة؛ لفلان أو لفلان، أو يقول: «بسم الله» عليها عندما يذبحها، يرفع صوته بـ«بسم الله»، هذا الإهلال(١).

(١) انظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام (١/ ٢٨٥)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٤٠)، والصحاح (٥/ ١٨٥٢)، والمحكم لابن سيده (٤/ ١٠٠).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أو لم يلفظ)**، يعني: ولو نوى الذبيحة بقلبه، نواها لأحد، صارت له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه: باسم المسيح، أو نحوه)**، إذا ذبح باسم المسيح، هذا شرك، ولكن إذا ذبحه على وجه التقرب للمسيح أو لغيره، فهذا شرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه لحرم، وإن قال فيه: بسم الله)**، المدار على النية، إذا نواه للقبر أو للضريح، فإنه حرام، ولو قال عليه: «بسم الله»، العبرة بالنية.

....

ش: وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان[١].

الأول: أنه مما أُهل به لغير الله.

والثاني: أنها ذبيحة مرتد.

قلت: هذا لا اختلاف فيه بين العلماء، أما إذا ذُبِحَ للحم، وذُكِرَ على الذبيحة اسم المسيح أو الزهرة ونحو ذلك، فهذا الذي فيه خلاف العلماء، وكلام شيخ الإسلام هذا يدل على أنه يقول بتحريمه، ووافقه على ذلك بعض العلماء.

وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الانعام:١٢١]، ثُمَّ اسْتَثْنَى قوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾، يعني: ذَبِيحَةَ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ، وَإِنْ كَانَ النَّصْرَانِيُّ يَقُولُ عِنْدَ الذَّبْحِ: بِاسْمِ الْمَسِيحِ، وَالْيَهُودِيُّ يَقُولُ: بِاسْمِ عُزَيْرٍ.

وذكر قول عطاء: كُلْ مِنْ ذَبِيحَةِ النَّصْرَانِيِّ وَإِنْ قَالَ بِاسْمِ الْمَسِيحِ، لِأَنَّ اللهَ تعالى قَدْ أَبَاحَ ذَبَائِحَهُمْ، وَقَدْ عَلِمَ مَا يَقُولُونَ.

وذكر مثله عن القاسم بن مخيمرة، وهو قول الزهري وربيعة والشعبي ومكحول. وَرُوِيَ عن صحابيين: عن أبي الدرداء وعبادة بن الصَّامِتِ وأبو الدرداء من الصحابة» انتهى ملخصًا[٢].

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٤- ٦٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٦/ ٧٦).

ومن هذا الباب: ما يفعله الجاهلون بمكة من الذبح للجن؛ ولهذا رُوِيَ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه نهى عن ذبائح الجن. انتهى[١].

قال الزمخشري: كانوا إذا اشتروا دارًا، أو بنوها، أو استخرجوا عينًا، ذبحوا ذبيحة؛ خوفًا أن تصيبهم الجن، فأضيفت إليهم الذبائح لذلك[٢].

وذكر إبراهيم المروزي: أن ما ذُبِحَ عند استقبال السلطان تقربًا إليه، أفتى أهل بخارى بتحريمه؛ لأنه مما أُهل به لغير الله[٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثُمَّ اسْتَثْنَى قوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾، يعني: ذَبِيحَةَ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ، وَإِنْ كَانَ النَّصْرَانِيُّ يَقُولُ عِنْدَ الذَّبْحِ: بِاسْمِ المَسِيحِ، وَالْيَهُودِيُّ يَقُولُ: بِاسْمِ عُزَيْرٍ)، لكن الله أباح لنا ذبائحهم، وإن كانوا يقولون هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن هذا الباب: ما يفعله الجاهلون بمكة من الذبح للجن؛ ولهذا رُوِيَ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه نهى عن ذبائح الجن)، يذبحون للجن؛ يخافون من شرهم، وإذا نزلوا منزلًا جديدًا يذبحون ويلطخون الجدران بالدماء؛ يخافون من الجن، يتقربون إليهم بهذه الذبائح، فهذا شرك، وهذه الذبائح محرمة.

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٥).
(٢) انظر: الفائق في غريب الحديث (٢/ ٤).
(٣) انظر: روضة الطالبين (٣/ ٢٠٥)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٣/ ١٤١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذكر إبراهيم المروزي: أن ما ذُبِحَ عند استقبال السلطان)**، ما ذُبِح على وجه التحية للسلطان إذا نزل من مركوبه، فإنه من هذا الباب حرام وشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

ش: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ»، يعني: أباه وأمه، وإن عليا.

وفي الصحيح أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»[١].

قوله: «لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا»، «آوَى» -بفتح الهمزة ممدودة- أي: ضمه إليه، وحماه أن يؤخذ منه الحق الذى وجب عليه.

قال أبو السعادات: أويت إلى المنزل، وأويت غيرى وآويته. وأنكر بعضهم المقصور المتعدي. وقال الأزهري: هي لغة فصيحة[٢].

وأما «مُحْدِثًا»، فقال أبو السعادات: يروى بكسر الدال، وفتحها على الفاعل والمفعول، فمعنى الكسر: من نصر جانيًا، وآواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يقتص منه.

والفتح: هو الأمر المبتدع نفسه، ويكون معنى الإيواء فيه: الرضا به، والصبر عليه، فإنه إذا رضي بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه، فقد آواه[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).
(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٨٢).
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٥١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث بنفسه، فكلما كان الحدث في نفسه أكبر، كانت الكبيرة أعظم**[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن عليا)**، يعني: ولو لعن جده أو جد جده، كله أبوه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما «مُحْدِثًا»، فقال أبو السعادات: يروى بكسر الدال، وفتحها)**، مُحْدثًا، يروى: مُحْدِثًا، مُحْدَثًا.

فأما مُحْدِثًا: فهو الذي أحدث في الدين ما ليس منه، أو عليه حد، أحدث حدثًا يوجب عليه الحد، هذا المحدث.

أو مُحْدَثًا -بفتح الدال-، أي: البدعة، المحدثة، هي البدعة، فلا يجوز للإنسان أن يحمي البدع ويدافع عنها، ويزينها للناس، ملعون من فعل هذا.

---

(١) حكاه عنه محيي الدين ابن النحاس في تنبيه الغافلين (ص٢٢٣).

ش: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ» -بفتح الميم-: علامات حدودها.

قال أبو السعادات في النهاية -في مادة «تخم»-: مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الْأَرْضِ، أي: معالمها وحدودها، واحدها «تخم»، قيل: أراد حدود الحرم خاصة.

وقيل: هو عام في جميع الأرض، وأراد المعالم التي يهتدى بها في الطريق، وقيل: هو أن يدخل الرجل في ملك غيره فيقتطعه ظلمًا.

قال: ويُروى: تَخوم الأرض -بفتح التاء على الإفراد، وجمعه: تُخُمٌ -بضم التاء والخاء. انتهى(١).

وتغييرها: أن يقدمها، أو يؤخرها، فيكون هذا من ظلم الأرض الذي قال فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ طُوِّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»(٢).

ففيه: جواز لعن أهل الظلم من غير تعيين، وأما لعن الفاسق المعين، ففيه قولان:

أحدهما: أنه جائز. اختاره ابن الجوزي، وغيره.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٨٣- ١٨٤).
(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢).

والثاني: لا يجوز، اختاره، أبو بكر عبد العزيز، وشيخ الإسلام[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقيل: هو أن يدخل الرجل في ملك غيره فيقتطعه ظلمًا)**؛ يأخذ من ملكه، يقدم الحدود ويؤخرها، هذا ملعون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ففيه: جواز لعن أهل الظلم من غير تعيين)**، تلعن الجنس، تقول: من فعل كذا، لعن الله من فعل كذا، أما لعن المعين، فهذا فيه خلاف بين العلماء.

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٦٩- ٥٧٠)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٥١١).

....

ش: وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واتفق العلماء على تحريم اللعن؛ فإنه في اللغة: الإبعاد والطرد. وفي الشرع: الإبعاد من رحمة الله، فلا يجوز أن يُبعد من رحمة الله من لا يعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية.

فلهذا قالوا: لا يجوز لعن أحدٍ بعينه -مسلمًا كان أو كافرًا، أو دابة- إلا من علمنا بنص شرعي أنه مات على الكفر أو يموت عليه كأبي جهل وإبليس.

وأما اللعن بالوصف، فليس بحرام؛ كلعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، وآكل الربا وموكله، والمصورين والظالمين والفاسقين والكافرين، ولعن من غير منار الأرض، ومن تولى غير مواليه، ومن انتسب إلى غير أبيه، ومن أحدث في الإسلام حدثًا، أو أوى محدثًا، وغير ذلك مما جاءت به النصوص الشرعية بإطلاقه على الأوصاف لا على الأعيان، والله أعلم(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فلا يجوز أن يُبعد من رحمة الله من لا يعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية)، لا يجوز لعن المعين؛ لأنه لا يدرى ما يؤول إليه أمره؛ قد يتوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما اللعن بالوصف، فليس بحرام)، اللعن بالوصف، يعني: على سبيل العموم.

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ٦٧).

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ». قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «مَرَّ رَجُلَانِ على قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ، لا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، قَالُوا لأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ. قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ. قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلو ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا: لِلآخَرِ: قَرِّبْ، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ(١).

ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب يرفعه قال: «دَخَلَ رَجُلٌ الجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ».... الحديث.

وطارق بن شهاب: هو البجلي الأحمس، أبو عبد الله، رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو رجل.

قال البغوي: نزل الكوفة.

وقال أبو داود: رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يسمع منه شيئًا.

قال الحافظ: إذا ثبت أنه لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو صحابي، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه، فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد (ص١٥) من طريق سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب، عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، موقوفًا عليه.

وأخرجه -أيضا-: ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٤٧٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٤٥٧).

وكانت وفاته -على ما جزم به ابن حبان- سنة ثلاث وثمانين[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ». قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «مَرَّ رَجُلَانِ على قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، قَالُوا لأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ. قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ. قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَو ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوا سَبِيْلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا: لِلآخَرِ: قَرِّبْ، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الجَنَّةَ»)، هذا الحديث فيه تغليظ الذبح لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه يوجب دخول النار، ولو كان قليلًا؛ لأن العبرة ليست بالكثرة والقلة، العبرة بنية القلب، والامتناع من الذبح لغير الله مهما كانت العواقب، وعدم التسهل في الذبح لغير الله.

«مَرَّ رَجُلَانِ»، يعني: من الأمم السابقة.

«على قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ»: الصنم: هو ما عُبِد من دون الله، وهو على صورة حيوان أو إنسان، خلاف الوثن؛ فإنه ما عُبِد من دون الله، ولو لم يكن على صورة كالقبر والشجرة، والصخرة ونحو ذلك، هذا هو الوثن[(٢)].

---

(١) انظر في ترجمته: الثقات لابن حبان (٣/ ٢٠١)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٦- ٤٨٧)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٩٤٨)، وإكمال تهذيب الكمال (٧/ ٤٤)، والإصابة (٣/ ٤١٣- ٤١٤).

(٢) انظر في تعريف الصنم والوثن والفرق بينهما: معجم الفروق اللغوية (ص ٣٢٣)، والغريبين في القرآن والحديث (٦/ ١٩٧١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٥١)، وتحرير ألفاظ التنبيه (ص ١٦٣).

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»(١).

هذان الرجلان مرا على هذا الصنم على طريقهم -ابتلاء وامتحان-، لايجاوزه أحد إلا أن يذبح له، الذبح لغير الله شرك؛ لأنه نوع من أنواع العبادة؛ كما قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢].

قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي** ﴾، والنسك: هو الذبيحة.

﴿ **وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ** ﴾ [الأنعام:١٦٣]، فهذا الرجلان لما مرا على هؤلاء القوم الكفرة، قالوا لأحدهما: قرِّب، قال: ليس عندي شيء لأقرب، لم يعتذر؛ لأن الذبح لغير الله لا يجوز، بل قال: ليس عندي شيء أقرب.

«**قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَو ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوا سَبِيْلَهُ**»، ولكنه دخل النار، لأنه ذبح لغير الله، واستجاب لهؤلاء المشركين، دخل النار.

«**وَقَالُوا لِلآخَرِ: قَرِّبْ، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ**»، قتلوه، «**فَدَخَلَ الْجَنَّةَ**»؛ لأنه لم يذبح لغير الله، وصبر على القتل، فدخل الجنة، فهذا فيه خطورة الذبح لغير الله.

وكم يذكرون من الأغنام والأبقار التي تذبح عند قبر البدوي؛ تقربًا إليه -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، وغيره من الأضرحة والمعبودات من دون الله يذبحون لها، ويتصدقون لها، وعندها صناديق للنذور والتبرعات، ولها سدنة يجمعون هذه الأموال، الأمر خطير جدًّا؛ فلا يتساهل فيه.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وطارق بن شهاب: هو البجلي الأحمس، أبو عبد الله، رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو رجل)، طارق بن شهاب من صغار الصحابة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الحافظ: إذا ثبت أنه لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو صحابي، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه، فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح)، ما أسنده الصحابي إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو مرفوع، وما كان من كلام الصحابي، فهو موقوف(١)، وما كان من كلام التابعي، فهو مرسل إذا اسنده إلى الرسول، التابعي إذا أسند إلى الرسول، ولم يذكر الصحابي، فهو مرسل، حديث مرسل(٢).

فهذا الحديث إذا كان طارق بن شهاب أدرك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورآه، الصحابي: هو من لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، ومات على ذلك، هذا هو الصحابي(٣)، وهذا ينطبق على طارق بن شهاب، إذا ثبت أنه رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا لم يثبت، فهو تابعي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكانت وفاته -على ما جزم به ابن حبان -سنة ثلاث وثمانين)، للهجرة.

---

(١) انظر: الاقتراح في بيان الاصطلاح لابن دقيق العيد (ص١٧)، والموقظة (ص٤١)، ورسالة في أصول الحديث للجرجاني (ص٨٦)، والمختصر في علم الأثر (ص١٤٥).

(٢) انظر: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي (ص٤٢)، والباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث (ص٤٧)، والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢/ ٥٤٠)، وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/ ٢١٩-٢٣٥).

(٣) انظر: شرح التبصرة والتذكرة -ألفية العراقي (٢/ ١٢٠)، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (ت -عتر) (ص١١١)، والإصابة (١/ ٨- ٩)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ١٦٩).

....

ش: قوله: «دَخَلَ رَجُلٌ الجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ»، أي: من أجله؛ لأن «فِي» تأتي للتعليل.

قوله: «قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟!»، كأنهم تقالوا ذلك، وتعجبوا منه، فبين لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما صير لهم هذا الأمر الحقير عندهم عظيمًا يستحق هذا عليه الجنة، ويستوجب الآخر عليه النار.

قوله: «فَقَالَ: مَرَّ رَجُلَانِ على قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ»، الصنم: ما كان منحوتًا على صورة.

قوله: «لَا يَجُوزُهُ»، أي: لا يمر به، ولا يتعداه أحد حتى يقرب إليه شيئًا، وإن قل.

قوله: «قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَو ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ»، وفي هذا بيان عظمة الشرك، ولو في شيء قليل، وأنه يوجب النار؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

وفي هذا الحديث: الحذر من الوقوع في الشرك، وأن الإنسان قد يقع فيه، وهو لا يدرى أنه من الشرك الذي يوجب النار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «دَخَلَ رَجُلٌ الجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ»، أي: من أجله؛ لأن «فِي» تأتي للتعليل)، «فِي ذُبَابٍ»، يعني: بسبب ذباب؛ في ذباب، أو بذباب، الباء للسببية، و«في» للسببية أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟!»)، هذا شيء عجيب، رجل دخل الجنة في ذباب، والثاني دخل النار في ذباب، هذا شيء عجيب، لذلك قالوا: «كَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟!»، تعجبوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فبين لهم النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ما صير لهم هذا الأمر الحقير عندهم عظيمًا يستحق هذا عليه الجنة، ويستوجب الآخر عليه النار)**، مع أنه شيء حقير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «لَا يَجُوزُهُ»، أي: لا يمر به، ولا يتعداه أحد حتى يقرب إليه شيئًا، وإن قل)**، من العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَو ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوا سَبِيْلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ»، وفي هذا بيان عظمة الشرك، ولو في شيء قليل)**، والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

﴿شَيۡـٔٗا﴾، أي شيء، ولو كان قليلًا.

﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾: ولو كان هذا الشيء قليلًا؛ ما دام أنه شرك، فإنه خطير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنه يوجب النار)**، الشرك يوجب النار إذا أشرك، النار دار المشركين والكافرين والملحدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢])**، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾: منعه، التحريم هو المنع، يمنعه الله من دخول الجنة يوم القيامة.

﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾: لابد، إذا كان لا يدخل الجنة، فأين يذهب؟ لابد إلى النار، ليس في الآخرة إلا الجنة أو النار.

﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾: مقره، ومسكنه -والعياذ بالله- النار.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾، يعني: المشركين؛ لأن الظلم يطلق على الشرك.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]: لا أحد ينصرهم يوم القيامة ويخلصهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذا الحديث: الحذر من الوقوع في الشرك)**، ولو كان قليلًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن الإنسان قد يقع فيه، وهو لا يدرى أنه من الشرك الذي يوجب النار)**، ولا يسلم من ذلك إلا إذا تعلم العلم النافع، وعرف العقيدة الصحيحة بالتعلم على أهل العلم، فهذا هو الذي يسلم إذا وفقه الله.

وأما الجاهل، فقد يقع في الشرك وهو لا يدري ويقلد الناس، ويتساهل في الشرك بجهله.

ش: وفيه: أنه دخل النار بسبب لم يقصده ابتداء، وإنما فعله تخلصًا من شر أهل الصنم.

وفيه: أن ذلك الرجل كان مسلمًا قبل ذلك، وإلا فلو لم يكن مسلمًا، لم يقل دخل النار في ذباب.

وفيه: أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان. ذكره المصنف بمعناه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: أنه دخل النار بسبب لم يقصده ابتداء، وإنما فعله تخلصًا من شر أهل الصنم)**، لم يقصده ابتداء، هو لم يذبح لغير الله من قبل، ولكنه أُجبر على هذا ليتخلص؛ لأن ليس أمامه إلا القتل أو الذبح لغير الله.

الموحد اختار القتل، فدخل الجنة، هذا من الابتلاء والامتحان، وهذا الرجل تساهل في الشرك، فدخل النار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: أن ذلك الرجل كان مسلمًا قبل ذلك)**، كان مسلمًا، لو كان مشركًا، لدخل النار لشركه لا لذبح الذباب، فدل على أنه كان مسلمًا، فلما ذبح الذباب، ارتد عن الإسلام فدخل النار، ارتد بالذبح لغير الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإلا فلو لم يكن مسلمًا، لم يقل دخل النار في ذباب)**، فلو لم يكن مسلمًا، لدخل النار بشركه وكفره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: أن عمل القلب هو المقصود الأعظم)**، عمل القلب هو المقصود الأعظم، النية هي المقصودة، «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»(١).

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ش: قوله: «وَقَالُوا: لِلآخَرِ: قَرِّبْ، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ». ففيه: بيان فضيلة التوحيد والإخلاص، والصلابة في الدين.

وفيه: معنى قوله في الحديث: «وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[1].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين؛ كيف صبر على القتل، ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَقَالُوا: لِلآخَرِ: قَرِّبْ، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ)، حتى ولو كان عنده الإبل والغنم متوفرة، لا يمكن أنه يذبح لغير الله؛ لأنه موحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ففيه: بيان فضيلة التوحيد والإخلاص، والصلابة في الدين)، الصبر الصلابة، يعني: الصبر في الدين، وعدم التسهل في أمور الكفر والشرك.

---

(١) أخرجه البخاري (١٦، ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفيه: معنى قوله في الحديث: «وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»)، «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»، ولذلك من أسلم من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وترسخ الإيمان في قلبه لم يرتد أبدًا، واستمر على دينه وعلى عقيدته حتى مات؛ لأن العقيدة راسخة في قلبه، الإيمان ثابت في قلبه، مهما تعرض له من المكاره والهزات والبلوى، فإنه يصبر على دينه، ويثبت عليه.

وأما ضعيف الإيمان الذي لم يتمكن الإيمان من قلبه أو المنافق، فإنه يذهب مع أول هزة؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾: على طرف، لم يتمكن من الدين.

﴿ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ﴾: اختبار.

﴿ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الحج:١١]، ولذلك لما سأل هرقل ملك الروم، لما سأل أبا سفيان في حضرة أصحابه من الكفار عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جاء به، قال من جملة أسئلته: «هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ»، قال: لا، قال هرقل: «وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ»[1].

---

(١) حديث هرقل وأبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرجه البخاري (٧، ٥١، ٤٥٥٣)، ومسلم (١٧٧٣)، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام:١٦٣].

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

الثَّالِثَةُ: الْبُدَاءَةُ بِلَعْنَةِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ.

الرَّابِعَةُ: لَعْنُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَمِنْهُ أَنْ تَلْعَنَ وَالِدَي الرَّجُلِ فَيَلْعَنَ وَالِدَيْكَ.

الْخَامِسَةُ: لَعْنُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَهُوَ الرَّجُلُ يُحْدِثُ شَيْئًا يَجِبُ فِيهِ حَقٌّ لِلَّهِ، فَيَلْتَجِئُ إِلَى مَنْ يُجِيرُهُ مِنْ ذَلِكَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْأُولَى: تَفْسِيرُ: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾** [الأنعام:١٦٣])، لأن المراد بالنسك: الذبيحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾** [الكوثر:٢])، مثل: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام:١٦٣]، ﴿وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، يعني: اذبح لله، ولا تذبح لغيره على وجه التقرب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: الْبُدَاءَةُ بِلَعْنَةِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**)؛ كما في حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في أول الباب: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا**»[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: لَعْنُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَمِنْهُ: أَنْ تَلْعَنَ وَالِدَي الرَّجُلِ فَيَلْعَنَ وَالِدَيْكَ**)، لعن الوالدين كبيرة من الذنوب، الواجب: بر

---

(١) سبق تخريجه (ص١٦١).

الوالدين بالإحسان إليهما ولو كانا كافرين، تحسن إليهما؛ ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥]: ففي الدين تتبع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن تحسن إلى والدايك ولو كانا كافرين من باب رد الجميل إليهما، وأما في الدين، فلا. تتبع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾، يعني: الوالدان، ﴿عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥].

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(الخَامِسَةُ: لَعْنُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا)**، المحدث: هو الذي وجب عليه حدٌّ من حدود الله، يأتيه واحد ويجيره، يمنعه من أن يقام عليه الحد، هذا ملعون -والعياذ بالله!

«لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا»: استحق اللعنة؛ لأنه يجب تنفيذ الحدود على من وجبت عليه، ولا يجوز التساهل فيها، حتى الشفاعة؛ لا تشفع لأحد في ترك إقامة الحد عليه، لما أراد أسامة بن زيد -رضي الله عنه وعن أبيه-، أراد أن يشفع لأمراة مخزومية -من بني مخزوم- أراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قطع يدها؛ لأنها كانت تستعير المتاع وتجحده، فأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقطع يدها، فكلموا أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن يشفع لها عند رسول الله، فأسامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كلم الرسول فيها، فغضب عليه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أنه يحبه، غضب عليه غضبًا شديدًا، قال: **«أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟ وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا»**(١).

---

(١) سبق تخريجه (ص١٧٤).

الحدود ليس فيها تساهل، ولا تجوز فيها الشفاعة؛ «**مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللهَ فِي أَمْرِهِ**»[١]، فلا تجوز الشفاعة في الحدود.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَعَافَوْا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ**»[٢].

«**فَإِذَا بَلَغَتِ الْحُدُودُ السُّلْطَانَ، فَلَعَنَ اللهُ الشَّافِعَ وَالْمُشَفَّعَ**»[٣]، لا يجوز التساهل فيها.

«**لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا**»[٤]، هذا هو المحدث.

وفي رواية: «**مَنْ آوَى مُحْدَثًا**»، والمحدَث: هو البدعة؛ فالذي يحامي دون البدع، ويؤيدها، فهذا ملعون -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: لَعْنُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَهُوَ الرَّجُلُ يُحْدِثُ شَيْئًا يَجِبُ فِيهِ حَقُّ اللهِ، فَيَلْتَجِئُ إِلَى مَنْ يُجِيرُهُ مِنْ ذَلِكَ**)، لا يجوز هذا.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٧٤).
(٢) سبق تخريجه (ص١٧٥).
(٣) سبق تخريجه (ص١٧٥).
(٤) سبق تخريجه (ص١٦١).

السَّادِسَةُ: لَعْنُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ، وَهِيَ الْمَرَاسِيمُ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ حَقِّكَ وَحَقِّ جَارِكَ، فَتُغَيِّرُهَا بِتَقْدِيمٍ أَوْ بِتَأْخِيرٍ.

السَّابِعَةُ: الفَرْقُ بَيْنَ لَعْنِ المُعَيَّنِ وَلَعْنِ أَهْلِ المَعَاصِي عَلَى سَبِيلِ العُمُوْمِ.

الثَّامِنَةُ: هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَظِيمَةُ، وَهِيَ قِصَّةُ الذُّبَابِ.

التَّاسِعَةُ: كَوْنُهُ دَخَلَ النَّارَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الذُّبَابِ الَّذِي لَمْ يَقْصِدْهُ، بَلْ فَعَلَهُ تَخَلُّصًا مِنْ شَرِّهِمْ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: لَعْنُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ، وَهِيَ الْمَرَاسِيمُ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ حَقِّكَ وَحَقِّ جَارِكَ**)، المراسيم: الحدود التي تكون في الأرض المقسومة، تكون الأرض مشتركة، ثم تقسم ويوضع لها حدود ومراسيم، يأتي واحد، ويقدمها أو يؤخرها، هذا ملعون، ولو شبرًا من الأرض.

«**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا، فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»[(١)]، فلا يجوز الاغتصاب في الأراضي وغيرها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: لَعْنُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ، وَهِيَ الْمَرَاسِيمُ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ حَقِّكَ وَحَقِّ جَارِكَ، فَتُغَيِّرُهَا بِتَقْدِيمٍ أَوْ بِتَأْخِيرٍ**)، هذا التفسير المشهور، وهناك من يرى أن منار الأرض هي أعلام الحرم، أنصاب الحرم، وهناك من يرى أن منار الأرض العلامات التي على الطرق يهتدي بها الناس في سريها، والمعاني كلها داخلة في هذا اللفظ: «**مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠)، من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الفَرَقُ بَيْنَ لَعْنِ الْمُعَيَّنِ وَلَعْنِ أَهْلِ المَعَاصِي عَلَى سَبِيْلِ العُمُوْمِ)**، لعن أصحاب المعاصي -الكبائر- على سبيل العموم هذا مشروع؛ لعنة الله على الظالمين، لعنة الله على الكافرين؛ ﴿**فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ**﴾ [آل عمران:٦١]، لعن العموم هذا لأصحاب الجرائم هذا مشروع، أما لعن المعين -ولو كان مرتكبًا لكبيرة تستحق اللعنة-، فلا تلعنه؛ لأنك لا تدري ما يختم له به، هذا فيه خلاف بين أهل العلم، والقول الراجح -والله أعلم-: عدم لعنه، إلا من لعنه الله أو لعنه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه يُلعن لشخصه وعمله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّامِنَةُ: هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَظِيمَةُ، وَهِيَ قِصَّةُ الذُّبَابِ)**، العجيبة، دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب، ذباب!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التَّاسِعَةُ: كَوْنُهُ دَخَلَ النَّارَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الذُّبَابِ الَّذِي لَمْ يَقْصِدْهُ، بَلْ فَعَلَهُ تَخَلُّصًا مِنْ شَرِّهِمْ)**، قصد التخلص فقط، لكن لما وافقهم واستسلم لهم، دخل النار.

العَاشِرَةُ: مَعْرِفَةُ قَدْرِ الشِّرْكِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، كَيْفَ صَبَرَ ذَلِكَ عَلَى الْقَتْلِ، وَلَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَى طِلْبَتِهِمْ، مَعَ كَوْنِهِمْ لَمْ يَطْلُبُوا إِلَّا الْعَمَلَ الظَّاهِرَ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الَّذِي دَخَلَ النَّارَ مُسْلِمٌ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَافِرًا، لَمْ يَقُلْ: «دَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ».

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: فِيهِ شَاهِدٌ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»[1].

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ أَنَّ عَمَلَ الْقَلْبِ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ حَتَّى عِنْدَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**العَاشِرَةُ: مَعْرِفَةُ قَدْرِ الشِّرْكِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ**)، أن أحد الرجلين لم يقدم على الذبح لغير الله، ولو كان ذبابًا، وصبر على القتل؛ لأنه يعرف خطورة الشرك، فتجنبه، ولم يتساهل فيه.

والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، أي شيء، الشرك لا يجوز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**العَاشِرَةُ: مَعْرِفَةُ قَدْرِ الشِّرْكِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، كَيْفَ صَبَرَ ذَلِكَ عَلَى الْقَتْلِ، وَلَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَى طِلْبَتِهِمْ، مَعَ كَوْنِهِمْ لَمْ يَطْلُبُوا إِلَّا الْعَمَلَ الظَّاهِرَ**)، لم يقولوا: اعتقد جواز الذبح لغير الله، بل قالوا: اذبح، فعل، طلبوا منه الفعل الظاهر فقط.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٨)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الَّذِي دَخَلَ النَّارَ مُسْلِمٌ**)؛ لأنه لو كان كافرًا لدخل النار بكفره، لكن دخل النار في ذباب، دليل على أنه كان مسلمًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَافِرًا لَمْ يَقُلْ: «دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ»**)، بل يدخل النار بكفره وشركه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: فِيهِ شَاهِدٌ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «الجنَّة أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّار مِثْلُ ذَلِكَ»**)، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**»، ليس بينه وبين الجنة والنار إلا أن يموت؛ إن مات على التوحيد، فهو من أهل الجنة، وإن مات على الشرك، فهو من أهل النار.

ومن يدري متى يموت؟ وأين يموت؟ وبأي شيء يموت؟ لا أحد يدري بهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ أَنَّ عَمَلَ الْقَلْبِ هُوَ المَقْصُودُ الْأَعْظَمُ حَتَّى عِنْدَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ**)؛ لأن أصحاب هذا الصنم طلبوا تقريب الذباب، وأرضاهم ذلك؛ لأن الشرك وإن كان يسيرًا، فإنه خطير؛ لأنه أرضى المشركين.

هذه المسائل التي استنبطها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أحاديث الباب، وهي فقه الباب. اكتفى بمسائل فقه الباب، اكتفى بها عن الشرح.

١٠ - بَابُ لَا يُذْبَحُ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ

ش: قوله: (بَابُ لَا يُذْبَحُ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ)، (لا) نافية، ويحتمل أنها للنهي، وهو أظهر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ لَا يُذبَحُ للهِ فِي مَكَانٍ يُذبَحُ فِيْهِ لِغَيْرِ اللهِ)، الذبح لغير الله عرفناه، أيضًا المكان الذي يذبح فيه لغير الله المسلم لا يذبح فيه؛ لأنه يتشبه بالكفار، لا تذهب بذبيحتك وتذبحها في محل يذبح فيه لغير الله؛ لأن هذا فيه تشبه بالكفار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: (بَابُ لَا يُذْبَحُ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ)، (لا) نافية، ويحتمل أنها للنهي، وهو أظهر)، النفي بمعنى النهي، النفي: (لَا يُذْبَحُ)، أو (لَا يُذْبَحْ) بالنهي، المعنى واحد.

وَقَوْلِ اللّٰهِ تَعَالَى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة:١٠٨].

ش: قوله: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [التوبة:١٠٨]، **الآية.**

قال المفسرون: إن الله تعالى نهى رسوله ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار، والأمة تبع له في ذلك، ثم إنه تعالى حثه على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بني على التقوى، وهي طاعة الله ورسوله ﷺ، وجمعًا لكلمة المؤمنين، ومعقلًا ومنزلًا للإسلام وأهله؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «صَلاةٌ فِي مَسْجِدِ قِبَاءَ كَعُمْرَةٍ»[(١)].

وفي الصحيح: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَزُورُ قُبَاءَ رَاكِبًا وَمَاشِيًا»[(٢)]، وقد صرح أن المسجد المذكور في الآية هو مسجد قباء جماعة من السلف، منهم ابن عباس، وعروة، وعطية، والشعبي، والحسن، وغيرهم[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٤)، وابن ماجه (١٤١١)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ٤٠٨)، وفي شعب الإيمان (٦/ ٦٧)، والحاكم (١/ ٦٦٢)، وأبو يعلى (١٣/ ١١٧)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (١١٩١، ١١٩٣، ١١٩٤، ٧٣٢٦)، ومسلم (١٣٩٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٦٨٤- ٦٨٥)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٠٢)، وزاد المسير (٢/ ٢٩٨- ٢٩٩)، وتفسير القرطبي (٨/ ٢٥٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة:١٠٨])، هذا في قصة مسجد قباء وموقف المنافقين من مسجد قباء.

مسجد قباء: هو أول مسجد أُسس على التقوى مع مسجد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلاهما أول مسجد أسس على التقوى.

حينما قدم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طريقه، صلى في هذا المكان الذي هو مكان قباء، وأقام فيها، فبنوا هذا المسجد يصلون فيه، فصارت زيارته لمن كان في المدينة مشروعة، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزوره كل سبت ماشيًا؛ يمشي من بيته إلى مسجد قباء، ويصلي فيه، ثم يرجع؛ لأن الله قال له: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ [التوبة:١٠٨]، فصارت الصلاة في مسجد قباء لمن كان بالمدينة من أهلها أو من الزائرين لها مستحبة، يقصدها المسلم إذا كان في المدينة، أما أنه يسافر من أجل أن يصلي في مسجد قباء، لا؛ «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ**»(١).

لكن زيارة مسجد قباء تدخل تبعًا لمن زار مسجد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسافر إليه، تدخل تبعًا، فيصلي فيه المسلم، هذا مسجد قباء؛ لأن المكان الذي هو فيه يسمى قباء.

المنافقون أرادوا أن يصرفوا الناس عن مسجد قباء، وهناك رجل نصراني فاسق يقال له: عامر الفاسق، من أهل المدينة، ذهب إلى الشام، وهرب من

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٧، ١٩٩٥)، ومسلم (٨٢٧)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هرب من الإسلام ومن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأوى إلى الشام، وكان له أصحاب في المدينة، فأمرهم أن يبنوا مسجدًا بجانب مسجد قباء؛ ليصرفوا الناس عن قباء، وليكون مأوى له إذا جاء من الشام، ومأوى للمنافقين يتآمرون فيه، فبنوا مسجدًا؛ يقولون: نريده لليلة الشاتية وللرجل المريض.

وأتوا إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطلبوا منه أن يصلي فيه؛ من أجل أن يحتجوا بصلاة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم ما في القلوب، وعدهم أنه إذا جاء من غزوة تبوك، يصلي فيه؛ إجابة لدعوتهم، وعدهم بذلك؛ لأنه يريد السفر إلى تبوك، فوعدهم أنه إذا رجع يصلي فيه، ويجيب دعوتهم، فلما رجع من تبوك، وبقيت مسافة يسيرة على وصوله، نزل عليه الوحي بواسطة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة:١٠٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: وهو عامر الفاسق.

﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾، يقولون: نريده للرجل الثقيل والمريض، وفي الليلة الماطرة والشاتية يصلون فيه الناس، هذا الذي أظهروه، وهم يبطنون غير ذلك، يريدون الإضرار بمسجد قباء وأهل قباء، ولذلك سموا مسجد الضرار: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ﴾: زيادة شرك، يقول: وهم كاذبون. ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧].

ثم قال لنبيه: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [التوبة:١٠٨]، فنهاه أن يصلي وينفذ الوعد الذي أعطاه.

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾: وهو مسجد قباء.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾: وهم أهل مسجد قباء.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة:١٠٨، ١٠٩]، فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امتنع من الصلاة فيه لما قدم المدينة، ثم أرسل من يهدمه ويحرقه، فهُدِم مسجد الضرار، وبقي مسجد قباء الذي أسس على التقوى، وهُدِم المسجد الذي أسس على النفاق، هذا حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدة بقائه في المدينة يزور مسجد قباء كل سبت، ويصلي فيه، يأتي إليه ماشيًا من منزله، ويصلي فيه، ثم يرجع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾** [التوبة:١٠٨]، **الآية، قال المفسرون: إن الله تعالى نهى رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن الصلاة في مسجد الضرار)**، الضرار؛ لأنهم يريدون الضرار بمسجد قباء وأهل مسجد قباء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والأمة تبع له في ذلك)**، ما نُهِي عنه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو نهي لأمته، فالرسول نُهِي أن يصلي فيه، فتكون الأمة منهية تبعًا للرسول

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «صَلاةٌ فِي مَسْجِدِ قِبَاءَ كَعُمْرَةٍ»)**، تعدل عمرة في الأجر والثواب.

....

ش: قلت: ويؤيده قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [التوبة:١٠٨]، الآية.

وقيل: هو مسجد رسول الله ﷺ لحديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: «تَمَارَى رَجُلَانِ فِي المَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ على التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: هُوَ مَسْجِدُ قُبَاءَ، وَقَالَ الآخر: هُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هُوَ مَسْجِدِي هَذَا» رواه مسلم(١)، وهو قول عمر، وابنه، وزيد بن ثابت، وغيرهم(٢).

وقال ابن كثير: وهذا صحيح، ولا منافاة بين الآية والحديث؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أُسس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى. وهذا بخلاف مسجد الضرار الذي أسس على معصية الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧]، فلهذه الأمور نهى الله نبيه عن القيام فيه للصلاة. وكان الذين بنوه جاءوا إلى النبي ﷺ قبل خروجه إلى غزوة تبوك، فسألوه أن يصلي فيه، وأنهم إنما بنوه للضعفاء، وأهل

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٩٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٦٨١- ٦٨٤)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٠٢)، وزاد المسير (٢/ ٢٩٨)، وتفسير القرطبي (٨/ ٢٥٩).

العلة في الليلة الشاتية، فقال: «إنَّا على سَفَرٍ ولكنْ إذا رَجعْنا إنْ شاءَ اللهُ». فلما قفل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راجعًا إلى المدينة، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم، أو بعضه، نزل الوحي بخبر المسجد، فبعث إليه، فهدمه قبل قدومه إلى المدينة(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ويؤيده قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [التوبة:١٠٨]، الآية)، والرجال الذين يحبون أن يتطهروا هم أهل قباء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لحديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «تَمَارَى رَجُلَانِ فِي المَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ على التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: هُوَ مَسْجِدُ قُبَاءَ، وَقَالَ الآخر: هُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُوَ مَسْجِدِي هَذَا»)، ولا منافاة؛ لأن الآية تعني المسجدين: مسجد قباء ومسجد الرسول، كلاهما أسس على التقوى.

فهذا يسمونه من اختلاف التنوع، تكون الآية تحتمل عدة معان، فهو اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال ابن كثير: وهذا صحيح، ولا منافاة بين الآية والحديث)، لا منافاة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (نزل الوحي بخبر المسجد، فبعث إليه، فهدمه قبل قدومه إلى المدينة)، مسجد الضرار.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢١١).

ش: **وجه مناسبة الآية للترجمة: أن المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله؛ كما أن هذا المسجد لما أُعد لمعصية الله، صار محل غضب لأجل ذلك، فلا تجوز الصلاة فيه لله، وهذا قياس صحيح، ويؤيده حديث ثابت الضحاك الآتي.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وجه مناسبة الآية للترجمة)**، يعني: ما هي المناسبة في قوله: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [التوبة:١٠٨]، وبين الباب: لا يذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله؟ المناسبة ظاهرة: أن مكان المعصية يتجنب، ولا يتعبد فيه الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أن المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله)**؛ كما في الترجمة، الترجمة: باب لا يذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله، مأخوذ من الآية: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ [التوبة:١٠٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما أن هذا المسجد لما أُعد لمعصية الله صار محل غضب لأجل ذلك)**، ولو كان صورة مسجد، العبرة بنية أصحابه ومقصد أصحابه، ولو كان أنه على صورة مسجد.

ش: قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾، روى الإمام أحمد، وابن خزيمة، وغيرهما عن عويم بن ساعدة الأنصاري، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحْسَنَ عليكُمْ الثَّنَاءَ فِي الطُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي تَطَّهَّرُون بِهِ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَعْلَمُ شَيْئًا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَنَا جِيرَانٌ مِنَ اليهُودِ فَكَانُوا يَغْسِلُونَ أَدْبَارَهُمْ مِنَ الْغَائِطِ، فَغَسَلْنَا كَمَا غَسَلُوا»[(١)].

وفي رواية عن جابر، وأنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «هُوَ ذَاكَ فَعليكُمُوهُ». رواه ابن ماجه، وابن أبي حاتم، والدارقطني، والحاكم[(٢)].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾، قال أبو العالية: إن الطهور بالماء لحسن، ولكنهم المتطهرون من الذنوب[(٣)].

وفيه: إثبات صفة المحبة، خلافًا للأشاعرة[(٤)]، ونحوهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤/ ٢٣٥)، وابن خزيمة (١/ ٤٥)، والطبراني في الأوسط (١٧/ ١٤٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٥٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٨٣)، والدارقطني (١/ ١٠٠)، والحاكم (١/ ٢٥٧، ٢/ ٣٦٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ١٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٨٣)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٢٢).

(٤) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتتلمذ على يد أبي علي الجبائي ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كلاب وانتشر مذهبه ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث وانتسب للإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة والجماعة: الإبانة، والموجز، =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾)، ﴿فِيهِ﴾، يعني: مسجد قباء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عن عويم بن ساعدة الأنصاري، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحْسَنَ عليكُمْ الثَّنَاءَ فِي الطُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي تَطَّهَّرُون بِهِ؟)، ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾، ما هو هذا الطهور؟ قالوا: إنا نتبع الحجارة بالماء؛ يعني: يستنجون بالحجارة، ثم يغلسون مكان الخارج بالماء، يجمعون بين الأمرين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَعْلَمُ شَيْئًا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَنَا جِيرَانٌ مِنْ اليهُودِ فَكَانُوا يَغْسِلُونَ أَدْبَارَهُمْ مِنْ الْغَائِطِ، فَغَسَلْنَا كَمَا غَسَلُوا)، استنجاء، يعني الاستنجاء بالماء، يجمعون بين الاستجمار والأستنجاء، هذا أبلغ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفيه: إثبات صفة المحبة، خلافًا للأشاعرة، ونحوهم)، المحبة لله، أن الله يحب، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ﴾، فيه أن الله يحب.

= ورسائل الثغر، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب، وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال الذهبي: ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة. اهـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)، وشذرات الذهب (٤/ ١٢٩- ١٣٣)، والبداية والنهاية (١١/ ٢١٢).

عنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نذرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحرَ إبلا ببُوانة، فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: هَلْ كَانَ فِيهَا وثَنٌ منْ أوْثَانِ الْجَاهِلِيَّة يُعْبَدُ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟ قَالُوا: لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاود، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا[(١)].

ش: عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟ قَالُوا: لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا).

قوله: (عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَاكِ). أي: ابن خليفة الأشهلي، صحابي مشهور، روى عنه أبو قلابة وغيره. مات سنة أربع وستين[(٢)].

قوله: (بِبُوَانَةَ) -بضم الباء، وقيل بفتحها-، قال البغوي: موضع في أسفل مكة دون يلملم[(٣)].

قال أبو السعادات: هضبة من وراء ينبع[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣١٣).

(٢) انظر في ترجمته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٤٦٧)، والإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٠٧-٥٠٨).

(٣) انظر: شرح السنة للبغوي (١٠/ ٣١).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٦٤).

قوله: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» فيه: المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن، ولو بعد زواله. قاله المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا)، على شرط الشيخين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟». فيه: المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن، ولو بعد زواله. قاله المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، وهذا وجه المطابقة للترجمة: لا يذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله.

فإذا كان هذا المكان من مآثر الجاهلية؛ يذبحون فيه لغير الله، ويشركون به، فالمسلم لا يتعبد فيه، بل يتجنبه؛ لأن هذا من التشبه بهم.

ش: قوله: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟».

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: **العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد؛ إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، ونحو ذلك، والمراد به هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية.**

فالعيد يجمع أمورًا، منها: يوم عائد، كيوم الفطر، ويوم الجمعة.

ومنها: اجتماع فيه.

ومنها: أعمال تتبع ذلك: من العبادات، والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقًا، وكل من هذه الأمور قد يسمى عيدًا.

فالزمان: كقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في يوم الجمعة: «إن هذا يوم قد جعله الله للمسلمين عيدًا»[(١)]، والاجتماع والأعمال: كقول ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«شَهِدْتُ الْعِيدَ مع رسول اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»[(٢)]، والمكان: كقوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَتَّخِذُوا قبري عِيدًا»[(٣)]. وقد يكون لفظ العيد اسماً لمجموع اليوم، والعمل فيه وهو الغالب؛ كقول النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا»[(٤)]، انتهى[(٥)].**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٠٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٩٦٢، ٩٧٧، ٥٤٩٩).

(٣) أخرجه أحمد (١٤/ ٤٠٣)، وأبو داود (٢٠٤٢)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٢).

(٤) أخرجه البخاري (٩٥٢، ٩٨٧، ٣٥٢٩، ٣٩٣١)، ومسلم (٨٩٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٩٦- ٤٩٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»)**، يعني اجتماع، العيد على قسمين: عيد زماني، وعيد مكاني، العيد المكاني: هو المكان الذي يجتمع فيه الناس للطاعة والعبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد، إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، ونحو ذلك)**، العيد الزماني: مثل عيد الفطر وعيد الأضحى، هذا زماني.

وعيد مكاني: مثل المساجد، هذه تسمى أعياد مكانية؛ لأن المسلمين يجتمعون فيها لعبادة الله عَزَّوَجَلَّ، ويعتادونها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالزمان كقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم الجمعة: «إن هذا يوم قد جعله الله للمسلمين عيدًا»)**، العيد الأسبوعي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «شَهِدْتُ الْعِيدَ مع رسول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»)**، عيد الأضحى أو عيد الفطر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمكان: كقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَتَّخِذُوا قبري عِيدًا»)**، **«لَا تَتَّخِذُوا قبري عِيدًا»**، أي: تجتمعون عنده، لكن يسلم عليه ويمشي، يسلم عليه الزائر ويمشي، ولا يجلسون عند القبر، هذا اجتماع يسمى عيدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد يكون لفظ العيد اسمًا لمجموع اليوم، والعمل فيه وهو الغالب، كقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا»)**، قدم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، ولأهلها عيدان: النيروز والمهرجان، النيروز في فصل الربيع، والمهرجان في فصل الخريف، يجتمعون فيه.

قَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ النَّحْرِ»[١].

(١) أخرجه أحمد (٢١/ ٢٢٥)، وأبو داود (١١٣٤)، والنسائي في المجتبى (١٥٥٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٣٤)، من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

....

ش: **قال المصنف: وفيه: استفصال المفتي، والمنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية، ولو بعد زواله.**

قلت: وفيه: سد الذريعة، وترك مشابهة المشركين، والمنع مما هو وسيلة إلى ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف: وفيه: استفصال المفتي، والمنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية، ولو بعد زواله)**، استفصال المفتي قبل أن يصدر الفتوى: ما هو السبب لأجل أن تخص هذا المكان؟

نذر أن ينحر إبلًا ببوانة، جاء يستفتي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: ما هو السبب من أجل أن تنذر في هذا المكان؟ هل كان فيه وثن؟ هل كان فيه عيد من أعياد الجاهلية؟ قال: لا، قال: أوف بنذرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: وفيه: سد الذريعة، وترك مشابهة المشركين)**، سد الذريعة؛ لا يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله؛ لأن هذا ذريعة إلى الشرك، تشبه بالمشركين.

ش: قوله: «فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ»: هذا يدل على أن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغيره أو في محل أعيادهم معصية؛ لأن قوله: «فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ»: تعقيب للوصف بالحكم بالفاء، وذلك يدل على أن الوصف سبب الحكم، فيكون سبب الأمر بالوفاء خلوه عن هذين الوصفين.

فلما قالوا: «لا»، قال: «فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ»، وهذا يقتضي أن كون البقعة مكانًا لعيدهم، أو بها وثن من أوثانهم مانع من الذبح بها، ولو نذره. قاله شيخ الإسلام(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ»: هذا يدل على أن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغيره أو في محل أعيادهم معصية)، لا يجوز الوفاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فيكون سبب الأمر بالوفاء خلوه عن هذين الوصفين)، لا عيد المشركين، ولم يكن به صنم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فلما قالوا: «لا»، قال: «فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ»، وهذا يقتضي أن كون البقعة مكانًا لعيدهم، أو بها وثن من أوثانهم مانع من الذبح بها، ولو نذره)، ولو نذره، لا ينفذ، ولا ينعقد؛ لأنه معصية؛ «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»(٢).

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٦، ٦٧٠٠)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

....

ش: وقوله: «فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ» دليل على أن هذا نذر معصية لو قد وُجِد في المكان بعض الموانع، وما كان من نذر المعصية، فلا يجوز الوفاء به بإجماع العلماء(١)، واختلفوا هل تجب فيه كفارة يمين؟ هما روايتان عن أحمد.

أحدهما: تجب، وهو المذهب، ورُوِي عن ابن مسعود، وابن عباس، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابه(٢)؛ لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا: «لا نَذْرَ في مَعْصِيَةٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ»(٣). رواه أحمد، وأهل السنن، واحتج به أحمد، وإسحاق.

والثاني: لا كفارة عليه. ورُوِي ذلك عن مسروق، والشعبي، والشافعي(٤)؛ لحديث الباب، ولم يذكر فيه كفارة، وجوابه: أنه ذكر الكفارة في الحديث المتقدم، والمطلق يحمل على المقيد.

---

(١) انظر: المغني (١٣/ ٦٣٤).

(٢) انظر: المغني (١٣/ ٦٢٤)، والمجموع (٨/ ٤٥٣-٤٥٧)، وتهذيب مختصر السنن (٤/ ٣٧٣)، وسبل السلام (٢/ ٥٦٠- ٥٦١).

(٣) أخرجه أحمد (٤٣/ ٢٠٣)، وأبو داود (٣٢٩٠، ٣٢٩١)، والترمذي (١٥٢٤، ١٥٢٥)، والنسائي في المجتبى (٣٨٣٤، ٣٨٣٥، ٣٨٣٦، ٣٨٣٧، ٣٨٣٨، ٣٨٣٩)، وابن ماجه (٢١٢٥)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) انظر: الأم (٢/ ٢٧٩)، وبداية المجتهد (٢/ ١٨٥- ١٨٦)، والمغني (١٣/ ٦٢٤)، والمجموع (٨/ ٤٥٧).

قوله: «ولا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ». قال في «شرح المصابيح»: يعني: إذا أضاف النذر إلى معين لا يملكه؛ بأن قال: إن شفى الله مريضي، فللّه عليَّ أن أعتق عبد فلان، ونحو ذلك، فأما إذا التزم في الذمة شيئًا؛ بأن قال: إن شفى الله مريضي، فلله عليَّ أن أعتق رقبة، وهو في تلك الحال لا يملكها، ولا قيمتها، فإذا شفى الله مريضه، ثبت ذلك في ذمته(١).

قوله: (رَوَاهُ أَبُو دَاودَ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا)، أي: البخاري ومسلم.

وأبو داود اسمه: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني، صاحب الإمام أحمد، ومصنف السنن والمراسيل وغيرها، ثقة إمام، حافظ من كبار العلماء، مات سنة خمس وسبعين ومائتين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: «فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ»: دليل على أن هذا نذر معصية)، الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله، وإن كان المسلم لا يقصد هذا، لكن المشابهة في المكان هذا وسيلة إلى الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (في شرح المصابيح)، «مصابيح السنة» كتاب للبغوي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذا أضاف النذر إلى معين لا يملكه؛ بأن قال: إن شفى الله مريضي، فلله عليَّ أن أعتق عبد فلان، ونحو ذلك)، لا ينعقد النذر؛ لأنه لا يملك هذا الشيء.

---

(١) انظر: كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح للمناوي (٣/ ١٨٤).

(٢) انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٠٣- ٢٢١)، وتاريخ الإسلام (٦/ ٥٥٠- ٥٥٤)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٩٣- ٢٩٦)، والأعلام للزركلي (٣/ ١٢٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأما إذا التزم في الذمة شيئًا، بأن قال: إن شفى الله مريضي، فلله عليَّ أن أعتق رقبة)**، ولم يعين، رقبة، يعني: مطلقة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو في تلك الحال لا يملكها، ولا قيمتها، فإذا شفى الله مريضه، ثبت ذلك في ذمته)**، يكون دينًا في ذمته متى ما استطاع ينفذ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(صاحب الإمام أحمد)**، هو من تلاميذ الإمام أحمد، أبو داود والترمذي من تلاميذ الإمام أحمد.

١١ - بابٌ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ

ش: قوله: (بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ)، أي: لكونه عبادة يجب الوفاء به إذا نذره لله، فيكون النذر لغير الله تعالى شركًا في العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ)، النذر: نوع من أنواع العبادة، وهو أن يلتزم المسلم عبادة لم تكن واجبة عليه بأصل الشرع[(١)].

والنذر الدخول فيه مكروه، لكنه إذا نَذَرَ نَذْرَ بر يلزمه الوفاء، أما قبل أن ينذر يتجنب النذر؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ»[(٢)]، فالذي يزعمه أنه إذا نذر أنه سيأتيه الخير هذا غلط؛ «إِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ»، فلا تنذروا، لكن إذا نذر، وجب عليه الوفاء؛ لقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج:٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة:٢٧٠]، فدل على أن النذر مثل النفقة، والنفقة مشروعة، فكذلك النذر؛ إذا نَذَرَ نَذْرَ طاعة، يلزمه أن يفعل ما نذر؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»[(٣)].

---

(١) انظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن (١/ ٣٨٦)، والروض المربع (ص ٧٠١)، وكشف المخدرات (٢/ ٨١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠٨، ٦٦٩٣)، ومسلم -واللفظ له- (١٦٣٩): عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ نَهَى عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ».

(٣) سبق تخريجه (ص٢٢٧).

وإذا كان المنذر عبادة، فصرفه لغير الله شرك؛ فالذين ينذرون للقبور والأضرحة والجن هذا شرك بالله -شرك أكبر-؛ لأنهم صرفوا نوعًا من أنواع العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ، وهو نذر معصية لا يجوز الوفاء به؛ «**وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهِ فَلَا يَعْصِهِ**».

لا يجوز له الوفاء به، هذا بالأجماع، لكن هل تلزمه عليه كفارة يمين؟ على قولين:

- منهم من يري أنه يكفر كفارة يمين.
- ومنهم من يرى لا شيء عليه؛ لأنهم استدلوا بحديث: «**لَا وَفَاءَ لِنِذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ**»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ**)، النذر لغير الله من أنواع الشرك؛ لأن النذر عبادة؛ فإذا صرفها لغير الله، فقد أشرك.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨/ ٤٣٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٦٧)، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٢١٦).

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧].

ش: قوله: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧])، فالآية دلت على وجوب الوفاء بالنذر، ومدح من فعل ذلك طاعة لله، ووفاء بها تقرب به إليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧])، لما ذكر الله عمل الأبرار، قال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ الله فَلْيُطِعْهُ»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧])، يعني: يوم القيامة ﴿كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالآية دلت على وجوب الوفاء بالنذر)، ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾، الله أثنى عليهم؛ لأنهم يوفون بالنذر، فدل على أنه يفي بنذره إذا نذر أن يطيع الله عَزَّ وَجَلَّ.

وفي الحديث: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ الله فَلْيُطِعْهُ»(٢)، هذا هو الدليل على الوجوب.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٢٧).
(٢) سبق تخريجه (ص٢٢٧).

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة:٢٧٠].

ش: قوله: (وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة:٢٧٠])، قال ابن كثير: يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من الخيرات؛ من النفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه. اهـ[1].

إذا علمت ذلك: فهذه النذور الواقعة من عباد القبور؛ تقربًا بها إليهم ليقضوا لهم حوائجهم، وليشفعوا لهم، كل ذلك شرك في العبادة بلا ريب؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة:٢٧٠])، يعني: يجازيكم عليه، فقرنه مع النفقة، ووعد أن يجازيهم عليهما، فدل على أنه عبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن كثير: يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من الخيرات، من النفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته على

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٧٠١).

ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه)، كونه يعلمه يعني: فيثيبهم عليه، فدل على أن النذر عبادة، وإلا فالله يعلم كل شيء؛ يعلم الخير ويعلم الشر، ويعلم الطاعة ويعلم المعصية، لكن لما قرنه مع النفقة، دل على أنه عبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إذا علمت ذلك: فهذه النذور الواقعة من عباد القبور، تقربًا بها إليهم ليقضوا لهم حوائجهم، وليشفعوا لهم، كل ذلك شرك في العبادة بلا ريب**)، هذا مطابقة الآية للترجمة، هذا الذي ذكره الشارح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إذا علمت ذلك: فهذه النذور الواقعة من عباد القبور، تقربًا بها إليهم ليقضوا لهم حوائجهم، وليشفعوا لهم، كل ذلك شرك في العبادة بلا ريب**)؛ لأنه إذا صرف شيئًا من العبادة لغير الله، فهذا شرك بلا ريب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى:** ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦])، كانوا في الجاهلية إذا زرعوا زرعًا، فإنهم يقسمونه بين الله وبين الأصنام؛ فيقولون: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾، فإذا أصاب نصيب الله شيء أتلفه، قالوا: الله غنيٌ عن هذا، وإذا أصاب نصيب الصنم شيء فأتلفه، أخذوا له مما جعلوه لله؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ [الأنعام:١٣٦]، يعني: إذا أصيب نصيب

الله، قالوا: الله غنيٌّ عن هذا، وأما إذا أصيب نصيب الصنم، قالوا: الصنم ضعيف وفقير، فيجبرونه من نصيب الله عَزَّوَجَلَّ، هكذا كانوا في الجاهلية.

والقول الثاني: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام:١٣٦]، يعني: أن الله بريء منه؛ «**مَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ**»(١). فيكون هذا تفسير الآية الكريمة على الوجه الثاني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦])، هذا حكم جاهلي، وهو حكم سيء وباطل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥)، وأحمد -واللفظ له- (١٣/ ٣٧٧)، وابن ماجه (٤٢٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ش: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما ما نُذِرَ لغير الله -كالنذر للأصنام، والشمس والقمر، والقبور، ونحو ذلك-، فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات، والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه، ولا كفارة.

وكذلك الناذر للمخلوقات، فإن كلاهما شرك، والشرك ليس له حرمة، بل عليه أن يستغفر الله من هذا، ويقول ما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(١). وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دهنًا لتنور به، ويقول: إنها تقبل النذر؛ كما يقوله بعض الضالين، وهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به.

وكذلك إذا نذر مالًا للسدنة، أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة، فإن فيهم شبهًا من السدنة التي كانت عند اللات والعزى ومناة، يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢]. والذين اجتاز بهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقومه، قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡ﴾ [الأعراف:١٣٨]، فالنذر لأولئك السدنة، والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٦٠، ٦١٠٧، ٦٣٠١، ٦٦٥٠، ٦٦٥٢)، ومسلم (١٦٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها، أو لسدنة الأبداد التي في الهند والمجاورين عندها(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويقول ما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»)، هذه كفارة الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دهنًا لتنور به، ويقول: إنها تقبل النذر؛ كما يقوله بعض الضالين، وهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به)، كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دهنًا لتنور به)، يعني: زيتًا ودهنًا توقد منه النار، ودك، الودك توقد منه النار، مثل المواد الحارقة، وهم ينذرون دهنًا وودكًا تسرج به القبور والأضرحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا النذر معصية باتفاق المسلمين)؛ لأنه نذر لغير الله، وعبادة لغير الله، فهو باطل باتفاق المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا يجوز الوفاء به)، وكذلك كل ما صرف للأصنام من النفقات، ومن -مثلًا- الكهرباء، إذا نورها بالكهرباء، كل هذا باطل، وهذا إعانة على الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكذلك إذا نذر مالًا للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة، فإن فيهم شبهًا من السدنة التي كانت عند اللات والعزى ومناة)، في

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٥٨- ١٥٩).

الدول الأخرى التي تدعي الإسلام يجبون أموالًا كثيرة من النذور، يجعلون لها صناديق عند السدنة، يجبون هذه النذور، فيجعلونها موردًا من موارد الدولة -والعياذ بالله-، فهذا من الباطل -والعياذ بالله-، مورد باطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإن فيهم شبهًا من السدنة التي كانت عند اللات والعزى ومناة، يأكلون أموال الناس بالباطل**)، لا فرق بين السادن للات والعزى، والسادن للقبر الذي يقبل النذورِ للقبر، والذي يقبل النذور للات والعزى، سواء، لا فرق بينهما؛ لأنه نذر لغير الله، وإعانة على معصية الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿**مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ**﴾ [الأنبياء:٥٢])، المجاورون لهذه القبور يعتقدون فيها، ويعكفون عندها أيامًا ومددًا يطلبون منها قضاء حوائجهم، هذا مثل الذين قال فيهم الخليل إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قومه: ﴿**مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ**﴾: سؤال إنكار.

﴿**مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ**﴾ [الأنبياء:٥٢]: يعكفون عندها؛ رجاء بركتها وخيرها.

﴿ **قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ** ﴾ [الأنبياء:٥٣]: ليس لهم حجة إلا أنهم وجدوا آباءهم يفعلون هذا، فاقتدوا بآبائهم، ليس عندهم برهان إلا التقليد الأعمى.

وهذا الذي عند عباد القبور ليس عندهم إلا مثلما عند الذين خاطبهم إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ليس عندهم برهان إلا أنهم يقولون: ﴿ **قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ** ﴾ [الأنبياء:٥٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والذين اجتاز بهم موسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **وقومه، قال تعالى:** ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف:١٣٨])، لما أغرق الله فرعون، لما خرج موسى ببني إسرائيل من مصر فارًا بهم من فرعون وقومه، علم فرعون بخروجهم، فتبعهم هو وجنوده، وانتهوا إلى البحر، فالذين مع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قالوا: ماذا نصنع الآن؛ البحر أمامنا، والعدو خلفنا؟ ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢]، فأوحى الله إليه: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الشعراء:٦٣]، فلما ضربه تجمد، وصار طرقات على عدد قبائل بني إسرائيل، فسلكوا معه طريقًا يبسًا، فلما تكاملوا خارجين، دخل فرعون وقومه في أثرهم، فلما تكاملوا داخلين، أطبقه الله عليهم، فغرقوا جميعًا.

بنو إسرائيل لا تزال عندهم بقايا من الاعتقاد الفاسد؛ لما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف:١٣٨-١٤١]، إلى آخر الآيات.

فهذا من العجب العجاب، هو البلاء في التشبه، هذا هو الذي فيه البلاء -نسأل الله العافية!

التشبه بالكفار، تقليد الكفار هذا فيه البلاء؛ قد يكون التشبه بهم في الشرك والكفر -نسأل الله العافية-؛ لأنهم يرون أن ما هم عليه كمال، وأنه مدنية وحضارة إلى آخره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية)**، النذر للسدنة الذين عند هذه القبور يحرسونها، والنذور التي تجعل في صناديقهم وترصد، كلها من جنس ما سبق به المشركون من قبل، كلها نذور لغير الله، عبادة لغير الله، أكل للمال بالباطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية)**، نذر معصية؛ **«وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهِ فَلَا يَعْصِهِ»**[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها)**، الصلبان: جمع صليب، وهي ما يعبده النصارى من صورة المسيح مصلوبًا بزعمهم، أما المسيح فلم يقتل، ولم يصلب، ولكن بزعمهم أن اليهود قتلوا المسيح وصلبوه، وسمروه على الخشبة، فهؤلاء مثلهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو لسدنة الأبداد التي في الهند والمجاورين عندها)**، السيخ هؤلاء الذين يعبدون البقر، والبوذيون يعبدون بوذا، صورة صنم منحوت على شكل رجل، ويعبدونه من دون الله، يسمون البوذيين، والسيخ يعبدون البقر.

(١) سبق تخريجه (ص٢٢٧).

....

ش: وقال الإمام الأذرعي في «شرح المنهاج»: وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ، أو على اسم من حلها من الأولياء، أو تردد في تلك البقعة من الأنبياء والصالحين، فإن قصد الناذر بذلك -وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة- تعظيم البقعة والمشهد أو الزاوية، أو تعظيم من دُفِنَ بها أو نُسِبت إليه، أو بُنِيت على اسمه، فهذا النذر باطل غير منعقد، فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات، ويرون أنها مما يدفع بها البلاء، ويستجلب به النعماء، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء، حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل: إنه استند إليها عبد صالح، وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت، ويقولون: القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر، يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض، أو قدوم غائب، وسلامة مال، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الإمام الأذرعي في «شرح المنهاج»)**، من الشافعية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن قصد الناذر بذلك -وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة- تعظيم البقعة والمشهد أو الزاوية، أو تعظيم من دُفِنَ بها أو نُسِبت إليه، أو بُنِيت على اسمه، فهذا النذر باطل غير منعقد)**؛ لأنه نذر في معصية الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويرون أنها مما يدفع بها البلاء)**، يظنون أنه إذا نذر للقبر أو للضريح أو لمكان الولي والصالح عنده أن ذلك يدفع عنه البلاء، وينفعه، وأنه يجلب له الولد إذا كان لا يولد له، إلى آخره، هذا من اعتقادات الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويستشفي بالنذر لها من الأدواء)، يعني: من الأمراض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل: إنه استند إليها عبد صالح)**، ينذرون لبعض الأحجار، لماذا؟ لا ينذرون للحجر، يقولون: لأنه استند إليها رجل صالح فيما مضى، يعظمون هذا الحجر من أجل هذا الصالح المزعوم الذي استند إليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وينذرون لبعض القبور السرج)**، ينذرون للأضرحة أنواع السرج من الزيت والشحوم التي تذاب، وينور منها في المصابيح عند القبور، من نذر لهذه الأشياء، هذا نذر للأصنام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والشموع والزيت)**، والشموع: جمع شمعة، وهي الفتيل الذي يكون من الزيوت، ويوقد على رأسه بالنار، ويسرج للحاضرين، وهذا موجود الآن، الشموع موجودة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويقولون: القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر)**، يعني: يتواصون فيما بينهم أن المحل الفلاني أو القبر الفلاني يقبل النذر، بمعنى أنه إذا نذرت له، تحصل على مطلوبك، وتقضى حاجتك.

وحصول المطلوب وقضاء الحاجة لا يدل على الجواز؛ قد يكون هذا من الابتلاء والامتحان والاستدراج، فلا يجوز.

لا يقال: إنه قد حصلت الحاجة، وهذا دليل على جواز ذلك. الدليل من الكتاب والسنة، ليس من كونه يحصل المطلوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض، أو قدوم غائب، وسلامة مال، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة)**، قد يحصل المطلوب من باب الاستدارج، الذي أعطى المطلوب هو الله عَزَّوَجَلَّ، لكن أراد بذلك استدراجهم وابتلاءهم، فحصول المطلوب لا يدل على الجواز، الدليل من الكتاب والسنة.

ش: فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقًا.

ومن ذلك: نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء، فإن الناذر لا يقصد بذلك إلا الإيقاد على القبر تبركًا وتعظيمًا، ظانًّا أن ذلك قربة، فهذا مما لا ريب في بطلانه، والإيقاد المذكور محرم، سواء انتفع به هناك منتفع أم لا[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه)؛ لأنه شرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن ذلك: نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء)، لا يجوز إسراج المقابر وإضاءة المقابر؛ لأن هذا يسبب تعظيمها والتعلق بها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والإيقاد المذكور محرم، سواء انتفع به هناك منتفع أم لا)، قلنا: إن حصول المطلوب لا يدل على الجواز؛ قد يحصل المطلوب؛ إما أنه صادف قضاء وقدرًا، وإما أنه استدارج من الله وإمهال من الله عَزَّ وَجَلَّ وابتلاء.

---

(١) انظر: قوت المحتاج في شرح المنهاج للأذرعي الشافعي (١٠/ ٥٣٥).

....

ش: وقال الشيخ قاسم الحنفي في «شرح درر البحار»: النذر الذي ينذره أكثر العوام -على ما هو مشاهد-؛ كأن يكون لإنسان غائب أو مريض، أو له حاجة، فيأتي إلى قبر بعض الصلحاء، ويجعل على رأسه سترة، ويقول: يا سيدي فلان، إن رد الله غائبي، أو عُوفِي مريضي، أو قضيت حاجتي، فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع والزيت كذا، فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه:

منها: أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق.

ومنها: أن المنذور له ميت، والميت لا يملك.

ومنها: أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله، واعتقاد ذلك كفر... إلى أن قال: إذا علمت هذا، فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها، وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربًا إليها، فحرام بإجماع المسلمين.

نقله عنه ابن نجيم في «البحر الرائق»(١)، ونقله المرشدى في «تذكرته»، وغيرهما عنه، وزاد: وقد ابتلي الناس بهذا لا سيما في مولد البدوي(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويقول: يا سيدي فلان، إن رد الله غائبي، أو عُوفِي مريضي، أو قضيت حاجتي، فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام

---

(١) انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢/ ٣٢٠- ٣٢١).

(٢) كتاب التذكرة للمرشدي مخطوط لم أقف عليه.

كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع، والزيت كذا)، ما هي حاجة الميت بهذه الأشياء؟ الميت ميت، لا تصل إليه هذه الأشياء ولا تنفعه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهذا النذر باطل بالإجماع)**؛ لأنه نذر لغير الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(منها: أنه نذر لمخلوق)**، هذا كلام الشيخ قاسم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إلى أن قال)**، يعني: الشيخ قاسم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وزاد: وقد ابتلي الناس بهذا لا سيما في مولد البدوي)**، البدوي هذا في مصر، قبر البدوي في مصر، ويحصل عنده من الشرك ومن صرف الأموال، والذبح عنده، والاعتكاف عنده الشيء الكثير -والعياذ بالله-، ولا يزال، بل يزيد.

....

ش: وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء: فهذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان، فهو لغير الله، فيكون باطلًا، وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١٢١]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣]، والنذر لغير الله إشراك مع الله؛ كالذبح لغيره[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي)، صنع الله الحلبي هذا من أهل مكة، وهو حنفي، له كلام جيد في إنكار الشرك، وكتابه مطبوع الآن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والنذر لغير الله إشراك مع الله، كالذبح لغيره)؛ لأنه نوع من أنواع العبادة، وإذا كان النذر نوع من أنواع العبادة، فصرفه لغير الله شرك.

---

(١) انظر: سيف الله على من كذب على أولياء الله لصنع الله الحلبي بتقريظ شيخنا العلامة الدكتور صالح بن عبد الله بن فوزان الفوزان -حفظه الله- (ص٨٠-٨١).

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»[(١)].

ش: قوله: («فِي الصَّحِيحِ»)، أي: «صحيح البخاري».

قوله: (عَنْ عَائِشَةَ) هي: أم المؤمنين، زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وابنة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي ابنة سبع سنين، ودخل بها وهي ابنة تسع، وهي أفقه النساء مطلقًا، وأفضل أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ففيها خلاف، ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح[(٢)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «فِي الصَّحِيحِ»، أي: «صحيح البخاري»)، إذا قال المؤلف: «في الصحيح»، فقد يريد الصحيحين: البخاري ومسلم، وقد يريد أحدهما، يعني: في الحديث الصحيح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي ابنة سبع سنين)، يعني: عقد عليها وهي ابنة سبع سنين، فدل على أن للأب أن يزوج ابنته الصغيرة، ولو كانت دون التمييز إذا وجد لها كفئًا؛ لأن أبا بكر زوّج عائشة، وهي بنت سبع سنين لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدل على أن الأب له ذلك.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٢٧).

(٢) انظر في ترجمتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٤٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٨١)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥)، والإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٣١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهي أفقه النساء مطلقًا)، منحها الله اللفقه في الدين؛** لقربها من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونباهتها وذكائها، كان أكابر الصحابة يرجعون إليها، ويسألونها عما أشكل عليهم، فتجيبهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأفضل أزواج النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلا خديجة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **ففيها خلاف)**، خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا هي أول زوجات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأولاده كلهم من خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، اختلف العلماء: أيهما أفضل: عائشة أو خديجة؟ والصواب: أن كلا منهما لها فضائل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح)**، يعني: ماتت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

ش: قوله: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ الله فَلْيُطِعْهُ»[١]، أي: فليفعل ما نذره من طاعة الله، وقد أجمع العلماء على أن من نذر طاعة لشرط يرجوه؛ كإن شفى الله مريضي، فعلي أن أتصدق بكذا، ونحو ذلك، وجب عليه إن حصل له ما علق نذره على حصوله.

وحُكِيَ عن أبي حنيفة: أنه لا يلزم الوفاء إلا بما جنسه واجب بأصل الشرع -كالصوم-، وأما ما ليس كذلك -كالاعتكاف-، فلا يجب عليه الوفاء به[٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ الله فَلْيُطِعْهُ». أي: فليفعل ما نذره من طاعة الله)، لأنه واجب، لأنه إذا نذر نذر طاعة وجب عليه أن يفعله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد أجمع العلماء على أن من نذر طاعة لشرط يرجوه، كإن شفى الله مريضي فعلي أن أتصدق بكذا، ونحو ذلك، وجب عليه إن حصل له ما علق نذره على حصوله)، نذر الطاعة على قسمين:

- نذر منجز، وهذا يجب عليه أن ينفذه في الحال إذا تمكن.

- ونذر معلق على شرط: وهذا لا يجب عليه تنفيذه، إلا إذا حصل الشرط الذي علقه عليه؛ كإن شفى الله مريضي لأتصدق بكذا أو أعمل كذا، فإذا حصل الشرط، وشُفِيَ مريضه، يجب عليه تنفيذ ما نذر.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٢٧).

(٢) انظر: التجريد للقدوري (٤/ ١٧٠٢- ١٧٠٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحُكِيَ عن أبي حنيفة: أنه لا يلزم الوفاء إلا بما جنسه واجب بأصل الشرع -كالصوم-، وأما ما ليس كذلك -كالاعتكاف-، فلا يجب عليه الوفاء به)**، هذا مذهب أبي حنيفة، لكن الجمهور على خلافه؛ لعموم النذر، نذر الطاعة يجب الوفاء به عمومًا من دون تفصيل.

ش: قوله: «وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ الله فَلَا يَعْصِهِ»، زاد الطحاوي: «وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ»[(١)]، وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية.

قال الحافظ: اتفقوا على تحريم النذر في المعصية، وتنازعوا: هل ينعقد موجبًا للكفارة، أم لا؟[(٢)] وتقدم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ الله فَلَا يَعْصِهِ»**)، ومن نذر المعصية؛ أن ينذر للقبور والأضرحة وغير ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**زاد الطحاوي: «وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ»**)، زاد رواية عند الطحاوي الإمام المحدث رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ».

فزاد أنه لا يفعله، ولكن يكفر عن يمينه، كفارة يمين؛ لأن النذر بمنزلة اليمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قال الحافظ**)، الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**اتفقوا على تحريم النذر في المعصية، وتنازعوا: هل ينعقد موجبًا للكفارة، أم لا؟**)، اتفقوا على أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية، واختلفوا: هل تجب كفارة، أم لا؟ على قولين.

---

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٥/ ١٨٢).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٥٨٧).

....

ش: وقد يستدل بالحديث على صحة النذر في المباح؛ كما هو مذهب أحمد وغيره[(١)]، يؤيده ما رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وأحمد، والترمذي، عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَضْرِبَ على رَأْسِكَ بِالدُّفِّ، فَقَالَ: أَوْفي بِنَذْرِكِ»[(٢)].

وأما نذر اللجاج والغضب، فهو يمين عند أحمد، فيخير بين فعله وكفارة يمين[(٣)]؛ لحديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «لاَ نَذْرَ في غَضَبٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ»، رواه سعيد بن منصور، وأحمد، والنسائي[(٤)].

فإن نذر مكروهًا -كالطلاق-، أُستحب أن يكفر ولا يفعله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَضْرِبَ على رَأْسِكَ بِالدُّفِّ، فَقَالَ: أَوْفي بِنَذْرِكِ»)، إذا نذر شيئًا مباحًا، فهل يلزمه الوفاء؟ إذا نذر عبادة، هذا يجب الوفاء به، لكن إذا نذر شيئًا مباحًا، فهل يجب عليه الوفاء أو لا؟ على قولين:

أحدهما: يجب، بدليل هذا الحديث: «أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَضْرِبَ على رَأْسِكَ بِالدُّفِّ، فَقَالَ: أَوْفي بِنَذْرِكِ».

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة (١٣/ ٦٢٣- ٦٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣٨/ ١١٧)، وأبو داود (٣٣١٢)، والترمذي (٣٦٩٠).

(٣) انظر: المغني لابن قدامة (١٣/ ٤٦١- ٤٦٢).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣٣، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٣)، والنسائي في المجتبى (٣٨٤٢، ٣٨٤٣، ٣٨٤٤، ٣٨٤٦).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وأما نذر اللجاج، والغضب فهو يمين عند أحمد، فيخير بين فعله، وكفارة يمين**)، نذر اللجاج والغضب، الذي نذر وهو غضبان، هل يجب عليه الوفاء به أو لا؟ على قولين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**رواه سعيد بن منصور**)، سعيد بن منصور في سننه، سنن سعيد بن منصور لا يوجد منها إلا أجزاء يسيرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فإن نذر مكروهًا كالطلاق**)، إذا نذر أمرًا مكروهًا كنذر الطلاق، الطلاق مكروه؛ «**أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللهِ الطَّلَاقُ**»[1]، إذا كان من غير سبب، فإنه مكروه؛ إذا نذر أن يطلق زوجته، فإنه لا يطلقها، لكن يكفر عن يمينه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**أُستحب أن يكفر، ولا يفعله**)، ولا يفعل، يعني: ولا يطلق.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٤)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٥٢٧)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: وُجُوبُ الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ.

الثَّانِيَةُ: إِذَا ثَبَتَ كَوْنُهُ عِبَادَةً لِلَّهِ، فَصَرْفُهُ إِلَى غَيْرِهِ شِرْكٌ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ نَذْرَ الْمَعْصِيَةِ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِهِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْأُولَى: وُجُوبُ الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ**)؛ لقوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان:٧]، يعني: الأبرار.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة:٢٧٠]، قرنه مع النفقة، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ**»[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: إِذَا ثَبَتَ كَوْنُهُ عِبَادَةً للهِ فَصَرْفُهُ إِلَى غَيْرِهِ شِرْكٌ**)، وهذا وجه عقد الباب للنذر: أن النذر عبادة، فإذا نذر لغير الله، فهذا شرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: أَنَّ نَذْرَ المَعْصِيَةِ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِهِ**)، لكن عليه كفارة أو لا؟ هذا محل الخلاف، وأما أنه لا يجوز الوفاء به، فهذا مجمع عليه؛ «**وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ**».

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٢٧).

١٢ - بابٌ من الشِّرْك الاسْتعاذةُ بغيْر الله

ش: قوله: (بَابُ مِنَ الشِّرْكِ الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ).

الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام، ولهذا يسمى المستعاذ به: مَعَاذًا، وملجأ؛ فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه، واعتصم به، واستجار، والتجأ إليه، وهذا تمثيل، وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والانطراح بين يدي الرب، والافتقار، والتذلل له، أمر لا تحيط به العبارة. قاله ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ مِنَ الشِّرْكِ الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ)، قال الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد: (بَابُ مِنَ الشِّرْكِ)، أي: من أنواع الشرك الأكبر.

(الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ)، ذلك لأن الاستعاذة نوع من أنواع العبادة؛ فمن استعاذ بغير الله، فقد عبد غير الله، فيكون هذا شركًا أكبر.

والاستعاذة: هي الالتجاء والاعتصام بمن يمنع الشر عن المستعيذ، ويدفع المحذور، وهذا لا يكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا ذكر الله عن مشركي الجن في سورة: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ [الجن:١]، في سورة الجن، قالوا: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]، يعني: خوفًا؛ فهم استعاذوا بهم ليؤمنوهم، فجاءت النتيجة بالعكس؛ ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ وخوفًا.

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٠- ٢٠١)، والتفسير القيم (ص ٦٠١- ٦٠٢).

وهكذا كل من استعاذ بغير الله، فإنه يكون عليه الخوف؛ لأن الذي استعاذ به لا يؤمنه، لا يقدر على دفع الخوف عنه، هذا لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، يعني: خوفًا، انعكس عليهم مطلوبهم، فهو يريدون الأمن، فأصابهم الخوف، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

وقيل: ﴿فَزَادُوهُمْ﴾، أي: زاد الإنس الجنَ ﴿رَهَقًا﴾؛ إعجابًا بأنفسهم، زادوا الجن ﴿رَهَقًا﴾؛ إعجابًا وتعاظمًا في أنفسهم.

كانوا في الجاهلية إذا نزلوا منزلًا في البر، يقولون: (نعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه).

(نعوذ بسيد هذا الوادي)، يعني: من الجن، (من شر سفهاء قومه)، هكذا كانوا في الجاهلية.

﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، ولا يستعيذون بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(نعوذ بسيد هذا الوادي): كبير الجن في هذا الوادي أن يمنع عنا سفهاء قومه، وهذا حكاه الله عن الجن الذين أسلموا، واعترفوا بخطئهم: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن:١]، سمعوا الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في وادي نخلة بين مكة والطائف في صلاة الفجر، فأعجبوا بالقرآن، شيء لم يسمعوه من بعد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أعجبوا بالقرآن فآمنوا به، وذهبوا إلى قومهم، وأنذروهم وحذروهم؛ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ﴾، يعني: قضيت التلاوة.

﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣١]، لما سمعوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ القرآن، أنصتوا، فأعجبوا بالقرآن، ولم يسمعوا بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مثل هذا القرآن؛ ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:٣٠]، فآمنوا به، وهم من جن نصيبين -موضع في العراق-، هذا ما جاء في تفسير هذه الآية الكريمة(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام، ولهذا يسمى المستعاذ به: معاذًا، وملجأ**)، معاذًا وملجًأ.

لما أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتزوج امرأة، فالنساء خدعتها، قالت لها: إذا دخل عليكِ، فقولي: أعوذ بالله منك؛ فإنه يزيد حبكِ عنده، فلما دخل قالت: أعوذ بالله منك. قال: «**لَقَدْ عُذْتِ بِمُعَاذٍ، الْحَقِي بِأَهْلِكَ**»(٢).

«**لَقَدْ عُذْتِ بِمُعَاذٍ**»، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«**الْحَقِي بِأَهْلِكَ**»: طلقها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستجاب لها، فكان ذلك نقصًا عليها، خُدِعت في هذا.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٦٣- ١٧٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٨٥- ٢٨٧)، وتفسير البغوي (٤/ ٢٠٢- ٢٠٦)، وزاد المسير (٤/ ١١١- ١١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٥٥، ٥٦٣٧)، ومسلم (٢٠٠٧)، وأحمد -واللفظ له- (٢٥/ ٤٦٠)، من حديث أبي أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والانطراح بين يدى الرب، والافتقار والتذلل له أمر لا تحيط به العبارة)**، الالتجاء إلى الله يكون باللسان وبالقلب -أيضًا-، والقلب هو الأصل، حتى ولو لم ينطق بلسانه، إذا لتجأ إلى الله بقلبه، علم الله ما في قلبه، فأعاذه وأمنه مما يخاف.

....

ش: وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاستعاذة هي: الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذ يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير. انتهى[(١)].

قلت: وهي من العبادات التي أمر الله تعالى عباده بها؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت:٣٦]، وأمثال ذلك في القرآن كثير؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق:١]، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:١].

فما كان عبادة لله، فصرفه لغير الله شرك في العبادة، فمن صرف شيئًا من هذه العبادات لغير الله، فقد جعله لله شريكًا في عبادته، ونازع الرب في إلهيته؛ كما أن من صلى لله وصلى لغيره يكون عابدًا لغير الله، ولا فرق؛ كما سيأتي تقريره قريبًا -إن شاء الله تعالى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والعياذ يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير)، العياذ يكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب الخير.

يَا مَنْ أَلُوذ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ ... وَمَنْ أَعُوذ بِهِ مِمَّنْ أُحَاذِرُهُ[(٢)]

فصار بينهما فرق؛ بين العياذ واللياذ.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١١٤).

(٢) البيت للمتنبي الحسن بن هانئ. انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١١٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: وهي من العبادات التي أمر الله تعالى عباده بها)**، يعني: الاستعاذة من العبادات، نوع من أنواع العبادات التي أمر الله بها؛ ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت:٣٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى:** ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت:٣٦])، ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [فصلت:٣٤].

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾: إذا حصل بينك وبين أحد أساء إليك، فادفع إساءته بالحسنة.

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ [المؤمنون:٩٦]، هكذا خلق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يكن يجازي المسيء بإساءته، وإنما يجازيه بالإحسان، ويصبر على أذاه.

فإذا أساء إليك أحدٌ، فأحسن إليه، فإن جاءك الشيطان، وحملك على أن تقابله بالإساءة، فاستعذ بالله؛ لأن هذا من عمل الشيطان؛ ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأمثال ذلك في القرآن كثير، كقوله تعالى:** ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق:١]، وقوله: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:١])، في المعوذتين في آخر القرآن.

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق:١]: الذي هو فلق الصبح، ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام:٩٦]، فلق الصبح، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق:١، ٢].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١، ٢].

يسميان بالمعوذتين، من أتى بهما في صباحه ومسائه في ورده، أعاذه الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فما كان عبادة لله، فصرفه لغير الله شرك في العبادة، فمن صرف شيئًا من هذه العبادات لغير الله فقد جعله لله شريكًا في عبادته)**، العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية(١).

العبادة أنواع كثيرة، فمن صرف منها نوعًا لغير الله، فقد أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ومن ذلك الاستعاذة، الاستعاذة نوع من أنواع العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونازع الرب في إلهيته كما أن من صلى لله وصلى لغيره يكون عابدًا لغير الله، ولا فرق)**، لا فرق، لا فرق بين الاستعاذة والصلاة؛ كلاهما نوعان من أنواع العبادة

---

(١) انظر: (رسالة العبودية) ضمن مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

ش: قوله: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]).

قال ابن كثير، أي: كنا نرى أن لنا فضلًا على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي: إذا نزلوا واديًا، أو مكانًا موحشًا كما كانت عادة العرب في جاهليتها، يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم شيء بسوء، وذاك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى بواد قفر، وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. يريد كبير الجن[1].

قال مجاهد: كانوا إذا هبطوا واديًا يقولون: نعوذ بعظيم هذا الوادي، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، قال: زادوا الكفار طغيانًا. رواه عبد بن حميد وابن المنذر[2].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن كثير، أي: كنا نرى أن لنا فضلًا على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي: إذا نزلوا واديًا، أو مكانًا موحشًا كما كانت عادة العرب في جاهليتها، يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم شيء بسوء)، كانوا يقولون: نعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٣٩).
(٢) انظر: الدر المنثور (٨/ ٣٠١).

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شرع لعباده بدل ذلك أن يستعيذوا بالله، إذا نزلوا في مكان أو خافوا، يستعيذون بالله بدل من الاستعاذة بغيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، قال: زادوا الكفار طغيانًا)، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، قيل: المراد زادوا الجن ﴿رَهَقًا﴾، أي: تكبرًا وإعجابًا بأنفسهم.

وقيل: الجن زادوا الإنس ﴿رَهَقًا﴾، أي: خوفًا وذلًّا، لما استعاذوا بهم.

....

ش: وقال ابن كثير: لما رأت الجن أن الإنسَ يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا، أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم.

كما قال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها، فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي.

قال: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك.

وذكر عن ابن أبي حاتم بسند إلى عكرمة نحو ذلك. انتهى[١].

وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال ابن كثير: لما رأت الجن أن الإنسَ يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا)، هذا المعنى الثاني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم)، تسلطوا عليهم.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٣٩).

ش: وقال ملا علي قاري الحنفي: لا تجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك، وذكر الآية.

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٢٨]، فاستمتاع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات، واستمتاع الجنى بالإنسي تعظيمه إياه، وإستعاذته به، وخضوعه له. انتهى ملخصًا[(١)].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية لا يدل على أنه ليس من الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٢٨])، إذا حشر الله جَلَّ وَعَلَا الجن والإنس يوم

---

(١) لم أقف عليه من كلام ملا علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكن وقفت عليه من كلام ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص٥٢٠-٥٢١).

القيامة، يعاتب الجن، يقول: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾، يعني: أذللتموهم، خوفتموهم، وصرفتم قلوبهم عن الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾، فنحن عظمنا الجن، فحصل للجن منفعة التعظيم، وحصل لنا الأمن من الخوف، ﴿ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾: استمتع الجن بالإنس، واستمتع الإنس بالجن.

﴿وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَا﴾: وهو يوم القيامة.

﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: الجن والإنس الذين فعلوا هذا؛ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام:١٢٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فاستمتاع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات)**، هذا انتفاع الإنسي بالجني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وفيه أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، لا يدل على أنه ليس من الشرك)**، هذه قاعدة معروفة: أن حصول المطلوب لا يدل على جواز الفعل؛ فإذا فعل فعلًا، وحصل مطلوبه؛ دعا غير الله، أو استغاث بغير الله، أو دعا القبور والأضرحة، وحصلت حوائجهم، فلا يدل هذا على جواز فعلهم؛ لأن هذا استدارج من الله عَزَّوَجَلَّ، يستدرجهم؛ ليزيد عليهم الكفر والشرك، ويظنون أن هذا يدل على الجواز، حصول المطلوب لا يدل على الجواز أبدًا.

فلا يقل واحد: أنا فعلت كذا وكذا، وحصل مطلوبي، فهذا دليل على جواز هذا الفعل؛ لا يُستدل إلا بالكتاب والسنة.

وأما حصول المطلوب، فقد يستدرج الله بعض الخلق، فيعطيهم مطلوبهم، وهو لا يرضى عنهم بذلك؛ من باب الإهانة لهم، واستزادتهم من الشرك؛ حتى يخسروا دنياهم وآخرتهم -والعياذ بالله!

لأن هناك من يقولون: والله، نحن ذهبنا إلى القبر الفلاني، ودعونا عنده، وحصل مطلوبنا، فهذا يدل على الجواز.

نقول: لا، هذا لا يدل على الجواز، هذا استدارج من الله عَزَّوَجَلَّ، فأنتم توبوا إلى الله، واتركوا هذا الشيء، واطلبوا من الله عَزَّوَجَلَّ، لا تطلبوا من غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، انتبهوا! (قال المصنف)، يعني: الشيخ محمد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وفيه أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، لا يدل على أنه ليس من الشرك)**، كونه يحصل مطلوب الذي يدعو غير الله لا يدل على أن دعاءه لغير الله ليس من الشرك؛ حصول المطلوب لا يدل على الجواز.

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، فقَالَ: أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

ش: هي (خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ)، بن أمية السلمية، يقال لها: أم شريك، ويقال: إنها هي الواهبة، وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون.

قال ابن عبد البر: وكانت صالحة فاضلة[٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيْمٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ **قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُوْلُ:** (**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فقَالَ: أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**)، «**أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»: إذا قالها الإنسان في منزل، فإن الله يؤمنه مما يخاف، والاستعاذة بكلمات الله، الكلمات على نوعين:

- الكلمات الكونية: وهي الأوامر والنواهي التي يأمر الله بها وينهى ويدبر.

- وكلمات قرآنية: وهي من صفات الله، كلام الله من صفاته، فإذا استعذت به استعذت بالله عَزَّوَجَلَّ، إذا استعذت بصفة من صفات الله، فقد استعذت بالله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) انظر في ترجمتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٦/ ٣٣٠٦)، والاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٨٣٢)، وتهذيب الكمال (٣٥/ ١٦٤)، والعقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين (٦/ ٣٨٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»**)، التامات: التي لا نقص فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويقال: إنها هي الواهبة**)، هي الواهبة: التي وهبت نفسها للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٠]: فهي التي عرضت نفسها على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

....

ش: قوله: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ»: شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به بدلًا عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن، فشرع الله للمسلمين أن يتعوذوا بأسمائه وصفاته.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل: معناه الكاملات التي لا يلحقها نقص، ولا عيب، كما يلحق كلام البشر.

وقيل معناه: الشافية الكافية.

وقيل: الكلمات هنا هي القرآن، فإن الله أخبر عنه بأنه: ﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤]، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى.

ولما كان ذلك استعاذة بصفات الله تعالى، كان من باب المندوب إليه المرغب فيه، وعلى هذا، فحق المستعيذ بالله تعالى، أو بأسمائه وصفاته أن يصدق الله في التجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويحضر ذلك في قلبه، فمتى فعل ذلك، وصل إلى منتهى طلبه، ومغفرة ذنبه[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل: معناه الكاملات)، التامات، يعني: الكاملات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل: معناه الكاملات التي لا يلحقها نقص، ولا عيب، كما يلحق كلام البشر)؛ لأن كلام البشر يلحقه

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي (٧/ ٣٦).

نقص وعيب؛ لأنه مثل البشر، وأما كلام الله، فلا يلحقه نقص ولا عيب، ولذلك سماها التامات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقيل معناه: الشافية الكافية)**، هذا من اختلاف التنوع في التفسير، الآية تحتمل عدة معان، وكل مفسر يأخذ معنى من هذه المعاني، وهذا ليس اختلاف تضاد، وإنما هو احتلاف تنوع؛ لأن الآية تدل على هذا كله.

....

ش: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد نص الأئمة -كأحمد، وغيره- على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق، قالوا: لأنه ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه استعاذ بكلمات الله، وأمر بذلك، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها؛ خشية أن يكون فيها شرك[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن ذبح للشيطان، ودعاه، واستعاذ به، وتقرب إليه بما يحب، فقد عبده، وإن لم يسم ذلك عبادة، ويسميه استخدامًا، وصدق هو استخدام من الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه، وبذلك يخدمه الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة، فإن الشيطان لا يخضع له، ولا يعبده كما يفعل هو به. اهـ[٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد نص الأئمة -كأحمد، وغيره- على أنه لا يجوز الإستعاذة بمخلوق، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق)، استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأن الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز، وقد شرع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاستعاذة بكلمات الله، دل على أنها غير مخلوقة، وأنها صفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا ردٌّ على الجهمية والمعتزلة الذين يقولون: كلام الله مخلوق.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٣٣٦).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٥- ٢٣٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قالوا: لأنه ثبت عن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه استعاذ بكلمات الله، وأمر بذلك)**، والاستعاذة بالمخلوق لا تجوز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا نهى العلماء عن التعازيم، والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك)**، التعازيم والتعاويذ التي هي الأوراق تكتب وتعلق على الصبيان، إذا كانت هذه التعازيم وهذه التعاويذ فيها شرك، هذه بالإجماع لا تجوز.

أما إذا كانت من القرآن ومن أسماء الله وصفاته، فقد اختلف العلماء في ذلك، قيل أيضًا: لا تجوز، وقيل: لا بأس بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ومن ذبح للشيطان، ودعاه، واستعاذ به، وتقرب إليه بما يحب فقد عبده، وإن لم يسم ذلك عبادة، ويسميه استخدامًا)**، العبرة بالحقائق لا بالأسماء.

....

ش: قوله: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق:٢].

قال ابن القيم: أي: من كل شر في أي مخلوق قام به الشر؛ من حيوان، أو غيره، إنسيًّا كان، أو جنيًّا، أو هامة، أو دابة، أو ريحًا، أو صاعقة، أي نوع كان من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة(١).

و(ما): ههنا موصولة ليس إلا، وليس المراد بها العموم الإطلاقي، بل المراد التقييدي الوصفي.

والمعنى: من شر كل مخلوق فيه شر، لا من شر كل ما خلقه الله؛ فإن الجنة، والملائكة، والأنبياء ليس فيهم شر، والشر يقال على شيئين: على الألم، وعلى ما يفضي إليه.

قوله: «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ».

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا خبرٌ صحيح، وقولٌ صادق علمنا صدقه دليلًا وتجربة، فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه، فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمهدية ليلًا، فتفكرت في نفسي، فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (و«ما»: ههنا موصولة)، ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق:٢]. ﴿ مِن شَرِّ ﴾ الذي خلق؛ لأن «ما» بمعنى الذي، موصولة.

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢١٥).

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي (٧/ ٣٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمعنى: من شر كل مخلوق فيه شر)**؛ لأنه ليس كل المخلوقات فيها شر، الشر في بعض المخلوقات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والشر يقال على شيئين: على الألم، وعلى ما يفضي إليه)**، الشر يطلق على الألم والوجع، وعلى ما يفضي إليه الألم.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْجِنِّ.

الثَّانِيَةُ: كَوْنُهُ مِنَ الشِّرْكِ.

الثَّالِثَةُ: الِاسْتِدْلَالُ عَلَى ذَلِكَ بِالْحَدِيْثِ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ يَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى أَنَّ كَلِمَاتِ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، قَالُوا: لِأَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ بِالْمَخْلُوقِ شِرْكٌ.

الرَّابِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذَا الدُّعَاءِ مَعَ اخْتِصَارِهِ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ يَحْصُلُ بِهِ مَنْفَعَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ -مِنْ كَفِّ شَرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ-؛ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ)، فيه: في الباب، في الآيات والأحاديث الواردة في الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الجِنِّ)، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: كَوْنُهُ مِنَ الشِّرْكِ)، كون هذا من الشرك، كون الاستعاذة بالجن وبكل مخلوق من الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: الِاسْتِدْلَالُ عَلَى ذَلِكَ بِالْحَدِيْثِ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ يَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى أَنَّ كَلِمَاتِ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، قَالُوا: لِأَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ بِالْمَخْلُوقِ شِرْكٌ)، فهذا من أدلة أهل السنة على الجهمية والمعتزلة الذين يقولون: القرآن مخلوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلقه الله في جبريل، أو في محمد، أو في اللوح المحفوظ.

وهذا كذب؛ كلام الله تكلم الله به حقيقة، تكلم الله به حقيقة، ولم يخلقه خلقًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذَا الدُّعَاءِ مَعَ اخْتِصَارِهِ)**، «**لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ**»، هذا فضل عظيم، «شيء»، أي شيء يضره، لا يضره شيء إذا قال: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: أَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ يَحْصُلُ بِهِ مَنْفَعَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ -مِنْ كَفِّ شَرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ-؛ لا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ)**، انتبهوا لها! هذه المسألة عظيمة، حصول المطلوب لا يدل على الجواز أو المنع إلا الكتاب والسنة، أما كونه يحصل لك مطلوبك، فهذا ليس دليلًا على الجواز، هذا استدارج، وقد يصادف قضاء وقدرًا، فيحصل.

١٣ - بَابُ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٦، ١٠٧]، **وَقَوْلِهِ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت:١٧].

ش: قوله: (**بَابُ: مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ**).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: **الِاسْتِغَاثَةُ طَلَبُ الْغَوْثِ، وَهُوَ إِزَالَةُ الشِّدَّةِ، كَالِاسْتِنْصَارِ طَلَبُ النَّصْرِ، وَالِاسْتِعَانَةِ طَلَبُ الْعَوْنِ**[١].

وقال غيره: الفرق بين الاستغاثة، والدعاء أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، والدعاء أعم من الاستغاثة؛ لأنه يكون من المكروب وغيره، فعطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص، فبينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة، وينفرد الدعاء عنها في مادة، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة.

وقوله: (أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ)، اعلم أن الدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، ويراد به في القرآن هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٠٣).

فدعاء المسألة هو. طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع، أو كشف ضر؛ ولهذا أنكر الله على من يدعو أحدًا من دونه ممن لا يملك ضرًّا، ولا نفعًا؛ كقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [المائدة:٧٦].

وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:٧١].

وقوله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ)، الاستغاثة: طلب الغوث، وهي أعم من الاستعانة، الاستغاثة لا تكون إلا عند شدة الحاجة، وأما الاستعانة فإنها تحصل ولو لم يكن هناك شدة حاجة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والدعاء أعم من الاستغاثة)، يحصل من المكروب ومن غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة)، الاستغاثة لا تكون إلا من شدة خلاف الدعاء فإنه يكون من شدة وغير شدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: «أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ»، اعلم أن الدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة)**، دعاء عبادة، يعني: كل الثناء على الله دعاء عبادة، وطلب الحوائج: هذا دعاء مسألة، فالدعاء نوعان:

* دعاء عبادة: وهو الثناء على الله جَلَّ وَعَلَا.

* ودعاء مسألة: وهو طلب الحوائج من الله.

وهذان اشتملت عليهما سورة الفاتحة؛ فأولها دعاء عبادة إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥]، وآخرها دعاء مسألة من قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، إلى آخر السورة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦])**، ﴿مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يعني: من المشركين؛ لأن الشرك هو أعظم أنواع الظلم.

والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه(١)، هذا هو الظلم، فمن عبد غير الله أو دعا غير الله، فقد وضع العبادة في غير موضعها؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

(١) سبق عزوه (١/ ٣١٦).

ش: **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف:٥٥]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:٤٠، ٤١]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨]، وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [الرعد:١٤]. وأمثال هذا في القرآن في دعاء المسألة أكثر من أن يحصر، وهو يتضمن دعاء العبادة؛ لأن السائل أخلص سؤاله لله، وذلك من أفضل العبادات، وكذلك الذاكر لله، والتالي لكتابه ونحوه، طالب من الله في المعنى، فيكون داعيًا عابدًا[(١)].**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة)**، دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة؛ لأن أنواع الدلالة ثلاثة: دلالة مطابقة، ودلالة استلزام، ودلالة تضمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة)**، متضمن، يعني: داخل فيها، التضمن: هو دخول الشيء في الشيء.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١١).

ودلالة الشيء على شيء خارج من معناه: هذا دلالة التزام، دلالة الالتزام: هي دلالة الشيء على شيء خارج من معناه، لكنه تابع له.

ودلالة التضمن: هي دخول الشيء في الشيء، يكون ضمنه وداخلًا فيه،

ودلالة المطابقة: دلالة الشيء على تمام معناه، تمام معناه هذه مطابقة[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال الله تعالى:** ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥])، المعتدين في الدعاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى:** ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:٤٠، ٤١])، المشركون كانوا إذا وقعوا في شدة، لا يدعون إلا الله؛ لعلمهم أنه لا يخلص من الشدائد إلا الله، وإنما يشركون في الرخاء، حالة الرخاء يشركون، أما في حالة الشدة، فلا يدعون إلا الله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡ﴾ [الإسراء:٦٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى:** ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن:١٨])، ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾، قيل: المساجد: أعضاء السجود أنها لله، فلا تسجد بها إلا لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وقيل: أعم، المساجد هي أعضاء السجود، وأيضًا مواضع الصلاة.

---

(١) انظر: معيار العلم للغزالي (ص٧٢)، وقانون التأويل (ص٥١٢-٥١٣)، وروضة الناظر (١/ ٧٠- ٧١)، والإحكام للآمدي (١/ ١٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى**: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [الرعد:١٤])، ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾: دعوة الحق: هي دعوة الله عَزَّوَجَلَّ، والطلب منه وحده.

وأما دعاء المشركين لآلهتهم، فإنها باطلة، ولا تجديهم شيئًا؛ مثل الذي يأتي إلى بئر عميق فيه الماء في قاعه، وهو عطشان، فيمد يديه يريد أن الماء يرتفع إليه، لا يرتفع الماء، فيبقى عطشان أو يموت والماء عنده، فهو مثل الذي يدلي يديه إلى البئر العميق يريد أنه يشرب منه، وهو لا يطيق هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [الرعد:١٤])، هذا مثل ضربه الله جَلَّوَعَلَا في بطلان دعاء غير الله.

....

ش: فتبين بهذا من قول شيخ الإسلام: «أن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة». وقد قال الله -تعالى- عن خليله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٨، ٤٩]. فصار الدعاء من أنواع العبادة؛ فإن قوله: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم:٤٨] كقول زكريا: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:٤]، وقد أمر الله تعالى به في مواضع من كتابه؛ كقوله: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٥، ٥٦]، وهذا هو دعاء المسألة المتضمن للعبادة، فإن الداعي يرغب إلى المدعو، ويخضع له، ويتذلل وغير ذلك.

وضابط هذا: أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به، ففعله لله عبادة، فإذا صرف من تلك العبادة شيئًا لغير الله، فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر:١٤]، وسيأتي لهذا مزيد بيان -إن شاء الله تعالى.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرسالة السنية»: فإذا كان على عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته

العظيمة، فليُعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضًا من الإسلام لأسباب منها:

- الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح، فكل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلهية مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، وأنا في حسبك، ونحو ذلك من هذه الأقوال، فكل هذا شرك، وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب، ليعبد وحده لا شريك له، ولا يدعى معه إله آخر.

والذين يدعون مع الله آلهة أخرى -مثل: المسيح، والملائكة، والأصنام- لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق، أو تنزل المطر، أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم، أو يعبدون صورهم، يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، فبعث الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استعانة. اهـ[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكل هذا شرك، وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل)؛ لأنه أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم، أو يعبدون صورهم، يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣])،

---

(١) انظر: الوصية الكبرى لشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٣-٣٩٥).

يريدون منهم الشفاعة عند الله، يعبدونهم ويصرفون لهم شيئًا من أنواع العبادات ليشفعوا لهم عند الله بزعمهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨])، ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، فهم يعبدون الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين، يقولون: نريد أنهم يشفعوا لنا عند الله، يصرفون لهم شيئًا من العبادة، ويقولون: هؤلاء يشفعون لنا عند الله. هذا شرك، ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

....

ش: وقال أيضًا: من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم، ويدعوهم، ويسألهم، كفر إجماعًا. نقله عنه صاحب الفروع، وصاحب الإنصاف[١]، وصاحب الإقناع[٢]، وغيرهم، وذكره في مسألة الوسائط[٣]، ونقلته منه في الرد على ابن جرجيس في مسألة الوسائط[٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(نقله عنه صاحب الفروع، وصاحب الإنصاف)**، صاحب الفروع: كتاب في الفقه في المذهب، للإمام ابن مفلح، وصاحب الإنصاف: والإنصاف للمرداوي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وصاحب الإقناع)**، الإقناع للحجاوي، شرحه منصور البهوتي في «كشاف القناع».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ونقلته منه في الرد على ابن جرجيس)**، الشيخ عبد الرحمن ابن حسن نقل هذا في رده على ابن جرجيس الذي ظهر من العراق، وهو يدعو إلى الشرك، جاء إلى أهل نجد بصفة أنه طالب علم، وأنه لازم الشيخ

---

(١) انظر: الفروع (١٠/ ١٨٨)، والإنصاف (١٠/ ٣٢٧).
(٢) انظر: الإقناع (٤/ ٢٩٧).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٢٤).
(٤) انظر: كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس (ص٤٩، ١٦٥، ١٦٩).

أبا بطين في عنيزة على أنه يطلب العلم، وهو جاء يدعو إلى الشرك، تبين هذا في آخر أمره، فردوا عليه.

وممن رد عليه الشيخ أبا بطين في رسالة الانتصار[1]، ورد عليه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه «الرد على ابن جرجيس».

(١) انظر: الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين، وتأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس للشيخ أبا بطين.

....

ش: وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن أنواعه -أي: الشرك-: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم -وهذا أصل شرك العالم-؛ فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عمن استغاث به، أو سأله أن يشفع له إلى الله. وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده[1]، وسيأتي تتمة كلامه في باب الشفاعة -إن شاء الله تعالى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا، ولا ضرًّا، فضلًا عمن استغاث به، أو سأله أن يشفع له إلى الله)**، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»**[2]. فالميت ينقطع عمله بموته إلا من هذه الثلاث، فكيف يطلب منهم، وهم لا يقدرون على أن يعملوا لأنفسهم؟!!

لا يقدرون على أن يعملوا لأنفسهم، فكيف يطلب منهم الحي؟!

هذا من العجائب، الحي الذي يقدر على الدعاء وعلى العبادة يطلب من الميت الذي لا يقدر على شيء! انقطع عمله، وهو يلجأ إليه، هذا من الانتكاس -والعياذ بالله!

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: **وقال الإمام الحافظ محمد بن عبد الهادي في رده على السبكي في قوله: إن المبالغة في تعظيمه -أي: تعظيم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واجبة.**

قال: إن أُريد بها المبالغة بحسب ما يراه كل أحدٍ تعظيمًا، حتى الحج إلى قبره، والسجود له، والطواف به، واعتقاد أنه يعلم الغيب، وأنه يعطي ويمنع، ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائج السائلين، ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن شاء، ويدخل الجنة من شاء، فدعوى وجوب المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال الإمام الحافظ محمد بن عبد الهادي في رده على السبكي)**، الحافظ محمد بن عبد الهادي من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الذي كتب ترجمة مطولة لابن تيمية، وكان له نشاط في الرد على المخالفين في أمر العقيدة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال الإمام الحافظ محمد بن عبد الهادي في رده على السبكي)**، كتابه: الرد على السبكي، السبكي ألف كتابًا في مشروعية شد الرحل لزيارة قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأورد فيه أو حشد فيه من الأحاديث

(١) انظر: الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص٣٤٦).

ما هب ودب، فابن عبد الهادي رد عليه، رد عليه في هذا الكتاب: «الصارم المنكي في الرد على السبكي»، وهو مطبوع ومتدوال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فدعوى وجوب المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين)**، من جملة ما قاله السبكي في كتابه هذا: إن المبالغة في تعظيم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر مشروع.

وهذا يتنافى مع قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(١).

ولما قالوا له: «أَنْتَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، فَقَالَ: **قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(٢).

فهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رد المبالغة في تعظيمه؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك، أو هو الشرك بعينه، إذا زعم أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينفع ويضر، ويعطي بعد موته، وأنه يقضي الحاجات بعد موته، فهذا شرك.

وأما تعظيمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما شرعه الله، فهذا أمر واجب؛ ﴿**فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ**﴾، ﴿**وَعَزَّرُوهُ**﴾، يعني: مدحوه، وأثنوا عليه. ﴿**وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف:١٥٧].

فلا بد من الاعتدال في تعظيمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيعظم بما عظمه الله به دون غلو.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥، ٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠/ ٢٣، ٢١/ ١٦٦، ٢١٦)، والنسائي في الكبرى (٩/ ١٠٣)، والضياء بنحوه في المختارة (٥/ ٢٥)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: وفي «الفتاوى البزازية» من كتب الحنفية، قال علماؤنا: من قال: أرواح المشايخ حاضرة تعلم، يكفر(١).

فإن أراد بالعلماء علماء الشريعة، فهو حكاية للإجماع على كفر معتقد ذلك، وإن أراد علماء الحنفية خاصة، فهو حكاية لاتفاقهم على كفر معتقد ذلك، وعلى التقديرين، تأمله، تجده صريحًا في كفر من دعا أهل القبور؛ لأنه ما دعاهم حتى اعتقد أنهم يعلمون ذلك، ويقدرون على إجابة سؤاله، وقضاء مأموله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي «الفتاوى البزازية» من كتب الحنفية)**، الفتاوى البزازية: للبزاز الحنفي، فهو أيضًا ممن أنكر هذا الشيء -كما يأتي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال علماؤنا: من قال: أرواح المشايخ حاضرة تعلم، يكفر)**، من قال: أرواح المشايخ حاضرة -يعني: بعد موتها- وتعلم فإنه يكفر؛ لأنه ادعى أن أرواح المشايخ تعود إلى الدنيا، وأنها حاضرة مع الناس.

والميت لا يرجع إلى الدنيا بعد موته؛ لا روحه ولا جسده، لا يرجع بعد موته إلى الدنيا؛ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٣١]، يعني: الأموات، هذا كذب، تحامل -يعني- بالمبالغة والغلو.

---

(١) حكاه ابن نجيم عن «الفتاوى البزازية» في البحر الرائق (٥/ ١٣٤).

....

ش: وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفات في الحياة وبعد المات على سبيل الكرامة:

هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يَدّعون أن للأولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهممهم تكشف المهمات، فيأتون قبورهم، وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين أن ذلك منهم كرامات، وقالوا: منهم أبدال ونقباء، وأوتاد ونجباء، وسبعون وسبعة، وأربعون وأربعة، والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيهما الأجور.

وقال: وهذا كلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي؛ لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق، ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة. وفي التنزيل: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ الآية [النساء:١١٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي)**، صنع الله الحلبي: هذا مكي من أهل مكة، وهو حنفي المذهب، وله كتاب طُبِعَ أخيرًا، نقل منه الشيخ هذا الكلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(في كتابه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفات في الحياة وبعد المات على سبيل الكرامة)**، واسم الكتاب: «سيف الله على من كذب على أولياء الله»، وطُبِعَ أخيرًا محققًا، والحمد لله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيهما الأجور)**، هذا كلام صنع الله الحلبي من كتابه الذي طُبِع أخيرًا -والحمد لله-، ينكر على القبوريين ما يفترونه أن أرواح الأموات حاضرة، وأنها تجيب من دعا، وأنها تناصر من استغاث بها، وأنها، وأنها، وكل هذا من الباطل والبهرج، ترويج الشرك -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال: وهذا كلام فيه تفريط)**، «وقال»، يعني: صنع الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي التنزيل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ الآية** [النساء:١١٥]**)**، ومن مشاقة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغلو في القبور والأموات، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذر من هذا غاية التحذير، ونبه عليه، فالذي يخالفه في هذا، ويزعم أن أرواح الأموات حاضرة عند الناس، وأنها يستغاث بها، وأنها....، وأنها...، فهذا من الكذب على الله وعلى رسوله، وعلى إجماع المسلمين.

ش: ثم قال: فأما قولهم: إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، فيرده قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٠]، وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٨٩]، ونحوها من الآيات الدالة على أنه -سبحانه- المتفرد بالخلق والتدبير، والتصرف والتقدير، ولا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه، فالكل تحت ملكه وقهره، تصرفًا وملكًا وإحياء وإماتة وخلقًا.

وتمدح الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بإنفراده بملكه في آيات من كتابه؛ كقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣، ١٤]. وذكر آيات كثيرة في هذا المعنى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثم قال)، يعني: صنع الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فأما قولهم إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات فيرده قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٠])، قولهم: إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم، تصرفات، يعني: في الكون، فهذا ادعاء أن مع الله إلهًا آخر يتصرف معه في الكون -تعالى الله عن ذلك!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [المائدة:١٢٠])، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [المائدة:١٢٠].

الخلق: لا أحد يخلق مع الله عَزَّوَجَلَّ؛ الله انفرد بالخلق، تحدى العالم كله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣]، فالله تحدى أنهم يخلقون ذبابًا مع ما فيهم من الحذق والمهارة في الصناعة والاختراعات والطب، الأطباء تحداهم كلهم أن يخلقوا ذبابًا؛ الخلق لله سبحانه؛ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ [المائدة:١٢٠]، هو المنفرد بالخلق؛ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧].

فالله انفرد بالخلق، وانفرد بالأمر الذي هو الشرع، فالشرع: هو ما شرعه الله، وليس لأحد أن يشرع مع الله عَزَّوَجَلَّ، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبلغ عن الله، وأما المشرع، فهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [المائدة:١٢٠].

قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عند هذه الآية: (من بقي له شيء فليطلبه)(١)، لم يبق شيء، الخلق والأمر لله، إذًا لم يبق شيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٨٩])، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٨٩]: خلقًا وعبيدًا، وكل من السماوات والأرض، السماوات له، والأرض له، ومن فيهن له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لم يبق شيء، صار الملك لله؛ ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦].

(١) ذكره أبو هلال العسكري في الصناعتين (ص١٧٦).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فالكل تحت ملكه وقهره، تصرفًا وملكًا وإحياء وإماتة وخلقًا**)، والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦]؛ فالله خلق الإنسان، وخلق عمله، فجميع الخلق من خصائص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وتمدح الرب** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **بإنفراده بملكه في آيات من كتابه، كقوله تعالى:** ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر:٣])، ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾، يعني: لا أحد، ﴿ هَلْ ﴾: هذا استفهام مقصود به النفي، هل أحد يجيب ويقول: نعم، هناك خالق؟ لم يقل أحد: نعم، هناك خالق مع الله. فدل على أن الله هو المنفرد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وتمدح الرب** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **بانفراده بملكه في آيات من كتابه، كقوله تعالى:** ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر:٣])، ﴿ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر:٣].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وقوله:** ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:١٣، ١٤])، هذه الآية يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ:٢٢، ٢٣]: لم يبق شيء لأحد، كل الملك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وقوله:** ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾)، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾، يعني: الآلهة التي يعبدها المشركون.

﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣]: والقطمير: هو السلب الذي يكون في ظهر النواة.

النقير والقطمير: النقير: هو المذبح الذي في ظهر النواة، والقطمير: هو السلب الذي يكون فيه(١).

لا أحد يملك للخلق إذا دعوه أو طلبوا منه يملك قطميرًا، أضعف شيء وأقل شيء وأتفه شيء، إلا من ملكه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

....

ش: ثم قال: فقوله في الآيات كلها ﴿مِن دُونِهِۦ﴾، أي: من غيره، فإنه عام يدخل فيه من اعتقدته من ولي وشيطان تستمده، فإن لم يقدر على نصر نفسه، كيف يمد غيره؟!

إلى أن قال: إن هذا لقول وخيم وشرك عظيم.

إلى أن قال: وأما القول بالتصرف بعد الممات، فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة، قال جل ذكره: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠]، وقال جل ذكره: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر:٤٢]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، وقال جل ذكره: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثم قال: فقوله في الآيات كلها ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي من غيره)، ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: من غيره، دون الله، يعني: غير الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإنه عام يدخل فيه من اعتقدته من ولي وشيطان تستمده)، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ [فاطر:١٣]: المخلوقات كلها من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، غير الله جَلَّ وَعَلَا، لا تملك شيئًا، إلا ما ملكها الله إياه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن لم يقدر على نصر نفسه، كيف يمد غيره؟!)، لا ينصرون من دعاهم، ولا ينتصرون ممن أصابهم، الألهة هذه لا تنصر

ولا تنتصر، لو أصابها شيء، لا تحمي نفسها منه، فكيف تدعى من دون الله عَزَّوَجَلَّ؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إلى أن قال)**، «قال»، يعني: صنع الله الحلبي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إلى أن قال: وأما القول بالتصرف بعد الممات، فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة)**، القول بالتصرف بعد الممات مستحيل، الميت لا يتصرف بعد الموت؛ «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ**»(١).

«**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ**»، أي إنسان.

«**انْقَطَعَ عَمَلُهُ**» بالموت.

«**إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ**»: قدمها في حياته، يستمر نفعها له بعد موته؛ «**صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ**»، أما هو، عمله انتهى وانقطع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة)**، التصرف في الحياة يمكن، لكن التصرف بعد الممات هذا مستحيل في أقل شيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال جل ذكره: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠])**، قال لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر:٣٠، ٣١].

الرسول ميت صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿ مَيِّتٌ ﴾: يقال لمن سيموت، أما (مَيْتٌ): هذا يقال لمن مات بالفعل، أما من سيموت هذا يقال له: ﴿ مَيِّتٌ ﴾، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠].

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٩١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال جل ذكره: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر:٤٢])، هذا من عجائب قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾، حينما ينتهي أجلها يتوفاها وفاة نهائية، وتنتقل إلى عالم آخر، هو عالم الآخرة.

وكذلك يتوفى الأنفس في المنام، إذا نام الإنسان، النوم وفاة صغرى؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ [الأنعام:٦٠]، فالنوم وفاة.

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾، ويتوفى الأنفس حين نومها، فتجتمع أرواح الأموات وأرواح النيام، ولذلك بعض الناس يرى الأموات ويتحدث معهم؛ لأن الأرواح تلتقي، تلتقي أرواح الأموات بأرواح الأحياء في النوم، وقد تتحدث روح الحي مع روح الميت، هذا شيء معلوم ومجرب، أنا رأيت فلان، وقال لي: كذا وكذا، ووصاك بكذا وكذا، الأرواح تتلاقى.

﴿وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ ﴾، هذه لا ترجع.

﴿ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾، يعني: إذا استقيظ الإنسان، ترد عليه روحه.

﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر:٤٢]: إلى أن يتوفاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا من عجائب قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تختلط الأموات، ويعزل هذه عن هذه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥])، ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾: لا يخرج عن هذا أحد من المخلوقين، ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

سبيلُ الموتِ غايةُ كلّ حيٍّ ... وداعِيه لأهل الأرض داعِي(١)

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال جل ذكره: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨])، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨]، أي: نفس؛ نفس الملوك، نفس الصعاليك، نفس الأغنياء، نفس الفقراء، ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾.

﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾، يعني: بما عملت في الدنيا، ﴿رَهِينَةٌ﴾: محبوسة على عملها، ليس لها غيره؛ خير أو شر.

---

(١) البيت لقطري بن الفجاءة. انظر: حماسة الخالديين (ص٤٦)، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي (١/ ٢٤)، ومرآة الزمان (٩/ ٢٢١)، والدر الفريد وبيت القصيد (٤/ ٤٧).

....

ش: وفي الحديث: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ»(١)، الحديث.

فجميع ذلك وما هو نحوه دالٌّ على انقطاع الحس والحركة من الميت، وأن أرواحهم ممسكة، وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة أو نقصان، فدل ذلك على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلًا عن غيره، فإذا عجز عن حركة نفسه، فكيف يتصرف في غيره؟! فالله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون: إن الأرواح مطلقة متصرفة، ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الحديث: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ» الحديث)**، المشهور: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ**»(٢)، وهناك رواية: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ**»، لكن المعروف: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ**».

«**انْقَطَعَ عَمَلُهُ**»: عمله في الدنيا، فكيف يقولون: إن الميت يتصرف، تتصرف روحه؛ معناه تذهب وتأتي؟! هذا كذب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن أرواحهم ممسكة)**، ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾: لا ترجع، يمسكها.

---

(١) رواه بهذا اللفظ ابن أبي الدنيا في النفقة على العيال (٢/ ٦١٢)، والسمرقندي في تنبيه الغافلين (ص١٢٩).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٩١).

﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [الزمر:٤٢]: روح الحي النائم ترجع، لكن التي قضى عليها الموت لا ترجع، يمسكها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويحبسها رهينة.

هذا رد على الذين يقولون: إن الأولياء يتصرفون في هذه الدنيا، ويعطون ويمنعون، وينفعون ويضرون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة أو نقصان)**، خُتِمت أعمالهم، إذا مات الإنسان، خُتِم عمله -خير أو شر-، لا يزاد فيه، ولا ينقص.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فدل ذلك على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلًا عن غيره)**، ليس له تصرف في ذاته، يعني: في نفسه، محبوس لا يستطيع، فكيف يتصرف لغيره، ويعطي ويمنع كما يدعون أن الأموات ينفعون ويضرون، ويعطون ويمنعون إلى آخره؟!! هذا من الكذب ومن المحال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا عجز عن حركة نفسه، فكيف يتصرف في غيره؟!)**، الميت محبوس مرتهن، لا يتحرك، فكيف يتصرف مع غيره، وينصر غيره، ويعطيه -كما يقول الذين يعبدون الأموات ويتعلقون بالأموات؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون: إن الأرواح مطلقة متصرفة)**، الله أخبر أن الأرواح ممسكة عنده: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الزمر:٤٢]، ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨]، وهم يقولون: لا، الأرواح معنا تذهب وتمرح، وتتصرف، وتعطي وتمنع ... إلى آخره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠])، الله أعلم بخلقه سبحانه، أما أنتم لا تعلمون.

الإنسان لا يعلم ما بداخل نفسه، ولا يعلم أعضاءه الدقيقة، ولا يعلم عروقه التي فيه، لا يحيط بجسمه، فكيف يعلم الأمور الأخرى؟!!

لا يعلم الروح التي فيه، ما حقيقة الروح التي تتحرك، وتمشي، وتذهب، ما حقيقتها؟ لا أحد يعلم إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

....

ش: **وقال: وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات، فهو من المغالطة؛ لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم به أولياءه، لا قصد لهم فيه ولا تحدي، ولا قدرة ولا علم؛ كما في قصة مريم بنت عمران، وأسيد بن حضير، وأبي مسلم الخولاني.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال: وأما اعتقادهم)**، «وقال»، يعني: صنع الله الحلبي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات، فهو من المغالطة)**، يقولون: هذه كرامات لهم، كونهم يتصرفون مع الله، هل هذه كرامات؟

الكرامات هذه في الدنيا للأولياء، وهي خوارق العادات التي تجري على يد ولي من أولياء الله، هذه يقال لها: كرامة، وكرامات الأولياء هذه لا ينكرها إلا المعتزلة.

قد يكون هناك أولياء لهم كرامات في الدنيا، وهذه الكرمات لا تقتضي أنهم يعبدون مع الله، إنما هي إكرام من الله لهم فقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات)**، هذه ليست من الكرامات -كما يزعمون-، الميت ليس له كرامات، انقطعت كراماته، له كرامات وهو حي، لكن بعد موته ليس له كرامات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم به أولياءه)**، شيء من عند الله ليس للمخلوق فيها تصرف، لا أحد يجعل له كرامة، لا، الله هو الذي يجعلها له.

الخارق للعادة: إن كان على يد نبي فهو معجزة، وإن كان على يد ولي فهو كرامة، وإن كان على يد كافر فهي خارق شيطاني، ليست معجزة ولا كرامة، وإنما هي عمل شيطاني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لا قصد لهم فيه ولا تحدي، ولا قدرة ولا علم)**، إنما هي من عند الله جَلَّ وَعَلَا، ليس هم الذين يصنعونها، الله هو الذي يخلقها لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما في قصة مريم بنت عمران)**، قصة مريم: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا**﴾.

﴿**ٱلْمِحْرَابَ**﴾، يعني: المصلي، الذي تصلي فيه يسمى محرابًا، ليس المحراب الذي تعرفونه هذا، لا، المحراب: مصلى، كل مصلى يسمى محرابًا؛ ﴿ **فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ** ﴾ [آل عمران:٣٩]، يعني: في المصلى.

مريم: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا**﴾، لأنها اعتزلت عنهم، وهو زوج خالتها، زكريا: زوج خالة مريم، وهو الذي كفلها وهي صغيرة، كفلها، أي: تربت عنده.

فلما إنها ناهزت البلوغ اعتزلت؛ ﴿ **فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا**﴾ [مريم:١٧]، تصلي فيه، ويأتيها الرزق يوميًّا، يأتيها فواكه.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾، يعني: المصلى.

﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧]، هذه كرامة لمريم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأسيد بن حضير)**، أسيد بن حضير الصحابي الجليل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يصلي بالليل، ونزلت عليه ظلة فيها أمثال السرج، حتى كادت أن تصل إليه، عنده الفرس مربوطة، فجالت الفرس، وهو لا يدري ما الذي جاءها، ونظر إلى هذه التي نزلت وفيها السرج، الرجل تحير، لا يدري ما هذا؟ فلما أصبح غدا إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسأله، قال: «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ**»(١). الملائكة تنزل تستمع القرآن، كان يصلي ويقرأ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأبي مسلم الخولاني)**، هذا من الأولياء، أبو مسلم الخولاني من الأولياء(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٨)، ومسلم -واللفظ له- (٧٩٦)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر في كرامات أبي مسلم الخولاني عبد الله بن ثوب: كرامات الأولياء للالكائي (٩/ ٢٠٤-٢١٣).

....

ش: قال: وأما قولهم: فيستغاث بهم في الشدائد، فهذا أقبح مما قبله وأبدع؛ لمصادمته قوله -جل ذكره-: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٢]. وقوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٦٣، ٦٤]. وذكر آيات في هذا المعنى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال: وأما قولهم)**، «قال»، يعني: صنع الله الحلبي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله جل ذكره:** ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٢])، يستغيثون بهم في الشدائد، هذا كذب على الله؛ لأنه لا يغيث من الشدائد إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧]: لا ينقذ من الشدائد إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأما التعاون فيما يستطيع الإنسان الحاضر؛ تقول له: أعني على هذا الشيء، ارفعه معي، فيما يستطيع وهو حاضر، هذا لا بأس به؛ ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢]، «**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أما الاستعانة بالأموات والاستعانة بالأولياء فيما لا يقدرون عليه، ولو كانوا أحياء، لا يجوز هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله**: ﴿ **قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ** ﴾ [الأنعام:٦٣، ٦٤])، لا ينجي من الشدائد إلا الله، حتى المشركون معترفون أنه لا ينجي من الشدائد إلا الله، ولذلك إذا وقعوا في الشدة، يدعون الله عَزَّوَجَلَّ، أخلصوا له الدعاء؛ لأنهم يعلمون أنه لا ينجي من الشدائد إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهم مشركون.

وهؤلاء زادوا على المشركين الأولين، صاروا يدعون الأولياء في الرخاء وفي الشدة، زادوا عليهم؛ كما قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما هؤلاء فشركهم دائم في الرخاء والشدة.

....

ش: ثم قال: فإنه - جل ذكره - قرر أنه الكاشف للضر لا غيره، وأنه المتفرد بإجابة المضطرين، وأنه المستغاث لذلك كله، وأنه القادر على دفع الضر، القادر على إيصال الخير. فهو المنفرد بذلك، فإذا تعين هو -جل ذكره-، خرج غيره من ملك ونبي وولي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ثم قال**)، يعني: صنع الله الحلبي، لا زال السياق معه، وذكر آيات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فهو المنفرد بذلك، فإذا تعين هو -جل ذكره-، خرج غيره من ملك ونبي وولي**)، إذا كان لا ينقذ من الشدائد إلا الله، فإنه لا ينقذ من كل الأمور إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولهذا لما فتح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة المشرفة، فعكرمة بن أبي جهل فرَّ من مكة، لا يريد أن يواجه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وركب في البحر يريد أن يهرب، فأصابه موج، قالوا: أخلصوا، أخلصوا، قال: ما معنى أخلصوا؟ قال: أخلصوا؛ لأنه لا ينفع في هذه الشدائد إلا الله، قال: هذا الذي فررت منه.

إذا كان لا ينقذ من الشدائد إلا الله، فإنه لا يأتي بالرخاء والخير إلا الله، فرجع، وبايع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عكرمة بن أبي جهل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما قالوا له: أخلصوا، استيقظ ضميره.

....

ش: **قال: والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال، أو إدراك عدو أو سبع أو نحوه، كقولهم: يا لزيد، أو يا للمسلمين، بحسب الأفعال الظاهرة.**

وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد، كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية)، الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه لا بأس بها؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا في قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾، يعني: من بني إسرائيل، ﴿عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾: على القبطي الذي من قوم فرعون، ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥]: ضربه ضربة ومات، قضى عليه؛ لأن موسى قوي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾: وكزة بقبضته فقضت عليه.

فالشاهد في قوله: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾، هذا شيء يقدر عليه الإنسان، استغاث به فيما يقدر عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال)، في قتال؛ لأن الشجاع يقدر أنه يساعد من استعان به في القتال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو إدراك عدو)**، أو إدراك العدو هذا يستطيعه الإنسان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو سبع أو نحوه)**، أو يطرد عنك سبع، يغيثك من السبع، هذا يقدر عليه الإنسان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كقولهم: يالزيد، أو ياللمسلمين)**، يستغيث بهم، يستنجد بالمسلمين إذا وقع في شدة، أو خاف من عدو.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد)**، أما الاستغاثة بالمخلوق فيما لايقدر عليه إلا الله هذه عبادة، هذا شرك ولا يجوز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره)**، والمشركون يعترفون بهذا.

....

ش: قال: وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم؛ كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال، وينادونهم، ويستنجدون بهم، فهذا من المنكرات.

فمن اعتقد أن لغير الله -من نبي، أو ولي، أو روح، أو غير ذلك- في كشف كربة، أو قضاء حاجة تأثيرًا، فقد وقع في وادي جهل خطير، فهو على شفا حفرة من السعير، وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات، فحاشا لله أن تكون أولياء الله بهذه المثابة، فهذا ظن أهل الأوثان؛ كذا أخبر الرحمن: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

وقوله: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، وقوله: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس:٢٣]، فإن ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر -من نبي، وولين وغيره- على وجه الإمداد منه إشراك مع الله؛ إذ لا قادر على الدفع غيره، ولا خير إلا خيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال: وأما كونهم معتقدين)**، «قال»، يعني: صنع الله، لا يزال الكلام له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال، وينادونهم ويستنجدون بهم، فهذا من المنكرات)**، هذا من المنكرات الشركية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات: فحاشا لله أن تكون أولياء الله بهذه المثابة، فهذا ظن أهل الأوثان؛ كذا أخبر الرحمن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨])، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، يعبدونهم، ويقولون: هؤلاء يشفعون لنا عند الله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣])، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾: أقروا أنهم يعبدونهم، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، هذه حجة المشركين.

يقولون: نحن نعرف أنهم مخلوقون، لكنهم لهم جاه، ولهم صلاح وعبادة، نريدهم أنهم يقربونا إلى الله، ويشفعون لنا عند الله، يشفعون لكم وأنتم تعبدونهم؟! أتخذتموهم شركاء مع الله؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس:٢٣])، هذا صاحب يس الذي قال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [يس:٢٠-٢٦].

....

ش: **قال: وأما ما قالوا: إن منهم أبدالًا ونقباء، وأوتادًا ونجباء، وسبعين وسبعة، وأربعين وأربعة، والقطب هو الغوث للناس. فهذا من موضوعات إفكهم؛ كما ذكره القاضي المحدث أبو بكر ابن العربي في «سراج المريدين»، وابن الجوزي وابن تيمية. انتهى باختصار[(١)].**

والمقصود أن أهل العلم ما زالوا ينكرون هذه الأمور الشركية التي عمت بها البلوى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال)**، «قال»: لا يزال الكلام لصنع الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والقطب هو الغوث للناس. فهذا من موضوعات إفكهم)**، موضوعات إفكهم: كذب، كله كذب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(انتهى باختصار)**، انتهى من كتاب صنع الله الحلبي، طُبع منه أخيرًا محققًا، والحمد لله.

---

(١) انظر: سيف الله على من كذب على أولياء الله لصنع الله الحلبي بتقريظ شيخنا العلامة الدكتور صالح بن عبد الله بن فوزان الفوزان -حفظه الله- (ص٢٢ وما بعدها).

....

ش: والمقصود: أن أهل العلم ما زالوا ينكرون هذه الأمور الشركية التي عمت بها البلوى، واعتقدها أهل الأهواء، فلو تتبعنا كلام العلماء المنكرين لهذه الأمور الشركية، لطال الكتاب. والبصير النبيل يدرك الحق من أول دليل، ومن قال قولًا بلا برهان، فقوله ظاهر البطلان، مخالف ما عليه أهل الحق والإيمان المتمسكون بمحكم القرآن، المستجيبون لداعي الحق والإيمان. والله المستعان وعليه التكلان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والبصير النبيل يدرك الحق من أول دليل، ومن قال قولًا بلا برهان، فقوله ظاهر البطلان)**، لما ظهر الشرك بعد القرون المفضلة، ظهر الشرك بحكم انتشار الإسلام في الآفاق، واتساع المملكة الإسلامية وُجِد بقايا من الأديان السابقة، منها التعلق بالقبور، ومنها التصوف الذي يدعون أنه محبة لله عَزَّوَجَلَّ؛ يعبدون الله بالمحبة بزعمهم.

وأشد من ذلك: تأويل الصفات، يعني: عدم الإيمان بما دلت عليه من المعاني التي تليق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بزعمهم أننا إذا أثبتنا الصفات، والمخلوق له صفات، فقد شبهنا الله بخلقه. هكذا يقولون.

ولم يعلموا أن لله صفات تخصه، وللمخلوق صفات تخصه، وإن اشتركت في الاسم أو في المعنى، أما الحقيقة، فلا تشتبه أبدًا، أسماء الله وصفاته تليق به، وأسماء المخلوقين وصفاتهم تليق بهم.

الله جَلَّوَعَلَا قال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨]، فأثبت المشيئة للمخلوق، ثم قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير:٢٩]، فربطها بمشيئة الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

فهي ليست مشيئة مطلقة -كما تقوله المعتزلة-، إنما هي مشيئة مرتبطة بمشيئة الله؛ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، الأمر واضح في هذا، لكن هؤلاء يغالطون في الحقائق، ويريدون نفي الإسماء والصفات؛ لأنها بزعمهم يسمون إثبات الأسماء والصفات بالشرك، مع أن الله أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فهم إما أنهم يغالطون، وقد أعماهم الجهل، وإما أنهم جهال لا يفقهون شيئًا.

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٦- ١٠٧].

ش: قال ابن عطية: معناه: قيل لي: ﴿وَلَا تَدْعُ﴾، فهو عطف على أقم، وهذا الأمر والمخاطبة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إذا كانت هكذا، فأحرى أن يحذر من ذلك غيره، والخطاب خرج مخرج الخصوص، وهو عام للأمة[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٦، ١٠٧])، قال الله جَلَّ وَعَلَا في آخر سورة يونس: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يعني: مع الله.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يعني: مع الله.

﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾، يعني: لا ينفعك استقلالًا، ولا يضرك استقلالًا، وإنما ينفعك إذا أراد الله نفعك، ويضرك إذا أراد الله ضررك، أو لأنه لا يملك نفعًا ولا ضرًّا؛ هذا بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٤٧).

﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ أيها الرسول؛ ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦]، يعني: من المشركين، المراد بالظلم هنا: الشرك؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦].

ثم ذكر تفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بإيقاع الضر والنفع: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾: لا يكشف الأمراض والآفات إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأما الأدوية والأطباء، فهذه أسباب إن شاء الله نفعت، وإن شاء لم تنفع هذه الأسباب، وإلا هناك أطباء وهناك أدوية، وهناك علاج، لكن إذا شاء الله، سلبه المنفعة والتأثير، فالأمر بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾.

﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾: لا أحد يمنع رزق الله، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢].

الأمر بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فيجب توحيده، والالتجاء إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يعتمد على الأسباب أو على الأطباء الحذاق، لا يعتمد عليها، يعتمد على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن عطية)**، ابن عطية مفسر، له كتاب في التفسير، وهو مطبوع، مشهور بتفسير ابن عطية في خمسة مجلدات، وهو عالم أندلسي مالكي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(معناه قيل لي:** ﴿ وَلَا تَدۡعُ ﴾ **فهو عطف على أقم، وهذا الأمر، والمخاطبة للنبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ. **إذا كانت هكذا، فأحرى أن يحذر من ذلك غيره، والخطاب خرج مخرج الخصوص، وهو عام للأمة)**، هو الخطاب موجه للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وهو عام للأمة.

فإذا كان الرسول لا يملك النفع ولا الضر، فغيره من باب أولى، لا يملك الضر والنفع إلا الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن قُدر أن أحدًا من الخلق يضر أو ينفع، فهو بتقدير الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أجراه على يد هذا الشخص.

....

ش: قال أبو جعفر ابن جرير في هذه الآية: يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَا تَدْعُ ﴾ يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئًا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا، يعني بذلك: الآلهة والأصنام، يقول: لا تعبدها راجيًا نفعها، أو خائفًا ضرها، فإنها لا تنفع، ولا تضر، فإن فعلت ذلك، فدعوتها من دون الله، فإنك إذًا من الظالمين، يقول: من المشركين بالله(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو جعفر ابن جرير في هذه الآية: يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَا تَدْعُ ﴾ يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئًا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا)**، يعني: لا يملك الضر والنفع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يعني بذلك: الآلهة والأصنام)** التي يعبدونها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن فعلت ذلك، فدعوتها من دون الله، فإنك إذًا من الظالمين، يقول: من المشركين بالله)**، إذا كان الرسول -وحاشاه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه لو دعا غير الله، فإنه يكون مشركًا، فكيف بغيره؟!

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٠٤).

ش: قلت: وهذه الآية لها نظائر؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٣]، وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [القصص:٨٨]، ففي هذه الآيات بيان أن كل مدعو يكون إلهًا، والإلهية حق لله، لا يصلح منها شئ لغيره؛ ولهذا قال: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]، وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، والدين: كل ما يدان الله به من العبادات الباطنة والظاهرة[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذه الآية لها نظائر كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٣])، ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٣]: المعذبين العذاب الدائم؛ لأن المشرك يعذب عذابًا دائمًا -والعياذ بالله-، لا ينقطع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [القصص:٨٨])، ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [القصص:٨٨]: لا معبود بحق إلا هو

---

(١) انظر: أصول السرخسي (٢/ ١٠٥)، والغنية لطالبي الحق (١/ ١٣٥)، وحاشية العطار على شرح الجلال المحلي (٢/ ٣٧٩).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالإله معناه: المعبود بحق، لا معبود بحق إلا الله، وأما الآلهة المعبودة غير الله، فهي معبودة بالباطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ففي هذه الآيات بيان أن كل مدعو يكون إلهًا، والإلهية حق لله لا يصلح منها شيء لغيره)**، كل معبود قد اتخذ إلهًا، فالإله هو المألوه المعبود، وهذا لا يكون إلا لله سبحانه، فإن حصل بحق غيره، فهو شرك لله؛ لأن العبادة حق لله، لا يستحقها غير الله، وإن عُبِد، فإنه عُبِد بغير حق؛ العبادة ليست حقًا للمخلوق، إنما هي حق لله؛ ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٩٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والإلهية حق لله لا يصلح منها شئ لغيره؛ ولهذا قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾)**، ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان:٣].

﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾: فكل معبود فهو إله؛ فإن كان هذا المعبود هو الله، فهو بحق، وإن كان غير الله، فهو بالباطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾** [الحج:٦٢])، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾: هذا القيد في قولهم: «لا معبود بحق» يؤخذ من هذه الآية، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج:٦٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه)، كل نبي أو رسول فإنه أول ما يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]. فيبدؤون بالدعوة بالتوحيد؛ لأن العبادة لا تنفع إلا مع التوحيد، والإيمان لا ينفع إلا مع التوحيد؛ التوحيد هو الأصل وهو الأساس، ولذلك يبدأ به الأنبياء والمرسلون، ويبدأ به العلماء المحققون.

وأما الذين يهمشون التوحيد من أصحاب الدعوات المعاصرة، يسمون أنفسهم دعاة، وينشئون جمعيات دعوية ومراكز، لكن لا يهتمون بالتوحيد، يهمشونه، هذه دعوة غير صحيحة؛ لأنها كالجسد الذي ليس له رأس، رأس الأمر: التوحيد، ورأس الدعوة: التوحيد، كل نبي يبدأ بالتوحيد قبل كل شيء.

هؤلاء يقولون: لا، التوحيد يفرق بين الناس، نحن نريد أن نجمع الناس.

هل تجمعونهم على الباطل؟! لا يجتمع الناس حقًّا إلا على التوحيد، هو الذي يجمع الناس، ولهذا لما بُعِثَ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول ما قال لقومه: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»(١)، فهي التي وحدت بين العرب والعجم، وبين الإنس والجن، هي كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، فكل دعوة تهمش

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٥/ ٤٠٣، ٤٠٤، ٣١/ ٣٤٢)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٢٠٩)، والطبراني في الكبير (٥/ ٦١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٨٥)، من حديث رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيلِيِّ.

التوحيد، ولاتهتم به، فهي دعوة باطلة غير صحيحة، مهما أتعبوا أنفسهم فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى:** ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥])، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾، يعني: الناس والخلق، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ بشيء، ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾، ﴿حُنَفَآءَ﴾، يعني: مقبلين على الله، معرضين عما سواه.

﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: إقامة الصلاة تأتي بعد التوحيد، لا تنفع الصلاة ولا غيرها من العبادات إلا بعد التوحيد.

﴿وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]: دين الملة القيمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والدين: كل ما يدان الله به من العبادات الباطنة والظاهرة)**، هذا هو الدين: كل ما يدان لله جَلَّ وَعَلَا به من العبادات الظاهرة على اللسان، والباطنة على القلب، العبادات القلبية، والعبادات المالية، يعني: العبادات متنوعة، وكلها يتوجه بها إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، إذا كانت عبادات صحيحة يتوجه بها إلى الله لا إلى غيره.

ش: وفسره ابن جرير في تفسيره بالدعاء(١)، وهو فرد من أفراد العبادة، على عادة السلف في التفسير، يفسرون الآية ببعض أفراد معناها، فمن صرف منها شيئًا لقبر، أو صنم، أو وثن، أو غير ذلك، فقد اتخذه معبودًا، وجعله شريكًا لله في الإلهية التي لا يستحقها إلا هو؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، فتبين بهذه الآية ونحوها أن دعوة غير الله كفر وشرك وضلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفسره ابن جرير في تفسيره بالدعاء**)، فسره بالدعاء؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(٢)، يعني: أن الدعاء أعظم أنواع العبادة، لا أن العبادة محصورة في الدعاء فقط.

لكن لكونه أعظم أنواعها، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»، مثل قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**»(٣)، يعني: أهم أركان الحج الوقوف بعرفة،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٢- ٣٥٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣٠/ ٢٩٧، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٨٠، ٣٨٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢٤٤)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أحمد (٣١/ ٦٤)، وأبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩)، والنسائي في المجتبى (٣٠١٦، ٣٠٤٤)، من حديث عبد الرحمن بن يعمر.

وليس المراد أن من وقف بعرفة فقط أنه تم حجه، ليس هذا هو المراد، لكن «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**»، يعني: أعظم أركان الحج عرفة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهو فرد من أفراد العبادة، على عادة السلف في التفسير، يفسرون الآية ببعض أفراد معناها**)، وهذا ما يسمونه باختلاف التنوع، إذا كان الدليل يحتمل عدة معان، وأخذ كل عالم بمعنى، فهذا من اختلاف التنوع، وليس من اختلاف التضاد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فمن صرف منها شيئًا لقبر، أو صنم، أو وثن، أو غير ذلك، فقد اتخذه معبودًا، وجعله شريكًا لله في الإلهية التي لا يستحقها إلا هو**)، هناك من يقول: الشرك هو عبادة الأصنام فقط، وهذا رد عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «كشف الشبهات»، وفي «القواعد الأربع»؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِث إلى أقوام متفرقين؛ منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الجن، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، لم يبعث إلى طائفة خاصة من المشركين، بل بُعِث إلى كل المشركين على اختلاف أنواعهم، ودعاهم إلى التوحيد، وجاهدهم على ذلك وقاتلهم، ولم يفرق بينهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى**: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧])، سماه كافرًا، الذي يدعو غير الله سماه كافرًا؛ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

....

ش: وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧]، **فإنه المنفرد بالملك والقهر، والعطاء والمنع، والضر والنفع، دون كل ما سواه.**

فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده، المعبود وحده، فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك النفع، ولا يملك ذلك ولا شيئًا منه غيره -سبحانه-، فهو المستحق للعبادة وحده، دون من لا ينفع ولا يضر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك النفع، ولا يملك ذلك ولا شيئًا منه غيره -سبحانه-، فهو المستحق للعبادة وحده، دون من لا ينفع ولا يضر)**، فإن جرى على يد بعض المخلوقين نفع أو ضر، فإنما هو بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يستقل المخلوق بالنفع ولا بالضر إلا إذا الله جَلَّ وَعَلَا أعطاه ذلك، وأقدره عليه، فالأمر راجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عمه عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **«وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»**(١)، يعني: أقلام القدر وصحف القدر.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٩، ٤٨٧، ٥/ ١٨)، والترمذي (٢٥١٦)، والطبراني في الدعاء (١/ ٣٤)، وفي الكبير (١٢/ ٢٣٨).

....

ش: وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢]، فهذا ما أخبر به في كتابه من تفرده بالإلهية والربوبية، ونصب الأدلة على ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨])، أمر الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الاية أن يتحدى المشركين، فقال: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم﴾، أي: أخبروني، ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾، يعني: أخبروني.

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨]: لا يملك الضر والنفع إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا كان كذلك، فلا يعبد إلا هو سبحانه، ولا يدعى إلا هو، فإذا أصاب الإنسان مرض، لا يدعو المخلوق أن يكشف هذا المرض، يدعو الله وحده أن يكشف ضره، يتوجه إلى الله، ولا يمنع هذا أنه يتعالج، وأنه

يطلب من الطبيب أن ينظر في مرضه، هذه أسباب، هذا سبب من الأسباب؛ إن شاء الله نفع، وإن شاء لم ينفع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨])، ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾، أي: كافيني، الله يكفيني عن هذه الأصنام وهذه المعبودات، الله يكفيني سبحانه، هو معبودي، وهو الذي يقدر على كشف الضر وجلب الخير وحده لا شريك له؛ فيقبل على الله وحده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى:** ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢])، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾؛ كقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ**»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فهذا ما أخبر به في كتابه من تفرده بالإلهية والربوبية، ونصب الأدلة على ذلك**)، الألوهية والربوبية؛ لأن التوحيد نوعان:

* **توحيد الربوبية:** وهو إفراد الله جَلَّ وَعَلَا بأفعاله؛ من الخلق والرزق، والإحياء والإماتة.

* **توحيد الألوهية:** وهي إفراد الله بأفعال العباد التي شرعها لهم؛ من الدعاء والصلاة والزكاة وغير ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ١٠٤)، وأصله في البخاري (٧١، ٧٣١٢)، ومسلم (١٠٣٧)، من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: **فاعتقد عباد القبور والمشاهد نقيض ما أخبر به الله، واتخذوهم شركاء لله في استجلاب المنافع ودفع المكاره؛ بسؤالهم، والالتجاء إليهم بالرغبة والرهبة، والتضرع، وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها إلا الله، واتخذوهم شركاء لله في ربوبيته، وإلهيته. وهذا فوق شرك كفار العرب القائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]؛ فإن أولئك يدعونهم ليشفعوا لهم، ويقربوهم إلى الله. وكانوا يقولون في تلبيتهم: «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلاَّ شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ»(١).**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فاعتقد عباد القبور والمشاهد نقيض ما أخبر به الله، واتخذوهم شركاء لله في استجلاب المنافع ودفع المكاره**)، ولذلك يأتون إلى القبور، وينادون أصحابها، ويطلبون منها الحوائج، ويقيمون ويعكفون عندها، وقد يبتليهم الله، فتقضى حوائجهم من باب الاستدراج لهم، وليست هي التي أعطتهم، وإنما الله أعطاهم ذلك ليستدرجهم، فيظنون أن هذا بسبب القبور، بسبب الأضرحة، وهم بذلك مشركون من حيث لا يشعرون، أو من

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ - قَالَ - فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَيْلَكُمْ قَدْ قَدْ**. فَيَقُولُونَ إِلاَّ شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ. يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ».

حيث يشعرون، يقول: إن قبر فلان هو المجرب؛ دعا عنده فلان، وطلب منه فلان، وحصل له مقصوده.

نقول: حصول المقصود لا يدل على جواز السبب؛ قد يحصل المقصود من باب الاستدراج، وقد يصادف قضاء وقدرًا من الله، فيظن المخلوق أن هذا بسبب القبر أو الولي، وهو من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(ودفع المكاره؛ بسؤالهم، والالتجاء إليهم بالرغبة والرهبة، والتضرع، وغير ذلك من العبادات)**، كل أنواع العبادات يصرفونها للقبور والأضرحة، هذا هو الشرك الأكبر المخرج من الملة، وهم يدعون الإسلام، والعجيب أنهم يقولون: «لا إله إلا الله»، وهم يدعون غير الله، أين «لا إله إلا الله»؟!! هذا تناقض، يذكرون الله بـ«لا إله إلا الله»، ويدعون غير الله.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(وهذا فوق شرك كفار العرب القائلين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣])**، المشركون الأولون يطلبون منهم أن يقربوهم إلى الله زلفى، يعني: يشفعون لهم عند الله.

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، هل الشفيع يُعبد؟!

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يعبدونهم، ويقولون: شفعاء!!

﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾: اعترفوا؛ لأنهم يعبدونهم؛ ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، فهذا باطل، الله جَلَّوَعَلَا يعبد بدون اتخاذ واسطة بينه

وبين المخلوق، يعبد بما شرع من غير اتخاذ واسطة، لم يأمرك الله أن تتخذ واسطة بينك وبينه، أمرك بدعائه مباشرة وعبادته مباشرة.

أما قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة:٣٥]، هذه يحتجون بها، يقولون: هذه وسيلة.

نقول: لا، الوسيلة، يعني: الطاعة، سميت وسيلة؛ لأنها تقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾: بعبادته، لا باتخاذ واسطة من الخلق، هذه هي الوسيلة.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(وهذا فوق شرك كفار العرب)**، شرك العرب، يعني: شرك الجاهلية.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(وكانوا يقولون في تلبيتهم: «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلاَّ شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ»)**، هذا تلبية أهل الجاهلية، إذا أحرموا بحج أو عمرة؛ لأنهم كانوا يحجون ويعتمرون من بقايا دين إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ فيهم، يحجون ويعتمرون، فإذا أحرموا، يقولون في تلبيتهم: «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلاَّ شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ»، فلبى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالتوحيد، قال: **«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»**، لم يستثن، وقال: «إِلاَّ شَرِيكًا هُوَ لَكَ» مثلما تستثني الأمم السابقة، فأخلص التلبية لله عَزَّوَجَلَّ.

ش: وأما هؤلاء المشركون فاعتقدوا في أهل القبور وفي المشاهد ما هو أعظم من ذلك، فجعلوا لهم نصيبًا من التصرف والتدبير، وجعلوهم معاذًا لهم وملاذًا في الرغبات والرهبات؛ ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور:٤٣]. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]، أي: لمن تاب إليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما هؤلاء المشركون فاعتقدوا في أهل القبور وفي المشاهد ما هو أعظم من ذلك، فجعلوا لهم نصيبًا من التصرف والتدبير)**، هؤلاء زادوا على المشركين الأولين، المشركون الأولون يعبدون هؤلاء، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

وأما هؤلاء المشركون المتأخرون، فيدعونهم استقلالًا، ويظنون أنهم يملكون الضر والنفع من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]، أي: لمن تاب إليه)**، لما بين شركهم، فتح باب التوبة، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]، يعني: استغفروا من هذا الذنب، ووعدهم بالمغفرة إذا استغفروا وتابوا إليه.

وَقَوْلِهِ: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧].

ش: يأمر عباده بابتغاء الرزق عنده وحده دون ما سواه ممن لا يملك لهم رزقًا من السماوات والأرض شيئًا، فتقديم الظرف يفيد الاختصاص.

وقوله: ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾ من عطف العام على الخاص، فإن ابتغاء الرزق عنده من العبادة التي أمر بها.

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿فَٱبْتَغُواْ﴾ أي: فاطلبوا ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾، أي: لا عند غيره؛ لأنه المالك له، وغيره لا يملك شيئًا من ذلك.

﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾ أي: أخلصوا له العبادة وحده لا شريك له.

﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ أي: على ما أنعم عليكم، ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧])، هذا من قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧]، الرزق عند الله، ليس عند الأصنام والأشجار والأحجار والأضرحة، الرزق بيد الله سبحانه؛ ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٦٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتقديم الظرف يفيد الاختصاص)**، تقديم الظرف؛ ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾، لا عند غيره، هذا الظرف، الظرف: عند الله.

﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾: هذا من باب الحصر، أي: لا تبتغوه عند غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾ من عطف العام على الخاص)**، ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾: هذا خاص، ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾: هذا عام؛ لأن طلب الرزق من الله هو من أنواع العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال العماد ابن كثير)**، ليس اسمه العماد، هذا لقبه، اسمه: إسماعيل بن كثير.

وَقَوْلِه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥، ٦].

ش: **نفى** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **أن يكون أحد أضل ممن يدعو غيره، وأخبر أنه لا يستجيب له ما طلب منه إلى يوم القيامة.**

والآية تعم كل من يُدعى من دون الله؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء:٥٦]، **وفي هذه الآية أخبر أنه لا يستجيب، وأنه غافل عن داعيه.**

﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٦]، **فتناولت الآية كل داع وكل مدعو من دون الله.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف:٥])، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾، **يعني:** لا أحد أضل من هذا؛ لأن الشرك هو أعظم الضلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥، ٦])، ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا

لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢، ٢٣]، فقطع جميع علائق وعروق الشرك بهذه الآية الكريمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾)، ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر:١٤]، يقولون: لم عبدتمونا، ونحن لم نأمركم بهذا؟! يتبرءون منهم.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾)؛ لأنهم أموات، أو حجارة، أو أشجار جامدة لا تسمع دعاءهم ولا تستجيب لهم، أو أموات هامدون منشغلون بأنفسهم، لا يملكون لأحد شيئًا.

هذا العجيب أن الحي يدعو الميت، الحي قادر ويعمل ويستطيع، والميت هامد، فمن العجيب أن الحي يدعو الميت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٦])، يعادونهم يوم القيامة؛ ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]؛ في يوم القيامة يتبرأ المتبوع على الضلال وعلى الكفر، يتبرأ من التابع له، ويقول: أنا لا أجدي عنك شيئًا، ولا أنفعك بشيء، حتى إبليس يتبرأ من أتباعه يوم القيامة؛ ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ﴾، يعني: قدرة.

﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم:٢٢]، يعني: يوم القيامة لا يستطيعون أن يفزعوا معه ليخلصوه، وهو لا يستطيع أن يخلصهم مما وقعوا فيه.

هذه نهاية إبليس الذي اتخذه الكثير من الناس، اتخذوه متبوعًا لهم، وهو عدوهم؛ ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٦])، ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾: يوم القيامة يجمع الناس والخلائق من أول الخلق إلى آخرهم، كلهم يجمعون في صعيد واحد، ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ [الأحقاف:٦]: المتبوع يتبرأ من التابع، وينكر عبادته له واتباعه له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والآية تعم كل من يدعى من دون الله، كما قال تعالى:** ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:٥٦])، ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾، أي: رفعه، ولا تحويله من عضو إلى عضو، أو من شخص إلى شخص، أو من بلد إلى بلد، إذا نزل، لا يرفعه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٦]، **فتناولت الآية كل داع، وكل مدعو من دون الله**)، هذه الآية عامة لجميع المشركين، ولجميع المعبودين من دون الله، والمدعوين مع الله.

....

ش: وقال أبو جعفر ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ [الأحقاف:٦]. يقول تعالى ذكره: وإذا جُمِعَ الناس ليوم القيامة في موقف الحساب، كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء؛ لأنهم يتبرؤون منهم، ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾: يقول تعالى ذكره: وكانت آلهتهم التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين؛ لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرنا بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتها إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا(١).

كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفرقان:١٧، ١٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرنا بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتها إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا)، ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص:٦٣]، إذًا من يعبدون؟ يعبدون الشيطان، هو الذي أمرهم بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ١١٧).

مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفرقان:١٧، ١٨])، فالذين يعبدون الملائكة تتبرأ الملائكة منهم، يقولون: لم نأمرهم بذلك. وهذا صحيح؛ الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لم يأمروهم بذلك.

الذين يعبدون المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يتبرأ منهم، يقول الله له يوم القيامة: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [المائدة:١١٦، ١١٧].

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾: هذا الذي أمره الله به.

﴿ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:١١٧].

ش: قال ابن جرير: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الفرقان:١٧]، من الملائكة والإنس والجن، وساق بسنده عن مجاهد، قال: عيسى، وعُزَيْرٌ، والملائكة(١). ثم قال: يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله، وعيسى: تنزيهًا لك يا ربنا، وتبرئةً مما أضاف إليك هؤلاء المشركون: ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾، نواليهم ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ:٤١]. انتهى(٢).

قلت: وأكثر ما يستعمل الدعاء في الكتاب والسنة، واللغة ولسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء في السؤال والطلب؛ كما قال العلماء من أهل اللغة وغيرهم: الصلاة لغة الدعاء. وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣، ١٤]، وقال: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام:٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [يونس:١٢]، وقال: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ﴾ [فصلت:٥١]، وقال: ﴿لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت:٤٩] الآية، وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩] الآية.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١٦- ٤١٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤])، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام:٦٣])، المشركون يشركون في الرخاء، فإذا وقعوا في الشدة، أخلصوا الدعاء لله؛ لعلمهم أنه لا يخلص من الشدائد إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت:٥١])، الإنسان يعني ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت:٤٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩] الآية)، هذا في وقعة بدر، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة دعوا ربهم بالنصر، فأمدهم بالملائكة؛ تسددهم وتثبتهم وتعينهم على قتل المشركين، ليس معناه أن الملائكة تقتل المشركين، لكنها تعين المسلمين على قتلهم.

....

ش: وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «الدُّعاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»(١). وفي الحديث الصحيح: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ»(٢). وفي آخر: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»(٣). وحديث: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنْ الدُّعَاءِ»، رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه(٤).

وقوله: «الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، وَعِمَادُ الدِّينِ، وَنُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ»، رواه الحاكم وصححه(٥).

وقوله: «سَلُوا اللهَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الشِّسْعَ إِذَا انْقَطَعَ»(٦) الحديث.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي آخر: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»)، «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»، هذا من كرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، المخلوق إذا سألته يغضب عليك، وأما الله فإذا لم تسأله يغضب عليك.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧١)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٩٣) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩).

(٣) أخرجه أحمد (١٥/٤٣٨، ٤٤٨، ١٦/١٤٦)، والترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٢٩).

(٤) أخرجه أحمد (١٤/ ٣٦٠)، والترمذي (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، والحاكم (١/ ٦٦٦).

(٥) أخرجه الحاكم (١/ ٦٦٩) وصححه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (ص ١٦٦)، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٤٤)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١/ ٣١٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٦٩): عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «سَلُوا اللهَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الشِّسْعَ؛ فَإِنَّ اللهَ إِنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ».

الله يَغضبُ إنْ تَركتَ سُؤالهُ ... وبُنيَّ آدمَ حِينَ يُسألُ يَغضبُ(١)

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وحديث: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنْ الدُّعَاءِ**»)، «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(٢)؛ كما قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني هو أعظم أنواع العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: «**سَلُوا اللهَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الشِّسْعَ إِذَا انْقَطَعَ**» الحديث)، شسع النعل، اسأل الله أن يصلحه.

---

(١) هذا البيت ذكره العلماء في تعليقهم على هذا الحديث، دون أن يسمى قائله. انظر: العزلة للخطابي (ص٦٦)، وشعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٣٦١)، وتفسير القرطبي (١/ ١٠٦، ٥/ ١٦٤)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٥، ٧/ ١٥٣).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٢٩).

....

ش: وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، الآية. رواه ابن المنذر، والحاكم وصححه[١]. وحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ المَنَّانُ.... الحديث»[٢]، وحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»[٣].

وأمثال هذا في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر في الدعاء الذي هو السؤال والطلب. فمن جحد كون السؤال والطلب عبادة، فقد صادم النصوص، وخالف اللغة واستعمال الأمة سلفًا وخلفًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **أفضل العبادة الدعاء، وقرأ:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠])، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر:٦٠]، يعني: عن دعائي، فسمى الدعاء: عبادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وحديث: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»**)، هذه

---

(١) أخرجه ابن المنذر في التفسير كما في الدر المنثور (٧/ ٣٠٢)، والحاكم (١/ ٦٦٧) وصححه.

(٢) أخرجه أحمد (٢١/ ١٩٢)، وأبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي في المجتبى (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨).

(٣) أخرجه أحمد (٣٨/ ١٤٩)، وأبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧).

دعوات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته؛ عملًا بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فمن جحد كون السؤال والطلب عبادة، فقد صادم النصوص)**، هذا قول الصوفية، يقولون: ليس هناك حاجة للدعاء، الله يعلم بدون دعاء، يعلم حالي بدون أني أدعوه. هذا قول الصوفية الضلال.

الله يعلم سبحانه، ولكن مع أنه يعلم أمر بدعائه، ويقولون: كفى عَن سُؤَالِي علمه بحالي. لا يكفي هذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فمن جحد كون السؤال والطلب عبادة، فقد صادم النصوص، وخالف اللغة واستعمال الأمة سلفًا وخلفًا)**، الله جَلَّ وَعَلَا سمى الدعاء عبادة، وسماه دينًا؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾: سماه عبادة.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾، يعني: عن دعائي؛ ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال سبحانه: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، أي: مخلصين له الدعاء، فسمى الدعاء دينًا.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»[(١)]، يعني: أن الدعاء هو أعظم أنواع العبادة، فالدعاء نوع من أنواع العبادة، وهو أعظمها.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٢٩).

ش: وأما ما تقدم من كلام شيخ الإسلام، وتبعه العلامة ابن القيم من أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة، وما ذُكِرَ بينهما من التلازم، وتضمن أحدهما للآخر، فذلك باعتبار كون الذاكر والتالي والمصلي والمتقرب بالنسك وغيره طالبًا في المعنى، فيدخل في مسمى الدعاء بهذا الاعتبار.

وقد شرع الله تعالى في الصلاة الشرعية من دعاء المسألة ما لا تصح الصلاة إلا به؛ كما في الفاتحة، وبين السجدتين، وفي التشهد، وذلك عبادة كالركوع والسجود. فتدبر هذا المقام، يتبين لك جهل الجاهلين بالتوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما ما تقدم من كلام شيخ الإسلام، وتبعه العلامة ابن القيم من أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة، وما ذُكِرَ بينهما من التلازم، وتضمن أحدهما للآخر)**، دعاء العبادة، ودعاء المسألة.

دعاء العبادة: هو الثناء على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الثناء على الله والحمد، هذا دعاء عبادة.

ودعاء المسألة: أن تطلب من الله عَزَّ وَجَلَّ قضاء حاجتك.

وكلا النوعين في سورة الفاتحة، وقوله تعالى في أولها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٢-٥]، هذا كله عبادة، دعاء عبادة.

وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، إلى آخر السورة هذا دعاء مسألة.

ولهذا جاء في الحديث القدسي أن الله جَلَّوَعَلَا يقول: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ**»، يعني: قراءة الفاتحة، سماها صلاة.

«**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ**»[1]، يعني: دعاء العبادة في أولها والثناء على الله، ودعاء المسألة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ﴾ [الفاتحة:٦]، إلى آخره نصفين: هي سبع آيات؛ ثلاث آيات ونصف، هذا دعاء العبادة إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ودعاء المسألة إلى آخر السورة، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، إلى آخر السورة هذا دعاء مسألة.

يقول: العلاقة بين النوعين: أن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، دلالة التزام، ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، فبينهما علاقة قوية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتدبر هذا المقام يتبين لك جهل الجاهلين بالتوحيد)**، جهل الجاهلين؛ لا يعرفون دعاء العبادة من دعاء المسألة، ولذلك يدعون غير الله، ويسألون غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ يدعون أصحاب القبور ويسألونهم، هذا من جهلهم.

وإذا قيل لهم: لم تسألوهم؟ قالوا: هؤلاء رجال صالحون، ولهم مكانة عند الله إلى آخره، فهم عبدوهم بهذا، إذا سألوهم أو طلبوا منهم شيئًا، فإنهم عبدوهم بهذا، عبدوا القبور بهذا؛ لأن دعاءهم مستلزم لعبادتهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠) (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

....

ش: **ومما يبين هذا المقام، ويزيده إيضاحًا قول العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في قوله تعالى:** ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠]: **وهذا الدعاء المشهور أنه دعاء المسألة، قالوا: كان النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يدعو ربه، مرة يقول: يا الله، ومرة: يا رحمن، فظن المشركون أنه يدعو إلهين، فأنزل الله هذه الآية. ذكر هذا عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قالوا: كان النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يدعو ربه، مرة يقول: يا الله، ومرة: يا رحمن، فظن المشركون أنه يدعو إلهين، فأنزل الله هذه الآية)**، كان المشركون يتسمعون لقراءة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاته -في صلاة الليل-، وهو يقول: يا الله، يا رحمن، فقالوا: انظروا! هو يزعم أنه يدعو إلى التوحيد، وهو يدعو إلهين: الله، الرحمن، فأنزل الله هذه الآية: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠].

فتعدد الأسماء لا يدل على تعدد المسمى، بل يدل على عظمة المسمى.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٢٣- ١٢٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٢١): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا يَدْعُو: «**يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ**» فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُ يَدْعُو وَاحِدًا، وَهُوَ يَدْعُو مَثْنَى مَثْنَى، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠] الْآيَةَ.

....

ش: وقيل: إن هذا الدعاء هنا بمعنى التسمية، والمعنى، أي: سميتموه به من أسماء الله تعالى، إما الله، وإما الرحمن، فله الأسماء الحسنى، وهذا من لوازم المعنى في الآية، وليس هو عين المراد، بل المراد بالدعاء معناه المعهود المطرد في القرآن، وهو دعاء السؤال ودعاء الثناء.

ثم قال: إذا عُرِفَ هذا، فقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً ﴾ [الأعراف:٥٥] يتناول نوعي الدعاء، لكنه ظاهر في دعاء المسألة، متضمن لدعاء العبادة، ولهذا أُمِرَ بإخفائه[١].

قال الحسن: بين دعاء السر، ودعاء العلانية سبعون ضعفًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، ولم يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم، وبين ربهم[٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقيل: إن هذا الدعاء هنا بمعنى التسمية، والمعنى، أي: سميتموه به من أسماء الله تعالى، إما الله، وإما الرحمن، فله الأسماء الحسنى)، لا تنافي بين القولين.

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ٥- ٦)، وهذا الكلام قد نقله ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ كما في مجموع الفتاوى (١٥/ ١٤- ١٥).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٢٤٠)، والتفسير البسيط (٩/ ١٧٩)، والتفسير الوسيط (٢/ ٣٧٧)، وتفسير البغوي (٢/ ١٩٨)، ومجموع الفتاوى (١٥/ ١٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل المراد بالدعاء معناه المعهود المطرد في القرآن، وهو دعاء السؤال، ودعاء الثناء)**، دعاء السؤال: هذا دعاء الطلب، ودعاء الثناء: هذا دعاء العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم قال)**، يعني: ابن القيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إذا عُـرِفَ هذا فقوله تعالى:** ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعـراف:٥٥] **يتناول نوعي الدعاء، لكنه ظاهر في دعاء المسألة، متضمن لدعاء العبادة، ولهذا أُمِرَ بإخفائه)**، ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾: له سبحانه، ﴿وَخُفْيَةً﴾، يعني: أخفوا دعاءكم لله، أخفوا دعاءكم؛ خوفًا من الرياء

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحسن)**، الحسن البصري.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحسن: بين دعاء السر، ودعاء العلانية سبعون ضعفًا)**، يعني: الدعاء سرًّا لا يسمعه أحد إلا الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، ولم يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم، وبين ربهم)**، إخفاء الدعاء هذا أفضل وأحسن.

....

ش: وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، يتناول نوعي الدعاء، وبكل منهما فسرت الآية.

قيل: أعطيه إذا سألني، وقيل: أثيبه إذا عبدني. وليس هذا من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعماله في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعًا(١).

وهذا يأتي في مسألة الصلاة، وإنما هل نقلت عن مسماها في اللغة، وصارت حقيقة شرعية، أو استعملت في هذه العبادة مجازًا للعلاقة بينها وبين المسمى اللغوي، أو هي باقية على الوضع اللغوي، وضم إليها أركان وشرائط.

وعلى ما قررناه لا حاجة إلى شيء من ذلك؛ فإن المصلي من أول صلاته إلى آخرها لا ينفك عن دعاء؛ إما دعاء عبادة وثناء، أو دعاء طلب ومسألة، وهو في الحالين داع. انتهى من البدائع(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦])، سأل الصحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ٣)، وهذا الكلام قد نقله ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ كما في مجموع الفتاوى (١٥/ ١١).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ٣- ٦).

«يَا رَسُولَ اللهِ، أَقَرِيبٌ رَبُّنَا فَنُنَاجِيهِ، أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيهِ؟»، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦][١].

فهو قريب في علوه، علي في دنوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو قريب وهو فوق السماوات فوق العرش، وهو قريب سبحانه؛ يسمع عباده، ويعلمهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يتناول نوعي الدعاء، وبكل منهما فسرت الآية)**، نوعا الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قيل: أعطيه إذا سألني، وقيل: أثيبه إذا عبدني)**، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، ما معناها؟ أعطيه، معناها: أعطيه إذا سألني، أو أثيبه، والمعنى واحد، والثواب عطاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وليس هذا من استعمال اللفظ في حقيقته، ومجازه، بل هذا استعماله في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعًا)**، القرآن ليس فيه مجاز، القرآن كله حقيقة، اللغة العربية قد يكون فيها شيء من المجاز، لكن القرآن لا يقال: فيه مجاز، بل يقال: كله حقيقة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا يأتي في مسألة الصلاة، وإنها هل نقلت عن مسماها في اللغة، وصارت حقيقة شرعية، أو استعملت في هذه العبادة مجازًا للعلاقة بينها، وبين المسمى اللغوي)**، الصلاة هي الدعاء، سميت العبادة ذات

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٢٢٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٣٥).

الركوع والسجود والقيام والجلوس بالصلاة؛ لأنها عبادة لله عَزَّوَجَلَّ، وفيها دعاء لله، فهي صلاة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو هي باقية على الوضع اللغوي، وضم إليها أركان، وشرائط)**، هذا هو الصحيح، إنما هي حقيقة ليست مجازًا، والقرآن -أيضًا- ليس فيه مجاز -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية-، الحقيقة والمجاز عند البلاغيين، هذا إن صح فإنما يكون في لغة العرب عمومًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن المصلي من أول صلاته إلى آخرها لا ينفك عن دعاء، إما دعاء عبادة، وثناء، أو دعاء طلب، ومسألة، وهو في الحالين داع)**، الصلاة كلها دعاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(انتهى من البدائع)**، بدائع الفوائد لابن القيم، وهو على اسمه فوائد عظيمة، وقد يسر الله له في هذه الأيام أنه عُمِلَ له فهرس؛ تقف على أي مسألة تريدها، في الأول تتعب، ولا تجد المسألة، والآن لما فُهِرس، سهل تناوله والرجوع إليه، والحمد لله.

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٢].

ش: قال: (وَقَوْلِهِ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٢])، **يبين تعالى أن المشركين من العرب ونحوهم قد علموا أنه لا يجيب المضطر، ويكشف السوء إلا الله وحده. فذكر ذلك سبحانه محتجًا عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه؛ ولهذا قال:** ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾، **يعني: يفعل ذلك، فإذا كانت آلهتهم لا تجيبهم في حال الاضطرار، فلا يصلح أن يجعلوها شركاء لله الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء وحده. وهذا أصح ما فسرت به الآية كسابقتها من قوله:** ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠]، ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٦١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٢]، **يبين تعالى أن المشركين من العرب ونحوهم قد علموا أنه لا يجيب المضطر، ويكشف السوء إلا الله وحده)، الله** جَلَّ وَعَلَا قال للمشركين: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢]؛ لأنهم إذا وقعوا في الضر ووقعوا في الشدة، ينسون أصنامهم

ومعبوداتهم، ويخلصون الدعاء لله؛ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧]، فهم يخلصون لله في الضرورة والشدة، ويشركون به في الرخاء، هكذا كان المشركون.

لكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إن مشركي زماننا أشد شركًا من الأولين في الجاهلية؛ لأن شركهم دائم في الرخاء والشدة، فالمشركون من القبوريين وغيرهم إذا وقعوا في الشدة ينادون الأولياء والصالحين ويستغيثون بهم، فهم خالفوا المشركين الذين يخلصون في الشدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فذكر ذلك سبحانه محتجًا عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه)**، الشفعاء من دونه؛ لأنهم يعبدون غير الله؛ يعبدون الملائكة، ويعبدون الصالحين، ويقولون: نحن نعرف أنهم فقراء، لكنهم صالحين فيشفعون لنا عند الله.

الله لم يأمر أن نتخذ بيننا وبينه وسائط، أمرنا بدعائه مباشرة؛ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ﴾ [البقرة:١٨٦]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، لم يقل: ادعوني بواسطة فلان أو علان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا قال: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يعني: يفعل ذلك)**، هذا تحدٍّ لهم، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ كما تزعمون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا كانت آلهتهم لا تجيبهم في حال الاضطرار)**، لم يجيبوا في هذا، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: هذا سؤال مفتوح، لم يجيبوا عنه، ما قالوا: نعم، فدل على أنه ليس معه إله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فلا يصلح أن يجعلوها شركاء لله الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء وحده**)، آلهتهم التي يزعمون لا تنفعهم في الضراء والشدة، هم يعلمون هذا، فإذا كان الله هو الذي يدعى في الضراء، فإنه هو الذي يدعى في الرخاء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهذا أصح ما فسرت به الآية كسابقتها من قوله**: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠])، إذا قيل لهم: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾، هل قالوا: نعم، خلقها فلان أو فلان؟ لا، لم يجيبوا عن هذا؛ ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾.

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾: من هو الذي ينزل المطر، هل هي الأصنام والقبور أو الله جَلَّ وَعَلَا؟ لم يجيبوا عن هذا، انقطعوا، هذا لا يقدر عليه إلا الله، فكان الله هو المستحق دون هذه الآلهة المعبودة من دونه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾)، وهو المطر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾)، من هو الذي أنبت النبات؟ هل آلهتهم أنبتت النبات؟ لا يقدر على هذا إلا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾)، لاحظ! ﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ﴾، ولا لآلهتكم ولا لأي مخلوق أن ينبتوا شجرها، لا ينبت الشجر إلا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠])، هذا دليل التوحيد، إنزال المطر وخلق السماوات والأرض هذا دليل التوحيد، لا يفعل هذا إلا الله، فإذا كان لا يفعل هذا إلا الله، فهو المستحق للعبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾)، ﴿جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾: قارة، لا تضطرب ولا تميل، تبنون عليها، وتسكنون عليها، وتمشون عليها، من الذي ثبتها؟ هو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا﴾)، ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا﴾: من الماء العذب الذي يجري إلى الأرض اليابسة، فينبت به الزرع والنخيل والأعناب، هو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾، الجرز: التي ليس فيها نبات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾)، رواسي، يعني: الجبال، الجبال أوتاد، هي التي ثبت الله بها الأرض، كانت الأرض تميد، فالله جَلَّ وَعَلَا خلق فيها الجبال وأرساها بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًا﴾)، ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًا﴾: الماء العذب الحلو والماء الملح لا يختلطان أبدًا؛ لأجل أن ينتفع الناس بكلا البحرين: هذا لشرابهم وهذا لمصالحهم وسفنهم ومراكبهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [النمل:٦١])، هذه براهين على التوحيد؛ (﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يستحق العبادة؟ لم يجيبوا عن هذا.

....

ش: **ولاحقتها إلى قوله:** ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل:٦٣، ٦٤]، **فتأمل هذه الآيات، يتبين لك أن الله تعالى احتج على المشركين بما أقروا به على ما جحدوه من قصر العبادة جميعها عليه؛ كما في فاتحة الكتاب:** ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾)، كلها تحديات للمشركين وبراهين قاطعة على إفراد الله جَلَّ وَعَلَا بالخلق والرزق، والإحياء والإماتة، والعبادة والتوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾)، الله هو الذي يهديهم، يعني: يدلهم على الطريق في ظلمات الليل إذا كانوا في البحر، أو كانوا في البر جعل لهم النجوم ﴿ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الأنعام:٩٧]، من الذي جعل هذه النجوم؟ من الذي جعل هذه الجبال؟ من الذي جعل هذه الفجاج في الأرض -الطرقات-؟ هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾)، ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ﴾، هو الله سبحانه، خلق الناس ثم يميتهم ثم يعيدهم يوم القيامة، من الذي يفعل هذا إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ آلهتهم لا تفعل هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل:٦٤])، تحداهم، ﴿ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾: دليلكم على أن مع الله إلهًا يفعل مثل هذه الأفعال؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتأمل هذه الآيات يتبين لك أن الله تعالى احتج على المشركين بما أقروا به على ما جحدوه)**، جحدوا عبادة الله، واحتج عليهم بما أقروا به، وهو توحيد الربوبية، وأفعال الله جَلَّ وَعَلَا التي لا يفعلها سواه، هذه المعبودات كلها لا تفعل شيئًا من هذه الأمور، لا يفعلها إلا الله، فإذا كان لا يفعلها إلا الله، فهو المستحق للعبادة دون ما سواه، هذه براهين على التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يتبين لك أن الله تعالى احتج على المشركين بما أقروا به على ما جحدوه من قصر العبادة عليه)**، فتوحيد الربوبية يقر به المشركون، ولا يجحده أحد، يحتج عليهم بذلك؛ بأن إذا توحد الله في الربوبية، فإنه يتوحد في العبادة، ولا يعبد معه غيره، فتوحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما في فاتحة الكتاب:** ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥])، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾: هذه من جهة العبد، العبادة من جهة العبد.

﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾: هذا من جهة الله، هو الذي يعين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

....

ش: قال أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢] يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون بالله خير، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به عنه؟

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل:٦٢]، يقول: يستخلف بعد أمواتكم في الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم.

وقوله: ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾، يقول: أإله سواه يفعل هذه الأشياء بكم، وينعم عليكم هذه النعم؟

وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، يقول: تذكرًا قليلًا من عظمة الله، وأياديه عندكم تذكرون، وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرًا، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته. اهـ(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾)، ﴿خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾: بعضكم يخلف بعضًا؛ أجيال، إذا هلك جيل جاء بعده جيل، إلى أن تقوم الساعة، من الذي يفعل هذا؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢])، كلها براهين قاطعة على وحدانية الله، ولم يجيبوا عن هذه الأسئلة، انقطعوا.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٠٢- ١٠٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يقول تعالى ذكره)**، يقول ابن جرير، يذكر عن ابن جرير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون بالله خير، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به عنه)**، هم مقرون أنه لا يجيب المضطر إذا دعاه إلا الله، آلهتهم لا تجيب المضطر، ولا تكشف السوء؛ إذا نزل مرض، أو نزل وباء، أو نزل قحط في الأرض، لا أحد يرفع هذا إلا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، لا ترفع آلهتهم ومعبوداتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾، يقول: أإله سواه يفعل هذه الأشياء بكم، وينعم عليكم هذه النعم؟)**، لم يجيبوا عن هذا، انقطعوا، هذا لا يفعله إلا الله، إذًا لا يستحق العبادة إلا الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، يقول: تذكرًا قليلًا من عظمة الله، وأياديه عندكم)**، لا يعرفون من عظمة الله وقدرته إلا الشيء القليل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يقول: تذكرًا قليلًا من عظمة الله، وأياديه عندكم تذكرون، وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرًا، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته)**، القرآن واضح في براهينه وأدلته في إبطال الشرك والرد على المشركين، براهين قاطعة تحدى بها المشركين، فلم يجيبوا عنها.

وروى الطبراني بإسناده: «أنَّهُ كان في زمن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنافِقٌ يُؤْذِي المُؤْمِنِين، فقال بعضُهُمْ: قُومُوا بنا نستغيثُ برسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا المُنافِقِ، فقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّهُ لا يُستغاثُ بي، وإنَّما يُستغاثُ بالله عَزَّ وَجَلَّ»[1].

ش: (الطبرانيُ): هو الإمام الحافظ، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة، وغيرها، روى عن النسائي، وإسحاق بن إبراهيم الدَّبَرِي، وخلق كثير، مات سنة ستين وثلاثمائة[2]، روى هذا الحديث عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَرَوَى الطبرانيُ بإسْنَادِهِ: «أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَافِقٌ يُؤْذِي المُؤْمِنِيْنَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيْثُ بِرَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ»)، كان في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل منافق من المنافقين الذين يظهرون

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، في مسند عُبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو من القسم المفقود من المعجم. وذكره الهَيْثَمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٩) وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لَهِيعَةَ، وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق.

وأخرجه أحمد (٣٧/ ٣٨٠- ٣٨١): عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يَقُولُ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُومُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يُقَامُ لِي، إِنَّمَا يُقَامُ للهِ»**.

(٢) انظر في ترجمته: طبقات الحنابلة (٢/ ٤٩)، وتاريخ الإسلام (٨/ ١٤٣)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ١١٩)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول (٢/ ١٤٢).

الإسلام ويبطنون الكفر -والعياذ بالله-، يؤذي المسلمين بلسانه وتصرفاته، فقالوا: «قُومُوا بِنَا إِلَى رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسْتَغِيْثُ بِهِ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّهُ لا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ**».

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قادر على أن يغيثهم من هذا المنافق؛ لأن هذا مما يقدر عليه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن أراد أن يعلم أصحابه الأدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو أنه لا يستغاث إلا بالله.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **((الطبرانيُ): هو الإمام الحافظ، سليمان بن أحمد)**، راوي الحديث.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(صاحب المعاجم الثلاثة، وغيرها)**، المعجم الكبير، والمعجم الأوسط، والمعجم الصغير للطبراني في الحديث.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(روى عن النسائي، وإسحاق بن إبراهيم الدَّبَرِي)**، تتلمذ عليهم.

....

ش: قوله: «أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِيْنَ»، لم أقف على اسم هذا المنافق.

قلت: هو عبد الله بن أُبيٍّ؛ كما صرح به ابن أبي حاتم في روايته(١).

قوله: (فَقَالَ بَعْضُهُمْ) أي: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هو أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ»؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقدر على كف أذاه.

قوله: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ». فيه النص على أنه لا يستغاث بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا من دونه.

كره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يستعمل هذا اللفظ في حقه، وإن كان فيما يقدر عليه في حياته؛ حماية لجناب التوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك، وأدبًا وتواضعًا لربه، وتحذيرًا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قلت: هو عبد الله بن أُبيٍّ)، عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول رأس المنافقين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قلت: هو عبد الله بن أُبيٍّ)، «قلت»: هذا الشارح.

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٤- ٢٤٤٥). وانظر -أيضًا-: المنهاج في شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٣٢٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: (فَقَالَ بَعْضُهُمْ) أي: الصحابة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، **هو أبو بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)، الذي قال: «**قُومُوا بِنَا إِلَى رَسُوْلِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نَسْتَغِيْثُ بِهِ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ**» هو أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ»؛ لأنه** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كان يقدر على كف أذاه)**، يقدر على كف أذاه، لكن أراد أن يؤدب أصحابه من الألفاظ الموهمة، فقال: «**إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ** عَزَّ وَجَلَّ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ». فيه النص على أنه لا يستغاث بالنبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ولا من دونه)**، إذا كان النبي لا يستغاث به، فكيف يستغاث بالأموات وأصحاب القبور والعجزة كما يفعله القبوريون؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كره** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أن يستعمل هذا اللفظ في حقه)**، وإن كان هذا اللفظ جائزًا؛ لأن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة؛ ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن كان فيما يقدر عليه في حياته؛ حماية لجناب التوحيد)**، أراد بذلك أن يبتعدوا عن هذا اللفظ الموهم؛ لئلا يتخذ فيما بعد دليلًا عن الاستغاثة بالمخلوق والميت.

....

ش: فإذا كان فيما يقدر عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، فكيف يجوز أن يُستغاث به بعد وفاته، ويطلب منه أمور لا يقدر عليها إلا الله تعالى؟ كما جرى على ألسنة كثير من الشعراء -كالبوصيري، والبرعي، وغيرهم- من الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ويعرضون عن الاستغاثة بالرب العظيم القادر على كل شيء الذي له الخلق والأمر وحده، وله الملك وحده، لا إله غيره ولا رب سواه.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(فإذا كان فيما يقدر عليه** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في حياته، فكيف يجوز أن يُستغاثَ به بعد وفاته)**، يعني الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا كان لا يستغاث به في حياته، ومنع من هذا، فكيف يستغاث به بعد مماته؟!! هذا رد على القبوريين الذين يستغيثون بالرسول والأموات.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(كما جرى على ألسنة كثير من الشعراء -كالبوصيري، والبرعي، وغيرهم)**، البوصيري في قوله:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوْذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الحَادِثِ العَمَمِ

يعني الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي ... فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّـةَ القَدَمِ

ثم جاء بالطامة:

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا

الدنيا والآخرة ملكًا للرسول عند البوصيري.

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا وَمِنْ عُلُومِكَ..................

هذه أشد.

.... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللوْحِ وَالقَلَمِ(١)

صار يعلم الغيب، ويعلم ما في اللوح المحفوظ -نسأل الله العافية-، وما كتبه القلم، قلم القضاء والقدر، هذا غلو -والعياذ بالله-، غلو في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويعرضون عن الاستغاثة بالرب العظيم القادر على كل شيء الذي له الخلق، والأمر وحده، وله الملك وحده، لا إله غيره، ولا رب سواه)**، هذا من العجائب أنهم يعرضون عن الاستغاثة بالله، ويستغيثون بالميت الذي لا يقدر على شيء، لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

---

(١) انظر: ديوان البوصيري (ص٢٥٢).

....

ش: قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف:١٨٨]، في مواضع من القرآن: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾ [الجن:٢١]، فأعرض هؤلاء عن القرآن، واعتقدوا نقيض ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات، وتبعهم على ذلك الضلال الخلق الكثير والجم الغفير، فاعتقدوا الشرك بالله دينًا، والهدى ضلالًا -فإنا لله، وإنا إليه راجعون-، فما أعظمها من مصيبة عمت بها البلوى! فعاندوا أهل التوحيد، وبدعوا أهل التجريد، فالله المستعان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾)، يقول الله جَلَّ وَعَلَا لرسوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾: هذا في القرآن، الرسول لا يملك النفع والضر، إنما هذا يملكه الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الذي يدعى لجلب النفع ودفع الضر وحده لا شريك له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾)، ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الأعراف:١٨٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (في مواضع من القرآن: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾ [الجن:٢١])، في سورة ﴿قُلۡ أُوحِيَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ﴾، يقول الله لرسوله: ﴿قُلْ﴾ للناس: ﴿إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن:٢١]، هذا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأعرض هؤلاء عن القرآن، واعتقدوا نقيض ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات)**، يقرؤون القرآن ولا يتدبرونه، ولا يعملون به، ولا يلتفتون إلى معانيه، يتبركون بألفاظه، ويجعلونه أورادًا وحروزًا، لكن لايتدبرون مغانيه ويعملون بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتبعهم على ذلك الضلال الخلق الكثير والجم الغفير)** من الناس، قلدوهم، وصاروا يطلبون من الموتى حوائجهم، مع أن الميت مرتهن بعمله لا يقدر على شيء، ومع هذا يلجؤون إليه ويطلبون منه.

الآن حي ويمشي ويقدر يسأل ميت؟! الميت لا يقدر على شيء، هذا من انتكاس الفطر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فما أعظمها من مصيبة عمت بها البلوى! فعاندوا أهل التوحيد، وبدعوا أهل التجريد، فالله المستعان)**، عادوا أهل التوحيد وبدعوهم، وقالوا فيهم الذم الكثير، لا لشيء إلا لأنهم وحدوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأخلصوا له العبادة، يذمونهم.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: أَنَّ عَطْفَ الدُّعَاءِ عَلَى الاسْتِغَاثَةِ مِنْ عَطْفِ العَامِّ عَلَى الخَاصِّ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ قَوْلِهِ: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس:١٠٦].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ أَصْلَحَ النَّاسِ لَوْ يَفْعَلُهُ إِرْضَاءً لِغَيْرِهِ، صَارَ مِنَ الظَّالِمِيْنَ.

الخَامِسَةُ: تَفْسِيْرُ الآيَةِ الَّتِيْ بَعْدَهَا.

السَّادِسَةُ: كَوْنُ ذَلِكَ لا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا مَعَ كَوْنِهِ كُفْرًا.

السَّابِعَةُ: تَفْسِيْرُ الآيَةِ الثَّالِثَةِ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لا يَنْبَغِي إِلَّا مِنَ اللهِ؛ كَمَا أَنَّ الجَنَّةَ لا تُطْلَبُ إِلَّا مِنْهُ.

التَّاسِعَةُ: تَفْسِيْرُ الآيَةِ الرَّابِعَةِ.

العَاشِرَةُ: أَنَّهُ لا أَضَلُّ مِمَّنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ غَافِلٌ عَنْ دُعَاءِ الدَّاعِي لا يَدْرِي عَنْهُ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ تِلْكَ الدَّعْوَةَ سَبَبٌ لِبُغْضِ المَدْعُوِّ لِلدَّاعِي وَعَدَاوَتِهِ لَهُ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: تَسْمِيَةُ تِلْكَ الدَّعْوَةِ عِبَادَةً لِلْمَدْعُوِّ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كُفْرُ المَدْعُوِّ بِتِلْكَ العِبَادَةِ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذِهِ الأُمُوْرَ هِيَ سَبَبُ كَوْنِهِ أَضَلَّ النَّاسِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: تَفْسِيْرُ الآيَةِ الخَامِسَةِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الأَمْرُ العَجِيبُ؛ وَهُوَ إِقْرَارُ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ أَنَّهُ لا يُجِيْبُ المُضْطَرَّ إِلَّا اللهُ، وَلِأَجْلِ هَذَا يَدْعُونَهُ فِي الشَّدَائِدِ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّينَ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: حِمَايَةُ المُصْطَفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَى التَّوْحِيْدِ، وَالتَّأَدُّبُ مَعَ اللهِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِيْهِ مَسَائِلُ**)، في الباب هذا والأحاديث والآيات مسائل، فوائد يعني.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الأُوْلَى: أَنَّ عَطْفَ الدُّعَاءِ عَلَى الِاسْتِغَاثَةِ مِنْ عَطْفِ العَامِّ عَلَى الخَاصِّ**)، الدعاء أعم من الاستغاثة؛ الاستغاثة تكون في الشيء الضروري، وأما الدعاء فهو واسع؛ يكون في الضروري وفي غيره؛ تدعو الله بأي شيء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ:** ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس:١٠٦])، من المخلوقين، من الأموات ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ﴾، هذا خطاب للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يعني: من المشركين، المراد بالظلم هنا: ظلم الشرك، لو فعله الرسول -وحاشاه-، لصار من الظالمين، يعني: من المشركين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ**)، ليس هذا من الشرك الأصغر، إنما هو من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: أَنَّ أَصْلَحَ النَّاسِ لَوْ يَفْعَلَهُ إِرْضَاءً لِغَيْرِهِ، صَارَ مِنَ الظَّالِمِيْنَ**)، أصلح الناس -هو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لو دعا غير الله، وفعل هذا، لصار من الظالمين، يعني: من المشركين، فكيف بغيره إذا فعله؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ الَّتِيْ بَعْدَهَا)، وهي الآية التي بعد هذه الآية: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السَّادِسَةُ: كَوْنُ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا مَعَ كَوْنِهِ كُفْرًا)، هذا دعاء الأموات لا ينفع في الدنيا، وليس فقط أنه لا ينفع، بل كفر بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ الثَّالِثَةِ)، وهي: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢]. تفسيرها: أن الله تحداهم: من الذي يجيب المضطر؟

هم مقرون أنه لا يخلص من الشدائد والكربات إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك إذا وقعوا في الشدة في البحر، فإنهم لا يدعون إلا الله؛ لعلمهم أنه لا يخالص من الشدائد إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهم مشركون يعترفون بهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّامِنَةُ: أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لَا يَنْبَغِي إِلَّا مِنَ اللهِ؛ كَمَا أَنَّ الجَنَّةَ لَا تُطْلَبُ إِلَّا مِنْهُ)، ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾، يقول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧]، فهو عند الله الرزق، لا يرزق إلا الله جَلَّ وَعَلَا، وإن جاءك رزق من أحد، فهو من الله أجراه على يد هذا المخلوق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التَّاسِعَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ الرَّابِعَةِ)، وهي: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف:٥]، لا أحد

أضل من هذا، لا أحد أشد ضلالًا من هذا الذي يدعو من دون الله، وهم يظنون أنهم من عباد الله الصالحين، وأنهم اتخذوا الوسائط تقربهم إلى الله، وهم أضل الناس -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ غَافِلٌ عَنْ دُعَاءِ الدَّاعِي لَا يَدْرِي عَنْهُ)، أن المدعو في قبره غافل، غافل عن دعاء الداعين، لا يدري عنه، فكيف يجيبه ويعطيه، وهو لا يسمعه ولا يدري عنه؟! ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر:١٤]: يجحدون، يقولون: نحن لم نأمركم أن تدعونا!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ غَافِلٌ عَنْ دُعَاءِ الدَّاعِي لَا يَدْرِي عَنْهُ)، ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥]، لا يسمعون دعاءهم؛ لأنهم أموات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ تِلْكَ الدَّعْوَةَ سَبَبٌ لِبُغْضِ المَدْعُوِّ لِلدَّاعِي وَعَدَاوَتِهِ لَهُ)، ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ [الأحقاف:٦]، المدعوون إذا اجتمعوا مع الداعين لهم يوم القيامة، فإن المدعوين يعادون من دعاهم، تقع بينهم العدواة، وهم يريدون أنهم يوم القيامة يساعدونهم ويخلصونهم إلى آخره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: تَسْمِيَةُ تِلْكَ الدَّعْوَةِ عِبَادَةً لِلْمَدْعُوِّ)، ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [الأحقاف:٦]، يعني: بدعائهم إياهم، فسمى الدعاء عبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كُفْرُ المَدْعُوِّ بِتِلْكَ العِبَادَةِ)، إذا دعا الأموات أو الأحياء الذين لا يقدرون على ما يطلب منهم، فإن هذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ، وضلال، لا أحد أشد ضلالًا منه.

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف:٥]، ويوم القيامة يعادونهم، أحوج ما يكونون إليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذِهِ الأُمُوْرَ هِيَ سَبَبُ كَوْنِهِ أَضَلَّ النَّاسِ**)، كونه أضل الناس؛ لأنه دعا غير الله، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾، لا أحد أضل من هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: تَفْسِيْرُ الآيَةِ الخَامِسَةِ**)، وهي: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل:٦٢]، هل هذه المعبودات من الأولياء والصالحين تجيب المضطر إذا دعاها؟ لا تجيبه، لا تقدر، ولا تكشف السوء، لا يكشف السوء إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾، يعني: يخلف بعضكم بعضًا، هل هذه القبور وهؤلاء الأموات هم الذين يخلفون الناس، ويجعلونهم أجيالًا؛ جيلًا بعد جيل؟! هذا لله عَزَّوَجَلَّ، براهين عظيمة للتوحيد، لكن يغفل عنها كثير من الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الأَمْرُ العَجِيبُ؛ وَهُوَ إِقْرَارُ عَبْدَةِ الأَوْثَانِ أَنَّهُ لَا يُجِيْبُ المُضْطَرَّ إِلَّا اللهُ**)، هذا العجيب، ومع هذا يدعون غير الله، وهم يعترفون أنه لا يجيب المضطر إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك إذا وقعوا في شدة، ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [يونس:٢٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الأَمْرُ العَجِيبُ؛ وَهُوَ إِقْرَارُ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ أَنَّهُ لَا يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِلَّا اللهُ، وَلِأَجْلِ هَذَا يَدْعُونَهُ فِي الشَّدَائِدِ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّينَ)**، يدعون الله، لا يدعون غيره، إذا وقعوا في الشدة لا يدعون غير الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: حِمَايَةُ المُصْطَفَى** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حِمَى التَّوْحِيْدِ، وَالتَّأَدُّبُ مَعَ اللهِ)**، في قوله: **«إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي»**، هذه حماية للتوحيد، **«إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ»**.

١٤ - بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١، ١٩٢].

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١، ١٩٢]).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾[الأعراف:١٩١، ١٩٢])، في هذه الآية ينكر الله جَلَّ وَعَلَا على المشركين الذين اتخذوا معه آلهة في العبادة؛ يعبدونهم مع الله، وسووهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

فلذلك يندمون يوم القيامة، ويقولون لمعبوديهم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٦-٩٨].

عرفوا خطأهم، ولكن لا حيلة لهم، أغلق باب التوبة، وواجهوا الحساب، واستحقوا العذاب، وإنما يتلاومون، فيحلفون بالله أنهم لفي ضلال مبين في الدنيا؛ حيث سووا مع رب العالمين من لا يساويه من خلقه.

ولهذا قال: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا ﴾ [الأعراف:١٩١]، الخلق لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهؤلاء المعبودات لا تخلق شيئًا، فكيف تعبد مع

الخالق الذي لا يعجزه شيء؟! قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [الحج:٧٣].

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾: وهو المشرك، ﴿وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾: وهو الذباب.

في هذا بيان لبطلان الشرك؛ لأنه تسوية للمخلوق بالخالق، وتسوية للعبد بالرب، رب كل شيء، فيسوونهم مع الله سبحانه.

﴿أَيُشۡرِكُونَ﴾: هذا استفهام إنكار.

﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا﴾: ﴿شَيۡـٔٗا﴾، أي شيء، كلمة نكرة في سياق الاستفهام تعم كل شيء، لا يستطيعون أن يخلقوا شيئًا ولو قل.

﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾: هم مخلوقون، هذه المعبودات كلها مخلوقة، سواء الجامد منها أو المتحرك، أوالإنسان أو غير الإنسان، فكيف يسوى المخلوق العاجز بالخالق القادر على كل شيء؛ ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾.

﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا﴾: هم يعبدونهم لينتصروا بهم، لكن إذا ألمت الملمات، فإن هذه المعبودات لا تخلصهم ولا تنصرهم؛ لأنها عاجزة، ولا يبقى إلا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، هو الذي يخلص من الشدائد، ولذلك إذا وقعوا في الشدة، أخلصوا الدعاء لله؛ لعلمهم أنه لا يقدر على الإنقاذ من الشدة إلا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فإذا جاء الرخاء أشركوا بالله، أما في الشدة فيخلصون الدعاء لله عَزَّوَجَلَّ.

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾: حينما يقعون في كربة أو في شدة.

﴿ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾: إذا أصيب واحد من هؤلاء المعبودات أو المعبودين، لا يستطيع أن ينتصر لنفسه، وأن يدافع عن نفسه، فهم عاجزون من كل وجه.

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ ﴾، أي: لعابديهم، ﴿ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾، فبطلت عبادة هؤلاء.

....

ش: **قوله: ﴿ أَيُشْرِكُونَ ﴾ أي: في العبادة.**

قال المفسرون في هذه الآية: هذا توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئًا وهو مخلوق، والمخلوق لا يكون شريكًا للخالق في العبادة التي خلقهم لها، وبين أنهم لا يستطيعون لهم نصرًا، ولا أنفسهم ينصرون، فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه، ولا نصر نفسه؟! وهذا برهان ظاهر على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله، وهذا وصف كل مخلوق، حتى الملائكة والأنبياء والصالحين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﴿ أَيُشْرِكُونَ ﴾ أي: في العبادة)**، يشركون في العبادة، أما في الربوبية، فهم مقرون لله بالربوبية، وأنه هو الرب وحده؛ لا خالق ولا رازق، ولا يحيي ولا يميت، ولا يدبر إلا هو.

إنما عند العبادة هم يخالفون، فيعبدون غير الله، وهم يعترفون بعجزه، وعدم قدرته أنه لا ينصرهم إذا احتاجوا إليه، يعترفون بهذا، لكن شياطين الإنس والجن زينوا لهم هذا الشيء، ولبسوا عليهم، دعاة الضلال هكذا أثرهم على الناس يضلون الناس -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المفسرون في هذه الآية: هذا توبيخ، وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئًا وهو مخلوق)**، مخلوق مثلهم ضعيف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وبين أنهم لا يستطيعون لهم نصرًا، ولا أنفسهم ينصرون، فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه، ولا نصر نفسه؟)، هذا من العجائب، هذه الآية من براهين التوحيد وبراهين بطلان الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا برهان ظاهر على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله)، لا شك في هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهـذا وصف كل مخلوق، حتى الملائكة والأنبياء والصالحين)، هذا وصف كل مخلوق، كل مخلوق هذه صفاته: لا يملك شيئًا لمن عبده، ولا يخلق شيئًا، ولا يدفع عن نفسه فضلًا عن أن يدفع عن غيره، هم يعترفون بهذا.

....

ش: وأشرف الخلق محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كان يستنصر ربه على المشركين، ويقول «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أُصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»(١)، وهذه الآية كقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ [الجن:٢١-٢٣]، ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

فكفى بهذه الآيات برهانًا على بطلان دعوة غير الله كائنًا من كان، فإن كان نبيًّا أو صالحًا، فقد شرفه الله تعالى بإخلاص العبادة له والرضاء به ربًّا ومعبودًا، فكيف يجوز أن يُجعل العابد معبودًا مع توجيه الخطاب إليه بالنهي عن هذا الشرك؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأشرف الخلق محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كان يستنصر ربه على المشركين، ويقول «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤)، والنسائي في الكبرى (٨/ ٢٩، ٩/ ٢٢٣)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أُصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»)، الملائكة: جبريل والملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا يملكون شيئًا، ولا يخلقون شيئًا، ولا ينصرون من استنصر بهم عند الشدة.

وكذلك الأنبياء والمرسلون من بني آدم، وأشرفهم وأفضلهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن:٢١، ٢٢]، هكذا يقول الله لرسوله: ﴿قُلْ﴾ للناس، وقد بلغ الرسول هذا للناس عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨]، هذه مهمته؛ أنه بشير ونذير، أما أنه يملك للناس الضر والنفع، هذا لله عَزَّوَجَلَّ، لله وحده. ولذلك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستنصر بربه، إذا واجه الكفار والتقى الجمعان، يستنصر ربه، ويدعو ربه، ويتضرع إليه أن ينصر المسلمين؛ كما حصل منه في بدر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، استنصر بربه، وبات كل الليل يدعو ربه الناس نيام، والرسول قائم يدعو ربه ليلة بدر، حتى سقط رداؤه من على كتفيه من شدة الابتهال إلى الله، هذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه، ويتضرع إليه أن ينصره، وينصر المسلمين على الكفار(١).

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٧٦٣): عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ. فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ...».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذه الآية كقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣])، ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾، أي: اتخذ المشركون.

﴿مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾: آلهة معبودة يعبدونهم.

﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ﴾: هؤلاء المعبودون لا يملكون لأنفسهم فضلًا عن أن يملكوا لغيرهم.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: هذا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣]، يعني: البعث، لا يقدرون على أن يحيوا الأموات من قبورهم، كل هذا لله عَزَّ وَجَلَّ، ومن أفعاله سبحانه، فكيف يعبدون مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!!

الرسل لم يأتوا ليُعبدوا مع الله، إنما جاءوا ليبلغوا الناس دعوة ربهم: أن يعبدوا ربهم وحده لا شريك له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ [الجن:٢١، ٢٣])، هذا الذي أملكه: البلاغ؛ أني أبلغكم رسالات ربي، هذا الذي يملكه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾: وهذه مهمته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأين الذين الآن يلجؤون إلى القبور وإلى الأموات يستغيثون بهم، ويطلبون منهم حوائجهم؟! هل نسوا القرآن؟! لا، هم يحفظون القرآن، قد يحفظونه بالقراءات السبع أو العشر، ولكنهم لا يتأملون القرآن، مجرد تلاوة

من غير أن يفهموا معناه أو يتفهموا معناه، ما الفائدة إذًا من تلاوة القرآن؟ إذا لم تستفد منه، وتعمل به، فإنه يكون حجة عليك يوم القيامة، يدفعك إلى النار؛ كما في الحديث(١). ولهذا أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن القرآن يكون خصمًا يوم القيامة لمن حمله ولمن يعمل به، حتى يقال: لا يزال يحاج عند الله حتى يقال له: شأنك به، فيأخذه فلا يدعه حتى يكبه في النار(٢).

والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»(٣)، حجة لك إن عملت به، أو عليك إن أعرضت عنه، لم يصر عندك عذر، القرآن واضح، ومع هذا قليل من الناس من يلتفت إلى القرآن ويعمل به كما يجب، ويستفيد من القرآن، فهو كما قال الله في اليهود: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة:٥]، الحمار لو تحمل عليه الأسفار الكبيرة من الكتب لا يدري ما الذي فيها بل تثقله، ولا يدري

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد في الزهد (ص ١٢٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٣١)، والدارمي في سننه (٤/ ٢٠٩٤)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٣٢، ١٠/ ١٩٨)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ**».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٢٩)، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص ٥٥): عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلًا، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ أَمْرَهُ، فَيَتَمَثَّلُ خَصْمًا لَهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَمَّلْتَهُ إِيَّايَ فَشَرُّ حَامِلٍ تَعَدَّى حُدُودِي، وَضَيَّعَ فَرَائِضِي، وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي، وَتَرَكَ طَاعَتِي، فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ: فَشَأْنَكَ بِهِ فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ، فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يَكُبَّهُ عَلَى مَنْخِرِهِ فِي النَّارِ...**».

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣)، من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ما الذي فيها، وهذا مثل من يحمل كتاب الله، ولا يستفيد منه، ولا يعمل به مثل الحمار أبلد، فالحمار أبلد الحيوانات، فهذا أبلد بني آدم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿**قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف:١٨٨])، هذه الآية واضحة في إقامة الحجة على المشركين الذين يتعلقون بالأنبياء وبالملائكة وبالأولياء والصالحين، يظنون أنهم يملكون من الأمر شيئًا، وأنهم ينفعون ويضرون، فيها رد عليهم واضح، لكن يقرؤونها ولا يلتفتون إليها ولا إلى معناها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فكفى بهذه الآيات برهانًا على بطلان دعوة غير الله كائنًا من كان**)، هذه الآية من براهين التوحيد، ومن براهين إبطال الشرك، والآيات في هذا كثيرة في القرآن؛ تأمر بالتوحيد، وتنهى عن الشرك، تضرب الأمثلة، ولكن أين من يلتفت إلى معاني القرآن إلا ما شاء الله؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فكيف يجوز أن يُجعل العابد معبودًا**)، كيف يجوز أن يُجعل العابد معبودًا -من الملائكة أو من الرسل أو من الصالحين- معبودًا مع الله، وهو عابد -عبد-، يُشرك مع الخالق ومع الرب سبحانه؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فكيف يجوز أن يُجعل العابد معبودًا مع توجيه الخطاب إليه بالنهي عن هذا الشرك**)، مع أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجِه عن أن ينهاهم عن الشرك ولا ينتهون، يقولون: يا محمد، يا رسول الله، يا فلان، يا فلان، ويتضرعون إلى الأموات، وهم يسيرون إلى جهنم -والعياذ بالله-، ولا يشعرون بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى:** ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨])، ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: هذا دل على أن من دعا مخلوقًا، فقد اتخذه إلهًا آخر؛ لأن الدعاء لله عَزَّوَجَلَّ.

وهو أخص أنواع العبادة، «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»[(١)]؛ كما قال الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يعني: أشرف أنواع العبادة، الرسل مهمتهم أنهم يدعون الله عَزَّوَجَلَّ، لا أنهم يُدعون مع الله، إذا كان هذا في الرسل والملائكة، فكيف بمن دونهم من الأولياء والصالحين؟!!

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٢٩).

....

ش: وقال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠]، فقد أمر عباده من الأنبياء والصالحين وغيرهم بإخلاص العبادة له وحده، ونهاهم أن يعبدوا معه غيره، وهذا هو دينه الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ورضيه لعباده، وهو دين الإسلام؛ كما روى البخاري عن أبي هريرة في سؤال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: الْإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ». الحديث[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف:٤٠])، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، ﴿إِنِ﴾: بمعنى «ما» نافية، أي: ما الحكم إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الحكم القضائي والحكم الشرعي بين الناس، الله هو الذي يحكم بين عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويقضي بينهم، وهو الذي يشرع لهم الشرائع التي فيها حياتهم، وفيها نفعهم، وفيها خيرهم، هذا الحكم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠])، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، ومن حكمه أنه: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقد أمر عباده من الأنبياء والصالحين وغيرهم بإخلاص العبادة له وحده)، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾، المسيح

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧).

عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ﴾، يعني: عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يأنف أن يكون عبدًا، ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٧٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ونهاهم أن يعبدوا معه غيره، وهذا هو دينه الذي بعث به رسله)، وهو التوحيد، وأمر الناس بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأنزل به كتبه)، الكتب التي أنزلها الله كلها تدعو إلى التوحيد أولًا وقبل كل شيء، تأمل القرآن، تجد أكثره في التوحيد والدعوة إليه، والتحذير من الشرك، لا تخلو آية من ذلك، ولا تخلو سورة من ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ورضيه لعباده، وهو دين الإسلام)، الله رضي الإسلام دينًا للمسلمين؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣]، فهو الدين الذي رضيه الله لنا، فكيف نطلب غير الإسلام، وغير ملة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! كيف نتبع الولي فلان، والرئيس فلان، أو العالم الفلاني؟!! ليس لهم من الأمر شيء، ولن ينفعوا عند الله شيئًا يوم القيامة، يوم القيامة يتبرؤون ممن تعلق بهم وعبدهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما روى البخاري عن أبي هريرة في سؤال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: الْإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ». الحديث)، جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو جالس بين أصحابه في صورة رجل؛

لأنهم لا يطيقون رؤية الملك على خلقته، لا يطيقون هذا، فيأتيهم في صورة رجل. لكن هذا: «رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ»؛ حتى يقال: إنه جاء من بعيد، «وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ»، كيف لا يعرفونه، وهو لم يأت من بعيد؟! هذا من العجائب. فجلس إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحضرة أصحابه؛ يريد أن يعلم أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، فذكر أركان الإسلام الخمسة.

«**قَالَ: صَدَقْتَ**»، قال الحاضرون: «**فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ**»؛ إذًا هو ليس بجاهل، كيف يسأل؟! «**قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، فذكر أركان الإيمان الستة.

«**قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**»: كأنك تراه على كمال اليقين الذي ليس فيه شك، لم يقل: تراه، قال: كأنك تراه؛ لأنه لا يرى في الدنيا، إنما يراه المؤمنون في الآخرة، لكن كأنك تراه.

«**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ**»، يعني: لم تصل إلى هذه الدرجة؛ «**فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، يعني: اعلم أنه يراك، فعليك أن تتقي الله؛ لأنه يراك؛ «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، هذا الإحسان، وهو أعلى من الإيمان، أولًا الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان، هذه مراتب بالدرجة، ثلاث مراتب.

«قَالَ: صَدَقْتَ، فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، يعني: أنا وأنت فيها سواء لا نعلمها؛ لأن الساعة لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يعلمها ملكٌ مقرب ولا نبي مرسل.

«فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»[(١)]، هذا في آخر الزمان، البادية تتحضر، تترك بيوت الشعر، وتبني العمارات التي هي مائة دور أو مائتين دور.

«يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، هذا من علامات الساعة، وقد حصل ما أخبر به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) حديث جبريل أخرجه مسلم (٨)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣، ١٤].

ش: يخبر تعالى عن حال المدعوين من دونه -من الملائكة، والأنبياء، والأصنام، وغيرها- بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي الملك، وسماع الدعاء، والقدرة على استجابته، فمتى لم توجد هذه الشروط تامة، بطلت دعوته، فكيف إذا عدمت بالكلية؟

فنفى عنهم الملك بقوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، والحسن، وقتادة: القطمير: اللفافة التي تكون على نواة التمر[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾)، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾: الملك الكامل.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: هذا عام لكل مدعو من دون الله، من الملائكة وغيرهم.

﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣]: القطمير: هو السلب الذي على نواة التمر، شيء تافه ليس له قيمة، ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٩- ٣٥٠).

ثم قال: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ ﴾؛ لأنهم أموات في قبورهم، ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾: لا يقدرون على الإجابة.

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾: يتبرؤون منكم.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [غافر:١٤]، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

....

ش: كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل:٧٣]، وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢، ٢٣]، ونفى عنهم سماع الدعاء بقوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟﴾ [فاطر:١٤]؛ لأنهم ما بين ميت وغائب عنهم، مشتغل بما خُلِق له، مُسخر بما أُمِر به كالملائكة.

ثم قال: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فاطر:١٤]؛ لأن ذلك ليس لهم، فإن الله تعالى لم يأذن لأحد من عباده في دعاء أحد منهم، لا استقلالًا، ولا واسطة؛ كما تقدم بعض أدلة ذلك.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر:١٤]، فتبين بهذا أن دعوة غير الله شرك.

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم:٨١، ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر:١٤]، قال ابن كثير: يتبرؤون منكم؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥، ٦].

قال: وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤]، أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه مثل خبير بها.

قال قتادة: يعني: نفسه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإنه أخبر بالواقع لا محالة[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢، ٢٣])، لم يبق شيء يتعلقون به، لا يملكون شيئًا، ولا يشاركون المالك، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ:٢٢]: لا يعينون الله، الله غني عنهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ حتى يقال: هذا وزير الملك، أو هذا مقرب إلى الله، أو يملك لي، لا يملكون؛ ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣، ١٤].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾، لاحظ ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣]، الملك لله عَزَّوَجَلَّ، فكيف يدعى غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم:٨١، ٨٢])، هذا في يوم القيامة.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال: وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾** [فاطر:١٤]**، أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه مثل خبير بها)، وهو الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

....

ش: قلت: والمشركون لم يسلموا للعليم الخبير ما أخبر به عن معبوداتهم، فقالوا: تملك، وتسمع، وتستجيب، وتشفع لمن دعاها. ولم يلتفتوا إلى ما أخبر به الخبير من أن كل معبود يعادي عابده يوم القيامة، ويتبرأ منه؛ كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [يونس:٢٨-٣٠].

أخرج ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن جريج قال: قال مجاهد: ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾ [يونس:٢٩]، قال: يقول ذلك كل شيء كان يُعبد من دون الله[١]. فالكيس يستقبل هذه الآيات التي هي الحجة والنور والبرهان بالإيمان، والقبول، والعمل، فيجرد أعماله لله وحده دون كل ماسواه ممن لايملك لنفسه نفعًا ولا دفعًا، فضلًا عن غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولم يلتفتوا إلى ما أخبر به الخبير من أن كل معبود يعادي عابده يوم القيامة، ويتبرأ منه)، فهم يضادون الله في قوله، فيقولون: لا. تملك، وهي تعين، وتخلق وترزق ... إلى آخره، فهم يضادون الله في إخباره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ١٧٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [يونس:٣٠])، هذا المآل يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أخرج ابن جرير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن ابن جريح قال: قال مجاهد: ﴿ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾** [يونس:٢٩]**، قال: يقول ذلك كل شيء كان يُعبد من دون الله)**، كل من عُبِدَ من دون الله ينكر يوم القيامة، يقول: لم ندرِ، ولم نعرف هذا، ولم نأمركم به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالكيس يستقبل هذه الآيات التي هي الحجة والنور والبرهان بالإيمان، والقبول، والعمل)**، بلا شك، كلام رب العالمين ليس بعده كلام، براهين قاطعة على بطلان الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالكيس يستقبل هذه الآيات)**، الكيس، يعني: العاقل.

وفي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: «شُجَّ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَوْمَ أُحُدٍ، وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فَقَالَ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟ فَنَزَلَتْ:** ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]»[١].

ش: قوله: (وَفِي الصَّحِيحِ)، أي: في الصحيحين، علقه البخاري، عن حميد، وعن ثابت، عن أنس[٢]، ووصله أحمد، والترمذي، والنسائي عن حميد، عن أنس به[٣]. ووصله مسلم عن ثابت، عن أنس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: «شُجَّ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَوْمَ أُحُدٍ، وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فَقَالَ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟ فَنَزَلَتْ:** ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]»)، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شُجَّ، وهُشِمَ المغفر على رأسه، حتى غاصت حلقتان من المغفر في رأسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدل على أنه يصيبه ما أصاب الناس، وأنه بشر يمرض ويصاب وقد يُقتل، فهو بشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «وَفِي الصَّحِيحِ»، أي: في الصحيحين، علقه البخاري)**، المعلق عند البخاري: هو ما ليس له سند عنده، لا يذكر سنده، إنما يأتي به في بداية الباب بدون سند.

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا -واللفظ له- (٥/ ٩٩) كتاب المغازي، بَاب ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾، ومسلم موصولًا (١٧٩١).

(٢) انظر فتح الباري (٧/ ٣٦٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢١/ ٢٤١)، والترمذي (٣٠٠٢)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٥١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ووصله أحمد، والترمذي، والنسائي عن حميد، عن أنس)**، وصله، يعني: ذكر سنده الإمام أحمد.

ش: وقال ابن إسحاق في المغازي: حدثني حميد الطويل، عن أنس قال: «كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يمَسَحَ الدَّمَ، وَيَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ؟ فأنزل الله الآية»[1].

قوله: «شُجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». قال أبو السعادات: الشج في الرأس خاصة في الأصل، وهو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه، ثم استعمل في غيره من الأعضاء[2].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأنزل الله الآية)، ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ [آل عمران:١٢٨]، الرسول قال: كيف يفلحون؟ الله جَلَّ وَعَلَا أخبر أنه سيفلحون، ولذلك تابوا وأسلموا، منَّ الله عليهم بالإسلام، ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٢٨]، تابوا وأسلموا مع أنهم شجوا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأدموه، وقبل الله توبتهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال أبو السعادات)، أبو السعادات: ابن الأثير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الشج في الرأس خاصة في الأصل)، الشجة: هي الجرح في الرأس فقط تسمى شجة، وأما الجرح في البدن فلا يسمى شجة يسمى جرحًا.

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام (٢/ ٧٩- ٨٠).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٤٥).

....

ش: وذكر ابن هشام من حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السفلي، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في وجهه، وأن عبد الله بن قَمِئَةَ جرحه في وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته.

وأن مالك ابن سنان مص الدم من وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وازْدَرَدَهُ، فقال له: لَنْ تَمَسَّكَ النَّارُ[١].

قال القرطبي: والرباعية -بفتح الراء وتخفيف الياء- وهي كل سن بعد ثنية[٢].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وللإنسان أربع رباعيات[٣].

قال الحافظ: والمراد أنها كُسِرت، فذهب منها فلقة، ولم تقلع من أصلها[٤].

قال النووي: وفي هذا وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء -صلوات الله، وسلامه عليهم- لينالوا جزيل الأجر، والثواب، ولتعرف الأمم ما أصابهم، ويأتسوا بهم. قال القاضي: وليُعلم أنهم من البشر، تصيبهم محن الدنيا، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر، ليتيقن أنهم مخلوقون مربوبون،

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٨٠). وانظر -أيضًا-: فتح الباري (٧/ ٣٦٦).
(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٦٤٩).
(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (١٢/ ١٤٨).
(٤) انظر: فتح الباري (٧/ ٣٦٦).

ولايفتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات، ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم. انتهى[(١)].

قلت: يعني: من الغلو والعبادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وذكر ابن هشام)**، ابن هشام: صاحب السيرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأن مالك ابن سنان مص الدم من وجه رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وازْدَرَدَهُ)**، ازْدَرَدَهُ، يعني: ابتلعه، ابتلع دم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال النووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وللإنسان أربع رباعيات)**، اثنتان في الأعلى، واثنتان في الأسفل، متقابلات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال النووي: وفي هذا وقوع الأسقام، والابتلاء بالأنبياء -صلوات الله، وسلامه عليهم- لينالوا جزيل الأجر، والثواب، ولتعرف الأمم ما أصابهم، ويأتسوا بهم)**، فيصبروا؛ لكي تعرف الأمم ما أصاب الأنبياء؛ فيأتسوا بهم، ويصبروا على ما أصابهم، وليعلموا -أيضًا- أنهم بشر؛ يصيبهم ما أصاب البشر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال القاضي: وليُعلم أنهم من البشر، تصيبهم محن الدنيا، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر، ليتيقن أنهم مخلوقون مربوبون، ولا يفتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات)**، فلا يدعى لهم الكمال والربوبية، ويعبدون مع الله.

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١٤٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم)**، النصارى حيث عبدوا المسيح عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: يعني: من الغلو، والعبادة)**، ما أصاب النصارى، يعني: من الغلو في عيسى، والعبادة له.

ش: قوله: «يوم أُحُدٍ»: هو جبل معروف كانت عنده الواقعة المشهورة، فأضيفت إليه.

قوله: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟». زاد مسلم: «وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَأَدْمَوْا وَجْهَهُ».

قوله: «فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران:١٨٢]، قال ابن عطية: كأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحقه في تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش، فقيل له بسبب ذلك: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾، أي: عواقب الأمور بيد الله، فامض أنت لشأنك، ودم على الدعاء لربك[1].

وقال ابن إسحاق: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم[2].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «يوم أُحُدٍ»: هو جبل معروف كانت عنده الواقعة المشهورة، فأضيفت إليه)، وقعة أحد بعد بدر بسنة، وقد حصل على المسلمين فيها ما حصل. والسبب في هذا من قبل بعض المسلمين؛ وذلك أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما صف أصحابه للقتال، وضع جماعة من الرماة على الجبل خلفهم؛ لئلا يأتيهم أحد من الخلف، فالمسلمون لما قامت المعركة، أخذوا

(١) انظر: تفسير ابن عطية (١/ ٥٠٦).
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٠٨).

يقتلون في الكفار؛ ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ [آل عمران:١٥٢]، ففي الأول انتصروا، ولما نزل الرماة عن الجبل، انقض عليهم المشركون من الخلف وأحاطوا بهم، فعادت المعركة مرة ثانية، وحصل على المسلمين ما حصل بسبب معصية الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث قال: لا تتركوا الجبل فتركوه. ظنوا أن المعركة انتهت، فنزلوا من الجبل، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: لا تتركوا الجبل سواء انتصرنا أو هزمنا. لكنه أمر قدره الله وحصل، فدارت المعركة من جديد، واستشهد من الصحابة سبعون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فيهم عم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟». زاد مسلم: «وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَأَدْمَوْا وَجْهَهُ»)**، عاتبه الله على هذه المقالة؛ لأنه نفى عنهم أنهم يفلحون، فأفلحوا وتاب الله عليه؛ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ [آل عمران:١٢٨].

وَفِيه عَنِ ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ سمع رَسُول اللّٰه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ مِنَ الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ: اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا، بَعْدَ مَا يَقُولُ: سَمِعَ اللّٰهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، فَأَنْزَلَ اللّٰهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]»[١].

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]»[٢].

ش: قوله: (وَفِيهِ). أي: في صحيح البخاري، ورواه النسائي[٣].

قوله: (عَنِ ابْنِ عُمَرَ)، هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب، صحابي جليل، شهد له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصلاح، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها، أو في أول التي تليها[٤].

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَفِيهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ مِنَ الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ: اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا، بَعْدَ مَا يَقُولُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]»)، بعد وقعة أحد قُتِل فيها من

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٠، ٤٠٦٩، ٤٥٥٩، ٧٣٤٦).
(٢) أخرجها البخاري (٤٠٧٠).
(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١/ ٣٤٠، ١٠/ ٥٠)، وفي المجتبى (١٠٧٨).
(٤) انظر في ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٥٠)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٣)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٨٤٣)، والأعلام للزركلي (٤/ ١٠٨).

قُتِل من صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهُشِمَ المغفر على رأسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكسرت رباعيته، جعل يدعو على المشركين الذين حصلت منهم هذه النكبة على المسلمين، فكان يقول في القنوت في صلاة الفجر.

القنوت في صلاة الفجر يشرع عند النوازل، عندما تنزل بالمسلمين نازلة غير الطاعون يستحب للإمام أن يقنت بأن يدعو بعد رفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة من صلاة الفجر، يدعو بكشف الغمة، وإزالة المحنة عن المسلمين، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقنت في صلاة الفجر، ويدعو على أناس بأسمائهم وأعيانهم، فعاتبه الله عَزَّ وَجَلَّ، لا على القنوت، ولكن على تخصيص هؤلاء الرجال: سهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، والحارث بن هشام، فهؤلاء أسلموا: ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ [آل عمران:١٢٨]، فهؤلاء أسلموا وحسن إسلامهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بعد أن حصل منهم ما حصل، ولكن الله يتوب على من تاب، وهو واسع المغفرة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(قوله: (وَفِيهِ)، أي: في صحيح البخاري، ورواه النسائي)**، الذي سبق ذكره في أول الباب.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(قوله: (عَنْ ابْنِ عُمَرَ)، هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب، صحابي جليل، شهد له رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بالصلاح)**، العبادلة: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ[1].

---

(١) انظر: الجامع لعلوم الإمام أحمد -الفقه (٦/ ١٦٧)، والجامع لعلوم الإمام أحمد -الرجال (١٦/ ٥٠- ٥٨)، وأخبار مكة للفاكهي (٢/ ٣٢٥)، وطلبة الطلبة (ص٤٦).

....

ش: قوله: «أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ». هذا القنوت على هؤلاء بعد ما شُجَّ، وكسرت رباعيته يوم أحد.

قوله: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا»، قال أبو السعادات: أصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله. ومن الخلق السب والدعاء(١).

وتقدم كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: «فُلَانًا وَفُلَانًا»، يعني: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام؛ كما بينه في الرواية الآتية.

وفيه: جواز الدعاء على المشركين بأعيانهم في الصلاة، وأن ذلك لا يضر في الصلاة.

قوله: «بَعْدَ مَا يَقُولُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، قال أبو السعادات، أي: أجاب حمده، وتقبله(٢).

وقال السهيلي: مفعول «سمع» محذوف؛ لأن السمع متعلق بالأقوال والأصوات دون غيرها، فاللام تؤذن بمعنى زائد، وهو الاستجابة للسمع، فاجتمع في الكلمة الإيجاز والدلالة على الزائد، وهو الاستجابة لمن حمده(٣).

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٥٥).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٠١).

(٣) انظر: نتائج الفكر في النَّحو للسُّهَيلي (ص٢٧٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ما معناه: عدى «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» باللام المتضمنة معنى استجاب الله، ولا حذف هناك، وإنما هو مضمن**[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو السعادات)**، يعني: أبو السعادات ابن الأثير في غريب الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا»، قال أبو السعادات: أصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله. ومن الخلق السب والدعاء)**، إذا قال: لعنه الله. فاللعن من الله هو الطرد والإبعاد من رحمته، وأما اللعن من المخلوقين فهو السب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: جواز الدعاء على المشركين بأعيانهم في الصلاة، وأن ذلك لا يضر في الصلاة)**، أن ذلك لا يضر الصلاة، ولكن تعيين الأشخاص هذا هو الذي نهى الله عنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «بَعْدَ مَا يَقُولُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، قال أبو السعادات، أي: أجاب حمده، وتقبله)**، هذا معنى «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، فمعنى «سمع» هنا: استجاب. وأما «سمع»، فالسمع صفة فعلية من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١]، والله يسمع سبحانه ولا يخفى عليه شيء.

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٧٥).

وأما قوله: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ»، معناها: استجاب، «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «بَعْدَ مَا يَقُولُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ». قال أبو السعادات، أي: أجاب حمده، وتقبله)**، ليس هذا من تأويل الصفات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال السهيلي: مفعول «سمع» محذوف؛ لأن السمع متعلق بالأقوال، والأصوات دون غيرها، فاللام تؤذن بمعنى زائد، وهو الاستجابة للسمع)**، أما لو قال: سمع الله من حمده، فهذا السماع الحقيقي، صفة من صفاته، لكن «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»: هذا هو الذي بمعنى استجاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ما معناه: عدى «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» باللام المتضمنة معنى استجاب الله، ولا حذف هناك، وإنما هو مضمن)**، يعني فرق بين سمع الله كذا، وسمع الله لمن فعل كذا، هذا معناه استجاب، وليس هو تأويلًا للصفة.

....

ش: قوله: «رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ»، في بعض روايات البخاري بإسقاط الواو.

قال ابن دقيق العيد: كأن إثباتها دال على معنى زائد؛ لأنه يكون التقدير: ربنا استجب ولك الحمد، فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخبر(١).

قال شيخ الإسلام: والحمد ضد الذم، والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له، كما أن الذم يكون على مساوئه مع البغض له(٢).

وكذا قال ابن القيم، وفرق بينه، وبين المدح بأن الإخبار عن محاسن الغير؛ إما أن يكون إخبار مجردًا عن حب وإرادة، أو يكون مقرونًا بحبه وإرادته، فإن كان الأول فهو المدح، وإن كان الثاني فهو الحمد.

فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه، وإجلاله، وتعظيمه. ولهذا كان خبرًا يتضمن الإنشاء بخلاف المدح، فإنه خبر مجرد.

فالقائل إذا قال: (الحمد لله)، أو قال: (ربنا ولك الحمد)، تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى باسم جامع محيط متضمن لكل فرد من أفراد الجملة المحققة والمقدرة، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه ولا تنبغي إلا لمن هذا شأنه، وهو الحميد المجيد(٣).

---

(١) حكاه عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/ ٢٨٢).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٣١٢)، ومنهاج السنة النبوية (٥/ ٤٠٤).
(٣) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٩٣).

وفيه: التصريح بأن الإمام يجمع بين التسميع والتحميد، وهو قول الشافعي، وأحمد، وخالف في ذلك مالك، وأبو حنيفة، فقالا: يقتصر على: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ». في بعض روايات البخاري بإسقاط الواو)**، يجوز: اللهم ربنا ولك الحمد، ويجوز: ربنا لك الحمد، ويجوز: ربنا لك الحمد، كلها صيغ جائزة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ». في بعض روايات البخاري بإسقاط الواو)**، ربنا لك الحمد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن دقيق العيد: كأن إثباتها)**، يعني: إثبات الواو.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن دقيق العيد: كأن إثباتها دال على معنى زائد؛ لأنه يكون التقدير: ربنا استجب ولك الحمد)**، فتكون الواو عاطفة على فعل محذوف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام: والحمد ضد الذم، والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له، كما أن الذم يكون على مساوئه مع البغض له)**، الحمد: هو الثناء على المحمود في أفعاله التي يفعلها باختياره.

أما المدح: فهو على الصفات التي لا اختيار للمخلوق فيها؛ كأن يقال: يمدح فلان لأنه -مثلًا- جميل، وأنه حسن الوجه، هذا يسمى مدحًا وليس حمدًا.

---

(١) انظر: فتح الباري لابن رجب (٧/ ١٩٢-١٩٣)، والإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٢/ ٥٥٩-٥٦٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالقائل إذا قال: «الحمد لله»، أو قال: «ربنا ولك الحمد»، تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **باسم جامع)**، الحمد، حمد بـ(ال) التي للتعريف، وهي للاستغراق، يعني: استغراق جميع المحامد كلها لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه، ولا تنبغي إلا لمن هذا شأنه، وهو الحميد المجيد)**، ولا تقول: الحمد لفلان، هذا لا يكون إلا لله؛ لأن (الحمد) هذا معناه: جميع المحامد لله.

أما إذا قلت: حمدًا لله، شكرًا لفلان، فلا بأس بذلك؛ **«مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ»**(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: التصريح بأن الإمام يجمع بين التسميع، والتحميد)**، الإمام في الصلاة يعني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو قول الشافعي، وأحمد، وخالف في ذلك مالك، وأبو حنيفة، فقالا: يقتصر على: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»)**، اختلف الأئمة في: هل الإمام يقتصر على قوله: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، والمأموم يقول: **«رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ»**.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨/ ٢٣٣)، والترمذي (١٩٥٥)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٥١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
وأخرجه أحمد (١٢/ ٤٧٢، ١٣/ ٣٢٢، ٣٩٢، ١٥/ ١٣، ١٦/ ٣٢، ٢٤٤)، وأبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤)، والبخاري في الأدب المفرد (ص ٨٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فالمأموم يقتصر على «رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ»، إلى آخره، وأما الإمام، فإنه يقتصر: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفيه: التصريح بأن الإمام يجمع بين التسميع، والتحميد)**، يعني: في هذا الحديث التصريح أنه يجمع بينهما: بين «سمع الله لمن حمده»، «ربنا ولك الحمد»؛ لأن هناك من يقول: إن الإمام يقتصر على قوله: «سمع الله لمن حمده»؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**»(١)، فالمأموم يقتصر على «**رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**»، والإمام يقتصر على «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، هذا قول.

والقول الثاني: أنه يجمع الإمام بين «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**»، والمأموم كذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وخالف في ذلك مالك، وأبو حنيفة، فقالا: يقتصر على: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»)**، يعني الإمام، «**وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**».

قالوا: هذا يدل على أن الإمام يقتصر على قوله: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ».

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٤، ٧٩٦، ٣٢٢٨، ٤٤٧٥)، ومسلم (٤٠٩، ٤١٠، ٤١٦، ٤١٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: قوله: (وَفِي رِوَايةٍ: «يَدْعُو على صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ»)، وذلك لأنهم رؤوس المشركين يوم أحد، هم وأبو سفيان بن حرب، فما استجيب له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم، بل أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران:١٨٢]، فتاب عليهم، فأسلموا، وحسن إسلامهم. وفي هذا كله: معنى شهادة (أن لا إله إلا الله) الذي له الأمر كله، يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته، فهو المستحق بأن يعبد وحده.

وفي هذا من الحجج والبراهين ما يبين بطلان ما يعتقده عباد القبور في الأولياء والصالحين -بل في الطواغيت-؛ من أنهم ينفعون من دعاهم، ويمنعون من لاذ بحماهم. فسبحان من حال بينهم وبين فهم الكتاب! وذلك عدله سبحانه، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه، وبه الحــول والقوة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (قوله: وَفِي رِوَايةٍ: «يَدْعُو على صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ ابْنِ عَمْرٍو، وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ»)، صفوان بن أمية بن خلف أسلم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وحسن إسلامه، وأعطاه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عطاءً كثيرًا من مغانم حنين.

وسهيل بن عمرو: أسلم وحسن إسلامه، وصار من المجاهدين في سبيل الله في فتوح الشام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والحارث بن هشام: ابن عم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أسلم وحسن إسلامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وذلك لأنهم رؤوس المشركين يوم أحد**)، يوم أحد، وإلا بعد ذلك أسلموا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأبو سفيان بن حرب**)، أبو سفيان: هو قائد المشركين في غزوة أحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فما استجيب له** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فيهم**)، لم يستجب له في دعائه عليهم، بل إن الله سبحانه عاتبه على ذلك، وقال: ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ** ﴾ [آل عمران:١٢٨]، تاب الله عليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فما استجيب له** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فيهم**)، مع أن دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستجاب، ولكن في هذه لم يستجب له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بل أنزل الله:** ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ** ﴾ [آل عمران:١٢٨])؛ لأن الله يعلم أنهم سيتوبون، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فتاب عليهم، فأسلموا، وحسن إسلامهم**)، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي هذا كله: معنى شهادة «أن لا إله إلا الله» الذي له الأمر كله**)، فهو الإله وحده، الإله الذي يتصرف في خلقه بما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي هذا من الحجج والبراهين ما يبين بطلان ما يعتقده عباد القبور في الأولياء والصالحين**)، في قوله تعالى لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾ [آل عمران:١٢٨]، فيه رد على القبوريين الذين يزعمون أن

الأموات يملكون الأمور ويهدون ويصلون ويرزقون ويتصرفون، ولذلك يعبدونهم مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨]، إذا كان هذا الرسول ليس له من الأمر شيء، فكيف بغيره من الأموات وأصحاب القبور؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل في الطواغيت-؛ من أنهم ينفعون من دعاهم، ويمنعون من لاذ بحماهم)**، بل تجاوز اعتقادهم إلى الاعتقاد في أناس طواغيت ليسوا صالحين؛ لأن الشيطان استجرهم، وجرأهم حتى أضلهم -نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فسبحان من حال بينهم وبين فهم الكتاب)**، لم يفهموا قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨]، وإلا لو فهموه، لم يعتقدوا في أصحاب القبور أن لهم من الأمر شيئًا وأنهم يتصرفون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك عدله سبحانه، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه، وبه الحول والقوة)**، الله جَلَّ وَعَلَا يضل من يشاء بعدله، ويهدي من يشاء بفضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يضل إلا من يعلم أنه لا يصلح للهداية، لا يضل الإنسان إلا بسبب من قبل نفسه؛ بأن يؤثر الباطل على الحق، ويكره الحق؛ فيضله الله، وأما من يريد الحق، ويحب الحق، ويتحرى الحق، فإن الله يهديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:٥]، هم السبب في هذا، زاغوا فأزاغ الله قلوبهم، ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة:٦٧]، هم السبب في هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك عدله سبحانه، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه، وبه الحول والقوة)**، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤]، يحول بينه وبين قلبه؛ فلا ينتفع بقلبه ولا يتبصر، ولا يحول بينه وبين قلبه إلا بسبب من قبل العبد؛ إذا آثر الهوى على الهدى، فإن الله يضله.

وَفيه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَامَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤]. قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا-، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا. يَا صَفِيَّةُ -عَمَّةُ رَسُولِ اللهِ- لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ -بِنْتُ مُحَمَّدٍ- سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»[(١)].

ش: قوله: (وَفِيهِ). أي: وفي صحيح البخاري.

قوله: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ)، اُختلف في اسمه، وصحح النووي أن اسمه عبد الرحمن بن صخر[(٢)]؛ كما رواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة، قال: «كَانَ اسْمِي فِي الجَاهِلِيَّةِ عَبْدَ شَمْسِ بْنِ صَخْرٍ، فَسُمِّيتُ فِي الْإِسْلَامِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ»[(٣)].

وروى الدولابي بإسناده عن أبي هريرة: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سماه عبد الله[(٤)]، وهو دوسي من فضلاء الصحابة وحفاظهم، حفظ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر مما حفظه غيره، مات سنة سبع، أو ثمان، أو تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣، ٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٤، ٢٠٦).

(٢) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٧٠)، والمجموع شرح المهذب (١/ ٢٦٦)، والإيجاز في شرح سنن أبي داود (ص ٣٠١).

(٣) انظر: المستدرك على الصحيحين (٣/ ٥٧٩-٥٨٠).

(٤) انظر: الكنى والأسماء للدولابي (١/ ١٨٢- ١٨٣).

(٥) انظر في ترجمته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مشاهير علماء الأمصار (ص ٣٥)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَفِيهِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)، وفيه، يعني: في صحيح البخاري.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَامَ رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ:** ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤]. **قَالَ: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا-، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**)، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول ما بعثه الله كان يدعو الناس سرًّا في دار الأرقم بن أبي الأرقم، كان يدعوهم سرًا، ثم قال الله له: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر:٩٤]، فجهر بالدعوة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال الله له: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤]، فنادى قريشًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا-، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**)، هذا فيه الرد على القبوريين، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لقرابته، يقول لعمه وعمته: «**اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، ... وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»، فإذا كان أقرب الناس إليه لا يملك له من الله شيئًا، فكيف بغيرهم؟!

هذا فيه الرد على الذين يتعلقون بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويزعمون أنه يعطي وهو ميت ويمنع، ويهدي ويضل، وأنه، وأنه، جعلوه شريكًا لله -تعالى الله!

= (٤/ ١٨٨٥)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٦٨)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٥٦٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا-، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا»)**، اشتروا أنفسكم من الكفر ومن الضلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا»)**، عم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«يَا صَفِيَّةُ -عَمَّةُ رَسُولِ اللهِ»)**، صفية عمة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صفية بنت عبد المطلب، أم الزبير بن العوام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«يَا فَاطِمَةُ -بِنْتُ مُحَمَّدٍ- سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»)**، عمَّ وخصَّ، عمَّ أقاربه، ثم خص فاطمة؛ لأنها أقرب الناس إليه، لا يملك لهم من الله شيئًا، فكيف يملك لغيرهم؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ» اُختلف في اسمه، وصحح النووي أن اسمه عبد الرحمن بن صخر)**، هو مشهور بكنيته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أبي هريرة، لكن اسمه الشخصي اختلفوا فيه، وأصح الأقوال أنه: عبد الرحمن بن صخر الدوسي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وروى الـدولابي بإسناده عن أبي هريرة: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سماه عبد الله، وهو دوسي)**، من قبيلة دوس في جنوب الطائف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(من فضلاء الصحابة وحفاظهم، حفظ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر مما حفظه غيره)**، هو أكثر الصحابة حفظًا للحديث؛

لأنه تفرغ للحديث، ولازم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل ودعا له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصار أكثر الصحابة رواية للحديث.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(مات سنة سبع، أو ثمان، أو تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة)**، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: **قوله: «قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، في الصحيح من رواية ابن عباس: «صَعِدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا»**(١).

قوله: «حِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]» عشيرة الرجل: هم بنو أبيه الأدنون، أو قبيلته؛ لأنهم أحق الناس ببرِّك، وإحسانك الديني والدنيوي؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]، وقد أمره الله تعالى -أيضًا- بالنذارة العامة؛ كما قال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس:٦]، وقوله: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [إبراهيم:٤٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، في الصحيح من رواية ابن عباس: «صَعِدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا»**)، الصفا: الجبل، جبل الصفا قريب من المسجد الحرام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «حِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]» عشيرة الرجل: هم بنو أبيه الأدنون، أو قبيلته؛ لأنهم أحق الناس ببرِّك، وإحسانك الديني والدنيوي**)، هذا فيه الدليل على أن الداعية الذي يدعو إلى الله يبدأ بقرابته، بأهل بيته، بأهل بلده، ثم يدعو غيرهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦])، ﴿ وَأَهْلِيكُمْ ﴾.

قال: ﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ﴾؛ فكما تقي نفسك من النار تقي أهلك؛ وذلك بإلزامهم طاعة الله، ومنعهم من معصية الله، أما الذي يدعو الناس ويضيع بيته ويضيع أولاده، هذا ليس بداعية إلى الله، وليس هذا سبيلًا إلى الدعوة؛ يقول الناس: لو أنه صادق لدعا أهل بيته ودعا أولاده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد أمره الله تعالى -أيضًا- بالنذارة العامة؛ كما قال:** ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [يس:٦])، أمره الله بالنذاره العامة والنذارة الخاصة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله:** ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ [إبراهيم:٤٤])، ﴿ ٱلنَّاسَ ﴾: كل الناس، يعني، وهذا دليل على عموم رسالته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

....

ش: **قوله: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ»، المعشر: الجماعة.**

قوله: «أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا»، هو بنصب «كلمة»؛ عطف على ما قبله.

قوله: «اشْتَرُوا أَنْفَسَكُمْ»، أي: بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وطاعته فيما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه، فإن ذلك هو الذي ينجي من عذاب الله، لا الاعتماد على الأنساب والأحساب؛ فإن ذلك غير نافع عند رب الأرباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا»، هو بنصب «كلمة»؛ عطف على ما قبله)**، هذا فيه تحرز الصحابة في لفظ الرواية؛ أنه إذا لم يجزم يقول: أو، أو كذا وكذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «اشْتَرُوا أَنْفَسَكُمْ»، أي: بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وطاعته فيما أمر به)**، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة:١١١]، هذا هو الثمن، المشتري هو الله، والبائع هو المسلم، والوسيط هو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والثمن هو الجنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن ذلك هو الذي ينجي من عذاب الله، لا الاعتماد على الأنساب والأحساب؛ فإن ذلك غير نافع عند رب الأرباب)**، كونه أنه من قبيلة فلان أو ابن فلان هذا لا ينفعه عند الله، لا ينفعه إلا عمله، لا ينفعه عمل أبيه أو جده.

ش: قوله: «لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا». فيه حجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين، ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه، أو يدفعوا عنه، فإن ذلك هو الشرك الذي حرمه الله تعالى، وأقام نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإنذار عنه؛ كما أخبر تعالى عن المشركين في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، وقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، فأبطل الله ذلك، ونزه نفسه عن هذا الشرك، وسيأتي تقرير هذا المقام -إن شاء الله تعالى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا». فيه حجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين، ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه، أو يدفعوا عنه)**، وهو يقول: «**لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»، هذا رد على الذين يتعلقون على الأنبياء والأولياء والصالحين، ويظنون أنهم يقربونهم إلى الله، وأنهم، وأنهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن ذلك هو الشرك الذي حرمه الله تعالى)**، إذا اعتمد على المخلوقين في نجاته يوم القيامة وإنقاذه من النار، فإن هذا هو الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن ذلك هو الشرك الذي حرمه الله تعالى، وأقام نبيه** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بالإنذار عنه)**، والشرك هو أعظم المحرمات، أعظم ما نهى الله عنه هو الشرك، وأعظم ما أمر الله به هو التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما أخبر تعالى عن المشركين في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾** [الزمر:٣])، المشركون يتقربون إلى الأولياء والصالحين، ويقولون: نحن لم نعبدهم لأنهم ينفعون ويضرون من أنفسهم، ولكن لأنهم يتوسطون لنا عند الله، ويشفعون لنا عند الله.

يا أخي! الله قريب مجيب، ليس هناك حاجة إلى أن تجعل بينك وبينه وساطة وشفيع، الله فتح بابه في الليل والنهار، بابه مفتوح، لِمَ لا تقول: يا رب، يا رب؛ تدعو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؟! ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر:٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة:١٨٦].

بابه مفتوح الليل والنهار، لِمَ لا تدعوه؟! لِمَ تتعلق بالمخلوقين؟! ويقولون: ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، ليست هناك حاجة إلى هذا، أنت تصل إلى الله من نفسك إذا عبدته وأطعته، وفعلت ما أمرك به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما أخبر تعالى عن المشركين في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾** [الزمر:٣])، لاحظ! اعترفوا أنهم يعبدونهم من دون الله؛ ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ﴾: لا نعبدهم لأنهم ينفعون أو يضرون، ولكن نعبدهم لأنهم صالحون، ويشفعون لنا عند الله؛ ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، هذه حجتهم، وهذه باطلة، الله لم يأمرك بهذا، الله أمرك بأن تدعوه مباشرة، وأن ترفع حوائجك إليه مباشرة في ليل أو نهار، فاتح بابه لك في الليل والنهار، ارفع يديك إليه، وادعه

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو قريب مجيب، ليس هناك حاجة إلى أن تجعل بينك وبينه وسائط وشفعاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨])، هذه حجتهم، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، لا نعبدهم لأنهم ينفعون أو يضرون، ولكن ليقربونا لأنهم صالحون، ويشفعون لنا عند الله، هذه حجة باطلة لم يشرعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فأبطل الله ذلك**)، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر:٣]، كفرهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهم يقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، الله سماهم كفارًا وكذبة.

ش: وفي صحيح البخاري: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا»(١).

قوله: «يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَلِبِ»: بنصب (بن)، ويجوز في عباس الرفع والنصب. وكذا في قوله «يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ»(٢).

قوله: «سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا»، بين ﷺ أنه لا ينجي من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح.

وفيه: أنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا ما يقدر عليه من أمور الدنيا، وأما الرحمة، والمغفرة، والجنة، والنجاة من النار، ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يطلب إلا منه سبحانه؛ فإن ما عند الله لا ينال إلا بتجريد التوحيد والإخلاص له بما شرعه ورضيه لعباده أن يتقربوا إليه به.

فإذا كان لا ينفع بنته، ولا عمه، ولا عمته، ولا قرابته إلا ذلك، فغيرهم أولى وأحرى، وفي قصة عمه أبي طالب معتبر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي صحيح البخاري: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا»)، مناف: هو الجد الأعلى لقريش.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣، ٤٧٧١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: شرح ألفية ابن مالك المسمى «تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة» (٢/ ٥٤١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَلِبِ»: بنصب «بن»، ويجوز في عباس الرفع والنصب)، هذا مبحث لغوي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا». بين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا ينجي من عذاب الله إلا الإيمان، والعمل الصالح)، «سَلِينِي مِنْ مَالِي»: أنا لا أملك إلا المال.

«لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»: لا يغنيكِ إلا عملك الصالح عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يغنيكِ أن أباك محمد أو فلان أو علان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفيه: أنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا ما يقدر عليه من أمور الدنيا)، «سَلِينِي مِنْ مَالِي»: لا يقدر إلا على ماله، وأما النجاة من النار ودخول الجنة، هذه لا يقدر عليها إلا الله، تطلب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن ما عند الله لا ينال إلا بتجريد التوحيد)، ما عند الله لا يحصل إلا بالتوحيد؛ إذا أردت أن يستجيب الله لك ويعطيك حاجتك، فأخلص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن ما عند الله لا ينال إلا بتجريد التوحيد والإخلاص له بما شرعه ورضيه لعباده أن يتقربوا إليه به)، بما شرعه، أما أن تتقرب إلى الله بشيء لم يشرعه -بالبدع والمحدثات-، هذه مردودة؛ «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨)، ورواه البخاري معلقًا في كتاب البيوع - باب النجش (٤/ ٣٥٦ مع الفتح)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (١٣/ ٣١٧ مع الفتح).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا كان لا ينفع بنته، ولا عمه، ولا عمته، ولا قرابته إلا ذلك، فغيرهم أولى وأحرى)**، إذا كان لا ينفع ابنته فاطمة، ولا عمته صفية، ولا عمه العباس، فكيف بغيرهم أن الرسول يقدر على نجاتهم من النار، أو دخولهم الجنة، أو إعطائهم ما يريدون؟! لا يقدر على هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي قصة عمه أبي طالب معتبر)**، عمه أبو طالب كان يناصره ويحميه ويدافع عنه، لما بعثه الله عَزَّوَجَلَّ، إلا أن الله لم يمن عليه بالهداية؛ لأن عنده الحمية الجاهلية، الحمية لدين عبد المطلب، والحمية لدين قريش، هذا الذي منعه حمية جاهلية، هذا الذي منعه من الإيمان، فمات مشركًا -والعياذ بالله-، ومات وهو يقول: هو على ملة عبد المطلب، بدل أن يقول: «لا إله إلا الله» بسبب الحمية؛ حمية الجاهلية.

....

ش: فانظر إلى الواقع الآن من كثير من الناس من الالتجاء إلى الأموات، والتوجه إليهم بالرغبات والرهبات، وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، فضلًا عن غيرهم، يتبين لك أنهم ليسوا على شيء؛ ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:٣٠]، أظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين، وكل صالح يبرأ إلى الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ولا ريب أن محبة الصالحين إنما تحصل بموافقتهم في الدين، ومتابعتهم في طاعة رب العالمين، لا باتخاذهم أندادًا من دون الله، يحبونهم كحب الله؛ إشراكًا بالله، وعبادة لغير الله، وعداوة لله ورسله والصالحين من عباده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فانظر إلى الواقع الآن من كثير من الناس من الالتجاء إلى الأموات)، هذا المطلوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يتبين لك أنهم ليسوا على شيء؛ ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:٣٠])، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾، هذه المشكلة، أنهم يظنون أنهم على هدى، وهم ليسوا كذلك؛ على ضلال، فالمسألة ليست مسألة حسن الظن، المسألة في الاتباع والاقتداء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين)**، فإذا نُهوا عن دعاء الأموات، يقولون: أنت لا تحب الصالحين، نحن نحبهم وأنت لا تحبهم؛ تنهى عن عبادتهم وعن دعائهم، معناه أنك لا تحبهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا ريب أن محبة الصالحين إنما تحصل بموافقتهم في الدين)**، محبة الصالحين باتباعهم والاقتداء بهم، ليست بدعائهم والاستغاثة بهم.

....

ش: كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في هذه الآية بعد كلام سبق: ثم نفى أن يكون قال لهم غير ما أمر به، وهو محض التوحيد، فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، ثم أخبر أن شهادته عليهم مدة مقامه فيهم، وأنه بعد الوفاة لا اطلاع له عليهم، وأن الله** عَزَّوَجَلَّ **المنفرد بعد الوفاة بالاطلاع عليهم، فقال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، وصف الله سبحانه بأن شهادته فوق كل شهادة وأعم. انتهى ملخصًا[(١)].**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٥٨).

مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧])، هذا ما يقوله المسيح عيسى بن مريم يوم القيامة إذا قال الله له: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: العبادة حق لله عَزَّوَجَلَّ، ليست لغيره، ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: ثم أنت سبحانك تعلم كل شيء؛ ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة:١١٦]: لا يخفى عليك شيء.

ثم بين عَلَيْهِ السَّلَامُ ما أمرهم به: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المائدة:١١٧]، والوفاة هنا لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ معناه: أن الله قبضه من الأرض ورفعه إلى السماء، ثم ينزل في آخر الزمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ويحكم بالإسلام وشريعة الإسلام، هذه وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني: خروج الروح من البدن هذا في آخر الزمان، أما الوفاة التي القبض والرفع هذا في وقت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٧])، ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: تشاهدهم وتشاهدني، وتسمعني وتسمعهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأن الله** عَزَّوَجَلَّ **المنفرد بعد الوفاة بالاطلاع عليهم، فقال:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾)، وهذا في عيسى وغيره من الأنبياء والصالحين؛ أنهم كانوا ينهون عن الشرك بالله في حياتهم، ويجاهدون المشركين ويقاتلونهم، فلما توفوا، عكفوا على قبورهم، وهم لم يأمروهم بهذا ولم يقروهم عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وصف الله سبحانه بأن شهادته فوق كل شهادة وأعم)**، يشاهدهم، ﴿شَهِيدٌ﴾، يعني: يشاهدهم ويراهم ويسمعهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(انتهى ملخصًا)**، من كلام ابن القيم.

....

ش: قلت: ففي هذا بيان أن المشركين خالفوا ما أمر الله به رسله من توحيده الذي هو دينهم الذي اتفقوا عليه، ودعوا الناس إليه، وفارقوا فيه إلا من آمن، فكيف يقال لمن دان بدينهم، وأطاعهم فيما أمروا به من إخلاص العبادة لله وحده: إنه قد تنقصهم بهذا التوحيد الذي أطاع به ربه، واتبع فيه رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ونزه به ربه عن الشرك الذي هو هضم للربوبية وتنقص للإلهية وسوء ظن برب العالمين؟!

والمشركون هم أعداء الرسل وخصماؤهم في الدنيا والآخرة، وقد شرعوا لأتباعهم أن يتبرؤوا من كل مشرك، ويكفروا به، ويبغضوه، ويعادوه في ربهم ومعبودهم؛ ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والمشركون هم أعداء الرسل وخصماؤهم في الدنيا والآخرة)، أعداء الرسل في الحقيقة ليسوا الذين نهوا عن عبادة غير الله، هؤلاء أتباع الرسل وأحبابهم ينهون عن عبادة غير الله.

وأما من يعبد الرسل، هذا وإن قال: إنه يحب الرسل، فهو كذاب؛ لأنه عصاهم، الرسل لم يأمروا بعبادة غير الله؛ ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ

ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ﴾، يعني: كان الرسل يأمرون بقولهم: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾: تعلمون الناس الخير، تدعون إلى الله.

﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾: مخلصين لله في عبادته ودعائه، وتعليم الناس الخير، ﴿بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٧٩، ٨٠]: الرسول يأمربالكفر؟! هم يقولون: نعم، هذا الذي شرعه لنا الرسول، نحن نعبد الأولياء والصالحين؛ لأن هذا محبة، الرسول أمرنا بمحبة الأولياء والصالحين، وهذا من محبتهم. يكذبون، ليس هذا من محبتهم.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ الآيَتَيْنِ.

الثَّانِيَةُ: قِصَّةُ أُحُدٍ.

الثَّالِثَةُ: قُنُوْتُ سَيِّدُ المُرْسَلِيْنَ، وَخَلْفَهُ سَادَاتُ الأَوْلِيَاءِ يُؤَمِّنُوْنَ فِي الصَّلَاةِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ المَدْعُوَّ عَلَيْهِمْ كُفَّارٌ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ الآيَتَيْنِ)**، الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ الآيَتَيْنِ: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١، ١٩٢].

تفسير الآيـتـين: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنكر على المشركين أنهم سووا المخلوقات بالخالق؛ ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا ﴾، ﴿شَيْـًٔا﴾ أي شيء؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج:٧٣]، فهم لا يخلقون شيئًا، نعم، هم يصورون الصور المجسمة والفوتوغرافية التي تحاكي الصورة الحقيقية، لكن لا يقدرون على نفخ الروح فيها، لا يقدرون على أن ينفخوا فيها الروح، هذا من خصائص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِيَةُ: قِصَّةُ أُحُدٍ)**، قصة أحد وما جرى فيها على المسلمين من الكفار، وأن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دعا على الكفار، قال: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلانًا**»، فالله جَلَّوَعَلَا قال له: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ

﴿أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨]، فأسلم هؤلاء الكفار، وحسن إسلامهم -منهم: سهيل بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-، وجاهدوا في سبيل الله.

الرسول لا يعلم الغيب، إنما هذا من خصائص الله؛ فالله يعلم ما سيكون من هؤلاء، وهو قادر على أن يهدي الكفار، ولو حصل منهم ما حصل من المعاندة، فهو قادر على أن يهديهم، الأمر بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]، الأمر لله سبحانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: قُنُوْتُ سَيِّدُ المُرْسَلِيْنَ، وَخَلْفَهُ سَادَاتُ الأَوْلِيَاءِ يُؤَمِّنُوْنَ فِي الصَّلَاةِ)**، قنوت سيد المرسلين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعه سادات الأمة -المهاجرين والأنصار- خلفه يؤمنون على قنوته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: أَنَّ المَدْعُوَّ عَلَيْهِمْ كُفَّارٌ)**، المدعو عليهم كفار وقت الدعاء عليهم، لكن الله يعلم مآلهم وأنهم سيسلمون.

الخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ فَعلُوا أَشْيَاءَ مَا فَعلَهَا غَالِبُ الكُفَّارِ، مِنْهَا شَجُّهُمْ نَبِيَّهِمْ، وَحِرْصُهُمْ عَلَى قَتْلِه، وَمِنْهَا التَّمْثِيْلُ بِالقَتْلَى -مَعَ أَنَّهُمْ بَنُو عَمِّهِمْ.

السَّادِسَةُ: أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

السَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾، فَتَابَ عَلَيْهِمْ، فَآمَنُوا.

الثَّامِنَةُ: القُنُوْتُ فِي النَّوَازِلِ.

التَّاسِعَةُ: تَسْمِيَةُ المَدْعُوِّ عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَاةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ.

العَاشِرَةُ: لَعْنُ المُعَيَّنِ فِي القُنُوْتِ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: قِصَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: جِدُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الأَمْرِ؛ بِحَيْثُ فَعَلَ مَا نُسِبَ بِسَبَبِهِ إِلَى الجُنُوْنِ، وَكَذَلِكَ لَوْ يَفْعَلُهُ مُسْلِمٌ الآنَ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ لِلْأَبْعَدِ وَالأَقْرَبِ: «لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا»، حَتَّى قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»، فَإِذَا صَرَّحَ -وَهُوَ سَيِّدُ المُرْسَلِينَ- أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُغْنِي شَيْئًا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِيْنَ، وَآمَنَ الإِنْسَانُ بِأَنَّهُ لَا يَقُوْلُ إِلَّا الحَقَّ، ثُمَّ نَظَرَ فِيْمَا وَقَعَ فِي قُلُوْبِ خَوَاصِّ النَّاسِ اليَوْمَ، تَبَيَّنَ لَهُ التَّوْحِيْدُ وَغُرْبَةُ الدِّيْنِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ فَعَلُوا أَشْيَاءَ مَا فَعَلَهَا غَالِبُ الكُفَّارِ، مِنْهَا شَجُّهُمْ نَبِيَّهِمْ، وَحِرْصُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ، وَمِنْهَا التَّمْثِيْلُ بِالقَتْلَى -مَعَ أَنَّهُمْ

بَنُو عَمِّهِمْ)، حصل منهم أمور لم تحصل من الكفار، ومع هذا منَّ الله عليهم بالإسلام فأسلموا، وغفر الله لهم ما حصل منهم، الرسول لا يعلم هذا، ولهذا جعل يدعو عليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السَّادِسَةُ: أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾)، أنزل الله في ذلك لما قال: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلانًا»، لما حصل منهم في وقعة أحد، وفيهم أبو سفيان قائدهم، الله أنكر عليه، قال: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨]، منَّ الله عليهم بالإسلام فأسلموا، وأبو سفيان أسلم وحسن إسلامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الهداية بيد الله عَزَّ وَجَلَّ، ومهما حصل من الإنسان من الكفر والذنوب والمعاصي إذا تاب، تاب الله عليه؛ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر:٥٣، ٥٤]، يعني: توبوا إليه؛ فمن تاب، تاب الله عليه مهما حصل منه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فَتَابَ عَلَيْهِمْ فَآمَنُوا)، ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: هذا فيه رجاء أن الله يتوب عليهم، وتاب عليهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن كان حصل منهم ما حصل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّامِنَةُ: الْقُنُوْتُ فِي النَّوَازِلِ)، يؤخذ من هذا: القنوت في النوازل؛ أنها إذا حصلت نازلة بالمسلمين، فإن المسلمين يقنتون في صلاة الفجر بعد الرفع من الركوع من الركعة الأخيرة، إذا رفع رأسه من الركعة

الأخيرة الإمام، فإنه يدعو لرفع النازلة والتفريج عن المسلمين، والمصلون خلفه يؤمنون على دعائه، هذا سنة من سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا في النوازل خاصة، ليس دائمًا يقنت في صلاة الفجر، إنما القنوت دائمًا في صلاة الفجر هذا قول للشافعية، والجمهور على خلافه(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: تَسْمِيَةُ المَدْعُوِّ عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَاةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ**)، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلانًا**» بأسمائهم، ومع هذا لم تبطل الصلاة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**العَاشِرَةُ: لَعْنُ المُعَيَّنِ فِي القُنُوْتِ**)، لعن المعين؛ لأن الرسول لعن أناسًا معينين، ولعن المعين هذا فيه خلاف بين العلماء؛ لأنه لا يدرى ما يختم له، فهؤلاء الذين دعا عليهم الرسول ولعنهم، تابوا إلى الله، وخُتِمَ لهم بخير، فالأمر بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: قِصَّتُهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لَمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾**)، أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صعد الصفا، ونادى: يا معشر قريش، نادى عمه العباس، نادى عمته صفية، نادى فاطمة، وقال: «**اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»، هذا فيه بطلان الذين يتعلقون على الرسول، وأنه يعطي الخير، وأنه يفرج الكربات، الرسول قال لأقرب الناس إليه: «**لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ**»، اشتروها من الله بالإيمان والتوبة.

---

(١) انظر: الإحكام شرح أصول الأحكام لابن قاسم (١/ ٣٠٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: جَدُّهُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي هَذَا الأَمْرِ؛ بِحَيْثُ فَعَلَ مَا نُسِبَ بِسَبَبِهِ إِلَى الجُنُوْنِ، وَكَذَلِكَ لَوْ يَفْعَلُهُ مُسْلِمٌ الآنَ**)، جدَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعوة، وتبليغ الدعوة، حتى نسبوه إلى الجنون، ﴿وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان:١٤]، يعنون الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾، يعني: يصيبونك بنظراتهم، وهذا فيه إصابة العين، وأنها حق.

﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾: القرآن، ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:٥١]: الرسول مجنون عندهم.

ففيه أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالغ في الدعوة حتى وصفوه بالجنون، وهذا مستمر في الناس إلى اليوم، إلى ما بعد؛ أن الذي يدعو إلى الله، ويحذر من الشرك، ويحذر من المعاصي والسيئات يوصف بأنه مجنون، وأنه متعجل، وأنه يتدخل في أمور الناس، وأنه، وأنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ لِلأَبْعَدِ وَالأَقْرَبِ: «لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا»، حَتَّى قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا»، فَإِذَا صَرَّحَ -وَهُوَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ- بِأَنَّهُ لَا يُغْنِي شَيْئًا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِيْنَ، وَآمَنَ الإِنْسَانُ أَنَّهُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لَا يَقُوْلُ إِلَّا الحَقَّ، ثُمَّ نَظَرَ فِيمَا وَقَعَ فِي قُلُوْبِ خَوَاصِّ النَّاسِ اليَوْمَ، تَبَيَّنَ لَهُ التَّوْحِيْدِ وَغُرْبَةُ الدِّيْنِ**)، اليوم، يعني: في وقت الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، القرن الثاني عشر ما وقع فيه الناس من الشرك والبدع والمحدثات.

فكيف إذا تأخر الزمان؟! كيف بوقتنا؟! وأنها تتغير الأمور، ويفشو الضلال والجهل والشرك بالله، ومع هذا الدعوة مستمرة، والطريق محفوظ -ولله الحمد- إلى أن تقوم الساعة لا يضرونهم شيئًا.

المشركون بقضهم وقضيضهم وقوتهم وكثرتهم لم يستطعوا أن يقطعوا دعوة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، مع أنه واحد وهم أمم، ومع هذا لم يستطعوا أن يقطعوها، بل استمرت وتستمر، والحمد لله.

١٥ - بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٣].

ش: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٣]).

قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾، أي: زال الفزع عنها.

قاله: ابن عباس، وابن عمر، وأبو عبد الرحمن السلمى، والشعبي، والحسن، وغيرهم.

وقال ابن جرير: قال بعضهم: الذي فُزِّع عن قلوبهم: الملائكة. قالوا: وإنما فُزِّع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماعهم كلام الله بالوحي(١).

وقال ابن عطية: في الكلام حذف يدل عليه الظاهر. كأنه قال: ولا هم شفعاءُ كما تزعمون أنتم، بل هم عَبَدَةٌ مسلمون لله أبدًا، يعني: منقادون، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾، والمراد: الملائكة على ما اختاره ابن جرير، وغيره(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٣])، هذا الباب فيه إجلال

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٧٥).
(٢) انظر: تفسير ابن عطية (٤/ ٤١٨).

الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه إذا تكلم بالوحي، أخذت السماوات منه رعدة، يعني: من خوفها من الله، وهي جوامد إذا سمعت كلامه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ تخشع له، ونحن نقرأ كلام الله ونسمعه -نستغفر الله-، لا نحرك ساكنًا، قلوبنا هي هي إلا من رحم الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾** [سبأ:٢٣])، يعني: ما جاء في تفسير هذه الآية الدالة على عظمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وهيبته للمخلوقات حتى الجوامد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾** [سبأ:٢٣])، ﴿فُزِّعَ﴾، يعني: إذا أزيل عنها الفزع؛ لأن الله إذا تكلم بالوحي، فإن الملائكة يصعقون من هيبة الله جَلَّوَعَلَا، وترتجف السماوات، وتصعق الملائكة، يعني: يصيبهم الغشي، ويكون أول من يرفع رأسه جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، فيكلمه الله من وحيه بما شاء، فيقولون: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال: ﴿ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: زال الفزع عنها**)، لأنهم الملائكة إذا سمعت كلام الله فإنهم يصعقون، يعني: يصيبهم الغشي من خشية الله وهيبته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال ابن جرير: قال بعضهم: الذي فُزِّع عن قلوبهم: الملائكة**)، يعني: الملائكة في السماء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال ابن عطية: في الكلام حذف يدل عليه الظاهر. كأنه قال: ولا هم شفعاءُ كما تزعمون أنتم، بل هم عَبَدَةٌ مسلمون لله أبدًا)**، يعني: الذين يتعلقون على الملائكة، ويدعونهم من دون الله، ويدعون الأنبياء والأولياء والصالحين، هؤلاء صرفوا العبادة لغير الله، لغير مستحقها، صرفوها لعباد مثلهم، صرفوها لمخلوقين مثلهم.

هذا من العجائب أن مخلوقًا يستنجد بمخلوق، ضعيف يستنجد بضعيف، ولا يستغيثون بالله القوي العزيز، لا يستغيثون بالواحد الأحد الفرد الصمد.

....

ش: **قَال ابنُ كثيرٍ: وهو الحق الذي لا مرية فيه؛ لصحة الأحاديث فيه والآثار**[١]**.**

وقال أبو حيان: تظاهرت الأحاديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنَّ قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ إنما هي في الملائكة، إذا سمعت الوحي إلى جبريل يأمره الله به، سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان، فَتَفْزَعُ عند ذلك تعظيمًا وهَيْبَةً.**

قال: وبهذا المعنى -من ذكر الملائكة في صدر الآية- تَتَّسق هذه الآية على الأولى، ومن لم يشعر أن الملائكة مشارٌ إليهم مِنْ أول قوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ [سبأ:٢٢] **لم تتصل له هذه الآية بما قبلها**[٢]**.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَال ابنُ كثيرٍ: وهو الحق الذي لا مرية فيه)**، وهذا ابن كثير وقول ابن جرير أنهم الملائكة، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾، يعني: الملائكة؛ أنه الحق الذي لا مرية فيه، وأصح تفسير بعد تفسير ابن جرير هو تفسير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو حيان: تظاهرت الأحاديث عن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنَّ قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ إنما هي في الملائكة)**،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٥١٥).

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير (٨/ ٥٤٣).

أبو حيان: من المفسرين، أندلسي من علماء الأندلس، وهو له تفسير في القرآن مشهور بتفسير أبي حيان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إذا سمعت الوحي إلى جبريل يأمره الله به، سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان، فَتَفْزَعُ عند ذلك تعظيمًا وهَيْبَةً)**، كسلسلة الحديد على الصفوان، على مروة ملساء يصير لها صوت، السلسلة إذا جُرِت على المروة الصافية، يصير لها صوت، صوت حسن، هكذا صوت الوحي من الله لجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كأنه سلسلة على صفوان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن لم يشعر أن الملائكة مشارٌ إليهم مِنْ أول قوله:** ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ [سبأ:٢٢] **لم تتصل له هذه الآية بما قبلها)**، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ:٢٢، ٢٣]، إلى آخر الآية، الآية متصلة وهي في الملائكة.

....

ش: **قوله: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ [سبأ:٢٣]، ولم يقولوا: ماذا خلق ربنا؟ ولو كان كلام الله مخلوقًا، لقالوا: ماذا خلق؟! انتهى من شرح سنن ابن ماجه(١).**

ومثله الحديث: «مَاذَا قَالَ رَبّنَا يَا جِبْرِيلُ»(٢)، وأمثال هذا في الكتاب والسنة كثير.

قوله: ﴿ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ﴾ [سبأ:٢٣]، أي: قالوا: قال الله الحق. وذلك لأنهم إذا سمعوا كلام الله، صُعِقَوا، ثم إذا أفاقوا، أخذوا يسألون، فيقولون: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ [سبأ:٢٣]، ولم يقولوا: ماذا خلق ربنا؟)**، هذا دليل على كلام الله؛ أن الله يتكلم، فيه رد على الجهمية الذين يقولون: تكلم، يعني: خلق الكلام. هذا باطل، بل تكلم حقيقة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكلام سمعه جبريل، وتحمله عن الله، وبلغه إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو سند القرآن عن أمة محمد، عن محمد عن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ [سبأ:٢٣]، ولم يقولوا: ماذا خلق ربنا؟)**، هذا فيه رد على الجهمية الذين يقولون أن الله لا يتكلم، وإنما

---

(١) قال البخاري في صحيحه (٩/ ١٤١) تعقيبا على الحديث: (وَلَمْ يَقُلْ مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ).
وانظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٩١)، والتسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٥٢٠- ٥٢٢)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٥٣).
(٢) سيأتي تخريجه (ص٤٧٤).

خلق الكلام في غيره، خلقه في جبريل، خلقه في اللوح المحفوظ -تعالى الله عما يقولون-، فيصفون الله بأنه لا يتكلم، أنه يخرس، والذي لا يتكلم هذا أنقص من الذي يتكلم، هذا في الخلق، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولو كان كلام الله مخلوقًا، لقالوا: ماذا خلق؟!**)، لو كان كلام الله مخلوقًا -كما تقوله الجهمية-، لقالوا: ماذا خلق ربنا؟، لماذا قالوا: ماذا قال ربنا؟ ولم يقولوا: ماذا خلق ربنا؟ هذا فيه رد عليهم وإبطال لقولهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله:** ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ:٢٣] **أي: قالوا: قال الله الحق**)، هذا هو الجواب، ماذا قال ربنا؟ ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ:٢٣]، أي: قال الله الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا فيه نسبة القول إلى الله، والكلام إلى الله حقيقة لا مجازًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وذلك لأنهم إذا سمعوا كلام الله صُعِقوا**)، صُعِقوا، يعني: أصابهم الغشي، ويخرون مغشيًا عليهم من هيبة الله وإجلاله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ثم إذا أفاقوا، أخذوا يسألون، فيقولون: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق**)، يقول لهم جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: قال ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

....

ش: **قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، فله العلو الكامل من جميع الوجوه؛ كما قال عبد الله بن المبارك لَمَّا قِيل له: بِماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه على عرشه، بائن من خلقه(١). تمسكًا منه بالقرآن؛ لقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩]، في سبعة مواضع من القرآن.**

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ أي: الذي لا أكبر منه، ولا أعظم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات)**، أنواع العلو ثابتة لله كلها: علو القدر، وعلو القهر، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، وعلو الذات، فهو فوق عباده سبحانه، فوق مخلوقاته، بائن من خلقه جَلَّ وَعَلَا، فوق مخلوقاته.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨]، ليس داخلًا في الخلق، ولا الخلق داخلون فيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فله العلو الكامل من جميع الوجوه)**، بمعانيه الثلاثة: القدر، والقهر، والذات.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٥١- ٥٢، ١٨٤، ٢٨٠، ٣٣/ ١٧٩)، ومدارج السالكين (٣/ ٣١٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال عبد الله بن المبارك لَمَّا قِيل له: بِماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه على عرشه)**، بأنه على عرشه، والعرش هو أعلى المخلوقات، وفوقه رب العالمين، وهو ليس محتاجًا إلى العرش، وإنما هذا من حكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه خلق العرش؛ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧]: على بحر، عرش الله جَلَّ وَعَلَا فوق البحر؛ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧]، ثم بعد البحر السماوات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بائن من خلقه)**: منفصل، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(تمسكًا منه بالقرآن)**، تمسكًا من ابن المبارك على هذا القول بالقرآن، دليله القرآن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(تمسكًا منه بالقرآن؛ لقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥])**، يعني: استواء يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والاستواء من صفات الفعل، أما العلو فهو من صفات الذات، وأما الاستواء فإنه من صفات الفعل التي يفعلها إذا شاء، ولهذا قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤]، رتب الاستواء على العرش بعد المخلوقات؛ لأنه فعل، وهو سبحانه يفعل ما شاء متى شاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩])**، هناك سبع آيات من القرآن كلها: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وليس في واحدة

منها (استولى) كما تقوله الجهمية: استولى على العرش، فيفسرون ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، أي: استولى على العرش، يعني: هل الله لم يستول إلا على العرش؟ استولى على جميع المخلوقات، كلها مخلوقة له، فلماذا لا يقولون: استولى على المخلوقات، يقولون: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، يعني: أنه استولى عليه، قبل هذا من الذي استولى عليه؟ قبل أن يستولي عليه، من الذي كان مستوليًا عليه -كما يفهم من كلامهم-؟! كل هذا باطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾، ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ أي: الذي لا أكبر منه، ولا أعظم** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ)، ولهذا دائمًا يقول المسلم: الله أكبر، أي: أجل وأعظم من كل شيء، الله أكبر، يعني: أكبر من كل شيء، وأجل من كل شيء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُم ذَلِكَ؛ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]، **فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ -وَصَفَه سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ- فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ. فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ»**(١).

ش: قوله: (فِي الصَّحِيحِ)، أي: صحيح البخاري.

قوله: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ». أي: إذا تكلم الله بالأمر الذي يوحيه إلى جبريل بما أراده؛ كما صرح به في الحديث الآتي.

وكما روى سعيد بن منصور وأبو داود وابن جرير عن ابن مسعود: «إذا تكلَّمَ الله بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أهلُ السَّمَاوَاتِ صَلْصَلَةً، كَجَرِّ السّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَوانِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠١، ٤٨٠٠، ٧٤٨١).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور كما في الدر المنثور (٦/ ٦٩٩)، وأبو داود (٤٧٤٠)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٢٧٦).

وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (لَمَّا أَوْحَى الجَبَّارُ إلى مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا الرَّسُولَ مِنَ المَلَائِكَةِ لِيَبْعَثَهُ بِالْوَحْيِ، فَسمِعت المَلَائِكَة صَوت الجَبَّار يتكَلَّم بِالْوَحْي، فَلَمَّا كشف عَن قُلُوبهم، سألوا عَمَّا قَالَ الله، فَقَالُوا: الحق، وَعلمُوا أَن الله تَعَالَى لَا يَقُول إِلَّا حَقًّا)[1].

قوله: «ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَانًا لِقَوْلِهِ»، أي: لقول الله تعالى.

قال الحافظ: «خَضَعَانًا» بفتحتين من الخضوع. وفي رواية بضم أوله وسكون ثانيه، وهو مصدر بمعنى خاضعين[2].

قوله: «كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ»، أي: كأن الصوت المسموع سلسلة على صفوان، وهو الحجر الأملس.

قوله: «يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ»: هو بفتح التحتية وسكون النون وضم الفاء والذال المعجمة.

«ذَلِكَ» أي: القول، والضمير في «يَنْفُذُهُمْ» للملائكة، أي: ينفذ ذلك القول الملائكة، أي: يخلص ذلك القول، ويمضي فيهم، حتى يفزعوا منه.

وعند ابن مردويه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فَلَا يَنْزِلُ عَلَى أَهْلِ سَمَاءٍ إلا صُعِقُوا»[3].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، وابن مردويه؛ كما في الدر المنثور (٦/ ٦٩٧).
(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٥٣٨).
(٣) انظر: فتح الباري (٨/ ٥٣٨)، والدر المنثور (٦/ ٦٩٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَفِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: (إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ)، هذا تفسير الآية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ)، كأن صوت الوحي كالسلسلة على الصفوان، يعني: على المروة الملساء يصير لها صوت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِيْ سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ)، هذا في تفسير الآية الكريمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لَمَّا أَوْحَى الجَبَّارُ إلى مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا الرَّسُولَ مِنَ المَلَائِكَةِ لِيَبْعَثَهُ بِالْوَحْيِ،فَسمِعت المَلَائِكَة صَوت الجَبَّار يتكَلَّم بِالْوَحْي فَلَمَّا كشف عَن قُلُوبهم سألوا عَمَّا قَالَ الله فَقَالُوا: الحق، وَعَلمُوا أَن الله تَعَالَى لَا يَقُول إِلَّا حَقًّا»)، الملائكة إذا سمعوا كلام الله، فإنهم يصيبهم الغشي والصعق، يصعقون، فيكون أول من يرفع رأسه منهم جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيكلمه الله من وحيه بما شاء، ثم يمر على الملائكة، كلما مر على ملأ من الملائكة يقول: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ يقول: قال ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]، فينتهي بالوحي إلى حيث أرسله الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضعَانًا لِقَوْلِهِ»، أي: لقول الله تعالى)، الملائكة لها أجنحة عظيمة تطير بها بين السماء والأرض؛

﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ [فاطر:١]. جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ له ستمائة جناح[1]، فالملائكة يختلفون بعضهم أكثر أجنحة من بعض، وبعضهم أعظم خلقة من بعض.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الحافظ: «خَضَعَانًا» بفتحتين من الخضوع. وفي رواية بضم أوله وسكون ثانيه)؛ خُضْعَانًا.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٢٣٢، ٤٨٥٦، ٤٨٥٧)، ومسلم (١٧٤)، عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم:١١]، قَالَ: «رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ».

....

ش: وعند أبي داود وغيره مرفوعًا: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ.... » الحديث[1].

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: تقدم معناه.

قوله: ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾، أي: قالوا: قال الله الحق، علموا أنه لا يقول إلا الحق.

قوله: «فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ»، أي: يسمع الكلمة التي قضاها الله، وهم الشياطين يركب بعضهم بعضًا.

وفي صحيح البخاري عن عائشة مرفوعًا: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ -وَهُوَ السَّحَابُ-، فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ، فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ»[2].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: تقدم معناه)، يعني أزيل عنها الفزع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ»)، الشياطين تسترق

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٨)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٨١)، والدارمي في الرد على الجهمية (١/ ١٧٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٣٧، ٢٣٨)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٥٠- ٣٥٤)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢١٠، ٣٢٨٨، ٥٧٦٢، ٦٢١٣، ٧٥٦١).

السمع، ويركب بعضهم بعضًا في الجو حتى يصلوا إلى العنان، ويسمعوا كلام الملائكة، وماذا يقولون، فيخطفون بعض الكلمات، ولكن الله يرسل عليهم الشهب فتحرقهم الشهب.

النجوم هذه خلقها الله رجومًا للشياطين، فإذا الشيطان سمع الكلمة من الملائكة، فإنه إما أن يصيبه الشهاب ويهلك، وإما أن يصل إلى الأرض، فيلقي على الكاهن الكلمة التي سمعها من السماء، الكاهن يكذب معها مائة كذبة، فتصدق مائة كذبة بسبب كلمة واحدة، وهي كلمة الوحي التي استرقها الشيطان؛ من باب الفتنة والابتلاء والامتحان، فكيف تصدق مائة كذبة بسبب كلمة واحدة؟! انظر إلى رواج الباطل!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهم الشياطين يركب بعضهم بعضًا)**، يركب بعضهم بعضًا، يعني: يرتفع بعضهم على بعض -وهم كثيرون، الشياطين كثيرون كفانا الله شرهم- حتى يصلوا إلى عنان السماء يسمعون الملائكة.

....

ش: قوله: «وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ، هَكَذَا وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ» أي: وصف ركوب بعضهم فوق بعض.

و(سُفْيَانُ) هو ابن عيينة أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ، فقيه، إمام حجة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة، وله إحدى وتسعون سنة[١].

قوله: «فَحَرَّفَهَا» بحاء مهملة وراء مشددة وفاء.

قوله: «وَبَدَّدَ»، أي: فرق بين أصابعه.

قوله: «فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ»، أي: يسمع الفوقاني الكلمة، فيلقيها إلى آخر تحته، ثم يلقيها إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (و«سُفْيَانُ» هو ابن عيينة أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي)، هذا سفيان بن عيينة: هذا في مكة، وأما سفيان الثوري، فهذا في العراق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَبَـدَّدَ» أي: فرق بين أصابعه)، يعني: يصف ركوب الشياطين بعضهم على بعض مثل الأصابع.

---

(١) انظر في ترجمته: وفيات الأعيان (٢/ ٣٩١)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤)، وتاريخ الإسلام (٤/ ١١١٠)، والأعلام للزركلي (٣/ ١٠٥).

....

ش: قوله: «فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا»، الشهاب: هو النجم الذي يرمي، أي: ربما أدرك الشهاب المسترق، وهذا يدل على أن الرمي بالشهب كان قبل المبعث؛ لما روى أحمد وغيره -والسياق له- في المسند من طريق معمر، قَالَ: أَنْبَأَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ -قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: مِنَ الأَنْصَارِ- قَالَ: فَرُمِيَ بِنَجْمٍ عَظِيمٍ فَاسْتَنَارَ، قَالَ: مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا فِي الجَاهِلِيَّةِ. قَالَ: كُنَّا نَقُولُ لَعَلَّهُ يُولَدُ عَظِيمٌ أَوْ يَمُوتُ عَظِيمٌ.

قُلْتُ لِلزُّهْرِيِّ: أَكَانَ يُرْمَى فِي الجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. ولَكِنْ غُلِّظَتْ حِينَ بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: فَأَنَّهُ لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، ولَكِنَّ رَبَّنَا -تَبَارَكَ اسْمُهُ- إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، فَيَقُولُ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ، وَيُخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ سَمَاءً؛ حَتَّى يَنْتَهِيَ الخَبَرُ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ. وَيَخْطَفُ الجِنُّ السَّمْعَ فَيُرْمَوْنَ؛ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ، وَيَزِيدُونَ».

قَالَ عَبْدُ اللهِ: قَالَ أَبِي: قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: وَيَخْطِفُ الجِنُّ وَيُرْمَوْنَ»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٧٢- ٣٧٣)، ومسلم (٢٢٢٩).

وفي رواية له: «لَكِنَّهُمْ يَزِيدُونَ فِيهِ، وَيَقْرِفُونَ، وَيَنْقُصُونَ»[١].

قوله: «فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ»، أي: الكاهن أو الساحر.

و«كَذْبَةٍ» بفتح الكاف وسكون الذال المعجمة.

قوله: «فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا»، هكذا في نسخة بخط المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، كالذي في صحيح البخاري سواء.

قال المصنف: وفيه قبول النفوس للباطل، يتعلقون بواحدة، ولا يعتبرون بمائة.

وفيه: أن الشيء إذا كان فيه شيء من الحق، فلا يدل على أنه حق كله، فكثيرًا ما يلبس أهل الضلال الحق بالباطل؛ ليكون أقبل لباطلهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا يدل على أن الرمي بالشهب كان قبل المبعث)، كان الرمي بالشهب كثيرًا قبل البعثة، فلما بُعِث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرست السماء من الشاطين، الشياطين يقول بعضهم لبعض: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن:٩].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ»، أي: الكاهن أو الساحر)، والكاهن: هو الذي يدعي علم الغيب، وأما الساحر: فهو الذي يعمل السحر.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٧٣- ٣٧٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف: وفيه قبول النفوس للباطل، يتعلقون بواحدة، ولا يعتبرون بمائة)**، يقبلون مائة كذبة، ويتعلقون بكلمة واحدة، وأما القرآن الكريم، فهم يكذِّبون به من أوله إلى آخره، هذا من العجائب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: أن الشيء إذا كان فيه شيء من الحق، فلا يدل على أنه حق كله، فكثيرًا ما يلبس أهل الضلال الحق بالباطل)**، هذه مسألة خطيرة جدًّا: لبس الحق بالباطل، الباطل لا يؤتى به كله باطل، يوضع معه شيء من الحق؛ لأجل أن يصدق، وهذا من التلبيس -لبس الحق بالباطل-؛ لأجل أن يقبل، أما لو كان الباطل ليس معه حق أبدًا لم يقبل، وأخطر شيء هو لبس الحق بالباطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة:٤٢]**)**، يقول لليهود: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: لأنهم يلبسون كثيرًا، ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢]، أنه باطل.

ش: **وفي هذه الأحاديث وما بعدها وما في معناها: إثبات علو الله تعالى على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته.**

وأنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء بكلام يسمعه الملائكة، وهذا قول أهل السنة قاطبة سلفًا وخلفًا، خلافًا للأشاعرة والجهمية، ونفاة المعتزلة، فإياك أن تلتفت إلى ما زخرفه أهل التعطيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذه الأحاديث وما بعدها وما في معناها: إثبات علو الله تعالى على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته)**، بلا شك أن هذا الحديث وأمثاله يدل على علو الله على خلقه، علوه في ذاته- سبحانه- فوق مخلوقات رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فالعلو صفة ذات لا تنفك عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يزال عاليًا على خلقه.

وأما الاستواء، فهو صفة فعل، يفعلها إذا شاء ذلك، رتبه بـ(ثم) بعد خلق السماوات والأرض، قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤]، هذا فعل يفعله الله متى شاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذه الأحاديث وما بعدها وما في معناها: إثبات علو الله تعالى على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته)**، لا كما تقوله الحلولية: إنه في كل مكان، أو الجهمية: إنه في كل مكان. تعالى الله عن ذلك! بل هو فوق

مخلوقاته مستو على عرشه، ومع علوه يعلم ما في السماوات وما في الأرض، لا يخفي عليه شيء في السماء ولا في الأرض، وهو فوق مخلوقاته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنه -تعالى- لم يزل متكلمًا إذا شاء بكلام يسمعه الملائكة)**، وفيه: إثبات الكلام لله، وأن الله يتكلم بما شاء إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا قول أهل السنة قاطبة سلفًا وخلفًا)**، وهو وصف الله بالكلام؛ أنه يتكلم، بخلاف المبطلة الجهمية والمعتزلة وغيرهم؛ أنه خلق الكلام، وأن الله لا يتكلم -تعالى الله عما يقولون!

الله قال في عبدة العجل: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾ [طه:٨٩]، ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف:١٤٨]، الذي لا يتكلم لا يكون ربًا، ولا يكون إلهًا؛ كيف يأمر؟ وكيف ينهى؟ وكيف يدبر، وهو لا يتكلم؟! تعالى الله عما يقولون!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(خلافًا للأشاعرة والجهمية، ونفاة المعتزلة)**، الجهمية يقولون: الله خلق الكلام، وإلا هو لا يتكلم، والأشاعرة يقولون: هو متكلم بالمعنى القديم في نفسه سبحانه، يسمونه الكلام النفساني، لا ينطق به لكن فيه الكلام النفساني، وتعبر عنه الملائكة حكاية وعبارة.

الأشاعرة يقولون: الذي في المصاحف هذا عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله، عبر به جبريل، أو عبر به محمد عن كلام الله -تعالى الله عما يقولون-، فهو حكاية أو عبارة عن كلام الله.

وأما كلام الله عند الأشاعرة، فهو المعنى القائم به سبحانه الذي يعبر عنه؛ إن عبر عنه بالسيريانية فهو التوراة، وإن عُبِّر عنه بالعبرية فهو الإنجيل، وإن عُبِّر عنه بالعربية فهو القرآن، هكذا يقولون.

وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ، تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ -أَوْ قَالَ رِعْدَةٌ- شَدِيدَةٌ خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ، صَعِقُوا، وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ، سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ: قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَمَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

ش: هذا الحديث رواه ابن أبي حاتم بسنده، كما ذكره العماد ابن كثير في تفسيره.

(النَّوَّاسِ بْن سَمْعَانَ)، بكسر السين، بن خالد الكلابي، ويقال: الأنصاري. صحابي. ويقال: إن أباه صحابي أيضًا[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ، تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٧)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٣٦)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٤٨)، والآجُري في الشريعة (٣٠٧)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٦/ ٧٠٠)؛ كما ذكر ابن كثير في تفسيره، وساقه بإسناده (٦/ ٥١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٥٢)، والطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٦٦)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٦٨٠).

(٢) انظر في ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٥٣٤)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٤٤٥)، وإكمال تهذيب الكمال (١٢/ ٨٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٣٧٧).

-أَوْ قَالَ رِعْدَةٌ- شَدِيدَةٌ خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَعِقُوا، وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى المَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ: قَالَ الحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَمَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ»)، هذا الحديث أورده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت باب: قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٣].

فهذه الترجمة تسير لهذه الآية الكريمة، وما ورد فيها من حديث.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾، أي: الملائكة، يعني: أزيل عنها الفزع، وهو الخوف الذي أصابهم لما سمعوا كلام الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

أولًا: هذا فيه إثبات عظمة الله عَزَّوَجَلَّ، وخوف الملائكة منه.

ثانيًا: فيه إثبات الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، وهي صفة فعل يفعلها إذا شاء سبحانه، فهو تكلم، ويتكلم إذا شاء بما شاء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

فنحن نؤمن بأن الله يتكلم بكلام يسمعه جبريل، تسمعه السماوات والملائكة، فيخرون لله سجدًا؛ خوفًا من الله سبحانه، ترتعد السماوات من كلامه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وفيه: فضل جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وأنه الأمين على وحي الله، يتلقاه من الله، ويبلغه حيث أمره الله من عباده.

....

ش: قوله: «إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ...». إلى آخره. فيه النص على أن الله -تعالى- يتكلم بالوحي. وهذا من حجة أهل السنة على النفاة؛ لقولهم: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء.

قوله: «أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ»، السماوات مفعول مقدم، والفاعل رجفة، أي: أصاب السماوات من كلامه -تعالى- رجفة، أي: ارتجفت.

وهو صريح في أنها تسمع كلامه -تعالى-؛ كما روى ابن أبي حاتم عن عكرمة، قال: «إذا قضى الله أمرًا، تكلم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رجفت السموات والأرض والجبال، وخرت الملائكة كلهم سجدًا»[(١)].

وقوله: «أَوْ قَالَ رَعْـدَةٌ شَدِيدَةٌ»، شك من الراوي: هل قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رجفة، أو قال: رعدة؟ والراء مفتوحة فيهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ...». إلى آخره. فيه النص على أن الله تعالى يتكلم بالوحي)**، وأن الوحي كلام الله سبحانه، ومنه القرآن الكريم، ومنه التوراة والإنجيل، ومنه الأحاديث القدسية كلها من كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو يتكلم بما شاء إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، صفة فعلية يفعلها متى شاء.

وأما كيف يتكلم، فهذا لا نبحث فيه كسائر صفات الله، لا نبحث عن

(١) انظر: الدر المنثور (٦/ ٧٠٠)، وانظر -أيضًا-: خلق أفعال العباد للبخاري (ص٩٩).

الكيفية، وإنما نؤمن بالصفة، ونؤمن بمعناها، وأما كيفيتها، فنكلها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا من حجة أهل السنة على النفاة؛ لقولهم: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء)**، أهل السنة يقولون: الله تكلم، ويتكلم إذا شاء بما شاء سبحانه، فهو صفة فعلية، يفعلها إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكلام يسمعه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويبلغه لمن أمره الله جَلَّ وَعَلَا بتبليغه؛ لأن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو الأمين على الوحي؛ ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء:١٩٣]، أي: جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والروح يعني: جبريل.

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء:١٩٣]: المؤتمن على ما يحمله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ» السماوات مفعول مقدم، والفاعل رجفة)**، «أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ»: السماواتِ بالكسر؛ لأنه جمع مؤنث سالم فينصب بالكسرة نيابة عن الفتحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو صريح في أنها تسمع كلامه تعالى)**، في أن السماوات تسمع كلام الله، ولذلك ترتجف من خوف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكل شيء سمعه بحسبه، كل شيء يسمع سماعًا بحسبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن عكرمة. قال: «إذا قضى الله أمرًا، تكلم** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **رجفت السموات والأرض والجبال، وخرت الملائكة كلهم سجدًا»)**، من هيبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتعظيمًا لكلامه.

وهذا فيه رد على الجهمية الخبثاء الذين ينفون كلام الله، ويؤولونه بأن الله خلق الكلام، خلق الكلام لا أنه يتكلم -تعالى الله عما يقولون!

عُذِبَ الإمام أحمد وامتحن بسبب المعتزلة عند كلام الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الإمام أحمد يثبت كلام الله، وهم ينفونه، وصاروا حول الخليفة المأمون، وأثروا عليه، فعذب الإمام أحمد وسجنه وجلده، لكن الإمام أحمد ثبت، يقول: هاتوا لي دليلًا أصل إليه، عجزوا، فلجؤوا إلى القوة، ولكنه صبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ على يد المأمون، وعلى يد المعتصم، وعلى يد الواثق، كلهم تعاقبوا على تعذيب الإمام أحمد، وهو صادق، حتى جاء عهد المتوكل، فأفرج الله به عن الإمام أحمد، وأكرم الإمام أحمد وناصره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: «أَوْ قَالَ رَعْدَةٌ شَدِيدَةٌ». شك من الراوي. هل قال النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **رجفة، أو قال: رعدة؟)**، وهذا من التحري في الرواية؛ لأنهم يتحرون في الرواية؛ فإذا كان عندهم شك في نص الرواية، جاءوا بالاحتمال؛ خروجًا وبراءة للذمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(رجفة، أو قال: رعدة؟ والراء مفتوحة فيهما)**، الرجفة أو الرعدة، هي اسم مرة من الرعد، ومن الرجف.

....

ش: قوله: «خَوْفًا مِنْ الله عَزَّوَجَلَّ»، وهذا ظاهر في أن السموات تخاف الله، بما يجعل -تعالى- فيها من الإحساس ومعرفة من خلقها. وقد أخبر -تعالى- أن هذه المخلوقات العظيمة تسبحه؛ كما قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء:٤٤]، وقال -تعالى-: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم:٩٠]، وقال -تعالى-: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٧٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «خَوْفًا مِنْ الله عَزَّوَجَلَّ»**)، «خَوْفًا»: مفعول لأجله، أي: فعلت هذا خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «خَوْفًا مِنْ الله عَزَّوَجَلَّ»، وهذا ظاهر في أن السموات تخاف الله، بما يجعل -تعالى- فيها من الإحساس ومعرفة من خلقها**)، مع أنها جمادات، ومع هذا تخاف الله، وترتعد من كلامه، ترتجف من كلام الله سبحانه، فيها إدراك، كل شيء جعل الله فيه إدراكًا بحسبه؛ ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء:٤٤].

﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ ﴾، يعني: ما من شيء، ﴿وَإِن ﴾: هذه نافية بمعنى (ما) من شيء ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ سبحانه؛ الجمادات والمخلوقات،

والطيور في الهواء والبحر والشجر، ولكن كل شيء بلغة لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤])، التسبيح: هو التنزيه، ما من شيء إلا وينزه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما لا يليق به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم:٩٠])، ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾، أي: عظيمًا، ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم:٨٨-٩٠]، ففيها إحساس، السماوات السبع والجبال والأرض والأشجار والبحار كلها فيها إحساس بعظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتسبح الله بلغتها التي خلقها الله فيها، ونحن لا نسمعها ولا نفهم ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٤])، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾، يعني: من الحجارة تهبط من خشية الله، تتواضع من خشية الله.

....

ش: وقد قرر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه المخلوقات تسبح الله وتخشاه حقيقة، واحتج بهذه الآيات ونحوها[١].

وفي البخاري عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهْوَ يُؤْكَلُ»[٢].

وفي حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ في يده حصيات، فسُمِع لهن تسبيح...» الحديث[٣]، وفي الصحيح قصة حنين الجذع الذي كان يخطب عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل اتخاذ المنبر[٤]. ومثل هذا كثير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد قرر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه المخلوقات تسبح الله وتخشاه حقيقة، واحتج بهذه الآيات ونحوها)، تخشاه وتسبحه بلغتها التي لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهي جمادات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي البخاري عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا نَسْمَعُ

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٩).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٤٣)، والبزار في مسنده (٩/ ٤٣١، ٤٣٤)، والخلال في السنة (١/ ٢٨٨)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٥٩، ٤/ ٢٤٥)، وفي الشاميين (٣/ ٧٩، ٤/ ٢٤٦)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٤٣١، ٥٩٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٦٤).

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٨٣) من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ فَلَمَّا اتَّخَذَ المِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ، فَحَنَّ الجِذْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ».

تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهْوَ يُؤْكَلُ»)، الطعام يسبح الله، وهم يسمعون ذلك منه، وهو يؤكل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي حديث أبي ذر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **«أن النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أخذ في يده حصيات، فسُمِع لهن تسبيح...» الحديث)**، الحصى سبح بيد الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وسمع الصحابة تسبيحه في كفه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهذا من معجزاته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليري الله العباد من آياته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الصحيح قصة حنين الجذع الذي كان يخطب عليه النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قبل اتخاذ المنبر)**، لما أسس النبي مسجده على جذوع النخل، وسقفه بالعريش والسعف، كان يخطب ويتكئ على جذع، إذا خطب يتكئ على جذع نخلة، حتى صُنِع له المنبر، وجُعِلَ له درجات.

فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ انتقل إلى المنبر، عند ذلك حن الجذع لرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ألف رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأحبه، فلما أن الرسول ذهب إلى المنبر، حن إليه وسمع الناس حنينه، فنزل صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ووضع يده على الجذع فهدأ.

....

ش: **قوله: «صُعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا». الصعق: هو الغشي، ومعه السجود.**

قوله: «فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ». بفتح «أول»، خبر «يكون» تقدم على اسمها، ويجوز العكس.

ومعنى جبريل: عبد الله؛ كما روى ابن جرير وغيره عن علي بن الحسين قال: «كان اسم جبريل: عبد الله، واسم ميكائيل: عبيد الله، وإسرافيل: عبد الرحمن، وكل شيء رجع إلى إيل، فهو معبد لله عَزَّوَجَلَّ»(١).

وفيه فضيلة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «صُعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا». الصعق: هو الغشي، ومعه السجود)**، يعني: أن الملائكة إذا سمعوا ذلك صعقوا، يعني: أصابهم الغشي، وخروا سجدًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ تعظيمًا له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ»)**، يكون جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أول من يرفع رأسه من الملائكة إذا خروا لله سجدًا؛ لأنه أمين الوحي.

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٢٩٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ». بفتح «أول»، خبر «يكون» تقدم على اسمها، ويجوز العكس)، ويجوز العكس؛ يكون أَوَّلُ من يرفع رأسه جِبْرِيلَ، فيكون (أَوَّلُ): اسم كان، ويكون (جِبْرِيلَ): خبر كان منصوب، يجوز هذا، ويجوز أن يقدم الخبر على الاسم، خبر كان على اسمها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومعنى جبريل: عبد الله)، جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: عبد الله، إسرائيل: عبد الله؛ كل ما فيه (إيل)، فمعناه عبد الله؛ (إيل) بالسريانية: هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكل شيء رجع إلى إيل، فهو معبد لله عَزَّوَجَلَّ)، (إيل): اسم الله، وجبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وميكائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كلها عبد الله، بمعنى عبد الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفيه فضيلة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢١])، هذا جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وفيه فضيلة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؛ لأنه هو المبلغ عن الله، هو الذي بلغ القرآن لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنُسِبَ إليه؛ لأنه مبلغ لا على أنه مبتدئ، والكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفيه فضيلة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢١])، ﴿رَسُولٍ﴾: هذا مدح، ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا مدح أيضًا.

﴿ذِى قُوَّةٍ﴾: أعطى الله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قوة أقوى من غيره من الملائكة، ولهذا حمل قرى قوم لوط، اجتثها من أصلها، وحملها على طرف جناحه حتى بلغ بها العنان -يعني السحاب-، ثم نكسها عليهم(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه فضيلة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾)، ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم:٦]، يعني: قوة؛ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾، و﴿ذُو مِرَّةٍ﴾، والمِرَّة: هي القوة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾)، ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾: وهو الله، قريب، عندية مكان، عند الله عَزَّوَجَلَّ، فهو أقرب الملائكة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢١])، ﴿مُّطَاعٍ﴾: في الملأ الأعلى، ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾، ﴿ثَمَّ﴾: اسم إشارة، أي: في الملأ الأعلى.

﴿أَمِينٍ﴾: أمين على أؤتمن عليه من وحي الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٤٥٥).

ش: **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **إنه لتبليغ رسول كريم**(١).

قال أبو صالح في الآية، قال: جبريل يدخل في سبعين حجابًا من نور بغير إذن(٢).

ولأحمد بإسناد صحيح عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال: «رَأَى رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ، يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاوِيلِ وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ، مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ»**(٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **إنه لتبليغ رسول كريم)**، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ﴾: ليس بقول أنه قاله جبريل، الذي قال: هو الله، وإنما جبريل مبلغ عن الله عَزَّوَجَلَّ، فنُسِب القول إليه؛ لأنه مبلغ فقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو صالح في الآية، قال: جبريل يدخل في سبعين حجابًا من نور بغير إذن)**، قريب من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والله جَلَّوَعَلَا دونه الحجاب، حجاب النور، أنوار دونه لا يُرى في الدنيا، ولا يراه أحد في الدنيا؛ لأن لا أحد

---

(١) انظر: تفسيرابن كثير (٨/ ٣٣٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٦٤) بلفظ: «جِبْرِيلُ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، أَمِينٌ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ سَبْعِينَ سُرَادِقًا مِنْ نُورٍ بِغَيْرِ إِذْنٍ».

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٩٤)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٥)، وأبو يعلى (٩/ ٢٤٣)، وابن حبان (١٤/ ٣٣٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٧٨)، وأصله عند البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يستطع أن يرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الدنيا، يحترق؛ لما تجلى للجبل جعله دكًّا، لما قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾، يعني: مغشيًا عليه، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولأحمد بإسناد صحيح عن ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال: «رَأَى رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ)**، صورته الملكية، وجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يأتي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة إنسان، ويأتيه بحضرة أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ويجلس معه، ويتكلم معه، والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حاضرون في صورة إنسان، في صورة دحية الكلبي[١]، وكان دحية رجلاً جميلاً، له منظر حسن، فكان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يتمثل به، ويأتي إلى الرسول بصورته، والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حاضرون.

«طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ»[٢]، هذا من هو؟ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) كما في حديث جبريل الذي أخرجه النسائي في المجتبى (٤٩٩١)، وفي آخر الحديث: «وَإِنَّهُ لَجِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ».

وكما في الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرك عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا (٣/ ٣٧)، وفيه: «وَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّ بِمَجَالِسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْظَةَ، فَقَالَ: «**هَلْ مَرَّ بِكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟**» قَالُوا: مَرَّ عَلَيْنَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ تَحْتَهُ قَطِيفَةُ دِيبَاجٍ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَلِكَ بِدِحْيَةَ وَلَكِنَّهُ جِبْرِيلُ أُرْسِلَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ لِيُزَلْزِلَهُمْ وَيَقْذِفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**»».

(٢) سبق تخريجه (ص٣٩٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولأحمد بإسناد صحيح عن ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال: «رَأَى رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ)**، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى جبريل مرتين(١):

- مرة ليلة المعراج عند سدرة المنتهى؛ له ستمائة جناح، كل جناح منها سد الأفق؛ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:١٣، ١٤]، هذا ليلة المعراج(٢).

- والمرة الثانية: رآه وهو في بطحاء مكة، رآه بين السماء والأرض(٣).

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم -واللفظ له- (١٧٧): عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير:٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم:١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**».

(٢) سبق تخريجه (ص٤٦٤).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤، ٤٩٢٤، ٤٩٢٥، ٤٩٥٤): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «**فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجَئِثْتُ مِنْهُ رُعْبًا، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي ...**».

....

ش: فإذا كان هذا عِظَم هذه المخلوقات، فخالقها أعظم وأجل وأكبر، فكيف يُسوَّى به غيره في العبادة دعاءً، وخوفًا، ورجاءً، وتوكلاً، وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها غيره؟! فانظر إلى حال الملائكة، وشدة خوفهم من الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٩].

قوله: «فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ الله عَزَّوَجَلَّ مَنْ السَّمَاءِ والأَرْضِ». وهذا تمام الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكيف يُسوَّى به غيره في العبادة دعاءً، وخوفًا، ورجاءً، وتوكلاً، وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها غيره؟!)، كيف يسوى المخلوق بهذا الخالق العظيم، فيعبد معه من الأصنام والأشجار والأحجار والأموات، ولهذا يقولون: يوم القيامة إذا أُلقوا في النار هم ومن عبدهم، يقول المشركون لهذه المعبودات: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧، ٩٨]، يعني: عرفوا خطأهم، لكن فات الأوان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكيف يُسوَّى به غيره في العبادة دعاءً، وخوفًا، ورجاءً، وتوكلاً، وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها غيره؟!)، كما يفعله المشركون؛ ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٩])، ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [البقرة:١١٦]: نزه نفسه عن اتخاذ الولد؛ لأن الولد جزء من الوالد، ويشبه الوالد، والله لا شبيه له، وليس له جزء من خلقه، ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف:١٥]، يعني: ولدًا؛ لأن الولد جزء من الوالد.

﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف:١٥]، فالله لا يقاس به أحد، ولا يشبهه أحد من خلقه سبحانه.

كيف يشبه المخلوق الضعيف بالخالق العظيم القادر على كل شيء؟!! لكن انتكاس العقول يصل إلى أغرب من هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا

خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾)، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ ﴾ يوم القيامة، ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾، هذا أحد شرطي الشفاعة: أن يرضى الله بالشافع أن يشفع، وأن يكون المشفوع فيه ممن رضي الله عمله من أهل التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٩])، لو أن أحدًا من الملائكة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ قال: ﴿إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾، لجزاه الله بجهنم، فكيف بغيره؟ كيف بغيره من الملائكة؟!

....

ش: والآيات المذكورة في هذا الباب والأحاديث تقرر التوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله، فإن الملك العظيم -الذي تصعق الأملاك من كلامه خوفًا منه ومهابة، وترجف منه المخلوقات، الكامل في ذاته وصفاته، وعلمه وقدرته، وملكه وعزه، وغناه عن جميع خلقه، وافتقارهم جميعًا إليه، ونفوذ قدره وتصرفه فيهم لعلمه وحكمته- لا يجوز شرعًا ولا عقلًا أن يجعل له شريك من خلقه في العبادة التي هي حقه عليهم، فكيف يُجعل المربوبُ ربًا، والعبدُ معبودًا؟! أين ذهبت عقول المشركين؟! سبحان الله عما يشركون!

وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٩٣-٩٥]. «فَإِذَا كَانَ الجَمِيع عَبِيدًا فَلَمْ يَعْبُد بَعْضهمْ بَعْضًا بِلَا دَلِيل وَلَا بُرْهَان بَلْ مُجَرَّد الرَّأْي وَالِاخْتِرَاع وَالِابْتِدَاع؟ ثُمَّ قَدْ أَرْسَلَ رُسُله مِنْ أَوَّلهمْ إِلَى آخِرهمْ تَزْجُرهُمْ عَنْ ذَلِكَ الشِّرْك، وَتَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَة مَا سِوَى الله» انتهى من شرح سنن ابن ماجه[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا يجوز شرعًا ولا عقلًا أن يجعل له شريك من خلقه في العبادة التي هي حقه عليهم)، العبادة هي حق لله، لا يستحقها أحد مهما بلغ

(١) لم أقف على هذا الكلام في شرح سنن ابن ماجه، ولكن ذكره ابن كثير بحروفه في تفسيره (٤/ ٤٤٧).

من المنزلة -من الملائكة، من الأنبياء والرسل، من الأولياء والصالحين-، لا يستحق العبادة إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، العبادة حق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«**أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ تَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟**» قال: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أين ذهبت عقول المشركين؟! سبحان الله عما يشركون!)**، وليس المراد المشركين الأولين، بل عباد القبور، عباد الأولياء والصالحين يدخلون في هذا، كيف يسوونهم برب العالمين؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال تعالى:** ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]**)**، كل المخلوقات عباد لله، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾: كلهم عباد لله عَزَّوَجَلَّ؛ من الملائكة، من الآدميين، من الجبال والأشجار والأحجار، كلها عابدة لله عَزَّوَجَلَّ، خاضعة له، تسبح بحمده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(**﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٩٤-٩٥]**)**، ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾: أحصى العباد سبحانه من أولهم إلى آخرهم، ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾: عدهم سبحانه، أحصى عددهم.

---

(١) حديث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرجه البخاري (٢٨٥٦، ٥٩٦٧، ٦٢٦٧، ٦٥٠٠، ٧٣٧٣)، ومسلم (٣٠).

﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾: يقدمون على الله أفرادًا؛ ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام:٩٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِذَا كَانَ الجَمِيع عَبِيدًا فَلَمْ يَعْبُد بَعْضهمْ بَعْضًا بِلَا دَلِيل وَلَا بُرْهَان بَلْ مُجَرَّد الرَّأْي وَالِاخْتِرَاع وَالِابْتِدَاع)**، والتشبيه والتشبه -أيضًا-، يتشبهون بمن قبلهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثُمَّ قَدْ أَرْسَلَ رُسُله مِنْ أَوَّلهمْ إِلَى آخِرهمْ تَزْجُرهُمْ عَنْ ذَلِكَ الشِّرْك، وَتَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَة مَا سِوَى الله)**، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، هذا كل الرسل جاءت به؛ الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك.

فِيْه مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ الآيَةِ.

الثَّانِيَةُ: مَا فِيْهَا مِنَ الحُجَّةِ عَلَى إِبْطَالِ الشِّرْكِ، خُصُوصًا مَا تَعَلَّقَ عَلَى الصَّالِحِيْنَ، وَهِيَ الآيَةُ الَّتِيْ قِيْلَ إِنَّهَا تَقْطَعُ عُرُوقَ شَجَرَةِ الشِّرْكِ مِنَ القَلْبِ.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيْرُ قَوْلِهِ: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

الرَّابِعَةُ: سَبَبُ سُؤَالِهِمْ عَنْ ذَلِكَ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ جِبْرِيْلَ يُجِيْبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ (قَالَ: كَذَا وَكَذَا).

السَّادِسَةُ: ذِكْرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيْلُ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يَقُوْلُ لِأَهْلِ السَّمَوَاتِ كُلِّهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَهُ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الغُشْيَ يَعُمُّ أَهْلَ السَّمَوَاتِ كُلَّهُمْ.

التَّاسِعَةُ: ارْتِجَافُ السَّمَوَاتِ لِكَلَامِ اللهِ.

العَاشِرَةُ: أَنَّ جِبْرِيْلَ هُوَ الَّذِيْ يَنْتَهِي بِالوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: ذِكْرُ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِيْنِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: صِفَةُ رُكُوْبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: إِرْسَالُ الشِّهَابِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ تَارَةً يُدْرِكُهُ الشِّهَابُ قَبْلِ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَتَارَةً يُلْقِيْهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ الإِنْسِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُ الكَاهِنِ يَصْدُقُ بَعْضَ الأَحْيَانِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُهُ يَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ لَمْ يُصَدَّقْ كَذِبَهُ إِلَّا بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِيْ سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: قَبُوْلُ النُّفُوسِ لِلْبَاطِلِ؛ كَيْفَ يَتَعَلَّقُونَ بِوَاحِدَةٍ وَلَا يُعْتَبَرُونَ بِمِائَةٍ؟!

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُهُمْ يَتَلَقَّى بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ تِلْكَ الكَلِمَةَ وَيَحْفَظُونَهَا وَيَسْتَدِلُّوْنَ بِهَا.

العِشْرُوْنَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ المُعَطِّلَةِ.

الحَادِيَةُ وَالعِشْرُوْنَ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّ تِلْكَ الرَّجْفَةَ وَالغُشْيَ كَانَ خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُوْنَ: أَنَّهُمْ يَخِرُّونَ لِلهِ سُجَّدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ الآيَةِ)، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ [سبأ:٢٣]، وهو أن الله إذا تكلم بالوحي، أصابت السماوات منه رعدة أو رجفة شديدة، فيخر الملائكة لله سجدًا، ثم يكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما شاء، ثم ينتهي به جبريل إلى حيث أمره الله، وكلما مرَّ جبريل على ملأ من الملائكة، ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ [سبأ:٢٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: مَا فِيْهَا مِنَ الحُجَّةِ عَلَى إِبْطَالِ الشِّرْكِ، خُصُوصًا مَا تَعَلَّقَ عَلَى الصَّالِحِيْنَ، وَهِيَ الآيَةُ الَّتِيْ قِيْلَ إِنَّهَا تَقْطَعُ عُرُوقَ شَجَرَةِ الشِّرْكِ مِنَ

القَلْبِ)، إذا تأملها الإنسان، أبطلت الشرك، وقطعت عروقه، ولم يبق له أي شبهة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: تَفْسِيْرُ قَوْلِهِ:** ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣])، المسألة الثالثة: تفسير قولهم: ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]، وصفوا كلامه بأنه الحق، ووصفوا الله بأنه ﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾: الذي لا أعلى منه فوق مخلوقاته سبحانه، ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾: الذي لا أكبر منه، ولهذا يأتي التكبير على ألسنة المؤمنين في الصلاة وفي غير ذلك، فيقولون: الله أكبر، أي: أكبر من كل شيء، فكل شيء فهو حقير بالنسبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، مهما تعاظم فهو حقير بالنسبة إلى الله، ضعيف بالنسبة إلى الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: سَبَبُ سُؤَالِهِمْ عَنْ ذَلِكَ**)، سبب سؤالهم عن ذلك أنهم أصابهم الرعدة والرجفة، فيسألون جبريل: ماذا قال ربنا؟ الذي سبب هذا الشيء لنا، ما هو؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: أَنَّ جِبْرِيْلَ يُجِيْبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: (قَالَ: كَذَا وَكَذَا)**)، قال: كذا وكذا مما أوحاه الله، أو بعثه الله به من الوحي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: ذِكْرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيْلُ**)، هذا فيه فضل جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأنه أول من يرفع رأسه؛ لأن الله يكلمه، ويحمله ما يشاء من وحيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يَقُوْلُ لِأَهْلِ السَّمَوَاتِ كُلِّهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَهُ**)، كلما مرَّ على ملأ من الملائكة، ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ

﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]، يقول جبريل: قال الحق، فيقولون هم: قال الحق، يرددون ما قاله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّامِنَةُ: أَنَّ الغُشْيَ يَعُمُّ أَهْلَ السَّمَوَاتِ كُلَّهُمْ**)، حتى جبريل يصيبه الغشي، كلهم يصيبهم الغشي، ولهذا أول من يرفع رأسه من الغشي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: ارْتِجَافُ السَّمَوَاتِ لِكَلَامِ اللهِ**)، «أَخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ -أَوْ قَالَ رِعْدَةٌ شَدِيْدَةٌ»، السماوات قوية سميكة، ومع هذا ترتجف من هيبة كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**العَاشِرَةُ: أَنَّ جِبْرِيْلَ هُوَ الَّذِيْ يَنْتَهِي بِالوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ**)، أن الوحي ينزل به جبريل إلى من أمره الله يبلغه إياه من رسله، وأنبيائه، فيبلغ بأمانة، ولا ينقص ولا يزيد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: ذِكْرُ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِيْنِ**)، كيفية استراق الشياطين، وأنهم يركب بعضهم بعضًا في الجو -في الهواء-، حتى يصلوا إلى العنان -يعني: إلى موطن السحاب- حيث يسمعون الملائكة وهم يتكلمون، فيخطفون من كلام الملائكة ما يخطفون، ويلقونه إلى الكهان، فيكذب الكهان مع الكلمة الواحدة من التي سُمِعت من السماء، يكذبون معها مائة كذبة، وهذه الكلمة الحق يروجون بها الباطل، فهذا من لبس الحق بالباطل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: صِفَةُ رُكُوْبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا**)؛ كما وصفها الراوي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: إِرْسَالُ الشِّهَابِ**)، أن الشهب التي ترسل من السماء ترسل لإحراق مسترقي السمع؛ منهم من يدركه الشهاب قبل أن يلقي الكلمة التي سمعها، ومنهم من يلقي الكلمة قبل أن يدركه الشهاب، يلقيها إلى الكهان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ تَارَةً يُدْرِكُهُ الشِّهَابُ قَبْلِ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَتَارَةً يُلْقِيهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ الإِنْسِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ**)، وليه: الكاهن؛ ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُ الكَاهِنِ يَصْدُقُ بَعْضَ الأَحْيَانِ**)، كلمة واحدة، ويكذب معها مائة كذبة، فيصدقه الناس في هذه الكذبات المائة بسبب كلمة واحدة حق سُمِعَت من الوحي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ لَمْ يُصَدَّقْ كَذِبُهُ إِلَّا بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِيْ سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ**)، وهذا المقصود بالتلبيس، يجعل هذه الكلمة مع ما كذبه، مائة كذبة فيها واحدة سمعت من السماء، فهذا من لبس الحق بالباطل؛ من أجل أن يقبل كلام الكهان.

وهذا ليس محبة للوحي، ليس بمحبة، ولكن من باب التلبيس على الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: قَبُوْلُ النُّفُوسُ لِلْبَاطِلِ؛ كَيْفَ يَتَعَلَّقُونَ بِوَاحِدَةٍ وَلَا يُعْتَبَرُونَ بِمِائَةٍ!!**)، النفوس متعلقة بالباطل؛ يصدقون مائة كذبة بسبب كلمة واحدة من الحق، مائة كذبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُهُمْ يَتَلَقَّى بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ تِلْكَ الكَلِمَةَ وَيَحْفَظُونَهَا وَيَسْتَدِلُّوْنَ بِهَا)**، يعني الكهان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(العِشْرُوْنَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ)**، إثبات صفات الله عَزَّوَجَلَّ، ومنها الكلام، كلام الله سبحانه، ومنها: بما شاء، إثبات المشيئة، ومنها ما جاء في الحديث من صفات الله.

فأهل السنة والجماعة يثبتون الأسماء والصفات كما وردت، والجهمية والمعطلة ينفونها ويعطلونها ويحرفونها ويؤولونها، وليس لله عندهم أسماء ولا صفات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الحَادِيَةُ وَالعِشْرُوْنَ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّ تِلْكَ الرَّجْفَةَ وَالغُشْيَ كَانَ خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ)**، أن ما يصيب السماوات، ويصيب الملائكة من الرعدة والرجفة والغشي أنه بسبب كلام الله حينما يسمعونه، ففيه إجلال الله وتعظيمه، تعظيم كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُوْنَ: أَنَّهُمْ يَخِرُّونَ للهِ سُجَّدًا)**، أنهم يخرون -يعني: الملائكة- يخرون لله سجدًا؛ تعظيمًا له سبحانه وإجلالًا وخوفًا منه.

١٦- بَابُ الشَّفَاعَةِ

ش: قوله: (بَابُ الشَّفَاعَةِ)، أي: بيان ما أثبته القرآن منها وما نفاه، وحقيقة ما دل القرآن على إثباته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ الشَّفَاعَةِ)، الشفاعة: هي الواسطة في قضاء الحوائج عند من هي عنده، يكون يطلب حاجة، ثم يأتي من يشفع له طلبه، بدل أن كان فردًا في طلبه، انضم إليه الشفيع، فبعد أن كان فردًا، صار شفعًا، من هنا سميت الشفاعة، هذا من حيث اللغة(١).

والشفاعة إذا كانت في خير ونفع فهي مشروعة وفيها أجر؛ قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء:٨٥]، الشفاعة الحسنة هي التي فيها الخير والنفع.

﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء:٨٥]: عليه إثم، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ**»(٢)، فالشفاعة فيها خير إذا كانت وساطة في الخير والنفع.

وأما الشفاعة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتكون عند المخلوقين، تكون الشفاعة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن يشفع لمن استحق العذاب من المؤمنين أن

---

(١) انظر مادة (شفع) في: العين (١/ ٢٦٠- ٢٦١)، وتهذيب اللغة (١/ ٢٧٧- ٢٧٨)، والصحاح (٣/ ١٢٣٨- ١٢٣٩)، ومقاييس اللغة (٣/ ٢٠١)، وطلبة الطلبة (ص١١٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٣٢، ٦٠٢٧، ٧٤٧٦)، ومسلم (٢٦٢٧)، من حديث أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يتوب الله عليه، وأن لا يعذبه، وفي هذا يشفع الملائكة، فالملائكة يشفعون، والأنبياء يشفعون، والصالحون يشفعون[١]، والأفراط الذين ماتوا صغارًا يشفعون لآبائهم[٢]، ففي هذا شفاعة محمودة وفيها خير.

وأما الشفاعة التي يطلب منها الشر؛ بأن يشفع في حد من حدود الله ألا يقام على من ثبت عليه، هذه محرمة منهي عنها.

لما أراد أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يشفع في امرأة من بني مخزوم، حكم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقطع يدها؛ لأنها كانت تستعير المتاع وتجحده، غضب

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل الذي أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)، وفيه: «... **فَيَقُولُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **شَفَعَتِ المَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ...**».

وكما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٣٤/ ٩٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٠٣)، والبزار في مسنده (٩/ ١٢٢)، والخلال في السنة (٥/ ٤٧): عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يُحْمَلُ النَّاسِ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنَبَتَا الصِّرَاطِ تَقَادُعَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ، فَيُنْجِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، ثُمَّ إِنَّهُ يُؤْذَنُ فِي الشَّفَاعَةِ لِلْمَلَائِكَةِ، وَالنَّبِيِّينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصِّدِّيقِينَ، فَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ، فَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٢٥١، ٦٦٥٦)، ومسلم (٢٦٣٢): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: «**لَا يَمُوتُ لِإِحْدَاكُنَّ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَحْتَسِبَهُ، إِلَّا دَخَلَتِ الجَنَّةَ**» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: أَوِ اثْنَيْنِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَوِ اثْنَيْنِ**».

وكما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٠١ ، ١٢٤٩، ٧٣١٠)، ومسلم (٢٦٣٣): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النِّسَاءَ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْعَلْ لَنَا يَوْمًا فَوَعَظَهُنَّ، وَقَالَ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ**»، قَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: «**وَاثْنَانِ**».

عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أنه يحبه ويحب أباه غضب عليه، وقال: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟ وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»(١)، فالحدود لا تجوز الشفاعة فيها.

وفي الحديث: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا**»(٢)، يعني: حال بينه وبين إقامة العقوبة عليه، لعنه الله، طرده وأبعده من رحمته.

لا تجوز الشفاعة في الحدود، إنما الشفاعة في الأمور التي ليس فيها حدود: في التعزيرات، أو في حقوق الناس بعضهم مع بعضهم، «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**»(٣).

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء:٨٥]: يكن عليه إثم عظيم، الشفاعة التي تعطل الحدود، ويحصل بها ظلم لمنع الحق ممن وجب له الحق هذه شفاعة محرمة، فيها إثم عظيم، هذه الشفاعة عند المخلوقين.

أما الشفاعة عند الله جَلَّ وَعَلَا فلابد لها من شرطين:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع.

المخلوق يشفع عنده الشافع ولو لم يأذن، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فلا يشفع عنده إلا بإذنه؛ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فلا يشفع عند الله إلا بإذنه، هذا شرط.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٧٤).
(٢) سبق تخريجه (ص١٦١).
(٣) سبق تخريجه (ص٥٠١).

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه ممن يرضى الله قوله وعمله من أهل الإيمان، وأما الكافر فلا تجوز الشفاعة فيه يوم القيامة؛ قال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، الكفرة ليس فيهم شفاعة، ولا تقبل فيهم، هذا هو التفصيل في الشفاعة.

المشركون كما ذكر الله عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، يعبدونهم، ويقولون: نحن نعلم أنهم بشر، وأنهم مخلوقون، ولكن نريدهم شفعاء عند الله، يشركون ويقولون: شفعاء عند الله.

المشرك ليس فيه شفاعة، ولا تقبل فيه شفاعة، ومن هنا عقد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب؛ لأنه يتعلق به كثير من القبوريين؛ يعبدون القبور، وإذا أُنكر عليهم، قالوا: نحن نعلم أنهم بشر، وأنهم أموات، ولكنهم صالحون، ونريد منهم الشفاعة عند الله. الله لم يأذن لكم بهذا، الصالحون يقتدى بهم، ويدعى لهم، وأما أنهم تطلب منهم الشفاعة وهم أموات، فهذا لا يجوز؛ تطلب الشفاعة من الله، وتقول: اللهم شفع فيَّ ملائكتك وأنبياءك، وعبادك الصالحين. تطلب من الله، لا تطلب من المخلوق لا حيًّا ولا ميتًا، عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذا الباب باب عظيم ضل به كثير من الخلق؛ بسبب أنهم يعبدون الأولياء والصالحين، ويقولون: ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: بَابُ الشَّفَاعَةِ أي: بيان ما أثبته القرآن منها وما نفاه**)، الشفاعة كما قال الشيخ: شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة.

- **الشفاعة المنفية**: هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر لا عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذه منفية.

- **الشفاعة المثبتة**: وهي التي تطلب من الله؛ بأن تقول: اللهم شفع فيَّ رسولك، شفع فيَّ عبادك الصالحين. تطلب من الله، ولا تطلبها من المخلوقين.

وَقَـوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:٥١].

ش: قوله: (وَقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:٥١])، **الإنذار: هو الإعلام بأسباب المخافة، والتحذير منها.**

قوله: ﴿ بِهِ ﴾، قال ابن عباس: بالقرآن[١]، ﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾: **وهم المؤمنون.**

وعن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ليس كل خلقه عاتب، إنما عاتب الذين يعقلون، فقال:** ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام:٥١][٢]، **أي: وهم المؤمنون أصحاب العقول الواعية.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:٥١])، يقول الله جَلَّ وَعَلَا لرسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ﴾، أي: بالقرآن.

﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾: يجمعوا يوم القيامة عند الله للحساب والجزاء، ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ

---

(١) انظر: التفسير البسيط (٨/ ١٥٥)، والتفسبر الوسيط (٢/ ٢٧٤).
(٢) حكاه عن الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٩٧).

وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥١]، ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، فحذر هؤلاء الذين يتعلقون بالمخلوقين ويعبدونهم، ويفعلون الشرك عند قبورهم، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الإنذار: هو الإعلام بأسباب المخافة، والتحذير منها)**، ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾، أي: بالقرآن.

الإنذار: معناه: الإعلام عن أمر فيه مخافة وهو مقبل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﴿بِهِ﴾، قال ابن عباس: بالقرآن)**، ﴿بِهِ﴾، قال: أي: بالقرآن، ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾، أي: بالقرآن، بلغ القرآن للناس؛ ليكون حجة لهم لا عليهم، القرآن لابد أنه حجة؛ إما عليك وإما لك، إن عملت به فهو حجة لك، وإن لم تعمل به فهو حجة عليك عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الله جَلَّ وَعَلَا لنبيه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾: بالقرآن.

﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾: من بلغه القرآن، قامت عليه الحجة، من بلغه القرآن وهو عربي يفهم اللغة العربية، قامت عليه الحجة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: وهم المؤمنون)**، الذين يخافون الحشر، المؤمنون هم الذين يخافون الحشر، ويخافون لقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويستعدون له، أما الكفار والمعرضون فلا يرفعون بذلك رأسًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)، الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا من العلماء العباد الزهاد، مشهور بزهده وعلمه وورعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ليس كل خلقه عاتب)**، ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ ﴾ [الأنعام:٥١]: هؤلاء خاصة، ليس كل خلقه عاتب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إنما عاتب الذين يعقلون، فقال:** ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾**)**، هؤلاء هم العقلاء ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾.

أما الغافلون، فهم مثل البهائم، لا يعرفون بعثًا ولا حسابًا ولا نشورًا ولا جزاءً، بل البهائم أحسن منهم.

....

ش: قوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام:٥١].

قال الزجاج: مَوْضِعُ «لَيْسَ» نَصْبٌ عَلَى الحَالِ؛ كَأَنَّهُ قال: مُتَخَلِّينَ مِنْ وَلِيٍّ وَشفيع. والعامل فيها «يخافون»[1].

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي: فيعملون في هذه الدار عملًا ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾** [الأنعام:٥١])، ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾: من دون الله، ﴿وَلِيٌّ﴾، ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾، أي: غيره، ليس لهم غيره ﴿وَلِيٌّ﴾: يتولى أمرهم، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: يشفع لهم، لا يتولى أمرهم بنفسه، ولا يشفع لهم عند غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال الزجاج: مَوْضِعُ «لَيْسَ» نَصْبٌ عَلَى الحَالِ؛ كَأَنَّهُ قال: مُتَخَلِّينَ مِنْ وَلِيٍّ وَشفيع**)، الزجاج: من أئمة اللغة.

وليس: محل الحال، أي: يحشرون إلى ربهم متخلين عن كل شيء من الأمور إلا ما قدموا من أعمالهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والعامل فيها «يخافون»**)، ﴿يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾ [الأنعام:٥١]. فقوله: ﴿أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾: محل نصب، والعامل فيه: ﴿يَخَافُونَ﴾.

---

(١) حكاه عن الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرازي في تفسيره (١٢/ ٥٤٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ أي: فيعملون في هذه الدار عملًا ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة)**، لعل هؤلاء إذا أنذرتهم يتقون الله، يتنبهون ما داموا على قيد الحياة، وعندهم الإمكانية يَتَّقُوْنَ عذاب الله إذا سمعوا القرآن، سمعوا الإنذار، سمعوا البعث والنشور والحساب.

وأما من يمر عليه القرآن، ولا يتأمل فيه، وإنما يتخذ القرآن لأجل تحسين القراءة فقط ومخارج الحروف، ويعتنون بمخارج الحروف، والإدغام والغنة وما أشبه ذلك، لكن لا يعتنون بمعاني القرآن ومقاصد القرآن، هذه مشكلة.

وَقَوْلِه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤].

ش: قوله: (وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤])، **وقبلها**: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر:٤٣]. **وهذه الآية كقوله تعالى**: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]، **فبين -تعالى- في هذه الآيات وأمثالها أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه منتفٍ وممتنع، وأن اتخاذهم شفعاء شرك، يتنزه الرب -تعالى- عنه، وقد قال تعالى**: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف:٢٨]، **فبين -تعالى- أن دعواهم أنهم يشفعون لهم بتأليههم أن ذلك منهم إفك وافتراء.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤])، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، الشفاعة ملك لله، لا تطلب من غير الله.

فهذا فيه الرد على من يطلبون الشفاعة من الأولياء والصالحين، الواجب أن تطلبها من الله؛ تقول: اللهم شفع فيَّ رسولك وعبادك الصالحين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقبلها: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر:٤٣])، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟﴾، أي: المشركون اتخذوا ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أي: غير الله.

﴿شُفَعَآءَ﴾؛ لأنهم ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، يقولون: إنما عبدناهم ليشفعوا لنا عند الله. وهذا ضلال وباطل؛ لأن الشفاعة ملك لله، لا يملكها أحد إلا بإذن الله.

الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موقف الحشر إذا طال الوقوف على العباد في الحشر، تقدموا إلى الأنبياء ليشفعوا لهم عند الله أن يخلصهم من الحشر والوقوف، وأن يعجل حسابهم، كل من الأنبياء يعتذر، إلى أن ينتهي الطلب إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: «**أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا**»، فيخر ساجدًا بين يدي ربه، ليس على الفور يقول: أنا أشفع. بل يخر ساجدًا بين يدي ربه، حتى يقال له: «**يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»[1]، فيرفع رأسه، ويطلب من الله أن يريح أهل المحشر من الوقوف الطويل، وأن يعجل حسابهم ليستريحوا من الموقف، لم يطلب الشفاعة مباشرة من الله، بل سجد بين يدي الله حتى أُذِن له؛ «**ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»، لما أذن الله له، شفع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه الآية كقوله تعالى:** ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس:١٨])، الله ليس بحاجة إلى الشفعاء، يعلم سبحانه.

---

(١) من حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري (٧٥١٠)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الملوك والرؤساء لا يعرفون أحوال الرعية؛ فيحتاجون إلى من يتوسط عندهم، ومن يشفع عندهم في حوائج الناس، أما الله فإنه يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه شيء.

وإنما الشفاعة تشريف للشافع ورحمة بالمشفوع، ليس معناها أنك تخبر الله عن أحوال عباده، إنما معناها: أن الله يكرم من يشاء بالإذن له بالشفاعة، وفيها رحمة للمشفوع فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فبين -تعالى- في هذه الآيات وأمثالها أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه منتفٍ وممتنع)**، ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾، تطلب الشفاعة من غير الله، ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾، يعني: من غيره، ليس لهم ذلك، ولا شفاعة لهم ولا ولي لهم يوم القيامة.

﴿يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم﴾: في ذاك الموقف، موقف الحشر ﴿مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ هذا الموقف، ويستعدون له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن اتخاذهم شفعاء شرك، يتنزه الرب تعالى عنه)**، يعبدونهم ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ثم نزه نفسه، قال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن اتخاذهم شفعاء شرك، يتنزه الرب تعالى عنه)**، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قال: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]، فدل على أن طلب الشفاعة من المخلوق فيما لا يقدر لا عليه إلا الله أنها شرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾** [الأحقاف:٢٨])، ﴿ فَلَوْلَا ﴾، أي: فهلا، هذا استفهام إنكار.

﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: هذا في يوم القيامة أو في الدنيا أيضًا، حلت الكوراث والكربات بهم ولم يخلصوهم، لم يخلصهم الذين يدعونهم من دون الله ويعبدونهم مع الله، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، لم يخلصوهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فبين -تعالى- أن دعواهم أنهم يشفعون لهم بتأليههم أن ذلك منهم إفك وافتراء)**، في تألههم، التأله هو العبادة.

....

ش: وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، أي: هو مالكها، وليس لمن تطلب منه شيء منها، وإنما تطلب ممن يملكها دون كل من سواه، لأن ذلك عبادة وتألّه لا يصلح إلا لله.

قال البيضاوي: لعله ردٌّ لما عسى أن يجيبوا به، وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، أي: هو مالكها)، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، ليس لأحد فيها شرك ولا محل إلا من أذن الله له بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وليس لمن تطلب منه شيء منها)، ولهذا يقولون: الشفاعة المثبتة هي ما اتفق فيها شرطان:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع؛ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل الإيمان، هذا خلاف الكفار، فالكفار ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

إنما يكون من أهل الإيمان المشفوع فيه ممن يرضى الله قوله وعمله؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، يعني: ارتضى قوله وعمله، وهو المؤمن.

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٤٤).

أما الكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾، يعني: صديق، ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنما تطلب ممن يملكها دون كل من سواه، لأن ذلك عبادة وتألُّه لا يصلح إلى لله)**، طلب الشفاعة عبادة؛ لأن الشفاعة ملك لله، ولا تطلب إلا منه، فمن طلبها من غيره، فقد أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال البيضاوي)**، البيضاوي: صاحب تفسير مختصر مشهور بتفسير البيضاوي، وهو تفسير نفيس وقيم، وإن كان فيه شيء من التأويل.

....

ش: وقوله: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٠٧]؛ **تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه؛ لأنه مالك الملك، فاندرج في ذلك ملك الشفاعة، فإذا كان هو مالكها، بطل أن تطلب ممن لا يملكها،** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **نزلت لما قال الكفار: ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زُلفى، قال الله تعالى:** ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤][1].

قال الله تعالى: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزّمر:٤٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله:** ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٠٧] **تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه**)، لأن الملك كله لله، ليس لأحد فيه استحقاق إلا من ملكه الله وأعطاه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لأنه مالك الملك**)، ومن ملكه: الشفاعة، يملكها سبحانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإذا كان هو مالكها، بطل أن تطلب ممن لا يملكها،** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥])، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾: نفي هذا، يعني: لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾: عند الله، ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٥٣٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨])، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾، يعني: الملائكة ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾: قوله وعمله، وهو المؤمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن جرير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **نزلت لما قال الكفار: ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زُلفى)**، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ﴾ [الزمر:٣]، اعترفوا أنهم يعبدونهم، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾، وهل العبادة حق لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!!

ثم قالوا: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، يقربونكم، وهم لا يملكون شيئًا؟!! فقراء أفقر منكم أو مثلكم!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن جرير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **نزلت لما قال الكفار: ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زُلفى)**، هم يعلمون أنها أصنام، وأنها أحجار وأشجار، وأنها قبور وأضرحة لا تملك شيئًا، لكن يقولون: إنهم صالحون، ونريد أن يشفعوا لنا عند الله.

لماذا لا تطلب من الله جَلَّ وَعَلَا مباشرة، لماذا تتخذ الوسائط من ميت في قبر أو شجرة أو حجر، وتقول: اشفع لي عند الله، الله قريب مجيب؟! «**يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ**»(١)، وينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيقول: «**مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩)، من حديث أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فَأُعْطِيَه، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَه»[١]، كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر.

فكيف تعدل عن الله، وتذهب إلى أموات أو أحياء ضعفاء تطلب منهم الشفاعة عند الله؟! لماذا لا تطلب من الله مباشرة الذي فتح لك الباب؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال الله تعالى**: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر:٤٤] [الزّمر:٤٤])، ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: كل ما في السماوات ملكه، ومنه الشفاعة.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَقَوْلِهِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

ش: قال: (وَقَوْلِهِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥])، قد تبين مما تقدم من الآيات أن الشفاعة التي نفاها القرآن هي التي تطلب من غير الله، وفي هذه الآية بيان أن الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩]، فبين أنه لا تقع لأحد إلا بشرطين: إذن الرب -تعالى- للشافع أن يشفع، ورضاه عن المأذون بالشفاعة فيه، وهو -تعالى- لا يرضى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة إلا ما أريد به وجهه، ولقي العبد به ربه مخلصًا غير شاك في ذلك؛ كما دل على ذلك الحديث الصحيح(١). وسيأتي ذلك مقررًا -أيضًا- في كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥])، قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، أي: لا أحد، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾: لا أحد، ﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾: عند الله، ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**».

هو الذي يأذن للشافع أن يشفع، أما غيره من الملوك فيشفع عندهم الشفعاء ولو لم يأذنوا، وربما أنهم لا يرغبون ذلك، لكن يحتاجون إلى المعينين، وإلى من يدبر ملكهم، أما الله فهو غنيٌّ عن عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قد تبين مما تقدم من الآيات أن الشفاعة التي نفاها القرآن هي التي تطلب من غير الله)**، الشفاعة المنفية هي التي تطلب من غير الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذه الآية بيان أن الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه)**، بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى:** ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩]**)**، فيهما الشرطان:

- ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، هذا هو الشرط الأول.

- الشرط الثاني: ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾، أما المشرك فإن الله لا يرضى قوله ولا عمله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو -تعالى- لا يرضى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة إلا ما أريد به وجهه)**، أما ما أريد به غير الله فهو باطل، الأعمال التي يراد بها غير وجه الله باطلة لا قيمة لها، هباء منثور، ولا يبقى إلا ما أريد به وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أعمال العباد.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦].

ش: وقوله: (وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦])، **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦]، **كقوله:** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣]، **فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون -أيها الجاهلون- شفاعة هذه الأنداد عند الله، وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟!**[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦])، ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾، ﴿وَكَم﴾: هذه خبرية ليست استفهامية.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾، يعني: كثير من الملائكة الذين لا يحصيهم إلا الله في السماوات.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾: هذا الشرط الأول، ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾: هذا الشرط الثاني.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كقوله:** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣])، والأدلة على هذا كثيرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله**)، إذا كان الملائكة لا يشفعون عند الله إلا بإذنه، ولا يشفعون إلا لمن يرضى الله قوله وعمله، فكيف ترجون الشفاعة من الأصنام والأشجار والأحجار؟! وحتى الملائكة والصالحون هم لايملكونها، إنما الذي يملكها هو الله، هو الذي يأذن بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله**)، الشرك نهت عنه جميع الرسل، جميع الرسل أمروا بالتوحيد، ونهوا عن الشرك؛ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: هذا التوحيد، ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: هذا الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟!**)، بلا شك، كل الكتب السماوية جاءت بهذا: الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك.

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢، ٢٣].

ش: قال: (وَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢، ٢٣]).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢، ٢٣])، قال العلماء: هذه الآية اقتلعت شجرة الشرك من عروقها، وذلك أن الله قال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: زعمتم أنهم يملكون، وينفعون ويضرون من المخلوقين.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: هذا واحد، لا يملكون، الملك لله جَلَّ وَعَلَا، هذا واحد.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: ذرة، مثقال ذرة، هباءة التي تطير في الهواء، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾: إذا كان لا يملك، على الأقل يكون شريكًا للمالك، نفى الله الشركة، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾.

إذًا، إذا لم يكن مالكًا، ولا شريكًا، على الأقل يكون ظهيرًا للمالك ومعينًا للمالك، نفى الله ذلك -أيضًا-، نفى الله.

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾: نفى الملك.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾، يعني: لا يملكون شيئًا استقلالًا، ولا يشتركون مع المالك.

الثالث: إذا صار لا يملك، على الأقل يكون ظهيرًا للمالك ومعينًا، ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾.

إذًا، إذا لم يكن ظهيرًا، على الأقل يكون شفيعًا، نفى الله ذلك أيضًا؛ ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ ﴾، كم نفى الآن؟

أربعة، لم يبق شيء، ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ ﴾: هذا واحد، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾، على الأقل إذا لم يكن مالكًا استقلالًا، يكون شريكًا للمالك، نفى الله ذلك، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾.

على الأقل إذا لم يكن مالكًا ولا شريكًا يكون ظهيرًا ومعينًا، ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾.

على الأقل إذا لم يكن ظهيرًا، يكون شفيعًا، نفى الله ذلك -أيضًا-، ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢، ٢٣].

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾، إذًا لم يبق للشرك تعلق، فطع عروقه كلها.

....

ش: **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الكلام على هذه الآيات: وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالكٌ لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكًا، كان شريكًا للمالك، فإن لم يكن شريكًا له، كان معينًا له وظهيرًا، فإن لم يكن له معينًا ولا ظهيرًا، كان شفيعًا عنده.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الكلام على هذه الآيات: وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها)**، ابن القيم بين ما في هذه الآية مما أجملته سابقا في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢، ٢٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالكٌ لما يريده عابده منه)**، الأولى: أن يكون مالكًا لما يطلب منه، والأموات لا يملكون ما يطلب منهم؛ لأنهم فقراء إلى الله، مرتهنون في قبورهم، فكيف يطلب منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وغير ذلك من المقاصد التي يطلبها عباد القبور من الأموات؟! لا يملكون شيئًا؛ ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، ذرة:

الهباءة التي تطير في الهواء، أو هي النملة الصغيرة، ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، فالملك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن لم يكن مالكًا، كان شريكًا للمالك)**، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، هذه انتفت، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾: ليس لله شريكٌ في ملك السماوات والأرض، هو المختص بالملك -سبحانه- مالك الملك؛ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١]، فالملك بيد الله، والملك لله كله لا يشاركه فيه أحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن لم يكن شريكًا له، كان معينًا له وظهيرًا)**، ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾: إذا لم يكن مالكًا ولا شريكًا، فيكون معينًا للمالك ووزيرًا وظهيرًا له، الله جَلَّ وَعَلَا لا معين له؛ لأنه لا يحتاج لمن يعينه، بل هو الذي يعين الخلق، أما أن أحدًا يعين الله جَلَّ وَعَلَا، تعالى الله عن ذلك! هو الغني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يعينه أحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن لم يكن له معينًا ولا ظهيرًا، كان شفيعًا عنده)**، إذا لم يكن مالكًا، ولا شريكًا للمالك، ولا ظهيرًا له، يكون شفيعًا عنده، يشفع عنده، لا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه سبحانه.

....

- -

ش: فنفى الله سبحانه المراتب الأربع نفيًا مرتبًا، متنقلًا من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه.

فكفى بهذه الآية نورًا وبرهانًا وتجريدًا للتوحيد، وقطعًا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها.

والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنونه في نوع وقوم قد خَلوا من قبلُ، ولم يُعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن.

ولعمر الله، إن كان أولئك قد خلوا، فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فنفى الملك، والشركة، والمظاهرة)، المظاهرة، يعني: المعاونة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والشفاعة التي يطلبها المشرك)؛ لأن المشركين يدعون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، أتفرضون على الله من يشفع عنده؟! لا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والله لم يأذن لهؤلاء الأموات بالشفاعة عنده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك)**، والله لم يأذن للمشركين أن يشفعوا، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك؛ لأنها لا تكون إلا بإذنه، والله لا يأذن للمشرك بالشفاعة، لا يأذن لأحد أن يشفع في المشرك، الملائكة لا يشفعون في المشركين، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]. ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، المشركون لا أحد يشفع لهم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكفى بهذه الآية نورًا وبرهانًا وتجريدًا للتوحيد، وقطعًا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها)**، لمن عقلها، لكن أين الذين يتأملون القرآن، ويتدبرون القرآن -إلا من رحم الله-؟! إنما مجرد تلاوة ومرور على اللسان، ويريد أن يختم القرآن، ويسرع لأجل أن يختم القرآن، ولا يتأمل فيه، ماذا استفاد إذًا؟!!

لكن هم يقرءون القرآن، وقد يقرءونه بالقراءات السبع أو العشر، ويجودونه، ولكنهم لا يفقهون معناه، هذه المشكلة.

القرآن ليس مجرد أنه يُقرأ فقط، ويجود، القرآن لابد أن يتدبر، لابد أن يعرف معناه، تفسيره، لابد أن يعمل به، لا يقرأ للبركة فقط، أو يقرأ للاستشفاء من المرض به في الرقية، لا يقرأ لذلك، يقرأ للتدبر والعمل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها)**، مما يبطل الشرك من أصوله لمن يتأمل، القرآن مملوء من مثل هذه البراهين، لكن أين الذي يتأمل؟!!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته)**، يقولون: القرآن إنما لأمم مضت وانتهت وكفى، ويحكي الماضي. ولا يدرون أن القرآن للناس إلى أن تقوم الساعة، ليس مؤقتًا بوقت فقط، وقت نزول القرآن، لا، كل من بلغه القرآن؛ ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، من بلغه القرآن، قامت عليه الحجة إذا كان يفهم لغة القرآن. فيظنون أن القرآن لأناس مضوا، وانتهوا وقت نزول القرآن فقط، والقرآن للناس إلى يوم القيامة، للماضين وللحاضرين وقت النزول، وللآتيين من بعدهم إلى أن تقوم الساعة، القرآن للجميع ليس للذين مضوا فقط.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وتضمنه له)**، تضمنه للواقع الذي عليه الناس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويظنونه في نوع وقوم قد خَلوا من قبلُ)**، مضوا فقط، يظنون أنه للمشركين الذين نزل القرآن في وقتهم، والقرآن يخاطب بني آدم منذ نزوله إلى أن تقوم الساعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولم يُعقبوا وارثًا)**، هؤلاء القوم الذين مضوا وهلكوا أنهم لم يعقبوا وراثًا، بل أعقبوا ورثة كثيرين على أثرهم، وعلى منهجهم، لم ينقطع شرهم.

فيظنون أن هذا في قوم مضوا، ولم يعقبوا وارثًا، مع أن المشركين أعقبوا مشركين، وأعقبوا منافقين، وأعقبوا ملاحدة، فلهم خلف؛ كما أن للصالحين خلف فللأشرار خلف.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن)**، الغفلة تحول بين القلب وفهم القرآن، يكون مجرد تلاوة على اللسان، وصوت حسن

وتجويد، لكن تدبر؟ ليس هناك تدبر، هذه المشكلة. فيظن أن القرآن لقوم مضوا وانتهوا، لا يخاطب الذي يقرؤه، والذي يسمعه، والذي يتعلمه. بل يخاطب الجميع، القرآن يخاطبك أنت، وأنت تتلو القرآن الله جَلَّوَعَلَا يخاطبك بهذا القرآن الذي أنت تقرؤه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولعمر الله، إن كان أولئك قد خلوا، فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك)**، يقول ابن القيم: (لعمر الله)، يقسم -هذا يمين- إن هؤلاء لم ينقطعوا، بل خلفهم قوم من جنسهم أو شر منهم، فالقرآن يعنيهم، ويعني من بعدهم إلى أن تقوم الساعة.

يقول ابن القيم: (إن كان أولئك قد خلوا)، يعني: مضوا وهلكوا، فإنه خلفهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، إنما لم ينقطع دابرهم، وتنتهي مشكلتهم. والقرآن لا ينتهي إلا بقيام الساعة، حجة على الخلق إلى أن تقوم الساعة وتنتهي الدنيا؛ يرفع القرآن في آخر الزمان، يرفع من صدور الرجال، ومن المصاحف عند قيام الساعة(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك)**، لمن سبقوا، تناول القرآن لمن يأتي كتناوله لمن سبق.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الدارمي في سننه (٤/ ٢١٠٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٦٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٤٥، ٧/ ٥٠٥)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٤١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٩٩): عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: «لَيُسْرَيَنَّ عَلَى الْقُرْآنِ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَلَا يُتْرَكُ آيَةٌ فِي مُصْحَفٍ، وَلَا فِي قَلْبِ أَحَدٍ إِلَّا رُفِعَتْ».

....

ش: ثم قال: ومن أنواعه -أي: الشرك- طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم، وهذا أصل شرك العالم؛ فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عَمَّنِ استغاث به، وسأله أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببًا لإذنه، وإنما السبب كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن أنواعه -أي: الشرك- طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم)، من أنواع الشرك: طلب الحوائج من الموتى، الموتى لا يقدرون على شيء، ولا يطلب من الإنسان الحي ولا الميت ما لا يقدر عليه، إنما يطلب من الإنسان ما يقدر عليه، الميت لا يقدر على شيء، والحي يقدر على بعض الأمور، ولا يقدر على أكثر الأمور، هذه المصيبة، طلب الحوائج من الموتى، هذا هو الذي كثر في الناس الآن.

يوم أن كان حيًّا وأنت تعرف أنه عاجز وأنه فقير، فلما أن مات، تقول: إنه يقدر على قضاء الحوائج، ويقدر على ما تطلبه منه، هذا من العجائب!!

أنت حي تتحرك تذهب وتتصرف، وهو ميت هامد لا يقدر على شيء، مرتهن بعمله، كيف تطلب منه؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا أصل شرك العالم)**، طلب الحوائج من الأموات، والاستغاثة بهم هو أصل شرك العالم من قوم نوح، ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:٢٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عمن استغاث به)**، هو مشغول بنفسه، مرتهن بعمله. فالميت لا يملك لنفسه شيئًا، «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ**»[(١)] -أو- «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ**»[(٢)]، فلا يعمل لنفسه ولا لغيره، ولا يملك شيئًا، ولا يملك لغيره شيئًا؛ فقير، مرتهن، محبوس، الحي أحسن حالًا من الميت، الحي يقدر أن يذهب ويأتي، ويقدر أن يبذل الأسباب، ويقدر أن يطلب الرزق، ويطلب أن يتعلم العلم، يقدر يصلي، يقدر يصوم، يقدر يتعبد، يقدر ما دام على قيد الحياة، خلاف الميت؛ فلا يقدر على شيء، ومع هذا يلجأ الحي إلى الميت، انعكست الأمور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه)**، لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، وهو لم يأذن لهؤلاء بالشفاعة التي تطلب منهم؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾، يعني: الملائكة، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]: لمن رضي الله عنه من المؤمنين، المشرك ليس فيه

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٠٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٩١).

شفاعة، يدعو غير الله، ليس له شفاعة حتى يتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ويترك الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببًا لإذنه، وإنما السبب كمال التوحيد)**، **الله** جَلَّوَعَلَا لم يجعل الشرك به والكفر سببًا لإذنه بالشفاعة، ليس بسبب هذا، إنما سبب الشفاعة: التوحيد والإيمان، فلم يجعل استغاثته بالمخلوق وسؤال المخلوق سببًا **لإذن الله** جَلَّوَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنما السبب كمال التوحيد)**، الشفاعة إنما تنال بكمال التوحيد؛ فالموحد هو الذي ترجى له الشفاعة يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن)**، وهو الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها)**، استعان لحاجته بما يمنع حصولها، وهو الشرك، استعان على قضاء حاجته بالشرك، هذا يمنع حصولها، لكن هذا لعمى بصيرته.

....

ش: وهذه حالة كل مشرك، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص؛ إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم! وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده، فجرد حبه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله، وقصده لله، متبعًا لأمره، متطلبًا لمرضاته، إذا سأل، سأل الله، وإذا استعان، استعان بالله، وإذا عمل، عمل لله، فهو لله، وبالله، ومع الله. انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ(1).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنما السبب كمال التوحيد)**، الشفاعة إنما تنال بكمال التوحيد؛ فالموحد هو الذي ترجى له الشفاعة يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه حالة كل مشرك، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه)**، وتغيير دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومعاداة أهل التوحيد)**، كل هذه مصائب، من يدعوهم

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٥١-٣٥٤).

إلى الله، ويأمرهم بالتوحيد يعادونه ويكفرونه، ويقولون: هذا متشدد، إلى آخر ما يقولون، هذا شيء تسمعونه الآن.

ماذا حصل للدعاة إلى الله من اللوم ومن السب والشتم وهم أموات؟ فيلحقهم أذى هؤلاء وهم أموات.

الدعاة إلى الله والأئمة الذين دعوا إلى الله الآن يسبونهم، ويصفونهم بالأوصاف الشنيعة، لا لشيء إلا لأنهم أخلصوا الدين لله، ودعوا إلى الله على بصيرة، ونصحوا لله ولرسوله، ولأئمة المسلمين ولعامتهم.

فهم جمعوا بين الشرك بالمعبود -وهو الله- وتغيير دينه؛ لأن دين الله هو التوحيد، وهؤلاء يجعلون الشرك هو دين الله، وعادوا من يدعوهم إلى الله وإلى عبادة الله، يعادون الدعاة إلى الله.

الدعاة الذين يدعون إلى التوحيد، ليسوا أي دعاة، لا، الدعاة الذين يدعون إلى التوحيد، وإخلاص العبادة، وإصلاح العقيدة، هؤلاء هم الدعاة على الحقيقة، دعوة الرسل هكذا، الرسل كلهم أول ما يبدءون يقولون: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، أول ما يقول المرسل لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات)**، هؤلاء القبوريون ينسبون من ينكر عبادة الأموات بأنه تنقصهم، يقولون: الأموات لهم قدر، ولهم حق، ولهم مكانة، وأنت تتنقصهم؛ تقول: لا يملكون شيئًا، ولا يغيثون من استغاث بهم، هذا تنقص للأموات بزعم هؤلاء. هذا ليس تنقصًا

للأموات، هذا بيان للحقيقة. التنقص للأموات؛ يقولون: أنت تتنقص الأولياء والصالحين. بل أنت الذي تتنقص الأولياء والصالحين؛ حيث إنك تطلب منهم ما لا يقدرون عليه، ولا يحصل لك هذا، فأنت الذي تتنقصهم، أما نحن فنؤمن بمكانتهم، وندعو لهم، ونترحم عليهم، ونقتدي بهم، لكن لا نتعلق بهم، إنما نتعلق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهم لهم أعمالهم، وأنت لك عملك، أعمالهم لا تنفعك، صلاحهم لا ينفعك، لا ينفعك إلا عملك وصلاحك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك)**، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية: إنكم تقولون: أنتم تنقصتم الأموات، ونحن نقول لكم: أنتم تنقصتم الله؛ حيث أشركتم به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأيهما أشد: الذي يتنقص الأموات، أو الذي يتنقص الله جَلَّ وَعَلَا؟!

هم يقولون: أنتم تنكرون دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وهذا تنقص للأموات. نقول لهم: وأنتم تنقصتم الله عَزَّوَجَلَّ؛ حيث أشركتم به، فأي التنقصين أعظم: تنقص المخلوق -بزعمكم- أم تنقص الخالق؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم)**، وتنقص الدعاة إلى الله وإلى التوحيد بذم الدعاة، وتنقص الدعاة، وأنهم لا يفهمون، وأنهم متشددون، وأنهم يكفرون الناس ... إلى آخره.

الموحدون الذين يدعون إلى التوحيد كم تسمعون من سبهم وذمهم عند هؤلاء في الكتب وفي المحاضرات وفي الإذاعات وفي المجالس.

هم يكفرون من كفره الله ورسوله، ويعلنون هذا، إنما الممنوع أن تكفر من لا يدل على كفره آية ولا حديث، وهؤلاء يدل القرآن كله على أنهم مشركون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومعاداتهم)**، يعادون الدعاة إلى التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص)**، وتنقصوا حتى من يزعمون أنهم يعظمونهم من الأولياء والصالحين ويدعونهم، تنقصوهم لأنهم يطلبون منهم ما لا يملكون، وينزلونهم منزلة لم يبلغوها، أنزلوهم منزلة الله، طلبوا منهم الحوائج وقضاء الحاجات، فأي تنقص أعظم من هذا؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا)**، أبدًا الأموات لا يرضون بهذا، الأموات الصالحون، أما الأموات الوثنيون، فكلٌّ واحد عندهم، لكن الأموات الصالحين الذين ماتوا وهم صالحون لا يرضون بهذا، لا يرضون أن أحدًا يشركهم مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد كانوا يجاهدون على هذا يوم أن كانوا أحياء، كانوا يجاهدون وينكرون على من فعله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنهم أمروهم به)**، هذه -أيضًا- مصيبة، أمروهم به، أين أمروهم به؟ ولا حرف واحد يدل على أن واحدًا من أهل التوحيد وأهل الإيمان أمر بعبادته مع الله.

نقول لهم: أنتم الذين تنقصتم الأولياء والصالحين؛ حيث إنكم تطلبون منهم ما لا يقدرون عليه، ولا يرضون به -أيضًا-، لا يرضون أن أحدًا يدعوهم، ويستغيث بهم، لا يرضون بهذا، أنتم الذين تنقصتموهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان)**، بلا شك أن هؤلاء القبوريين الذين يعبدون القبور والأموات هم أعداء الرسل؛ لأن الرسل جاءوا بالتوحيد، وهؤلاء جاءوا بالشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما أكثر المستجيبين لهم!)**، هذه المصيبة: الذين يستجيبون لهم أكثر من الذين يستجيبون لأهل التوحيد؛ يرغبونهم، يقولون: تقضى حاجاتهم، وهذا توقير للصالحين وتعظيم لهم، ولكم أجر في هذا، فيروجون هذا على الأغرار والجهال، فيصدقونهم ويتبعونهم على هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما نجا من شَرَكِ هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله)**، الشَّرَك: هو الشبكة التي تنصب للطيور وتصيدها، لا ينجو من هذه الشبكة الشركية إلا من أخلص توحيده ودينه لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعادى المشركين في الله)**، عادى المشركين في الله، لا يعاديهم من أجل الدنيا، لا، يعادي في الله؛ «**الْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِيهِ هُوَ أَوْثَقُ عُرَى الإِسْلَامِ**»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتقرب بمقتهم إلى الله)**، بغضهم يعني، بغض المشركين، وهذا واجب، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠/ ٤٤٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٠)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٠٣)، والروياني في مسنده (١/ ٢٧٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٧٥): عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوْثَقُ عُرَى الْإِسْلَامِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ**».

﴿عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة:٢٢]، لا يوالي أعداء الله وإن كانوا أقاربه.

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ تبرأ من أبيه؛ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة:١١٤]، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده)**، هذا هو المسلم الذي اتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده، أما الذي اتخذ الأولياء والصالحين والأموات أولياءه ومعبوديه، فهذا مشرك مثل أبي جهل وأبي لهب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فجرد حبه لله)**، جرد، يعني: أخلص حبه لله، يحب الله محبة خالصة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وخوفه لله)**، لا يخاف إلا من الله، خوف العبادة، أما خوف الطبيعة وكون الإنسان يخاف السبع، يخاف العدو، فهذا خوف طبيعي ليس بعبادة.

أما خوف العبادة الذي يصرف معه شيئًا من أنواع الدعاء والتضرع إلى المخوف منه، هذا هو خوف العبادة، هذا خالص لله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ورجاءه لله)**، يعني: يرجو الله وحده، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧].

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦]: خوفًا من عقابه، وطمعًا في ثوابه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتوكله على الله)**، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾، هذا حصر: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]: لا تتوكلوا على غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واستعانته بالله)**، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واستغاثته بالله)**، في الاستغاثة فيما لايقدر عليه إلا الله، لا يستغيث بغير الله، أما الاستغاثة بشيء يقدر عليه المخلوق، فلا بأس؛ ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥]، فالاستغاثة بما يقدر عليه المخلوق لا بأس، أما الاستغاثة بما لا يقدر عليه المخلوق، هذه لاتكون إلا بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(متبعًا لأمره، متطلبًا لمرضاته)**، متبعًا لأمره: لما شرعه، طالبًا لمرضاته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إذا سأل، سأل الله، وإذا استعان، استعان بالله، وإذا عمل، عمل لله، فهو لله، وبالله، ومع الله)**، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا -وهو غلام صغير-: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلْقَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٩، ٤٨٧، ٥/ ١٨)، والترمذي (٢٥١٦).

ش: وهذا الذي ذكره هذا الإمام في معنى الآية هو حقيقة دين الإسلام؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء:١٢٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا الذي ذكره هذا الإمام في معنى الآية هو حقيقة دين الإسلام)، هو حقيقة دين الإسلام: إخلاص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، إخلاص الرجاء والخوف لله هذا هو دين الله، هذه هي العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء:١٢٥])، ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾، يعني: أخلص العبادة لله، ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾، يعني: قصده، الوجه: المراد به القصد والنية.

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾: متبع للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا فيه اجتماع الأمرين: اجتماع صلاح العقيدة، واجتماع صلاح الاتباع للشرع، يعني: يجمع بين التوحيد واتباع الشريعة الإسلامية، ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [النساء:١٢٥].

قَالَ أَبُو العَبَّاسِ: نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَنفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ، أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا للهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ؛ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]. فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ، لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: «ارْفَعْ رَأْسَك، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ أَبُو العَبَّاسِ)، أبو العباس، يعني: ابن تيمية، وهو ليس له ولد اسمه العباس، ولم يتزوج رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لكن يكنى أبا العباس، يكنى الإنسان، وهو ليس له أولاد، يكنى، يقال له: أبو فلان، ولو ليس له أولاد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ، أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ)، ملكٌ مستقل، أو قسط من الملك، شركة يعني، يعني في هذه الآية: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ:٢٢]، إلى آخر الآية.

يقول الشيخ: نفي الله في هذه الآية جميع ما يتعلق به المشركون، انتبهوا!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨])، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، ﴿لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾، ملك لله، تطلب من الله.

---

(١) حديث الشفاعة سبق تخريجه (ص٥١٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: «ارْفَعْ رَأْسَك، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»**)، هذا في يوم القيامة، إذا حُشِرَ الناس، وقاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة، وهم واقفون حفاة عراة غرلًا، تدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق، خمسين ألف سنة، وهم واقفون. فيقولون: اذهبوا إلى من يشفع لكم عند الله؛ ليريحكم من هذا الموقف، فيذهبون إلى آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أبي البشر، يطلبون منه أن يشفع لهم عند الله أن يخلصهم من هذا الموقف، فيقول: اذهبوا أنا، يعني: يذكر ما فعله من الأكل من الشجرة التي نُهِي عنها، اذهبوا إلى فلان، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إلى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيقول: اذهبوا إلى موسى، يأتون إلى موسى، فيقول: اذهبوا إلى عيسى، فيذهبون إلى عيسى، فيقول: اذهبوا إلى محمد، فيذهبون إلى محمد.

فيقول: «**أَنَا لَهَا**» عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لكنه لا يطلب الشفاعة على الفور، بل يسجد بين يدي الله، يأتي ويسجد بين يدي الله، ويدعو الله إلى أن يقال له: «**يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ**»، يؤذن له بالشفاعة، «**يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»[1]، فيسأل الله الشفاعة في أهل الموقف أن يريحهم من الموقف وطوله، وهذا هو المقام الذي ذكره الله في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ

---

(١) حديث الشفاعة سبق تخريجه (ص٥١٢).

نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩]، الشفاعة العظمى هذه هي المقام المحمود، يحمده عليه الأولون والآخرون(١).

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (١٥/ ٤٢٧- ٤٢٨، ٤٥٨، ١٦/ ٤٨٩)، والترمذي (٣١٣٧): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩]، قَالَ: «**هُوَ المَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ لِأُمَّتِي فِيهِ**».

وكما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٧١٨)، عَنْ آدَمَ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ المَقَامَ المَحْمُودَ».

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»(١)، فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ. وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الإِخْلَاصِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ؛ لِيُكْرِمَهُ وَيَنَالَ المَقَامَ المَحْمُودَ.

فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا القُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالإِخْلَاصِ. انْتَهَى كَلَامُهُ(٢).

ش: قوله: (قَالَ أَبُو العَبَّاسِ)، هذه كنية شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني إمام المسلمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... إلى آخره)، هذا الحديث رواه البخاري والنسائي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣).

ورواه أحمد وصححه ابن حبان، وفيه: «وَشَفَاعَتِي لِمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ»(٤).

وشاهده في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٢٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٧٧-٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٥٩).

(٤) أخرجه أحمد (١٣/ ٤٣٢)، وابن حبان (١٤/ ٣٨٤).

دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِك؟»)**، يقول أبو هريرة -يسأل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِك»**: من الذي يحصل على الشفاعة منك يا رسول الله؟ فيقول: **«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»**، هذا أسعد الناس، أخلص التوحيد، قال: «لا إله إلا الله»، ولم يكتف بقوله: «لا إله إلا الله»، بل خالصًا من قلبه؛ لأن هناك من يقولون: «لا إله إلا الله» مئات الآلاف ولا ينتفعون منها،؛ لأنها ليست خالصة، يقولون: «لا إله إلا الله»، ويقولون: يا الولي فلان اقض حاجتي، يا فلان، وهم يقولون: «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)**، بهذا الشرط، وفي الحديث الآخر: **«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ»**(٢)؛ لأن هناك من يقول: «لا إله إلا الله»، ولكنه لا يكفر بما يعبد من دون الله، من عباد القبور يقولون: «لا إله إلا الله» الليل والنهار، لكن يقولون: يا فلان، يا علان، يا كذا ويا كذا من الأولياء والصالحين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَحَقِيقَتُهُ)**، حقيقة الشفاعة، ما هي؟ انتبهوا! لمعنى الشفاعة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٤) مختصرًا، وأخرجه مسلم (١٩٩) بلفظه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣)، من أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنَّهَا لَا تَكُوْنُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيْدِ وَالإِخْلَاصِ**)، الشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة.

الشفاعة المثبتة: ما توافر فيها شرطان: إذن الله للشافع أن يشفع، ورضاؤه عن المشفوع فيه، هذا شرط الشفاعة المثبتة.

الشفاعة المنفية: هي التي تطلب من غير الله سبحانه؛ من الأموات، من الأولياء والصالحين إلى آخره، من الأشجار والأحجار والأصنام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: (قَالَ أَبُو العَبَّاسِ)، هذه كنية شيخ الإسلام**)، يشرح كلام المؤلف، فالمؤلف قال: قال أبو العباس، الشارح صاحب فتح المجيد يبين لنا من هو أبو العباس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني**)، الحراني نسبة إلى حران في بلاد الشام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ورواه أحمد وصححه ابن حبان، وفيه: «وَشَفَاعَتِي لِمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ»**)، بهذا القيد، ليس من قال: «لا إله إلا الله» فقط،؛ لأن الذين يقولون: «لا إله إلا الله» كثيرون، لكن لابد أن يكون مخلصًا من قلبه بهذه الكلمة، لا يقولها مجرد تلفظ أو تقليد، إنما يقولها مخلصًا، عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عن أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**)، كل نبي أعطاه الله دعوة يستجيبها له،

كل نبي استعجل دعوته وطلب من الله عَزَّوَجَلَّ، فأعطى له إلا نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد اختبأها شفاعة لقومه يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا)**، تنال المؤمنين، عصاة الموحدين، عصاة المؤمنين تناهم شفاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد يشفع لهم قبل أن يدخلوا النار؛ فلا يدخلوها، يشفع لهم إذا دخلوا النار أن يُخرجوا منها، ويخرجهم الله بشفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني: من عصاة الموحدين، أما من دخل النار وهو من المشركين من الكفار، هذا لا يخرج منها أبدًا، ولا يقبل فيه شفاعة.

....

ش: وقد ساق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام شيخ الإسلام هنا، فقام مقام الشرح والتفسير لما في هذا الباب من الآيات، وهو كاف واف بتحقيق مع الإيجاز. والله أعلم.

وقد عرف الإخلاص بتعريف حسن، فقال: الإخلاص: محبة الله وحده وإرادة وجهه[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد ساق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام شيخ الإسلام هنا، فقام مقام الشرح والتفسير لما في هذا الباب من الآيات)، كلام شيخ الإسلام يشرح ما في هذا الباب من الآيات التي ساقها المؤلف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد عرف الإخلاص بتعريف حسن)، «خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»، ما هو الإخلاص؟ محبة الله وحده وإرادة وجهه.

---

(١) انظر: النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٢٩١).

....

ش: وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **تأمل هذا الحديث، كيف جعل الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم، فقلب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع.**

ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه وليًا أو شفيعًا أنه يشفع له، وينفعه عند الله؛ كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع من والاهم، ولم يعلموا أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضى قوله وعمله؛ كما قال في الفصل الأول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، **وفي الفصل الثاني: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾** [الأنبياء:٢٨] **وبقي فصل ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من عقلها ووعاها. اهـ**[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: تأمل هذا الحديث، كيف جعل الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد)، تجريد التوحيد، يعني: إخلاص التوحيد.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٤٩- ٣٥٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم)**، يظنون أنهم ينالون شفاعة الله بعبادة الأولياء والصالحين يشركون بالله، ويطمعون بالشفاعة من الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع)**، يشفع في الموحدين الذين عندهم ذنوب دون الشرك استوجبوا بها دخول النار، فيشفع لهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويشفع لهم غير الرسول من الأولياء والصالحين إذا أذن الله لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه وليًّا أو شفيعًا أنه يشفع له، وينفعه عند الله)**، ولو لم يأذن الله له بذلك، يزعم أنه يشفع عند الله ولو لم يأذن الله له بذلك، ولو لم يرض الله عن هذا الشافع الذي اتخذه هذا المشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع من والاهم)**، الملوك والرؤساء يقبلون الشفاعة ولو لم يرضوا بها؛ لأجل تألف الوزراء، وتألف الأعوان، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فليس بحاجة إلى أحد، لا يقبل الشفاعة إلا بإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإلا الملوك يقبلون الشفاعة ولو لم يرضوا بها؛ يُرغمون على قبولها؛ تألفًا لوزراءهم ولوجهائهم؛ لأنهم بحاجة إليهم، أما الله جَلَّ وَعَلَا، ليس بحاجة إلى أحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضى قوله وعمله)**، من رضي الله قوله وعمله، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، أي:

ارتضى الله قوله: النطق بالشهادتين، وعمله: وهو عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا شريك له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال في الفصل الأول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥])**، الفصل الأول، يعني: الشرط الأول للشفاعة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، هذا شرط الإذن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الفصل الثاني)**، يعني: الشرط الثاني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨])**، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، يعني: في عصاة الموحدين، أما المشرك فلا تنفعه شفاعة الشافعين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبقى فصل ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، هذا العمل الذي قبله الله: توحيده واتباع رسوله؛ ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: هذا التوحيد ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة:١١٢]، أي: متبع للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

....

ش: وذكر أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الشفاعة ستة أنواع:

الأول: الشفاعة الكبرى، التي يتأخر عنها أولو العزم عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى تنتهي إليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول: «أَنَا لَهَا»، وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم؛ حتى يريحهم من مقامهم في الموقف(١). وهذه شفاعة يختص بها، لا يشركه فيها أحد.

الثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخولها، وقد ذكرها أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل المتفق عليه(٢).

الثالث: شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفع لهم أن لا يدخلوها.

الرابع: شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم(٣)، والأحاديث بها متواترة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة، وبدَّعوا من أنكرها، وصاحوا به من كل جانب، ونادوا عليه بالضلال.

الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم، وهذه مما لم ينازع فيها أحد(٤).

---

(١) حديث الشفاعة سبق تخريجه (ص٥١٢).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢-٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤)، وفيه: «فَيَخْرُجُونَ من النَّارِ قد امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عليهم مَاءُ الحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كما تَنْبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ».

(٤) انظر: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته (٣/ ٣١٣- ٣١٤)، قال: =

وكلها مختصة بأهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله وليًّا ولا شفيعًا؛ كما قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام:٥١].

السادس: شفاعته في بعض أهل الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه، وهذه خاصة بأبي طالب وحده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذكر أيضًا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أن الشفاعة ستة أنواع)**، الشفاعة ستة أنواع مذكورة في كتب التوحيد، أولها: الشفاعة العظمى في أهل الموقف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأول: الشفاعة الكبرى، التي يتأخر عنها أولو العزم** عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ**)**، آدم وإبراهيم وموسى وعيسى عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حتى تنتهي إليه** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ**)**، هو الخامس من أولي العزم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه شفاعة يختص بها لا يشركه فيها أحد)**، يختص بها نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، لا يشاركه فيها أحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخولها)**، إذا جاءوها لا يدخلونها مباشرة، مغلقة فيستفتحها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فيؤذن له بدخولها،

= والنوع الثاني: شفاعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لقوم من المؤمنين في زيادة الثواب ورفعة الدرجات، وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لأبي سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وقوله: «**اللهم اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ**». وقوله في حديث أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ**».

ويؤذن لأمته، يكون أول من يدخلها محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأمته، هذه الشفاعة الثانية في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة، وبدَّعوا من أنكرها**)، لم ينكرها إلا الجهمية، الجهمية يقولون: من دخل النار، لا يخرج منها -والعياذ بالله! حكموا على أنفسهم؛ لأنهم هم أولى من يدخل النار -والعياذ بالله-، الجهمية هم حكموا على أنفسهم أنهم لا يخرجون منها.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**وصاحوا به من كل جانب، ونادوا عليه بالضلال**)، أهل السنة والجماعة بدعوا من أنكر الشفاعة.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم، وهذه مما لم ينازع فيها أحد**)، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور:٢١]، يعني: يلحق الله الذرية الذين في منزلة تحت منزلة آبائهم يلحقهم الله بآبائهم، فيكونون مع آبائهم في منزلتهم؛ إكرامًا للآباء.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾، يعني: لم ننقصهم، ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور:٢١].

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**كما قال تعالى**: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام:٥١])، ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾، يعني: بالقرآن.

﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟﴾: يوم القيامة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾: يتولى أمرهم، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: يشفع لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السادس: شفاعته في بعض أهل الكفار من أهل النار)**، في أبي طالب، هذه خاصة بأبي طالب يشفع فيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخفف عنه العذاب فيكون في ضحضاح من النار[1] في مقابل إحسانه إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحمايته له من قومه، ومدافعته عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٨٨٥، ٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: **«لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ»**.

فيهِ مسائلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَاتِ.

الثَّانِيَةُ: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ الْمَنْفِيَّةِ.

الثَّالِثَةُ: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ الْمُثْبَتَةِ.

الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ الشَّفَاعَةِ الْكُبْرَى، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ.

الْخَامِسَةُ: صِفَةُ مَا يَفْعَلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَأَنَّهُ لا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا، بَلْ يَسْجُدُ، فَإِذَا أَذِنَ اللهُ لَهُ شَفَعَ.**

السَّادِسَةُ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهَا؟

السَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ.

الثَّامِنَةُ: بَيَانُ حَقِيقَتِهَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فِيهِ مَسَائِلُ**)، في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ الآيَاتِ**)؛ المذكورة في الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ المَنْفِيَّةِ**)، الشفاعة المنفية: هي الشفاعة في أهل الشرك والكفر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ المُثْبَتَةِ**)، الشفاعة المثبتة: هي الشفاعة في أهل التوحيد والإخلاص.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ الشَّفَاعَةِ الكُبْرَى، وَهِيَ المَقَامُ المَحْمُوْدُ**)، الشفاعة الكبرى في أهل الموقف، وهي المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: صِفَةُ مَا يَفْعَلُهُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ **وَأَنَّـهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ، بَلْ يَسْجُدُ، فَإِذَا أُذِنَ لَهُ شَفَعَ)**، صفة ما يفعله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا جاء إلى ربه يسأله أن يخفف عن أهل الموقف، وأن يريحهم من الموقف، لا يشفع على الفور، بل يسجد بين يدي ربه حتى يأذن له بالشفاعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةُ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهَا؟)**، من أسعد الناس بشفاعة الرسول؟ أجاب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»، هذا أسعد الناس بشفاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَكُوْنُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ)**، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّامِنَةُ: بَيَانُ حَقِيْقَتِهَا)**، حقيقة الشفاعة: أنها دعاء الله جَلَّ وَعَلَا أن يرحم عبده المشفوع فيه، أن يقضي حوائج المحتاجين ... إلى آخره.

١٧ - بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦].

ش: سبب نزول هذه الآية: موت أبي طالب على ملة عبد المطلب؛ كما يأتي بيان ذلك في حديث الباب.

قال ابن كثير: ﴿ إِنَّكَ ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾، أَيْ: لَيْسَ إِلَيْكَ ذَلِكَ، إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَلَهُ الحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ وَالحُجَّةُ الدَّامِغَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة:٢٧٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣][(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ: قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦])**، هذا الباب في بيان أن الهداية بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا أحد يملكها، يعني هداية القلوب.

الهداية على قسمين:

القسم الأول: هداية الدلالة والإرشاد، وهذه نحن مأمورون بها؛ أن نهدي الناس؛ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]، يعني: تدل وترشد إلى الصراط المستقيم. وكل من دعا إلى الإسلام عن بصيرة وعلم،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٤٦).

فإنه يهدي إلى الإسلام، بمعنى يدل عليه ويرشد ويبين، هذه هداية الدلالة والإرشاد يملكها المخلوق.

القسم الثاني: هداية القلوب والقبول، فهذه بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ونحن إنما أمرنا بالنوع الأول؛ أن ندل ونرشد الناس إلى الحق، وإلى الصراط المستقيم، وندعوهم إلى التوحيد، وإخلاص العبادة لله، ونكون قد أدينا ما علينا.

وأما النوع الثاني: وهو استجابتهم وقبولهم، فهذا بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو لا يضع هذه الهداية إلا لمن يستحقها، ويعلم أنه يقوم بها، هذا التفصيل في هذه المسألة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ: قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦])، أي: باب بيان هذه الآية: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص:٥٦].

وسبب نزول الآية: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حريصًا على هداية عمه أبي طالب؛ لما قدمه أبو طالب من حماية الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدفاع عنه، وكف أذى المشركين عنه طول حياته، إلا أن الله لم يمنَّ عليه بقبول الحق؛ لأنه يخاف أن يجر على قومه ذمًا من باب حمية الجاهلية، أخذته حمية الجاهلية.

جاءه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في النزع -نزع الموت-، جاءه وهو في حالة الموت؛ يدعوه إلى الله، لم ييأس الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال له: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، من حرصه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه.

وكان عنده اثنان من المشركين من قريش، فقالا له: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فأعاد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه، وقال: «**يَا عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، فقالا: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فقال أبو طالب آخر كلمة: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حرصه عليه وشفقته عليه قال: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»(١). فنزلت الآية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦]، فاقتنع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال ابن كثير: ﴿إِنَّكَ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أَيْ: لَيْسَ إِلَيْكَ ذَلِكَ، إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ)**، فهداية الدلالة والإرشاد يقوم بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، يعني: تدل وترشد وتدعو ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥٢، ٥٣].

وأما النوع الثاني: وهو هداية القلوب، فهذه بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ الرسول أدى ما عليه، وقام بالواجب الذي أوجبه الله عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٧٢])**، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب أن يجمع أموالًا؛ ليفرقها على المشركين ليدعوهم إلى الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢)، ومسلم (٢٤)، من حديث سَعِيدِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ.

فالله جَلَّوَعَلَا قال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٧٢]، هذه هداية القلوب، هذه بيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهو أعلم سبحانه بمن يستحق هذه الهداية، فلا يضعها إلا في من يستحقها، وهو أهلٌ لها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣])، يقول الله لرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾: على إيمانهم وهدايتهم ما هم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأن الله لم يوفقهم، فأنت أديت ما عليك، والله جَلَّوَعَلَا يعلم من يصلح لهذه الهداية، فيضعها فيه.

....

ش: قلتُ: والمَنفِيُّ هُنا هِدايةُ التوفيقِ والقبولِ، فإن أمر ذلك إلى الله، وهو القادر عليه. وأما الهداية المذكورة في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢]، **فإنها هداية الدلالة والبيان، فهو المبين عن الله، والدال على دينه وشرعه.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلتُ: والمَنفِيُّ هُنا هِدايةُ)**، (قلت)، أي: الشارح، هذا النوع الثاني من الهداية، وهو هداية القلوب والقبول، هذا من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، هذا ليس إلينا، نحن لم نكلف بهذا، إنما نحن كلفنا بالنوع الأول، وهو الدلالة والإرشاد والدعوة إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمَنفِيُّ هُنا هِدايةُ التوفيقِ والقبولِ)**، المنفي بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص:٥٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما الهداية المذكورة في قول الله -تعالى-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾** [الشورى:٥٢]، **فإنها هداية الدلالة والبيان)**، فإذا قيل لك: الله جَلَّ وَعَلَا في آية أثبت الهداية للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢]، وفي آية نفاها عنه، بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص:٥٦]، فما الجمع بينهما؟

نقول: المنفية هي هداية القلوب وهداية التوفيق، هذه بيد الله، والهداية المثبتة للرسول هي هداية الدلالة والإرشاد.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ؛ جَاءَهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ -وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ-، فَقَالَ لَهُ: (يَا عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ، فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ وَأَبَى أَنْ يَقُوْلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ». فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣]، وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦]»(١).

ش: قوله: (في الصَّحيحِ)، أي: في الصحيحين.

و(ابْنِ الْمُسَيَّبِ): هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمر ابن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين. اتفق أهل الحديث على أن مراسيله أصح المراسيل.

وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه. مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين.

وأبوه المسيب صحابي، بقي إلى خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك جده حزن، صحابي استشهد باليمامة(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢، ٦٦٨١)، ومسلم (٢٤).

(٢) انظر في ترجمة سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٧)، وتاريخ الإسلام (٢/ ١١٠٣)، وإكمال تهذيب الكمال (٥/ ٣٥١)، والأعلام للزركلي (٣/ ١٠٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ)**، عن ابن المسيب، يعني: سعيد بن المسيب، من قريش، من صميم ومن أكابر التابعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنْ أَبِيهِ)**، عن أبيه: المسيب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ)**، هذا مشرك من المشركين، وأبو جهل: اثنان من المشركين، حضرة سيئة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟)**، **(فقالا له)**؛ الكافران المشركان.

عبد المطلب: هو أبو أبي طالب، عبد المطلب بن هاشم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ **فَأَعَادَا)**، أعاد عليه الرسول: «**قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فأعادا الرجلان قولهما: «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟»، فأخذته الحمية الجاهلية، فقال: «هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، ومات على ذلك -والعياذ بالله!

كان في حال صحته يقول في شعره:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا

لَوْلَا المَلَامَةُ -انظر الجاهلية.

لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارُ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا[(١)]

يخاف على قومه أنهم يذمون.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ١١١)، ولسان العرب (٥/ ١٤٤)، والبداية والنهاية (٣/ ٥٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٩٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَكَانَ آخَرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؛ وَأَبَى أَنْ يَقُوْلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**)، وقال في لاميته المشهورة -لامية أبي طالب-:

فــواللهِ لــولا أنْ أجــيءَ بسُبَّةٍ ... تُجَرُّ على أشياخنا في المحافلِ

لكُنَّـا اتَّـبَـعْـنَـاهُ عـلـى كـلِّ حالَةٍ ... مِنَ الدهرِجِدًّا غيرَقولِ التهازلِ(١)

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»)، كان حريصًا عليه؛ لأنه كان يدافع عنه ويحميه من أذى قومه ويأويه، له -يعني- يد عند الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع أنه عمه -أيضًا-، فاجتمع بذلك أنه عمه، وأن له يدًا عنده ومنَّة عليه، فأراد أن يكافئه عليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَأَنْزَلَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣] **وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ**: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص:٥٦])، في الآية الأولى عامة لكل المشركين: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ ﴾؛ فلا يجوز للمسلم أن يستغفر للمشرك إذا مات على شركه، لا يجوز له ذلك، إنما الاستغفار لأهل الإيمان وأهل التوحيد؛ ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر:١٠]، ﴿ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾، تستغفر لهم، وأما الكفار فلا نستغفر لهم، ولو كانوا أقارب لنا، ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٠)، والروض الأنف (٣/ ٦٨)، وتاريخ الإسلام (١/ ٥٦٣)، والبداية والنهاية (٣/ ٧٤).

وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «في الصَّحيحِ»، أي: في الصحيحين)**، في الصحيح، يعني: في الحديث الصحيح؛ لأنه رواه الشيخان: البخاري ومسلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(و«ابْنِ المُسَيَّبِ»: هو سعيد بن المسيب)**، سعيد بن المسيب من كبار التابعين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(اتفق أهل الحديث على أن مراسيله أصح المراسيل)**، مراسيل ابن المسيب من أصح المراسيل؛ لأنه يرسل عن أبي هريرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأبوه المسيب صحابي، بقي إلى خلافة عثمان** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**)**، ابن المسيب تابعي، وأبوه صحابي.

....

ش: قوله: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ»، أي: علاماتها ومقدماتها.

قوله: «جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، يحتمل أن يكون المسيب حضر مع الاثنين، فإنهما من بني مخزوم، وهو أيضًا مخزومي، وكان الثلاثة إذ ذاك كفارًا، فقُتِلَ أبو جهل على كفره، وأسلم الآخران.

قوله: «يَا عَمِّ»: منادي مضاف يجوز فيه إثبات الياء وحذفها، حذفت الياء هنا، وبقيت الكسرة دليلًا عليها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «يَا عَمِّ»: منادي مضاف يجوز فيه إثبات الياء وحذفها)، يا عمَّ، أو يا عمي بإثبات الياء، جائزة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (حذفت الياء هنا، وبقيت الكسرة دليلًا عليها)، حذفت الياء تخفيفًا، وبقيت الكسرة، (يا عمِّ) بكسر الميم دليلًا على الياء المحذوفة.

....

ش: قوله: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، أمره أن يقولها؛ لعلم أبي طالب بما دلت عليه من نفى الشرك بالله وإخلاص العبادة له وحده؛ فإن من قالها بعلم ويقين، فقد برىء من الشرك والمشركين، ودخل في الإسلام؛ لأنهم يعلمون ما دلت عليه، وفي ذلك الوقت لم يكن بمكة إلا مسلم أو كافر، فلا يقولها إلا من ترك الشرك، وبرىء منه.

ولما هاجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه إلى المدينة، كان فيها المسلمون الموحدون، والمنافقون الذين يقولونها بألسنتهم، وهم يعرفون معناها، لكن لا يعتقدونه؛ لما في قلوبهم من العداوة والشك والريب، فهم مع المسلمين بظاهر الأعمال دون الباطن.

وفيها اليهود، وقد أقرهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما هاجر، ووادعهم بأن لا يخونوه، ولا يظاهروا عليه عدوًّا؛ كما هو مذكور في كتب الحديث والسير.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فإن من قالها بعلم ويقين، فقد برىء من الشرك والمشركين، ودخل في الإسلام؛ لأنهم يعلمون ما دلت عليه)؛ لأنهم عرب فصحاء، يعلمون معنى «لا إله إلا الله»، وما دلت عليه.

ولهذا لما قال لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا»**(١)،

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٢٧).

قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥]، فهم فهموا أن من قال: «لا إله إلا الله»، فإنه حصر الألوهية في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وعباد القبور لا يتنبهون لهذا؛ يقولون: «لا إله إلا الله» بآلاف المرات، وهم يقولون: يا علي، يا حسين، يا عبد القادر، لا يفهمون معنى «لا إله إلا الله»، وما تدل عليه، يحسبونها كلمة تقال باللسان فقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي ذلك الوقت لم يكن بمكة إلا مسلم أو كافر)**، ليس فيها منافقون، النفاق إنما كان في المدينة لما قوي الإسلام، وكان هناك قوم خافوا على أنفسهم وعلى أموالهم، وهم لا يحبون الإسلام، أظهروا الإسلام تقية، فأسلموا في الظاهر، وهؤلاء هم المنافقون، والرسول قبل منهم؛ لأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم ما في القلوب، وإنما يعتمد على الظاهر فقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي ذلك الوقت لم يكن بمكة إلا مسلم أو كافر)**، يعني: ليس فيها منافق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمنافقون الذين يقولونها بألسنتهم، وهم يعرفون معناها، لكن لا يعتقدونه؛ لما في قلوبهم من العداوة والشك والريب، فهم مع المسلمين بظاهر الأعمال دون الباطن)**، يقولونها، يصلون مع المسلمين، ويجاهدون مع المسلمين؛ لأجل أن يعيشوا مع المسلمين فقط، اتخذوها تقية، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس له إلا الظاهر، أما ما في القلوب، فهو إلى الله، يقبل منهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيها اليهود، وقد أقرهم رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لما هاجر، ووادعهم بأن لا يخونوه ولا يظاهروا عليه عدوًّا)**، في المدينة: اليهود من بني قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، ثلاث قبائل من اليهود مستوطنون من الأصل، الرسول أبقاهم فيها، وعقد معهم العهد.

....

ش: **قوله: «كَلِمَةً»، قال القرطبي: بالنصب على أنه بدل من لا إله إلى الله، ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف**(١).

قوله: «أُحاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»: هو بتشديد الجيم من المحاجة، وفيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها في تلك الحال معتقدًا ما دلت عليه مطابقة من النفي والإثبات، لنفعته.

قوله: «فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟»، ذكراه الحجة الملعونة التي يحتج بها المشركون على المرسلين؛ كقول فرعون لموسى: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه:٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «أُحاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»: هو بتشديد الجيم من المحاجة، وفيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم)**، فلو قالها معتقدًا لمعناها، لمات على الإسلام؛ لأنه خُتِمَ له بذلك، الأعمال بالخواتيم، فلو أسلم الكافر، ثم قُتِلَ أو مات ولم يتمكن من العمل فهو مسلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لأنه لو قالها في تلك الحال معتقدًا ما دلت عليه مطابقة من النفي والإثبات، لنفعته)**، النفي: «لا إله»، والإثبات: «إلا الله»، نفت

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ١٩٣).

الألوهية عما سوى الله، وأثبتتها لله سبحانه، هذه كلمة الإخلاص، كلمة التوحيد، كلمة التقوى، العروة الوثقى هي «لا إله إلا الله».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله تعالى**: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣])، ﴿**عَلَىٰٓ أُمَّةٖ**﴾، يعني: على قدوة في آبائهم الذين مضوا من المشركين، ﴿**وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ**﴾ [الزخرف:٢٢]، نسأل الله العافية!

....

ش: قوله: «فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَأَعَادَا» فيه: معرفتهما لمعنى لا إله إلا الله؛ لأنهما عرفا أن أبا طالب لو قالها، لتبرأ من ملة عبد المطلب؛ فإن ملة عبد المطلب هي الشرك بالله في إلهيته، وأما الربوبية، فقد أقروا بها؛ كما تقدم.

وقد قال عبد المطلب لأبرهة: أَنَا رَبُّ الإبلِ، والبيتُ لَهُ رَبٌّ يَمْنَعَهُ مِنْكَ[1].

وهذه المقالة منهما عند قول النبي ﷺ لعمه: (قل: لا إله إلا الله) استكبارًا عن العمل بمدلولها؛ كما قال الله تعالى عنهما وعن أمثالهما من أولئك المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٥، ٣٦]، فرد عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَأَعَادَا »)، لحرصه ﷺ أعاد عليه؛ فأعادا المشركان عليه: «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟».

انظر! يعرفون أنه لو قالها، لتبرأ من دين عبد المطلب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن ملة عبد المطلب هي الشرك بالله في إلهيته، وأما الربوبية، فقد أقروا بها؛ كما تقدم)، المشركون مقرون بتوحيد الربوبية، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٥٠)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٦٣٥)، والروض الأنف (١/ ٢٦١).

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٦، ٨٧]، فهم مقرون بتوحيد الربوبية، وإنما أنكروا توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد قال عبد المطلب لأبرهة: أنا رَبُّ الإبلِ، والبيتُ لَهُ رَبٌّ يَمْنَعَهُ مِنْكَ**)، لما جاء ملك الحبشة بجيوش وفيل عظيم؛ يريد هدم الكعبة، ووصل إلى مكة، وصل إلى المغمس، بَرَكَ الفيل، كلما وجهوه إلى غير الكعبة قام يهرول، وإذا وجهوه إلى الكعبة بَرَكَ، حبسه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فصادف أن إبلًا لعبد المطلب جد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مائة من الإبل أخذوها، أخذها قوم أبرهة، فذهب إليه عبد المطلب ليطالب بالإبل، قال له: أنا كنت أظن أن لك مكانة وقدرًا وشرفًا، أجئت تسأل الإبل، وأنا أريد هدم بيت الذي هو عزك وعز آبائك؟ ولكن الآن لم يصر لك عندي مقام. يعني: نزلت درجتك عندي، تطالب بالإبل ولا تطالب ببقاء البيت؟! قال: أنا رب الإبل -صاحب الإبل- وللبيت ربٌّ يحميه، فصارت هذه الكلمة مثلًا يقال في المناسبات: أنا رب الإبل -يعني صاحبها-، وللبيت ربٌّ يحميه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال الله تعالى عنهما وعن أمثالهما من أولئك المشركين:** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات:٣٥، ٣٦])، المشركون يعرفون معنى «لا إله إلا الله»، ولذلك أبوا أن يقولوها.

وأما المنافقون، وأما عباد القبور، فهم يقولونها ولا يعرفون معناها، يقولون: «لا إله إلا الله»، ثم يقولون: يا علي، يا حسين، يا عبد القادر، يا فلان، يا فلان، وهم يقولون: «لا إله إلا الله»، أين «لا إله إلا الله»؟! لا يفهمونها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فرد عليهم بقوله:** ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات:٣٧])، هذا الذي جاء به المرسلون قبل محمد، فهو جاء بما جاء به المرسلون، وهو «لا إله إلا الله».

....

ش: **فبين -تعالى- أن استكبارهم عن قول: «لا إله إلا الله» لدلالتها على نفي عبادتهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله؛ فإن دلالة هذه الكلمة على نفي ذلك دلالة تضمن، ودلالتها عليه وعلى الإخلاص دلالة مطابقة.**

ومن حكمة الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام ليبين لعباده أن ذلك إليه، وهو القادر عليه دون من سواه، فلو كان عند النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -الذي هو أفضل خلقه- من هداية القلوب، وتفريج الكروب، ومغفرة الذنوب، والنجاة من العذاب، ونحو ذلك شيء، لكان أحق الناس بذلك وأولاهم به عمه، الذي كان يحوطه، ويحميه، وينصره، ويؤويه، فسبحان من بَهَرت حكمته العقول، وأَرشد العباد إلى ما يدلهم على معرفته وتوحيده، وإخلاص العمل له وتجريده!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فبين تعالى أن استكبارهم عن قول: لا إله إلا الله؛ لدلالتها على نفي عبادتهم الآلهة)**، لاحظ! فهموا معناها، وهم مشركون، ولذلك أبوا أن يقولوها، عباد القبور يقولونها بالآلاف، ولكن يعبدون القبور، فهم لم يفهموا معنى «لا إله إلا الله»، جمعوا بين الشرك وقول: «لا إله إلا الله»، متضادات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن دلالة هذه الكلمة على نفي ذلك دلالة تضمن، ودلالتها عليه وعلى الإخلاص دلالة مطابقة)**، لأن الدلالات ثلاثة أنواع، الدلالات ثلاث: دلالة مطابقة، ودلالة تضمن، ودلالة التزام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن حكمة الرب** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام ليبين لعباده أن ذلك إليه، وهو القادر عليه دون من سواه)**، الحكمة: أن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، ونحن لا نملك هداية القلوب، وإنما نملك هداية الدلالة والإرشاد فقط.

فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع حرصه على هداية أبي طالب لم يستطع أن يهدي قلبه، وإنما طلب منه أن يقولها، وهذ مهمة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا»**[1].

لا يملك الرسل إلا أن يدعو إلى «لا إله إلا الله»، من يستجب فقد هداه الله، ومن لم يستجب فقد أضله الله؛ ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن ﴾: هذا تهديد وليس تخييرًا، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ ﴾: الذين كفروا، ﴿لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف:٢٩]، إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف:٣٠]، فمن قبل الهداية، فله الأجر، ومن رفض الهداية فله جهنم -والعياذ بالله!

بعض الناس -خصوصًا الصحفيين والجهال- يقولون: إن الله خير بين الكفر والإيمان، يقولون: الله خير حرية العقيدة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٢٧).

نقول لك: هذا ليس تخييرًا، هذا تهديد، ولهذا جاء بعدها: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين لم يقبلوا الإسلام، ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:٢٩، ٣٠]، فالله بيَّن جزاء الفريقين، لم يخير، وإنما هذا من باب التهديد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلو كان عند النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **-الذي هو أفضل خلقه- من هداية القلوب، وتفريج الكروب، ومغفرة الذنوب، والنجاة من العذاب، ونحو ذلك شيء، لكان أحق الناس بذلك وأولاهم به عمه)**، ومع هذا لم يملك له الرسول الهداية -هداية القلب-؛ لأنها بيد الله، والله حكيم عليم، لايضع الهداية إلا فيمن يستحقها، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

ش: قوله: «فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ»، الأحسن فيه الرفع على أنه اسم كان، وجملة (هو) وما بعدها الخبر.

قوله: «هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، الظاهر أن أبا طالب قال: (أنا)، فغيره الراوى؛ استقباحًا للفظ المذكور، وهو من التصرفات الحسنة، قاله الحافظ(١).

قوله: «وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، قال الحافظ: هذا تأكيد من الراوى في نفي وقوع ذلك من أبي طالب(٢).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه، ومضرة أصحاب السوء على الإنسان، ومضرة تعظيم الأسلاف، أي: إذا زاد على المشروع، بحيث تجعل أقوالهم حجة يرجع إليها عند التنازع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، الظاهر أن أبا طالب قال: «أنا» فغيره الراوى استقباحًا للفظ المذكور)، يعني: ظاهر السياق أنه قال: أنا على ملة عبد المطلب. لكن الراوي كره أن يقول: «أنا»، فقال: «هو»، بدل «أنا»، هذا من الراوي؛ كراهية من أن يقول: «أنا»، فيفهم أن هذا ينصرف إلى المتكلم، وهو يحكي عن أبي طالب.

---

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ٥٠٧).
(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٥٠٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قاله الحافظ)**: الحافظ ابن حجر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». قال الحافظ: هذا تأكيد من الراوى في نفي وقوع ذلك من أبي طالب)**، هذا فيه رد على الرافضة(١)، الآن يسمون أبا طالب مؤمن قريش، ألفوا كتابًا يسمونه بمؤمن قريش: أبي طالب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومضرة أصحاب السوء على الإنسان)**، فيه: مضرة أصحاب السوء؛ لأن لولا هؤلاء الحضرة من المشركين عند أبي طالب وهو يحتضر، لتقبل من الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومضرة تعظيم الأسلاف)**، ومضرة تعظيم الأسلاف إذا كانوا على غير هدى، نحن لا نعظمهم، نحن لا نعظم المشركين ولا الكفار، ولو كانوا من قبيلتنا ومن آبائنا وأجدادنا.

---

(١) هي فرقة من فرق الشيعة الضالة، سموا (رافضة) لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ويقال: سموا بالروافض؛ لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خرج على هشام بن عبد الملك، فطعن عسكره على أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فمنعهم من ذلك فرفضوه، فقال لهم زيد بن علي: رفضتموني؟ قالوا: نعم، فبقي عليهم هذا الاسم. وهم يدعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. انظر: مقالات الإسلاميين (ص١٦ وما بعدها)، والفرق بين الفرق (ص١٥)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٥٢).

....

ش: **قوله: «فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»**(١).

قال النووي: وفيه جواز الحلف من غير استحلاف. وكان الحلف هنا لتأكيد العزم على الاستغفار؛ تطييبًا لنفس أبي طالب. وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبل الهجرة بقليل. قال ابن فارس: مات أبو طالب ولرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يومًا، وتوفيت خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد موت أبي طالب بثمانية أيام(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»)**، حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي طالب في حياته وبعد موته؛ ردًّا للمعروف، وردًّا للجميل الذي كان من أبي طالب على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصلة الرحم أيضًا؛ لأنه عمه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال النووي: وفيه جواز الحلف من غير استحلاف)**؛ «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ**»؛ لأن اللام موطئة للقسم، لقسم محذوف تقديره: والله لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ.

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٦٣).

(٢) قال النووي: (وَتُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ) انظر: شرح النووي على مسلم (١/ ٢١٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبل الهجرة بقليل)**، وفاة أبي طالب ووفاة خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في عام واحد، وكانا يناصران الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أبو طالب وخديجة زوج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماتا في عام واحد، فضاق الأمر على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ تسلط عليه كفار قريش بمكة، وسمى هذا العام عام الحزن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتوفيت خديجة أم المؤمنين** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **بعد موت أبي طالب بثمانية أيام)**، في عام واحد.

....

ش: قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة:١١٣]، الآية. أي: ما ينبغي لهم ذلك. وهو خبر بمعنى النهي.

والظاهر أن هذه الآية نزلت في أبي طالب. فإن الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله: فأنزل الله بعد قوله: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»(١) يفيد ذلك(٢).

وقد ذكر العلماء لنزول هذه الآية أسبابًا أخر، فلا منافاة؛ لأن أسباب النزول قد تتعدد.

قال الحافظ: أما نزول الآية الثانية، فواضح في قصة أبي طالب، وأما نزول الآية التي قبلها، ففيه نظر، ويظهر أن المراد أن الآية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد أبي طالب بمدة، وهي عامة في حقه وحق غيره، ويوضح ذلك ما يأتي في التفسير، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة:١١٣] الآية، ونزل في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص:٥٦]، كله ظاهر في أنه مات على غير الإسلام، ويضعف ما ذكره السهيلي أنه رأى في بعض كتب المسعودي أنه أسلم(٣)؛ لأن مثل ذلك لا يعارض ما في الصحيح. انتهى(٤).

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٦٣).
(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (١/ ٢١٥).
(٣) انظر: الروض الأنف (٤/ ٢٩).
(٤) انظر: فتح الباري (٧/ ١٩٥).

وفيه: تحريم الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبتهم؛ لأنه إذا حرم الاستغفار لهم، فموالاتهم ومحبتهم أولى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله:** ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣]، **الآية. أي: ما ينبغي لهم ذلك**)، لا يناسبهم هذا، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾: لا يناسب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا المؤمنين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله:** ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣]، **الآية. أي: ما ينبغي لهم ذلك**)، لا يجوز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد ذكر العلماء لنزول هذه الآية أسبابًا أخر، فلا منافاة؛ لأن أسباب النزول قد تتعدد**)، هذا سبب من أسبابها، وقد يتعدد سبب النزول، قد تنزل الآية لأسباب كثيرة، لا مانع من ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال الحافظ**)، الحافظ ابن حجر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويظهر أن المراد أن الآية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد أبي طالب بمدة، وهي عامة في حقه وحق غيره**)، ﴿أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣]. أبي طالب وغيره.

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾ [المجادلة:٢٢]، البراءة من المشركين واجبة، ولو كانوا أقارب، ولو كان والديك،

تبرأ من دينهما، لكن يبر بهما ﴿مَعْرُوفًا﴾، معروفًا، يعني: مقابلة معروفهما في الحياة؛ حيث سهرا عليه وتعبا عليه، فيكافئهما بالبر مع تبريه من دينهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾** [القصص:٥٦])، الهداية بيد الله؛ هداية القلوب والتوفيق.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦]، هل يؤخذ من هذا أن الرسول يحب أبا طالب وهو مشرك؟ لا، ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويضعف ما ذكره السهيلي)**، السهيلي: هذا شارح السيرة النبوية، وشرحه موجود.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أنه رأى في بعض كتب المسعودى أنه أسلم)**، المسعودي: هذا شيعي، فيه تشيع ولا يقبل كلامه، تاريخه موجود -أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: تحريم الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبتهم؛ لأنه إذا حرم الاستغفار لهم، فموالاتهم ومحبتهم أولى)**، بلا شك، الواجب البراءة منهم؛ ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ الآيَةَ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآيَةَ.

الثَّالِثَةُ -وَهِيَ المَسْأَلَةُ الكَبِيْرَةُ-: تَفْسِيْرُ قَوْلِهِ: «قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ يَعْرِفُوْنَ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا قَالَ لِلرَّجُلِ قُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ فَقَبَّحَ اللَّهُ مَنْ أَبُو جَهْلٍ أَعْلَمُ مِنْهُ بِأَصْلِ الإِسْلَامِ.

الخَامِسَةُ: جِدُّهُ ﷺ وَمُبَالَغَتُهُ فِي إِسْلَامِ عَمِّهِ.

السَّادِسَةُ: الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ إِسْلَامَ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَأَسْلَافِهِ.

السَّابِعَةُ: كَوْنُهُ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ؛ بَلْ نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ.

الثَّامِنَةُ: مَضَرَّةُ أَصْحَابِ السُّوءِ عَلَى الإِنْسَانِ.

التَّاسِعَةُ: مَضَرَّةُ تَعْظِيمِ الأَسْلَافِ وَالأَكَابِرِ.

العَاشِرَةُ: الشُّبْهَةُ لِلْمُبْطِلِيْنَ فِي ذَلِكَ؛ لِاسْتِدْلَالِ أَبِي جَهْلٍ بِذَلِكَ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الشَّاهِدُ لِكَوْنِ الأَعْمَالِ بِالخَوَاتِيمِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَهَا، لَنَفَعَتْهُ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: التَّأَمُّلُ فِي كِبَرِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ فِي قُلُوبِ الضَّالِّينَ؛ لِأَنَّ فِي القِصَّةِ أَنَّهُمْ لَمْ يُجَادِلُوْهُ إِلَّا بِهَا -مَعَ مُبَالَغَتِهِ ﷺ وَتَكْرِيرِهِ-، فَلِأَجْلِ عَظَمَتِهَا وَوُضُوحِهَا عِنْدَهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَيْهَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ)، في الباب مسائل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الأُوْلَى: تَفْسِيْرُقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ الآيَـةَ)، وأنها في أبي طالب، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾، أنها في أبي طالب عم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي حرص الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هدايته، لكنه لم يقبل؛ حمية لدين قومه، ولهذا يقول:

وَلَـقَـدْ عَـلِـمْـتُ بِـأَنَّ دِيـنَ مُـحَـمَّـدٍ ... مِـنْ خَـيْـرِ أَدْيَـانِ الْـبَـرِيَّـةِ دِيـنَـا

لَـوْلَا الْـمَـلَامَـةُ أَوْ حِـذَارُ مَـسَـبَّـةٍ ... لَـوَجَـدْتَـنِـي سَـمْـحًـا بِـذَاكَ مُـبِـيـنَـا

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآيَةَ)، ﴿ مَا كَانَ ﴾: لا ينبغي للنبي ولا يليق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الأُوْلَى: تَفْسِيْرُقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ الآيَةَ)، تفسيرها: أن الرسول حرص على هداية عمه أبي طالب، وأن يموت على كلمة التوحيد، ومع هذا لم يستطع الرسول ذلك؛ لأن هذا بيد الله، ليس بيد الرسول.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآيَةَ)، أن المراد: منع أن المسلم يستغفر للمشرك، ولو كان قريبًا له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: وَهِيَ المَسْأَلَةُ الكَبِيْرَةُ، تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: (قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ)، من يدعي العلم: أن مجرد

قول: «لا إله إلا الله» يكفي، وهذا لا يكفي حتى يقولها عارفًا لمعناها، معتقدًا لمقتضاها، وهو بطلان عبادة غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ يَعْرِفُوْنَ مُرَادَ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، أن أبا جهل ومن معه من المشركين يعرفون مراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول: «لا إله إلا الله»، أنه ليس مجرد لفظ، وإنما لفظ مع اعتقاد ما دلت ما عليه، والعمل بمقتضاها، ليست مجرد كلمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ يَعْرِفُوْنَ مُرَادَ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذَا قَالَ لِلرَّجُلِ قُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»)**، أنه لا يريد مجرد اللفظ، وإنما يريد مجرد قولها باللسان مع اعتقاد ما دلت عليه والعمل بمقتنضاها، وإلا لا تنفعه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَقَبَّحَ اللهُ مَنْ أَبُو جَهْلٍ أَعْلَمُ مِنْهُ بِأَصْلِ الإِسْلَامِ)**، ممن يقولون: «لا إله إلا الله»، وهم لا يعرفون معناها، ولا يعملون بمقتضاها.

هم يقولون: «لا إله إلا الله»، ثم يقولون: يا علي، يا حسين، يا عبد القادر، يا بدوي، يا فلان من أصحاب القبور. أين «لا إله إلا الله»؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: جِدُّهُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَمُبَالَغَتُهُ فِي إِسْلَامِ عَمِّهِ)**، حرصه على إسلام عمه، وهذا من قبيل رد المعروف، ورد الجميل، والوفاء مع أهل المعروف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةُ: الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ إِسْلَامَ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَأَسْلَافِهِ)** من كفار قريش؛ لأن هناك من يقول: إن سلالة النسب التي فيها الرسول

كلهم موحدون، كلهم مسلمون من آدم وإبراهيم إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
وهذا غلط، ليس كلهم مسلمين، فيهم كفار، فيهم مشركون.

يقولون: لا يليق أن الرسول يبعث من سلالة فيهم شرك، ولذلك يقولون: كل سلالة نسب الرسول كلهم مسلمون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(السَّابِعَةُ: كَوْنُهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **اسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يُغْفِرْ لَهُ؛ بَلْ نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ)**، قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»[1]، نُهي عن الاستغفار له؛ ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣]، ماتوا على الكفر، وما داموا ماتوا على الكفر، لا يجوز الاستغفار لهم والدعاء لهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الثَّامِنَةُ: مَضَرَّةُ أَصْحَابِ السُّوءِ عَلَى الإِنْسَانِ)**، هذه الحضرة التي عند أبي طالب هي التي صرفته عن قبول قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُلْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، قالوا: «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟»، فكرروا عليه، فقال: «هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، بسبب هذه الحضرة القبيحة من أبي جهل ومن معه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(التَّاسِعَةُ: مَضَرَّةُ تَعْظِيمِ الأَسْلَافِ وَالأَكَابِرِ)**، إذا كانوا على غير دين الإسلام، فلا يجوز تعظيمهم، ولا يجوز تعظيم الكفار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(العَاشِرَةُ: الشُّبْهَةُ لِلْمُبْطِلِيْنَ فِي ذَلِكَ؛ لِاسْتِدْلَالِ أَبِي جَهْلٍ بِذَلِكَ)**، قوله: «عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»؛ أنه متبع لأبيه عبد المطلب.

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٦٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الشَّاهِدُ لِكَوْنِ الأَعْمَالِ بِالخَوَاتِيْمِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَهَا لَنَفَعَتْهُ**)، مع أنه عاش مشركًا، فلو قالها معتقدًا لها، لمات على التوحيد؛ لأن الأعمال بالخواتيم، فلو أسلم الكافر، ثم قُتِلَ في الحال، أو أنه مات في الحال، لكان من أهل الإسلام، خُتِمَ له بكلمة التوحيد، لكنه لم يتمكن من العمل، ولهذا في بعض الغزوات لما لحق أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ واحدًا من المشركين ليقتله، رفع عليه السيف، قال الرجل: لا إله إلا الله. فقتله أسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وذكر ذلك للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأنكر عليه: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: «**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟**»[(١)]، «**فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**»[(٢)]، وما زال يكررها على أسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حتى ندم أسامة أشد الندامة على ما فعل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: التَّأَمُّلُ فِي كِبَرِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ فِي قُلُوْبِ الضَّالِّيْنَ؛ لِأَنَّ فِي القِصَّةِ أَنَّهُمْ لَمْ يُجَادِلُوْهُ إِلَّا بِهَا -مَعَ مُبَالَغَتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكْرِيرِهِ- فَلِأَجْلِ عَظَمَتِهَا وَوُضُوحِهَا عِنْدَهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَيْهَا**)، تحتاج إلى تأمل.

في هذا الباب، وهو باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص:٥٦]، وما حصل منه مع عمه أبي طالب من حرصه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يموت على «لا إله إلا الله»؛ ليحاج له بها عند الله، ولكن الحضرة السيئة من المشركين عنده قالوا: «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩، ٦٨٧٢)، ومسلم -واللفظ له- (٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧).

لاحظ! يفهمون معنى «لا إله إلا الله»، يفهمون أنه لو قالها لترك ملة عبد المطلب، وترك الشرك، فهي نافية للشرك، ومع هذا يقولها الكثير الآن من الذين يدعون الإسلام والزهد، يقولونها بالآلاف، وهم يدعون غير الله، يدعون غير الله، وهم يقولون: «لا إله إلا الله»، أين ذهبت «لا إله إلا الله»؟!

هي ليست مجرد لفظ يقال، ولكن لها معنى ولها مقتضى، فمعناها: لا معبود بحق إلا الله، مقتضاها: ترك ما يعبد من دون الله، وعبادة الله وحده لا شريك له.

فهم يفهمون هذا، ولهذا قالوا له: «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟»، عندهم أنه إذا قال: «لا إله إلا الله»، ترك ملة عبد المطلب وهي الشرك.

ومع هذا ممن يدعون الإسلام -وهم كثير- يقولون: «لا إله إلا الله»، ولا يتركون الشرك، بل يدعون الأولياء والصالحين والموتى، ويتعبدون عند قبورهم، وهم يقولون: «لا إله إلا الله»، فأين ذهبت «لا إله إلا الله»؟!

هل هي مجرد لفظ؟ هي كلمة الإخلاص، بمعنى أن من قالها مخلصًا من قلبه دخل في الإسلام، ومن مات عليها، دخل عليها، فهي كلمة عظيمة، ليست مجرد لفظ يقال باللسان، لابد من معرفة معناها، وبعد معرفة معناها لابد من العمل بمقتضاها، وهو ترك عبادة غير الله، وإفراد الله جَلَّ وَعَلَا بالعبادة دون ما سواه، هذه مسألة عظيمة ينبغي فقهها ومعرفتها.

هم مشركون، ومع هذا لما قال له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، قالوا: «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟»، فدل على أن من قالها، فإنه لابد أن يترك الشرك، ويخلص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، انتبهوا لهذا.

١٨ - بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفرِ بني آدمَ وَتَرْكِهِمْ دينَهم هُوَ الغُلُوُّ فِي الصَّالحِينَ

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفرِ بني آدمَ وَتَرْكِهِمْ دينَهم هُوَ الغُلُوُّ في الصَّالِحِينَ).

قوله: (وَتَرْكِهِمْ) بالجر عطفًا على المضاف إليه. وأراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيان ما يؤول إليه الغلو في الصالحين من الشرك بالله في الإلهية الذي هو أعظم ذنب عُصِي الله به، وهو ينافي التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص: شهادة أن لا إله إلى الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفرِ بني آدمَ وَتَرْكِهِمْ دينَهم هُوَ الغُلُوُّ في الصَّالِحِينَ)، سبب الشرك الذي وقع في بني آدم من قوم نوح إلى ما بعدهم هو الغلو في الصالحين الموتى، دعاؤهم من دون الله، طلب الحوائج منهم، وهذا غلو في الصالحين.

الصالحون بالمعنى الصحيح لهم حق علينا بالدعاء لهم، والاقتداء بهم، أما أننا نطلب منهم الحوائج، ونتخذهم آلهة مع الله، فهذا شرك أكبر يخرج من الملة، والغلو في الصالحين يجر إلى الشرك؛ كما حصل لقوم نوح لما غلو في الصالحين، وقالوا: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ [نوح:٢٣]، لما قال لهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، قالوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾: هذا رد لدعوة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح:٢٣]، هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، لما ماتوا حزنوا عليهم، فجاءهم الشيطان، فقال لهم: صوروا صورهم، وانصبوها على مجالسهم؛ من أجل إذا رأيتموها تتذكرون أحوالهم، فتنشطون على العبادة، ففعلوا ذلك. وكان فيهم علماء، مضى هذا الجيل، ما تجرأ الشيطان أن يأمرهم بعبادتهم؛ لأن فيهم علماء ينهون عن ذلك، فلما مات العلماء من قوم نوح، جاءهم مرة ثانية، قال لهم: إن آباءكم لم ينصبوا هذه الصور إلا ليعبدوها، وبها كانوا يسقون المطر، فصدقوه، ومن حين ذلك حدث الشرك في الأرض، أول ما حدث الشرك في الأرض. فبعث الله نبيهم نوحًا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يدعوهم إلى الرجوع إلى التوحيد، وإلى دين آدم الذي كانوا عليه، وهو التوحيد والعبادة لله، فتعصبوا، وقالوا: ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ﴾: لا تجيبوا نوحًا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ﴾(١): سموها آلهة، لاحظ! سموها آلهة، ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ﴾، ثم ذكروا أسماءهم: ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح:٢٣].

فهذا فيه أن الغلو في الصالحين يوقع في الشرك، والغلو في قبورهم هو سبب الشرك في القبور، الغلو في قبورهم وزيارتها لسؤال الحوائج، والعكوف عندها، والتبرك بها هو سبب الشرك.

نعم، الزيارة الشرعية للقبور: أن تزورها للسلام عليهم، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة هذا مشروع، وفيه أجر.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٣- ٣٠٤).

لكن زيارتها لأجل التبرك بها والتمسح بها، والأخذ من ترابها، والتبرك بها، والعكوف عندها -الجلوس عندها مدة طويلة-؛ كما يعكفون في المساجد لله عَزَّوَجَلَّ، هذا هو الذي أوقع بني آدم في الشرك، وهو الذي أوقع قوم نوح، وهو الذي يوقع الآن المعاصرين، إلا من رحم الله ممن عرف التوحيد وعمل به وتمسك به، وهم قليل في الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفرِ بني آدمَ وَتَرْكِهِمْ دينَهم هُوَ الغُلُوُّ في الصَّالِحِينَ)**، سبب، يعني: وسبب تركهم دينهم، فهو معطوف على المجرور بالإضافة، يأخذ حكمه، هذا من التوابع الأربعة، المعطوف على المجرور حكمه حكم المجرور في الإعراب يجر بتركهم دينهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأراد المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بيان ما يؤول إليه الغلو في الصالحين)**، الغلو في الصالحين يؤول إلى عبادتهم، الصالحون لهم حق الاقتداء بهم، والدعاء لهم ومحبتهم، لكن أننا نتبرك بقبورهم أو نتمسح بها، أو نعكف عندها، فهذا لا يجوز، هذا شرك، هذا حق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

اذهب إلى بيوت الله -المساجد-، واعكف فيها ما شئت من الاعتكاف، وادع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإنه قريب مجيب؛ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، قريب مجيب.

إن حصل مانع، فهو من قبلك أنت؛ لأنك لم تدع الله بإخلاص وبرغبة، وإنما لفظ يقال أو تقليد أو ما أشبه ذلك، هذا لا ينفع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأراد المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بيان ما يؤول إليه الغلو في الصالحين من الشرك بالله في الإلهية)**، هذا هو السبب، وهو الذي يؤول بأصحابه إلى الشرك.

الغلو: وهو الزيادة في مدحهم، الزيادة في محبتهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ، هذا هو الغلو، والغلو: هو الزيادة. يقال: غلا القدر إذا زاد الماء فيه وارتفع(١)، الغلو في القبور يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(من الشرك بالله في الإلهية الذي هو أعظم ذنب عُصِي الله به)**، أعظم ذنب عُصِي الله به، وأعظم ما نهى الله عنه هو الشرك؛ كما أن أعظم ما أمر الله به، وأعظم ما عُبِد الله به هو التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو ينافي التوحيد)**، الغلو في الصالحين والتبرك بهم ينافي التوحيد، يعني: يبطل التوحيد، ولا يجتمع هو وإياه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو ينافي التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص: شهادة أن لا إله إلا الله)**، أنها كلمة التوحيد، كلمة الإخلاص، العروة الوثقى هي «لا إله إلا الله»؛ ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]. والعروة الوثقى هي «لا إله إلا الله»، لكن معناها: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، تنبه لهذا، ليس مجرد لفظ يقال، وإذا عرفت معناه لا يكفي؛ لابد أن تعمل بمقتضاها، فتترك عبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) انظر: جمهرة اللغة (٢/ ٩٦١)، والغريبين في القرآن والحديث (٤/ ١٣٨٦)، والمحكم لابن سيده (٦/ ٥٧)، والإبانة في اللغة العربية (٣/ ٦٠٨)، ولسان العرب (١٥/ ١٣١-١٣٢).

وقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١].

ش: قوله: (وَقَوْلِ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١])، **الغلو هو: الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد، أي: لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله، فتنزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله. والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فإنه عام يتناول جميع الأمة؛ تحذيرًا لهم أن يفعلوا فعل النصارى في عيسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **واليهود في العزير؛ كما قال -تعالى-:** ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦]، **ولهذا قال النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ»**(١)، **ويأتي.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١])، النصارى غلوا في عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥، ٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١).

بعضهم قال: هو الله. قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٢].

وبعضهم قال: هو ابن الله، ليس هو الله، وإنما هو ابن الله. الله جَلَّوَعَلَا لم يتخذ ولدًا؛ لأن الولد شبيه بالوالد، شريك له، والله ليس له شبيه ولا شريك سبحانه.

فمنهم من قال: هو ابن الله. وهذا غلو، هو رسول الله، وليس ابن الله؛ هو ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء:١٧١]، وهي قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿كُن﴾؛ لأن عيسى وُلِد من دون أب، بالكلمة التي أرسل الله بها جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال الله له: ﴿كُن﴾، فكان بدون أب، والله على كل شيء قدير، ولهذا يسمى عيسى: كلمة الله؛ لأنه وُجِدَ بكلمة، بدون أب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الغلو هو: الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد)**، هو الإفراط، يعني: الزيادة في التعظيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أي: لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله)**، لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله؛ إن كان نبيًّا فهو نبي الله، هذه المنزلة التي أنزله الله فيها، وإن كان ملكًا من الملائكة فهو عبدٌ الله؛ لأن الملائكة عباد الله؛ ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢]، كلهم عباد لله، جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أكبر الملائكة وأفضلهم هو عبد الله، كل الملائكة عباد الله؛ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦]، أي: الملائكة عباد مكرمون عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فتنزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله**)، لا ترفعوا المخلوق عن المنزلة التي أنزله الله فيها إلى مرتبة الخالق؛ فتدعونه وتطلبون منه الحوائج، هذا لا يطلب إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذا في الأموات، فالأموات لا يطلب منهم حوائج ولا شيء، أما الأحياء، من الممكن أن تطلب منهم ما يقدرون عليه من الحوائج، أما الأموات، فلا يطلب منهم شيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فإنه عام يتناول جميع الأمة**)، والخطاب وإن كان لأهل الكتاب؛ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، يعني: النصارى، فهو عام لجميع المخلوقين.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء:١٧١]، فلا يجوز لنا أن نغلو في ديننا، يعني: نزيد في العبادة أو في الشخص نغلو فيه، نرفعه فوق منزلته، أو في العبادة، بل نقتدي بالرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

جاء ثلاثة نفر يحبون الخير إلى بيوت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يسألون زوجاته عن عبادة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ ليقتدوا به، فذكرت لهم زوجاته عبادته، فكأنهم تقالوها، لكن التمسوا العذر للرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقالوا: إنه قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يعني: فليس هو بحاجة إلى العمل، هكذا زين لهم الشيطان، «قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: **أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ**

إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١)، هذا الغلو في العبادة، لا يجوز الغلو في العبادة عن الحد المشروع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(تحذيرًا لهم أن يفعلوا فعل النصارى في عيسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ**)**، أن يفعلوا مع محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما فعل النصارى مع عيسى من الغلو؛ من رفعه من مكانته إلى مكانة يشركونه مع الله فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واليهود في العزير)**؛ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]، هذا غلو، وعُزَيْرٌ قيل: إنه نبي من أنبياء بني إسرائيل، وقيل: إنه عابد من بني إسرائيل، وعالم من علمائهم، غلوا في عُزَيْر، وقالوا: ابن الله؛ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]، فلا تتبعوهم في ذلك، وتقولوا: إن محمدًا له فضل يرفعه حتى يكون بمرتبة الله، فتدعونه من دون الله عَزَّ وَجَلَّ؛ ﴿لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [النساء:١٧١].

﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: نسبه إلى أمه؛ لأنه ليس له أب، وإنما وُجِد بالكلمة، قال الله له: «كن» فكان، ولذلك يسمى كلمة الله.

﴿لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يعني: أنه وُجِدَ بالروح التي أرسل الله بها جبريل، فنفخها في مريم، فحملت بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾: ينهى النصارى أن يقولوا: ثلاثة، يقولون: الله وعيسى وروح القدس، يقولون: الآلهة ثلاثة: الله، عيسى، روح القدس، وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾: تنزيه لله.

﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء:١٧١]: ليس بحاجة للولد، هو يملك السماوات والأرض ومن فيهن، فليس بحاجة -سبحانه- إلى الولد، غنيٌّ عن ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما قال -تعالى-**: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦]**)**، حذر الله هذه الأمة في سورة الحديد أن تقسو قلوبهم كما قست قلوبهم من قبلهم، فيؤول بهم ذلك إلى ترك عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وترك دعائه.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: ألم يحن للذين آمنوا.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: تخشع قلوبهم للقرآن كلام الله، ولاسم الله إذا ذُكِرَ، ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]، هكذا المؤمنون ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ خوفًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعني: النصارى.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾، وهو القرآن، ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾، يعني: تأخر بهم الوقت، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، ونسوا الله عَزَّوَجَلَّ، وحدث فيهم الشرك، ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦]، يعني: خارجون، الفسق: هو الخروج، ﴿فَٰسِقُونَ﴾، يعني: خارجون عن طاعة الله(١).

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦].

ثم قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، يعني: وإن قست قلوبكم فإن الله قادر على أن يحييها، لو ماتت القلوب، الله قادر على أن يحييها؛ ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد:١٧]، فلا تيأسوا، ولا تقنطوا، بل ارجعوا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله يحيي قلوبكم التي ماتت.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ٣١٥)، والصحاح (٤/ ١٥٣٤)، ومقاييس اللغة (٤/ ٥٠٢)، ولسان العرب (١٠/ ٣٠٨).

ذكر أهل السير: أن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ العابد المشهور كان مع قطاع الطريق، فسمع هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦]، فخشع قلبه لذكر الله، وترك قطع الطريق، وتاب إلى الله، تفرغ للعبادة، قال: «بلى، والله»، فترك مهنة قطع الطريق، وأقبل على عبادة الله، وأصبح من أفضل الصالحين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]، القرآن يحيي القلوب إذا أقبلت عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا قال النبي** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ»**[(٢)])، يقول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تُطْرُونِي»**، يعني: لا تغلوا في مدحي، فترفعوني فوق منزلتي.

لما قال له قومٌ: «أَنْتَ سَيِّدُنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا»، قال: **«لَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»**[(٣)]، يعني: لست ملكًا من الملائكة، وليس لي شركة في ملك الله سبحانه، إنما أنا رسول ومبلغ، **«إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ»**، قدم **«عَبْدُ اللهِ»** على **«رَسُولُهُ»**؛ **«إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ»**.

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية (١/ ٤٠)، وتاريخ دمشق (٤٨/ ٣٨٢)، والتدوين في أخبار قزوين (٤/ ٣٢- ٣٣)، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٨/ ٣٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٩٣).

(٣) سبق تخريجه (ص٢٩٣).

....

ش: فكل من دعا نبيًّا أو وليًّا من دون الله، فقد اتخذه إلهًا، وضاهأ النصارى في شركهم، وضاهأ اليهود في تفريطهم. فإن النصارى غلوا في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، واليهود عادوه وسبوه وتنقصوه. فالنصارى أفرطوا، واليهود فرطوا.

وقد قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥]، الآية، ففي هذه الآية وأمثالها الرد على اليهود والنصارى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فكل من دعا نبيًّا أو وليًّا من دون الله فقد اتخذه إلهًا**)، كل من دعا غير الله، فقد اتخذ هذا المدعو إلهًا، وأشرك بالله؛ لأن الدعاء أعظم أنواع العبادة، فإذا دعا غير الله، وقع في أعظم الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وضاهأ النصارى في شركهم**)، وضأها، يعني: شابه النصارى في شركهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وضاهأ اليهود في تفريطهم**)، اليهود مفرطون، يعني: متكاسلون، وعندهم علم، لكن ليس عندهم عمل، والنصارى على العكس عندهم عمل، وليس عندهم علم، ولهذا جاء في سورة الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وهم

اليهود الذين لم يعملوا بعلمهم، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦، ٧]، وهم النصارى الذين يعبدون الله على جهل وضلال، فيتقربون إلى الله بالبدع والمحدثات.

يقول بعض السلف: من فسد من علمائنا، ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبادنا، ففيه شبه من النصارى(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن النصارى غلوا في عيسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ**)**، غلوا، يعني: زادوا ورفعوه فوق منزلته، وقالوا: هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة -تعالى عما يقولون!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واليهود عادوه وسبوه وتنقصوه)**، اليهود عادوا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهموا بقتله، ولكن رفعه الله من بينهم وهم لا يشعرون، حاصروه في المكان الذي هو فيه، ولم يبق إلا أن ينفذوا قتله، فالله رفعه من بينهم؛ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧].

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهذا الصليب الذي يجعلونه هذا فرية وكذب، عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يصلب، رفعه الله من بين أيديهم وهم لا يشعرون، وسينزل في آخر الزمان، ونزوله من علامات الساعة، ويحكم بشريعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكون تابعًا لمحمد؛ لأنه بعد محمد لا يُبعث نبي، خاتم النبيين، فعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حينما ينزل يحكم بشريعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكون تابعًا لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية عن سفيان بن عيينة في مجموع الفتاوى (١/ ١٩٧، ١٣/ ١٠٠)، وفي اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٧٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالنصارى أفرطوا، واليهود فرطوا)**، النصارى أفرطوا، يعني: زادوا في حق المسيح، واليهود فرطوا في حق المسيح، وقالوا: إنه ولد بغي، ما دام ليس له أب من بني آدم، قالوا: إنه ولد بغي -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد قال تعالى:** ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥])، ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، ﴿مَّا﴾: هذه نافية ﴿إِلَّا رَسُولٌ﴾: ليس إلهًا، ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾: ليس بأول رسول، خلت من قبله رسل كثيرة من عهد نوح إلى عهد المسيح، لا يعلمهم إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو ليس ببدع من الرسل، إنما هو كغيره من الرسل.

﴿وَأُمُّهُۥ﴾: مريم ﴿صِدِّيقَةٌ﴾: الصديق هو الذي لا يكذب أبدًا، ومنه سُمِي أبو بكر: الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كثير الصدق، صدِّيق: هذه مبالغة، كثير الصدق(١).

ومرتبة الصدِّيقين بعد مرتبة الأنبياء؛ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء:٦٩]، فمرتبة الصدِّيقين تلي مرتبة الأنبياء في الفضل، أمه صدِّيقة من هذا النوع.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾، يعني: فهما بشر؛ لأن الذي يأكل الطعام هذا فقير يحتاج إلى الطعام، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فلا يحتاج إلى شيء، غنيٌّ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٨٢)، والإبانة في اللغة العربية (٣/ ٣٤١)، وشمس العلوم (٦/ ٣٦٩٤- ٣٦٩٥)، والتعريفات الفقهية (ص ١٢٨).

عن خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤]، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **غنيٌّ** عن الطعام، الطعام إنما يحتاجه الإنسان الفقير، وأما الله جَلَّ وَعَلَا، **فإنه غنيٌّ** عن الطعام، واحد أحد، فرد صمد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥]: هذا برهان على بطلان عبادة المسيح وأمه؛ أنهما ليس لهما من الربوبية؛ لأنهما يأكلان الطعام، والذي يأكل الطعام محتاج إلى الطعام، فقير، فكيف يكون إلهًا؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ففي هذه الآية وأمثالها الرد على اليهود والنصارى)**، الرد على اليهود والنصارى الذين اتخذوا عيسى، واتخذوا الأنبياء أربابًا من دون البشر، وهم بشر مخلوقون.

....

ش: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى، وغلا في الدين، بإفراط فيه أو تفريط، فقد شابههم.

قال: وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حرق الغالية من الرافضة، فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة، فقذفهم فيها. واتفق الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق. وهو قول أكثر العلماء[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى، وغلا في الدين، بإفراط فيه أو تفريط، فقد شابههم)**، النصارى غلوا وأفرطوا، واليهود تجافوا وفرطوا، فهم عندهم علم، لكن لايعملون به، تركوا العمل، وفسقوا عن طاعة الله -والعياذ بالله-، وهم يعلمون، ولم يعملوا بعلمهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال: وعلي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **حرق الغالية من الرافضة)**، علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما غلا الرافضة فيه، وقالوا: أنت الله، أنت هو. حفر الأخاديد لهم، وأضرم فيها النيران، وألقاهم فيها -والعياذ بالله-؛ غيرة على الدين وعلى التوحيد، هذا ما فعله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما غلوا فيه، وقالوا: أنت الله. لأن هناك من الشيعة من يقول: علي هو الله. تعالى الله عن ذلك!

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٠، ٣٩٤).

فالنصارى غلوا في المسيح، ورفعوه فوق منزلته، وقالوا: هو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، وأما اليهود فهم جفوا في حق المسيح وقالوا: إنه ولد بغي، وحاولوا قتله، فرفعه الله من بينهم وهم لا يشعرون.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]: أخذوا واحدًا وقع عليه شبه المسيح فقتلوه، قيل: إنه هو الذي دلهم على مكان المسيح، فألقى الله شبه المسيح عليه فقتلوه؛ عقوبة له؛ ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]، فهذا الصليب الذي ينصبونه ويزعمون أنه صورة المسيح وهو مصلوب، هذا كذب، هذا إنما دعاهم إليه يهودي ادعى النصرانية، ادعى متابعة المسيح وتورع، ثم دس عليهم هذه الفرية، وقال: هذا المسيح مصلوب، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال: وعلي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **حرق الغالية من الرافضة)**، وكان ابن عباس يوافقه على قتلهم، ولكن يقول: لو أنه قتلهم بالسيف، لكان أحسن؛ لأن النار لا يعذب بها إلا الله؛ كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٨٥)، وأحمد (٢٥/ ٤٢١، ٤٢٢)، وأبو داود (٢٦٧٣)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ١٠٥)، والطبراني في الكبير (٣/ ١٥٨، ١٦٠)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٢٢- ١٢٣): عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ، صَاحِبِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ وَرَهْطًا مَعَهُ، إِلَى رَجُلٍ مِنْ عُذْرَةَ، فَقَالَ: «**إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى فُلَانٍ، فَأَحْرِقُوهُ بِالنَّارِ**»، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا تَوَارَوْا مِنْهُ نَادَاهُمْ -أَوْ أَرْسَلَ فِي أَثَرِهِمْ- فَرَدُّوهُمْ ثُمَّ قَالَ: «**إِنْ أَنْتُمْ قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ فَاقْتُلُوهُ، وَلَا تُحْرِقُوهُ بِالنَّارِ، فَإِنَّمَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ رَبُّ النَّارِ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لكن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق)**، لأنه «**لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو قول أكثر العلماء)**؛ أنه لا يحرق الرافضي إذا بلغ هذه المرتبة، وإنما يقتل بالسيف.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح:٢٣]، **قَالَ: «هذهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَنُسِيَ العِلْمُ عُبِدَتْ»**[1].

ش: قوله: (وفي الصَّحِيحِ)، أي: صحيح البخاري.

وهذا الأثر اختصره المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ.

ولفظ ما في البخاري: عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ،...» إلى آخره.

ورُوِي عن عكرمة والضحاك وابن إسحاق نحو ذلك.

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ: أَنَّ ﴿يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾: كَانُوا قَوْمًا صَالِحِيْنَ مِنْ بَنِي آدَمَ؛ وَكَانَ لَهُمْ أَتْبَاع يَقْتَدُوْنَ بِهِمْ، فَلَمَّا مَاتُوا قَالَ أَصْحَابهمُ: لَوْ صَوَّرْنَاهُمْ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).

كَانَ أَشْوَقَ لَنَا إِلَى العِبَادَة، فَصَوَّرُوهُمْ، فَلَمَّا مَاتُوا وَجَاءَ آخَرُوْنَ دَبَّ إِلَيْهِمْ إِبْلِيْسُ؛ فَقَالَ: إِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُوْنَهُمْ، وَبِهِمْ يُسْقَوْنَ المَطَرَ فَعَبَدُوْهُمْ[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيْهَا أَنْصَابًا)**، أنصابًا، يعني: صورهم عليها؛ حتى كأنه جالس في مكانه، إذا رأيتم صورته، كأنه جالس في مكانه، وهذا فيه خطر التصوير، سواء كان مجسمًا، أو فوتوغرافيًا، أو رسمًا باليد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَنُسِيَ العِلْمُ عُبِدَتْ)**، نُسِي العلم، يعني: مات العلماء، وفي رواية: «نُسِخَ العلم»[(٢)]، يعني: مات العلماء.

وهذا فيه مكانة العلماء في الأمة، وأن الله يحفظ بهم دينه، ولا يستطيع الشيطان أن يموه عليهم، لما مات العلماء، لم يبق أحدٌ ينكر، فتسلط الشيطان على قوم نوح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال: «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ)**، بعد عهد قوم نوح، وجاء الطوفان الذي أغرق الله به قوم نوح، ودفن هذه التماثيل، وغابت في الأرض.

وكان في مكة في العرب، كان لهم ملك العرب، وكان ناسكًا ومتعبدًا، فذهب إلى الشام، فوجدهم يعبدون الأصنام فاستساغ هذا، وجلب الأصنام

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٠٣).

(٢) ذكرها الحميدي في الجمع بين الصحيحين (٢/ ٨٤)، والبغوي في تفسيره (٥/ ١٥٨)، والقرطبي في تفسيره (١٨/ ٣٠٨)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٥٥، ٢٧/ ١٥٧).

معه من الشام إلى مكة وإلى بلاد العرب، فهو من أحدث الشرك في بلاد العرب، ولهذا رآه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار، يعني: أمعائه، رآه وهو يصلي صلاة الكسوف؛ لأنه أُرِي في صلاته الجنة والنار عجائب، ورأى هذا الرجل يَجُرُّ قُصْبَهُ -أي: أمعائه- في النار -والعياذ بالله-؛ لأنه أول من سيب السوائب وغَيَّرَ دين إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[1]. ثم جاء الشيطان، ودل العرب على الصور المندفنة من بعد قوم نوح فنبشوها[2]، نبشها هذا الملك الظالم، ووزعها في قبائل العرب، وهذا الرجل اسمه: عَمْرِو بْنِ لُحَيٍّ الخزاعي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ)**، قبيلة كَلْب في دومة الجندل، يعني: في الشمال، ودومة الجندل معروفة بهذا الاسم إلى الآن في الجوف.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَأَمَّا سُوَاعٌ، كَانَتْ لِهُذَيْلٍ)**، لهذيل: في أرض الحجاز.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَأَمَّا يَغُوثُ، فَكَانَتْ لِمُرَادٍ)**، لقبيلة مراد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ)**، يعني: في اليمن؛ لأن اليمن هناك مكان يسمى الجوف، ليس الجوف الذي في الشمال، لا، الجوف في الجنوب.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦): عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: «البَحِيرَةُ: الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ، فَلَا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَالسَّائِبَةُ: كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ لَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ» قَالَ: وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ**».

(٢) ذكرها الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٦٧)، والبغوي في تفسيره (٥/ ١٥٨)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص٤٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَمَّا نَسْرٌ، فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ)**، يعني: في اليمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ورُوِي عن عكرمة والضحاك وابن إسحاق نحو ذلك)**، أن أصلها رجال صالحون، صورت هذه الصور بمشورة الشيطان، واحتفظ بها، ثم آل الأمر إلى أن عُبِدت، وصارت أوثانًا تعبد في قبائل العرب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ: أَنَّ ﴿يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾: كَانُوا قَوْمًا صَالِحِيْنَ مِنْ بَنِي آدَمَ)**، ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:٢٣]، غلوا فيهم حتى عبدوهم من دون الله، فالغلو في الصالحين أو في قبورهم يؤدي إلى الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكَانَ لَهُمْ أَتْبَاع يَقْتَدُوْنَ بِهِمْ)**، هؤلاء الصالحون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَلَمَّا مَاتُوا قَالَ أَصْحَابهمُ: لَوْ صَوَّرْنَاهُمْ كَانَ أَشْوَقَ لَنَا إِلَى العِبَادَة، فَصَوَّرُوهُمْ)**، قال لهم الشيطان، هو الذي قال لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَلَمَّا مَاتُوا وَجَاءَ آخَرُوْنَ دَبَّ إِلَيْهِمْ إِبْلِيْسُ؛ فَقَالَ: إِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُوْنَهُمْ، وَبِهِمْ يُسْقَوْنَ المَطَرَ)**، إبليس لم يأمر في الأول بالعبادة، بل اكتفى بوجود الصور ونصبها؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك فيما بعد، ولأنه لو دعا إلى الشرك وهناك علماء لم يتمكن، فصبر إلى أن مات العلماء في قوم نوح، ولم يبق إلا الجهال، فدعاهم إلى عبادة هذه الصور -صور الصالحين-، وهذا نتيجة آفة الجهل -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَعَبَدُوْهُمْ)**، عبدوهم، وعند ذلك أرسل الله نوحًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوهم إلى التوحيد.

....

ش: قوله: «أَنِ انْصِبُوا»: هو بكسر الصاد المهملة.

قوله: «أَنْصَابًا»: جمع نصب، والمراد به هنا: الأصنام المصورة على صور أولئك الصالحين، التي نصبوها في مجالسهم، وسموها بأسمائهم.

وفي سياق حديث ابن عباس ما يدل على أن الأصنام تسمى أوثانًا، فاسم الوثن يتناول كل معبود من دون الله، سواء كان ذلك المعبود قبرًا، أو مشهدًا، أو صورة، أو غير ذلك(١).

قوله: «حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ»، أي: الذين صوروا تلك الأصنام.

قوله: «وَنُسِيَ العِلْمُ عُبِدَتْ»، ورواية البخاري «وَتَنَسَّخَ»، وللكشميهني: «ونُسِخَ العِلْمُ»، أي: درست آثاره بذهاب العلماء، وعم الجهل حتى صاروا لا يميزون بين التوحيد والشرك، فوقعوا في الشرك ظنًّا منهم أنه ينفعهم عند الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «أَنِ انْصِبُوا»: هو بكسر الصاد المهملة)، انصبوا: بفتح الهمزة، وكسر الصاد، أي: ارفعوا مكانهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «أَنْصَابًا» جمع نصب، والمراد به هنا: الأصنام المصورة على صور أولئك الصالحين)، الأنصاب: هي الأصنام المصورة على صور الصالحين، هذه الأنصاب؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ﴾ [المائدة:٩٠]، يعني: الأوثان؛ ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ

---

(١) سبق بيانه (ص١٩٣).

رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي سياق حديث ابن عباس ما يدل على أن الأصنام تسمى أوثانًا)**، سواء سميته صنمًا أو وثنًا، لكن الأصل الصنم: ما كان على صورة حيوان؛ إما إنسان أو دابة، وأما الوثن: فهو ما ليس على صورة مثل القبر(١)؛ «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»(٢)، فكل ما عُبِد من دون الله، فهو وثن، وليس كل ما عُبِد يكون صنمًا، إلا إذا كان على صورة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فاسم الوثن يتناول كل معبود من دون الله)**، سواء كان قبرًا أو شجرة أو غير ذلك، كلها تسمى أوثانًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وللكشميهني)**، الكشميهني: من شراح صحيح البخاري.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وللكشميهني: «وَنُسِخَ العِلْمُ» أي: درست آثاره بذهاب العلماء، وعم الجهل حتى صاروا لا يميزون بين التوحيد والشرك)**، وهذه آفة الجهل وفقد العلماء.

---

(١) سبق بيانه (ص١٩٣).

(٢) سبق تخريجه (ص١٣٣).

....

ش: **قوله: «عُبِدَتْ»، لما قال لهم إبليس: إن من كان قبلكم كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر. هو الذي زين لهم عبادة الأصنام، وأمرهم بها، فصار هو معبودهم في الحقيقة؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٠-٦٢]، وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك، وإن كان القصد بها حسنًا. فإن الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين والإفراط في محبتهم؛ كما قد وقع مثل ذلك في هذه الأمة، أظهر لهم الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم؛ ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك؛ من عبادتهم لهم من دون الله.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «عُبِدَتْ»، لما قال لهم إبليس: إن من كان قبلكم كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر. هو الذي زين لهم عبادة الأصنام**)، زين لهم -أولًا- نصب الصور، ثم زين لهم عبادة هذه الصور، تدرج مع الناس -لعنه الله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**هو الذي زين لهم عبادة الأصنام وأمرهم بها، فصار هو معبودهم في الحقيقة؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾**)، فعبادة الأصنام وعبادة القبور كلها عبادة للشيطان؛ لأنه هو الذي أمر بها، فهي عبادة للشيطان في الحقيقة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾ [يس:٦٢])، ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ ﴾: الشيطان، ﴿مِنكُمْ﴾: يا بني آدم، ﴿ جِبِلًّا كَثِيرًا ﴾، أي: خلائق أضلها الشيطان، ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾: فتحذرون من هذا العدو، فلا أطعتموه، يقول الله لهم ذلك يوم القيامة إذا حشرهم إليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا يفيد الحذر من الغلو)**، يفيد الحذر من الغلو، وهو الزيادة عن الحد المشروع[(١)]، فالغلو قد يكون في شخص، وقد يكون في قبر، وقد يكون في عبادة وزيادة عن المشروع، فالغلو يعم كل هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك)**، فنصب الصور هذا وسيلة من وسائل الشرك، ولهذا: «**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا صُورَةٌ**»[(٢)]، يعني: صورة منصوبة، وأما الصور المهانة والتي تداس، هذه لا أثر لها، ولا تمنع دخول الملائكة لأنها مهانة، جرائد ملقاة في الأرض يمر عليها الناس فيها صور، هذه مهانة لا قيمة لها.

لكن الصور المحتفظ بها؛ إجلالًا واحترامًا لها هذه هي محل المحظور، وهي التي تجلب الشيطان للبيوت، هناك من يصور قريبه أو أباه، ويحتفظ بصورته، ويقول: للذكريات، هذا لا يجوز.

---

(١) سبق عزوه (ص٦٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢٥، ٣٢٢٦، ٣٣٢٢، ٤٠٠٢، ٥٩٤٩)، ومسلم (٢١٠٦)، من حديث أبي طلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قد وقع مثل ذلك في هذه الأمة)**؛ كما قد وقع لقوم نوح، لما غلوا في الصالحين وقعوا في الشرك، كذلك وقع في هذه الأمة؛ من غلا في الصالحين فوقع في الشرك، وهذا كثير في هذه الأمة الآن، القبور التي تعبد ولها سدنة، ولها صناديق نذور، ولها، ولها، معروفة عند الجميع.

إلا هذه البلاد طهرها الله بدعوة هذا الإمام مصنف هذا الكتاب، طهرها الله، وإلا كان فيها من قبل، طهرها الله بدعوة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أظهر لهم الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم؛ ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك)**، تدرج بهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(من عبادتهم لهم من دون الله)**، هذا قصده، لكنه لا يأمر بذلك أولًا وحده، بل يتدرج ببني آدم شيئًا فشيئًا.

....

ش: وفي رواية أنهم قَالُوا: «مَا عَظَّمَ أَوَّلُونَا هَؤُلاءِ إلا وَهُمْ يَرْجُونَ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَ اللهِ»[1]، أي: يرجون شفاعة أولئك الصالحين الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم، وسموها بأسمائهم. ومن هنا يعلم أن اتخاذ الشفعاء، ورجاء شفاعتهم بطلبها منهم شرك بالله؛ كما تقدم بيانه في الآيات المحكمات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي رواية أنهم قالوا: مَا عَظَّمَ أَوَّلُونَا هَؤُلاءِ إلا وَهُمْ يَرْجُونَ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَ اللهِ)، في رواية: أن الشيطان قال لقوم نوح: إن آباءكم لم ينصبوا تماثيل الصالحين وصورهم إلا ليعبدوها، وبها كانوا يسقون المطر.

دعاهم إلى عبادتها فعبدوها، ومن حينئذ وقع الشرك في الأرض، فأرسل الله نبيه نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدعو إلى الله؛ ليرد هؤلاء من الشرك إلى التوحيد، فحصل ما حصل من خبرهم؛ كما قصه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠]، والبقية عصوه، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ﴾ إلا مائة وزيادة قليلة، والبقية عصوه وخالفوه، فأخذهم الله بالطوفان، وهو الغرق العام الذي أغرقهم وغطى الجبال، أهلكهم عن آخرهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي: يرجون شفاعة أولئك الصالحين الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم، وسموها بأسمائهم)، هذا كلام الشيطان للمتأخرين من قوم نوح: أن آباءكم لم ينصبوا هذه الصور.

---

(١) ذكرها أبو المنذر هشام الكلبي في كتاب الأصنام (ص٥٢)، وابن الجوزي في المنتظم (١/ ٢٣٢)، وفي التبصرة (١/ ٤٤)، وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (١/ ٢٩٥).

وهذا فيه التحذير من نصب الصور وتعليقها -صور المعظمين كالملوك والعظماء-، والتحذير من ذلك.

فعبدوها من دون الله، فحصل ما حصل من الهلاك في قوم نوح، فأخذهم الله بـ﴿ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:١٤] -والعياذ بالله-، بعدما أقام عليهم الحجة بدعوة نبيه ورسوله نوح صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(ومن هنا يعلم أن اتخاذ الشفعاء، ورجاء شفاعتهم بطلبها منهم شرك بالله؛ كما تقدم بيانه في الآيات المحكمات)**، يقول الشيخ عبد الرحمن رَحِمَهُٱللَّهُ: ومن هنا يعلم أن طلب الشفاعة من الأموات شرك أكبر؛ لأن الأموات لا يقدرون على شيء، ولا يطلب منهم شيء.

طلب الشفاعة منهم وهم أموات هذا شرك أكبر كما حصل لقوم نوح؛ لأن قوم نوح طلبوا الشفاعة من أناس أموات، وإنما علقوا صورهم للتذكير بهم فقط، وإلا فهم أموات.

فهذا فيه كيد الشيطان ببني آدم، وألا يغتروا به، وألا يتركوا الوحي المنزل لقول فلان وعلان، لابد أن يلتزموا بالوحي المنزل من الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ كتابًا وسنة، ولا ينظروا إلى قول فلان وعلان.

هناك من شياطين الإنس من يدعون إلى الشرك -وهم كثير-، ويحسنونه ويزينونه للناس -والعياذ بالله-، فيجب الحذر من هذا، وأخذ الحيطة من هذا، والرجوع إلى أهل العلم الربانيين الذين يعرفون الحق من الباطل، ويعرفون الزيف من الصحيح.

وقَالَ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ غيرُ واحدٍ مِنَ السَّلَفِ: «لَمَّا مَاتُوا، عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تماثيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عليهِمُ الأمَدُ فَعَبَدُوهُمْ»[1].

ش: قوله: (وقَالَ ابْنُ القَيِّم)، هو الإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية.

قال الحافظ السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان، المجمع عليه بين الموافق والمخالف، صاحب التصانيف السائرة والمحاسن الجمة[2]. مات سنة إحدى وخمسين وسبعمائة[3].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقَالَ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ غيرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: «لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تماثيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عليهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ»**)، لما ماتوا، أي: الصالحون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقَالَ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ غيرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: «لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ»**)، على قبورهم أو على صورهم كله واحد.

عكفوا، يعني: أنهم يقيمون عند القبور يدعونها؛ كما يعتكف المؤمنون

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ١٨٤).

(٢) انظر: وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام للسخاوي (١/ ٥٣- ٥٤).

(٣) انظر في ترجمة الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الوافي بالوفيات (٢/ ١٩٥)، والرد الوافر (ص٦٨)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ١٣٧)، والمقصد الأرشد (٢/ ٣٨٤).

في المساجد يدعون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالاعتكاف: هو البقاء في المكان، هذا هو الاعتكاف(١).

﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾، يقول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢]، يعكفون عندها كما يعكف المسلمون في المساجد بين يدي ربهم سبحانه: يدعونه ويرجونه ويخافونه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ثُمَّ طَالَ عليهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ»)**، طال عليهم الأمد، يعني: الوقت، ودُفِنَ الصالحون، والعلماء -أيضًا- انقرضوا في قوم نوح، ولم يبق إلا رءوس جهال، فحينئذ تمكن الشيطان.

ما دام العلماء موجودين، العلماء المحققون الربانيون لا يتمكن الشيطان من إغواء بني آدم، لكن إذا فُقِدوا، لم يصر أحدٌ في وجه الشيطان، فيتمكن من إضلال بني آدم، فوجود العلماء رحمة للأمة، وفقدهم هلاك على الأمة، وخسار على الأمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: وقَالَ ابْنُ القَيِّم)**، **(قوله)** أي: الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ نقل في كتاب التوحيد كلام ابن القيم، وحفيده الشيخ عبد الرحمن يشرحه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(المعروف بابن قيم الجوزية)**، الجوزية: هي مدرسة وقف لحفيد ابن الجوزي مدرسة تسمى الجوزية، وأبو الشيخ هو قيمها، يعني: هو الوكيل عليها الذي يراقبها وينظمها، هذا القيم.

القيم: معناه الذي يقوم على الشيء ويهتم به.

---

(١) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢١٧)، وتهذيب اللغة (١/ ٢٠٩)، وطلبة الطلبة (ص٢٦)، ولسان العرب (٩/ ٢٥٥).

فابن القيم، أي: أبوه كان قيمًا على المدرسة الجوزية، المنسوبة إلى حفيد ابن الجوزي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحافظ السخاوي)**، الحافظ السخاوي: محدث من كبار المحدثين في مصر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحافظ السخاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف)**، هذا السخاوي ترجم لابن القيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(العلامة الحجة)**، يعني: ابن القيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان)**، هذا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ مكنه الله من العلم، وأيضًا قوة الحجة على الخصوم، وهذا تيسير من الله عَزَّوَجَلَّ، إذا صلحت نية العالم، فإن الله يعينه ويسدده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(المجمع عليه بين الموافق والمخالف)**، المجمع على إمامة ابن القيم الموافق والمخالف له، حتى المخالف له يقر بأنه إمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(صاحب التصانيف السائرة)**، صاحب التصانيف السائرة، يعني: ابن القيم، مثل «إعلام الموقعين»، ومثل «شرح منازل السائرين»، مثل «النونية» في التوحيد والعقيدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمحاسن الجمة)**، محاسنه كثيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مات سنة إحدى وخمسين وسبعمائة)**، شيخه: ابن تيمية مات في أول المائة الثامنة، أخذ منها قليلًا ومات، تلميذه ابن القيم تأخر في وفاته.

ش: قوله: «قَالَ غَيرُ وَاحدٍ مِنَ السَّلَفِ» هو بمعنى ما ذكره البخاري وابن جرير، إلا أنه ذكر عكوفهم على قبورهم قبل تصويرهم تماثيلهم. وذلك من وسائل الشرك، بل هو شركٌ؛ لأن العكوف لله في المساجد عبادة، فإذا عكفوا على القبور، صار عكوفهم تعظيمًا ومحبة عبادة لها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «قَالَ غَيرُ وَاحدٍ مِنَ السَّلَفِ» هو بمعنى ما ذكره البخاري وابن جرير)**، هو يعني: كلام ابن القيم، هو بمعنى ما ذكره الإمام البخاري في صحيحه عن ابن جرير الطبري المفسر المشهور؛ لأن الكلام في التفسير، وابن جرير إمام المفسرين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إلا أنه ذكر عكوفهم على قبورهم قبل تصويرهم تماثيلهم)**، والمعنى واحد، سواء كان العكوف قبل التصوير أو كان بعده، الأمر سهل في هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك من وسائل الشرك)**، لا شك أن نصب الصور، تعليق صور المعظمين من العلماء والملوك الذين لهم شأن هذا وسيلة من وسائل الشرك، ولهذا حرم الله نصب الصور وتعليقها، وأمر بطمس الصور؛ لئلا تفتن الناس[1].

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٩٦٩): عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ **«أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»**.

أما الصور الممتهنة التي تداس وتوطأ، فهذه لا قيمة لها، ولا تضر، أما الصور المحترمة التي تعلق وتحفظ بالصناديق، إلا الصور الضرورية التي يحتاجها الإنسان؛ لجواز سفره، لحفيظة نفسه، التي يحتاجها الإنسان هذه مرخص فيها للضرورة، يحتفظ بها لا بأس، يحتفظ بها، لولا أنها معه، لتعطلت مصالحه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل هو شركٌ؛ لأن العكوف لله في المساجد عبادة)**، العكوف عبادة، فمن عكف على الصنم أو على القبر، فقد عَبَد غير الله، العكوف من أنواع العبادة، ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧]، ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥]، عبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا عكفوا على القبور، صار عكوفهم تعظيمًا ومحبة عبادة لها)**، العكوف في المساجد للصلاة ودعاء الله عَزَّوَجَلَّ عبادة، وأما العكوف على قبور الأولياء والصالحين والنزول عندها، والإقامة عندها؛ رجاء بركتها، ورجاء نفعها، هذا شرك أكبر يخرج من الملة؛ لأنه عبادة، نوع من أنواع العبادة.

﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥]، جعل الله العاكفين مع الركع السجود، ومع الطائفين في البيت.

....

ش: قوله: «ثُمَّ طَالَ عليهِمُ الأمَدُ فَعَبَدُوهُمْ»، أي: طال عليهم الزمان. وسبب تلك العبادة والموصل إليها هو ما جرى من الأولين من التعظيم بالعكوف على قبورهم، ونصب صورهم في مجالسهم، فصارت بذلك أوثانًا تعبد من دون الله؛ كما ترجم به المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فإنهم تركوا بذلك دين الإسلام الذي كان أولئك عليه قبل حدوث وسائل هذا الشرك، فكفروا بعبادة تلك الصور، واتخذوهم شفعاء. وهذا أول شرك حدث في الأرض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «ثُمَّ طَالَ عليهِمُ الأمَدُ فَعَبَدُوهُمْ» أي: طال عليهم الزمان)**، وهكذا الشيطان ليس متعجلًا، ينصب الحيلة، ويصبر إلى أن يأتي أوان الدعوة إلى الشرك، نصب صور الصالحين، ومضت مدة وهي لم تعبد؛ لأن هناك علماء ينهون عن ذلك، ثم لما مات العلماء، زان الأمر وطاب للشيطان، فغرر بالجهال والمتأخرين، فعبدوا هذه الصور، قال: إن آباءكم لم ينصبوها إلا ليعبدوها، وبها كانوا يسقون المطر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وسبب تلك العبادة والموصل إليها هو ما جرى من الأولين من التعظيم بالعكوف على قبورهم، ونصب صورهم في مجالسهم، فصارت بذلك أوثانًا تعبد من دون الله)**، الذي جرى على المتأخرين من عبادة القبور والصالحين هو ما فعله الأولون من الوسائل؛ من تصويرهم، ونصب صورهم، هم فعلوا الوسائل، ثم جاءت النتيجة في المستقبل.

فلا يقال: الناس على دين، وعلى معرفة بالعقيدة، ولا يضرهم. لا، لا يجوز الكلام هذا، بل تطهر البلاد من هذه الأمور التي تجر إلى الشرك ووسائل الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإنهم تركوا بذلك دين الإسلام)**، دين الإسلام الذي هو التوحيد، كل الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مسلمون، بمعنى أنهم موحدون لله عَزَّوَجَلَّ، متجنبون للشرك، هذا هو الإسلام لكل الرسل، كل الرسل مسلمون بهذا المعنى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكفروا بعبادة تلك الصور، واتخذوهم شفعاء)**، آل إلى أنهم كفروا بهذه الصور، وعبدوها من دون الله، تعلقوا بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا أول شرك حدث في الأرض)**، أول شرك حدث في الأرض بعد آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو في قوم نوح؛ لأن الناس كانوا على التوحيد على ملة أبيهم آدم عشرة قرون، عشرة قرون بعد آدم وهم على التوحيد، على دين أبيهم آدم كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا[1]، وإنما حدث أول ما حدث الشرك في قوم نوح بسبب الصور التي نصبوها.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٦٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٩٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٠، ٥٩٦): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ بَيْنَ نُوحٍ، وَآدَمَ، عَشْرَةُ قُرُونٍ، كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الحَقِّ، فَاخْتَلَفُوا، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة:٢١٣]».

....

ش: **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وإنما صور أوائلهم الصور ليتأسوا بهم ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم. ثم خلفهم قومٌ جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها. اهـ**[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وإنما صور أوائلهم الصور ليتأسوا بهم)**، هذا قصدهم؛ يقولون: انصبوا صورهم؛ لأجل أن تنشطوا على العبادة، إذا رأيتم صورهم تتذكرونهم ثم تنشطون على العبادة.

ولم يعرفوا سياسة الشيطان فيهم، لم يعرفوها، فنصبوها، ومضى جيل وجيل ليس فيهم عبادة لها -الشيطان ليس بمتعجل-، جاء جيل ثالث متأخر جاهل، فالشيطان دب إليهم، وأغراهم بهذه الصور: صور صالحين، توسلوا بها، وتعلقوا بها، يزين لهم هذا.

وهو الذي يزينها الآن لعباد القبور، يقول: هذه قبور صالحين، قبور أولياء، تعلقوا بها، وارجوا بركتها، وهي مجربة، يحصل نفع لمن تعلق بها، وتقضى حاجته.

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ١٢٨)، وتفسير القرطبي (٢/ ٥٨)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ٥٢٥)، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (٢/ ٤٣٧).

حصول الحاجة والمقصود ليس دليلًا، الدليل من الكتاب والسنة، أما حصول المقصود، فقد يكون استدارجًا، وقد يكون فتنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم**)، قال لهم الشيطان: إنكم إذا رأيتم صور الصالحين، تنشطون على العبادة، وهذا قصده من ذلك، قصده، يعني: نصيحة لهم، يقول: فيه إعانة على العبادة، هكذا زين لهم الشيطان.

لكن هذا لم يرج على العلماء في وقته، لم تعبد إلى أن مات العلماء، فلما مات العلماء، جاء الشيطان إلى من بعدهم، وزين لهم عبادة هذه الصور فعبدوها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويعبدوا الله عند قبورهم**)، لا تجوز العبادة عند القبر، لاتجوز الصلاة عند القبر؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك بالميت، والشرع جاء بسد الذرائع، سد الوسائل؛ فلا تجوز الصلاة عند القبور، ولو كان المصلي لا يصلي إلا لله، لكن صلاته عند القبر وسيلة إلى الشرك، ويقتدي به غيره من الجهال والعوام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ثم خلفهم قومٌ جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها**)، الشيطان غرس الوسيلة اولًا وصبر، صبر إلى أن جاء وقت النتيجة مع الجهال.

....

ش: **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وما زال الشيطان يوحي إلى عباد القبور، ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء به، والإقسام على الله به، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه.**

فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى دعائه وعبادته، وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثنًا تعلق عليه القناديل والستور، ويطاف به، ويستلم، ويقبل، ويحج إليه، ويذبح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيدًا ومنسكًا، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وما زال الشيطان يوحي إلى عباد القبور، ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين**)، يأتي إليهم بهذه الطريقة، يقول: إن العكوف عند القبور والجلوس عندها والبقاء عندها هذا من محبتها، هذا من محبة الصالحين، ومحبة الصالحين مطلوبة.

نحن نحب الصالحين، لكن ليس معنى محبتهم أننا نعظم قبورهم، ونتردد عليها؛ لأجل طلب الحوائج منها، ليس هذا من تعظيم الصالحين، وليس من محبة الصالحين.

والصالحون ينكرون هذا؛ يوم أن كانوا أحياء وهم يجاهدون ضده وينكرونه، ويدعون إلى التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن الدعاء عندها مستجاب)**، يقول لهم الشيطان عن الدعاء عند القبور: إنه مستجاب. من الذي قال هذا؟! الدعاء عند القبور وسيلة إلى الشرك، ولا يستجاب، إنما يستجاب الدعاء في المساجد التي هي بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، يستجاب الدعاء في المسجد الحرام عند البيت العتيق، يستجاب الدعاء في مسجد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يستجاب الدعاء في المساجد التي هي بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، كل المساجد هي محل للدعاء، محل للعبادة، محل للتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ والتضرع إليه، كل المساجد التي ليس فيها قبور، المساجد الخالية من القبور هي بيوت الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء به، والإقسام على الله به)**، التوسل به، الدعاء به، يعني: التوسل؛ أسألك بنبيك، أسألك بعبادك الصالحين، هذا باطل لا يجوز.

الله لم يشرع لنا أن نقول: أسألك بفلان أو علان أو بنبيك أو بجبريل، أو بملك من الملائكة، لم يشرع لنا هذا، الله أمرنا بدعائه مباشرة؛ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، لم يقل: ادعوني بواسطة فلان أو بواسطة النبي، قال: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه)**، شأن الله أعظم؛ لأن قول: أسألك بفلان هذا قسم على الله؛ لأن الباء

باء القسم؛ لأن حروف القسم ثلاثة: الواو، والتاء، والباء، فأسألك بفلان، يعني: أقسم عليك بفلان، أسألك بنبيك: أقسم عليك بنبيك، هل الله جَلَّ وَعَلَا يُقسم عليه بغيره؟!! هذا لا يجوز، لا يجوز القسم بالمخلوق؛ لأن القسم عبادة؛ «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى دعائه وعبادته)**، في الأول يتوسلون بالصحابة، ثم ينقلهم إلى عبادة الصالحين، هكذا فعل الشيطان مع بني آدم، لا سيما في فترة عدم وجود العلماء الراسخين المستقيمين ينتهز الشيطان هذه الفرصة، وفي الحديث: «**فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ**»(٢)، عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد؛ لأن العباد جهال على خطر أن يزلوا، لكن العالم عنده علم، عنده بصيرة، عنده حجة يدحض بها وسواس شياطين الإنس والجن.

أما الذي ليس عنده علم، هذا مسكين، عرضة لئن يلعب به، وتغير عقيدته، لا يقاوم هذا إلا العلم النافع، فتعلموا العلم النافع، ولا سيما العقيدة -بارك الله فيكم-؛ حتى تقاوموا شياطين الإنس والجن بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى دعائه وعبادته)**، في الأول يحث على الدعاء عند القبر، والصلاة عند القبر، فإذا فعل هذا نقله إلى عبادة القبر، ودعاء القبر من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٠/ ٢٤٩)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) -واللفظ له-؛ من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨١)، وابن ماجه (٢٢٢) -واللفظ له-؛ من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وسؤاله الشفاعة من دون الله**)، وسؤال الميت الشفاعة، هل الميت يطلب منه الشفاعة؟! لا يطلب منه شيء؛ لأنه ميت، الحي يجوز أن تقول: اشفع لي عند الله بالدعاء يعني، اشفع لي، يعني: ادع لي عند الله، وأما الشفاعة التي هي الوساطة؟ لا، لا يشفع عند الله إلا بإذنه، أما اشفع لي، يعني: ادع لي؟ فهذا لا بأس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**واتخاذ قبره وثنًا تعلق عليه القناديل والستور**)، في الأول توسل، ثم ينقلهم إلى تزيين القبور بالقناديل والبخور، ووجود السدنة عندها حتى الجهال يغترون بها، ويقولون: لم تضاء هذه الإضاءة، ولم يصر عندها سدنة وصناديق إلا لأن لها شأن، وهي تقضي الحاجات، ولا يقاوم هذا إلا العلم النافع، العلم، العلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويطاف به**)، يطاف بالقبر، يعني: مثلما يطاف بالكعبة! لايطاف على وجه الأرض بشيء إلا على الكعبة، لا يطاف على مقامات الأولياء والصالحين أو مقامات الأنبياء، لا يطاف بها أبدًا، ليس هناك ما يطالف به إلا الكعبة التي هي بيت الله، والطواف بها ليس عبادة لها، بل عبادة لله عَزَّوَجَلَّ، عبادة لله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويستلم، ويقبل**)، يستلم، يعني: القبر، يجعلونه مثل الكعبة، يستلمون أركانه، ويقبلون القبر، يستلمون الركن -ركن القبر-؛ كما يُفعل هذا بالكعبة تمامًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويحج إليه، ويذبح عنده**)، يحج إلى القبور، نعم، هناك من ألف مناسك لحج القبور؛ مثلما يؤلف مناسك لحج البيت العتيق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيدًا ومنسكًا)**، لا يقول: اعبدوها أول مرة. لا يطيعونه، لكن يأتيهم شيئًا بشيء، يتدرج بهم شيئًا فشيئًا، حتى يصل إلى غايته بهم، وهي الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:١٦٨]، هذه خطوات الشيطان، يتدرج بهم شيئًا فشيئًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم)**، أنفع لهم من حج البيت العتيق والعمرة، والصلاة في المسجد، يقولون: هذا أنفع، وقريب منك، لماذا تذهب إلى المسجد الحرام، وتذهب إلى الكعبة، وعندك هذا؟!!

ش: وكل هذا مما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تجريد التوحيد، وأن لا يعبد إلا الله.

فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك، فقد تنقص أهل هذه الرتب العالية، وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، وغضب المشركون، واشمأزت قلوبهم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر:٤٥]، وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبي الله ذلك: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الأنفال:٣٤]. انتهى كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكل هذا مما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تجريد التوحيد، وأن لا يعبد إلا الله)، تجريد التوحيد، يعني: إخلاص التوحيد، وترك ما يشوبه من الشرك

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢١٢- ٢١٣).

ووسائل الشرك، هذا تجريد التوحيد، ولا ينفع عند الله إلا تجريد التوحيد، وأما التوحيد المدخول بالبدع والمحدثات، هذا لا ينفع صاحبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك، فقد تنقص أهل هذه الرتب العالية)**، يقولون: إن الذين يدعون إلى ترك عبادة القبور، ويدعون إلى عبادة الله وحده هؤلاء يتنقصون الصالحين، والصالحون ليس لهم قيمة عند هؤلاء.

ومن العجيب أنهم يقولون: هذا فيه تنقص للصالحين، وهم يتنقصون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لماذا لا ينكرون على من يتنقص الله ويشرك به ويعصيه، ويقول: إن الصالحين لهم قدر ولهم قيمة، ولا يجوز تنقصهم؟!

ليس هذا تنقصًا للصالحين، هذا محافظة على دين الله، وعلى العقيدة الصحيحة، والصالحون لهم أعمالهم، ونحن نحبهم، ونقتدي بهم، لكن ليس معنى ذلك أننا نغلو بهم؛ الغلو لا يجوز؛ لا بشخص، ولا بقبر، ولا بنبي، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ﴾: الذي غلوا فيه، ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [النساء:١٧١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر)**، في يوم القيامة ماذا يقول الله لعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ وماذا يقول عيسى لربه؟ ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾: هذا في الموقف، في مجمع الأمم يوم القيامة.

﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ﴾: نزه الله سبحانه.

﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: العبادة حق لمن؟ لله سبحانه، ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾، ثم قال: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾: كيف تسألني وأنت عندك العلم، تعلم ما صدر مني.

﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾: الله يعلم ما في النفوس قبل أن يتكلم الإنسان، ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦]: انظر! ماذا يقول المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في موقف القيامة مجمع الخلائق.

أين يذهب النصارى والذين غلوا فيه؛ وقالوا: هو الله، أو هو ابن الله، أو هو ثالث ثلاثة؟! مقالات النصارى هذه في المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [المائدة:٧٥]: مضت الرسل من قبله، ليس بأول الرسل بل هو جاء بعدهم، واقتفى أثرهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وغضب المشركون، واشمأزت قلوبهم؛ كما قال تعالى:** ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥])، إذا سمعوا الآيات التي تنكر الشرك، غاروا على القبور التي يعبدونها غيرة شديدة؛ ﴿وَإِذَا

ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ ﴾، أي: غير الله، ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ [الزمر:٤٥]: إذا جاء الشرك فرحوا، وإذا جاء التوحيد انقبضوا.

وهذه حالة عباد القبور، كل شيء يهون عندهم إلا التوحيد، لا تقول التوحيد؛ لأنه ينافي ما هم عليه -نسأل الله العافية-، انصبغ الشرك في قلوبهم، فصعب انتزاعه منها.

فهذا عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هذا تصريحه يوم القيامة إذا سأله الله أنه يتبرأ منهم، ويقول: ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:١١٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين)**، العلم إذا لم يكن صاحبه موفقًا لإخلاص التوحيد، لا ينفعه علمه، يصير حجة عليه -والعياذ بالله-، وإلا فيهم علماء.

القبوريون تجد فيهم علماء، لكنهم علماء ضلال، لم يقوموا بالدعوة إلى التوحيد، ولم يبينوا للناس، فالله جَلَّ وَعَلَا سيسألهم يوم القيامة: لِمَ كتموا؟ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم)**، عباد القبور عادوا أهل التوحيد الذين ينهون عن الشرك، ويأمرون بعبادة الله،

عادوهم أشد العدواة، ويضادوهم أشد المضادة، ولكن يصبرون على هذا، أهل العلم يصبرون على هذا، ولا يلتفتون إلى لوم هؤلاء أو ما يلطخونهم به من الكذب، لا يلتفتون إلى هذا ولا يهمهم، يمضون في طريقهم إلى الله، والدعوة إلى الله على بصيرة، ولا يهمهم من تنقصهم أو عابهم أو وقف في طريقهم أو هددهم، لا يبالون بهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونفروا الناس عنهم)**، من تنفيرهم يقولون: يبغضون الصالحين، أهل التوحيد يبغضون الصالحين، لماذا؟ لأنهم لا يتوسلون بهم، ولا يدعونهم في قبورهم، هذا تنقص للصالحين، يقولون هكذا، يعتبرون هذا تنقصًا للصالحين، وفي الحقيقة هم الذين يتنقصون الصالحين؛ حيث إنهم أنزلوهم في منزلة ليست لهم، أنزلوهم في منزلة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأيهما الذي تنقص الصالحين؟! الذي يتنقص الصالحين هو الذي ينزلهم في منزلة ليست لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ووالوا أهل الشرك وعظموهم)**، إذا تبرءوا من أهل التوحيد، أين يذهبون؟ يوالون أهل الشرك ويعظمونهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله)**، يزعمون أن عباد القبور هم أنصار الله، وهم أنصار دينه ورسوله، وهذا كذب وافتراء، لا ينفع ولا يروج، ولا ينفعهم شيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويأبى الله ذلك:** ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤])، يقول الله جَلَّ وَعَلَا في المشركين: ﴿وَهُمۡ يَصُدُّونَ

﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، المشركون صدوا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمرة الحديبية؛ ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤].

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨]، بعد قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٧، ١٨]: ليس المراد بالعمارة: عمارة الطين والزخرفة، المراد العبادة.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾، يعني: بالعبادة، هذه عمارة المساجد، وإلا كثير من المساجد مزخرفة ومزينة، ومزارات، ويبتهجون بها، وهي مساجد شركية، ليست لله عَزَّوَجَلَّ، يسمونها مساجد، وهي ليست مساجد.

....

ش: **وفي القصة فوائد ذكرها المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

منها: أن من فهم هذا الباب وما بعده، تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه القلوب العجب.

ومنها: أن أول شرك حدث في الأرض سببه محبة الصالحين، أي: المحبة التي فيها غلو.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(منها: أن من فهم هذا الباب وما بعده، تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه القلوب العجب)**، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان مسائل (بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِيْنَهُمْ هُوَ الغُلُوُّ فِي الصَّالِحِيْنَ)، وهذا من عهد قوم نوح لما غلوا في الصالحين: وَدٍّ وَسُوَاعٍ وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرٍ؛ حدث الشرك في الأرض ببسب الغلو في هؤلاء، ثم توارث الناس أو توارث القبوريون من بعدهم هذه الطريقة، ولا تزال إلا من رحم الله، وعرف التوحيد حق المعرفة، وتمسك به، فإنه ينجو من هذه الفتنة بإذن الله، وأما من أقبل على التقليد وما عليه الناس بدون بصيرة؛ ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣]، فإنهم لم يتنبهوا لهذا الأمر، وأخذهم التقليد الأعمى؛ بأن صاروا في مركب المشركين، وأما من هداه الله، ورجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ودعوة الرسل، فإنه يترك هذه الطريقة، ويلتزم بالكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، هذا الذي يريد

النجاة لنفسه، وأما الذي يأخذ بالتقليد الأعمى وما عليه الناس، فإنه يهلك معهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومنها: أن أول شرك حدث في الأرض سببه محبة الصالحين، أي: المحبة التي فيها غلو**)، أول شرك حدث في الأرض في قوم نوح إنما هو بسبب الغلو في الصالحين، لما جاءهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ودعاهم إلى توحيد الله؛ ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، قالوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾، لاحظ! فهموا أن قول نوح: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، فهموا من هذا أنه لابد أن يتركوا عبادة غير الله، وهم مشركون، فهموا هذا وهم مشركون، ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [نوح:٢٣]؛ لأن نوحًا يدعوكم إلى أن تذروا عبادة القبور. فانظر! كيف أن المشركين يفهمون أكثر من فهم عباد القبور الذين يدعون الإسلام؛ فهم يقولون: «لا إله إلا الله»، ويكررونها، ولكنهم يعبدون الأموات، ويتقربون إليهم، وهم يقولون: «لا إله إلا الله»، تناقض.

تقولون: «لا إله إلا الله»، ثم تدعون غيره؟! هذا تناقض، لكن أعمى الله بصائرهم، فلم يفهموا معنى «لا إله إلا الله» ومقتضاها.

معناها: لا معبود بحق إلا الله، ومقتضاها: أن تترك ما يعبد من دون الله، وأن تقتصر على عبادة الله وحده لا شريك له.

....

ش: ومنها: معرفة أول شيء غُيِّرَ به دين الأنبياء.

ومنها: معرفة سبب قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تنكرها، وأن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل بأمرين:

الأول: محبة الصالحين.

والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا غيره.

ومنها: معرفة جبلة الإنسان في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومنها: معرفة أول شيء غُيِّرَ به دين الأنبياء)، أول شيء غُيِّرَ به دين الأنبياء: عبادة الصالحين، والغلو في القبور -في قبور الصالحين-، هذا الذي غير به دين الأنبياء.

كان الناس على التوحيد من عهد آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى عشرة قرون، عشرة قرون وهم على التوحيد، إلى أن غلا قوم نوح في الصالحين، فحدث الشرك حينئذ، ولا يزال الشرك في هذه الأمة، إلا من رحم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

اذهب إلى أي بلد من بلاد المسلمين، تجد المباني على القبور، وتجد المساجد والمشاهد على القبور، وتجد الأمر العظيم والخطر الجسيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأول: محبة الصالحين)**، شيئان:

الأول: محبة الصالحين؛ محبة الصالحين واجبة، ونحن نحب الصالحين، ونقتدي بهم ونثني عليهم، لكن ليس معنى ذلك أننا نغلو فيهم وفي حبهم، حتى نظن أنهم ينفعون ويضرون وهم أموات، فتعبد قبورهم وأضرحتهم، فليس معنى هذا محبة الصالحين.

معنى محبة الصالحين: الاقتداء بهم في صلاحهم وفي عبادتهم وفي توحيدهم، وأما الغلو فيهم فليس هذا من محبة الصالحين، وهم ينهون عن هذا، الصالحون من الأنبياء ومن أتباعهم ينهون عن الغلو في الصالحين واتخاذهم أربابًا من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأول: محبة الصالحين)**، وقد حرفوها إلى عبادتهم، والتوسل بهم إلى الله،.... إلى آخره من مبتدعتهم الشركية؛ يزعمون أنهم يحبون الصالحين، وأن هذه محبة الصالحين. ليست محبة الصالحين أنك تدعوهم من دون الله، وتصرف لهم العبادة من دون الله، هذه ليست محبة الصالحين، هذا دين المشركين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا غيره)**، فعل العلماء، وعملهم عملًا يريدون به خيرًا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غير ذلك، فالسابقون من هذه الأمة يحبون الصالحين ويثنون عليهم ويدعون لهم، لكنهم لا يعتقدون فيهم أنهم ينفعون ويضرون، وعباد القبور يقولون: هذه محبة للصالحين.

نقول: لا، هذه ليست محبة للصالحين، هذه شرك، والصالحون لا يرضون بهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومنها: معرفة جبلة الإنسان في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد. أي في الغالب**)، جبلة الإنسان في الغالب: أن الحق ينقص في قلبه شيئًا فشيئًا، وأن الباطل يزيد في قلبه شيئًا فشيئًا، وهذا خطر عظيم، قل من يتنبه له.

فالمؤمن الصادق يكمل إيمانه، ويكمل دينه، ودائمًا يطلب له الكمال، وأما إذا غفل عن ذلك، فإن دينه يتناقص بما يدخل عليه من البدع والمحدثات والتقليد الأعمى، ينقص دينه وهو لا يدري أو يدري.

....

ش: ومنها: أن فيها شاهدًا لما نُقِلَ عن بعض السلف أن البدعة سبب الكفر، وأنها أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية قد يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها[١].

ومنها: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل.

ومنها: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه؛ أي: من الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: أن فيها شاهدًا لما نُقِلَ عن بعض السلف أن البدعة سبب الكفر)**، البدعة سبب الكفر، أو البدعة بريد الكفر؛ لأنها تنقل إلى الكفر، يتساهل الإنسان فيها ثم تدعوه إلى الكفر.

وهذا الذي حصل من القبوريين؛ ابتدعوا محبة للصالحين يزعمونها، فاعتقدوا فيهم أنهم ينفعون ويضرون، فلجؤوا إلى قبورهم وأضرحتهم، فهذا سببه إدعاء محبة الصالحين، وهو ليس محبة للصالحين، والصالحون ينكرون هذا ولا يريدونه.

---

(١) هذا قول سفيان الثوري، حكاه عنه ابن الجعد في مسنده (ص ٢٧٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٤٩)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٥٣)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٦): قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: «الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، الْمَعْصِيَةُ يُتَابُ مِنْهَا، وَالْبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأنها أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية قد يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها)**، البدعة أشد من المعصية، لماذا؟ لأن المعصية يعرف صاحبها أنها معصية، وأنه مخالف للشرع، فيتوب إلى الله، وأما البدعة فيعتقد أنها سنة فيستمر عليها، يزين له إبليس أنها سنة، فيستمر عليها ولا يتوب منها.

فالبدعة أخطر من المعصية، وهي أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة قلَّ أن يتوب صاحبها، وأما المعصية فقريبًا ما يتوب صاحبها، ويعلم أنه على غير حق، أما المبتدع فيزعم أنه على حق، وأنه على صواب، ويزين له الشيطان بدعته، فلا يتوب من البدعة، من هذا الوجه البدعة شر من المعصية، وهي أحب إلى إبليس من المعصية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومنها: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل)**، معرفة الشيطان لما تؤول إليه البدعة، ولذلك يرغب فيها ويدعو إليها؛ لعلمه أنها تجر إلى الشرك ولو على المدى البعيد.

فهو زين لقوم نوح محبة الصالحين، وأن ينصبوا صورهم على مجالسهم؛ ليتذكروا عبادتهم ويقتدوا بهم، فلما طال العهد ومات العلماء، قال الشيطان لمن جاء بعدهم: إن آباءكم لم ينصبوا هذه الصور إلا ليعبدوها من دون الله، وبها كانوا يسقون المطر. مع جهلهم بذلك قبلوا من الشيطان هذه البدعة، وغلوا في الصالحين، وعبدوهم من دين الله؛ لأنهم يدخلون هذا تحت محبة الصالحين، ويدخلونه تحت التوسل إلى الله بعباده، والله جَلَّ وَعَلَا لا يتوسل إليه بأحد، لا يتوسل إليه بمخلوق لا النبي ولا غيره، فلا تقل: أسألك بمحمد.

لا يجوز هذا، أو: بعبادك الصالحين. لا يجوز التوسل إلى الله بمخلوق أبدًا؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك.

وأما قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة:٣٥]، المشركون أو القبوريون يقولون: الوسيلة: هي دعاء الأموات، والتوسط بهم إلى الله.

وأهل الحق يقولون: لا، الوسيلة هي الطاعة، ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾، أي: الطاعة التي تقربكم إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه؛ أي: من الشرك)**، فيها: خطر الغلو، وهو الزيادة في حب الصالحين إلى أن يصل إلى التوسل بهم إلى الله، وإلى عبادة قبورهم؛ لأن الشيطان يتدرج بالناس من مرتبة إلى مرتبة، فعلى المسلم أن يتنبه لهذا.

إذا أُنكر على عباد القبور، يقولون: أنتم تبغضون الصالحين.

نقول: ليست محبة الصالحين بعبادتهم، محبة الصالحين بالاقتداء بهم، واتباع سبيلهم على الكتاب والسنة، هذه محبة الصالحين.

....

ش: ومنها: النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

ومنها: معرفه عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

ومنها -وهي أعجب العجب-: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادة، واعتقدوا أن نهي الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال، يعني: لو نهاهم ناه بنهي الله لهم عن الشرك، لكفروه، واستحلوا دمه وماله بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها)**، هذه مصيبة، التماثيل والصور التي تنصب على المجالس للمعظمين، هذا خطر عظيم، نصب صور المعظمين على المجالس، ونحت الصور على شكلهم هذا الذي يوقع في الشرك، ولو على المدى البعيد.

الذين يعلقونها لا يريد منهم الشيطان أن يعبدوها في أول الأمر؛ لأنه يعلم أنهم علماء، لكن من يأتي من بعدهم يزين لهم الشيطان عبادة هذه الصور المعلقة؛ كما حصل لقوم نوح لمتأخريهم؛ ففيه تحريم اتخاذ التماثيل، وهي الصور التي على شكل إنسان أو على شكل حيوان، كل ما فيه روح، فلا يجوز عمل التماثيل ولا نصبها، بعض الناس ينصبها في مجلسه أو على الطاولة، ويقول: هذا من الفن والفنون.

نقول: أنت تقول: هذا من الفن، لكن يأتي من بعدك من يقول: هذا من عبادة الصالحين، فيعبدهم من دون الله، فأنت فتحت لهم الباب في هذا، فيجب الحذر من هذا، يجب الحذر من الصور وتعليق الصور والتماثيل في البيوت، ولا يقال: هذه فنون.

يقال: هذه وسائل من وسائل الشرك، ولو على المدى البعيد؛ فأنت إذا فتحت الباب لمن بعدك، فإنهم يقعون في الشرك بسببك؛ أنت الذي فتحت لهم الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومنها: معرفه عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها)، قصة قوم نوح لابد من تأملها؛ فإن فيها عبرًا، ولا تزال هذه العبر مستمرة، فإبليس لما رأى أن قوم نوح حزنوا على هؤلاء الصالحين لما ماتوا، استغل هذا الحزن، وقال: انصبوا صورهم؛ من أجل أن تتذكروا أحوالهم، وتتسلوا بهذه الصور؛ تخفف عنكم الحزن، فنصبوها وهم لا يريدون عبادتها، هو يعلم -إبليس- أنهم لن يعبدوها؛ لأن فيهم علماء، لكنهم فتحوا الباب، علقوا هذه الصور حتى آل الأمر إلى أن جاء إبليس إلى من بعدهم من الجهال، وقال: إن آباءكم لم ينصبوا هذه الصور إلا ليعبدوها، وبها كانوا يسقون المطر، هكذا قال لهم. فإبليس نظره بعيد -قبحه الله-، في الأول يرضى بالبدعة، ثم ينقل من البدعة إلى الشرك في نهاية الأمر، ولهذا قال العلماء: البدعة وسيلة إلى الشرك، وقال بعضهم: البدعة بريد الشرك؛ توصل إليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها -وهي أعجب العجب-: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادة، واعتقدوا أن نهي الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال)**، هذه مصيبة في عباد القبور اليوم؛ أنهم إذا نُهوا عن عبادة غير الله، فإنهم يغضبون، وربما يبطشون بمن ينهاهم: أنت تبغض الصالحين، أنت لا تحب الصالحين،... إلى آخره، هذه محبة الصالحين، وتذكر أحوالهم.

فالشيطان دائمًا وأبدًا مع البدعة، يدعو إليها، ويرغب فيها؛ لعلمه أنها توصل إلى الشرك، ولو على المدى البعيد، فلا يجوز التساهل في البدع والمحدثات، ولا يجوز التساهل في وسائل الشرك.

ولذلك نهى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن رفع القبور، يعني: أن يجعل فيها فوق ترابها، ترفع أو يبنى عليها -وهذا أشد-، يبنى عليها غرف، أو يبنى عليها مبان، وتكتب أسماؤهم عليها، اسم الضريح: ضريح فلان، وهذا ضريح فلان، هذا كله من الشيطان، وهو وسيلة إلى الشرك، وهو من الغلو في القبور.

كانت قبور الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البقيع لا يعرف هذا من هذا، الإنسان لا يعرفهم؛ لأن قبورهم متساوية، ليس فيها ما يلفت النظر، وليس عليها مبان، وكانت ضاحية، يعني: بينة في الفضاء، هكذا كانت قبور الصحابة في عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعهد الخلفاء الراشدين.

لم تكن يبنى عليها، لم تكن تجصص، لم تكن يكتب عليها، لم تكن تضاء ويجعل عليها مصابيح، هذا كله حدث فيما بعد؛ لأن الشيطان زين لهم هذا، وفسره بمحبة الصالحين، وهذا ليس محبة الصالحين، الصالحون لا يحبون هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها -وهي أعجب العجب-: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث)**، (ومنها)، أي: من فوائد هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها -وهي أعجب العجب-: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث)**، قراءتهم قصة قوم نوح في التفاسير والحديث الذي جاء عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوم نوح، ومع هذا يتغافلون عن هذا، ويأخذون بإرشاد الشيطان؛ أن هذه القبور تنفع أو تضر، فيعكفون عندها، ويتعلقون بها ... إلى آخره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومعرفتهم بمعنى الكلام)**، هم عرب يعرفون، يقرءون القصة -قصة قوم نوح-، وهم عرب يعرفون معنى الكلام، ليسوا عجمًا، ومع هذا وقعوا فيما وقعوا فيه؛ لأن الشيطان زين لهم.

وإذا دُعِوا إلى الله قالوا: أنتم لا تحبون الصالحين، أنتم تبغضون الصالحين، أنتم، وأنتم تغيرون ديننا ... إلى آخره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكون الله حال بين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادة)**، حال بين قلوبهم كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فاعتقدوا أن فعل قوم نوح، وهو عبادة الصالحين أنه من أفضل الطاعات، زين لهم الشيطان ذلك، وهو من أقبح الشرك.

الشيطان يقول: إن هذا من أفضل الطاعات، الرسول يقول: هذا من أقبح الشرك، فأخذوا بقول الشيطان، وتركوا قول الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(واعتقدوا أن نهي الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال)**، من أخذ بما نهى الله عنه ورسوله من إنكار الشرك، وقتال أهله في سبيل الله لمحو الشرك، يعتقدون هذا من أقبح المعاصي.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(يعني: لو نهاهم ناه بنهي الله لهم عن الشرك، لكفروه، واستحلوا دمه وماله بذلك)**، فعلوا هذا مع الدعاة إلى توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وأنصارهم، حتى قالوا: إن التوحيد هو دين ابن عبد الوهاب، فإذا نُهوا عن الشرك، قالوا: أنت وهابي! أنت تبغض الصالحين!

فلبسوا على الشيخ محمد أنه يبغض الصالحين، وأنه ينهى عن محبتهم، فصرفوا الناس عن الحق -والعياذ بالله.

هذا ليس بدين ابن عبد الوهاب، هذا دين محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإنما ابن عبد الوهاب وإخوانه نهوا عما نهى الله عنه ورسوله، ونصحوا للأمة، هذا ما عليه ابن عبد الوهاب وغيره من العلماء المصلحين والدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

وليس ابن عبد الوهاب انفرد بهذا، له إخوان من العلماء ومن الدعاة والمصلحين، نهوا عن ذلك.

....

ش: **ومنها: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.**

ومنها: ظنهم أن الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

ومنها: التصريح بأنها لم تعبد حتى نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده.

ومنها: أن سبب فقد العلم موت العلماء. انتهى.

ومنها: رد الشبه التي يسميها أهل الكلام عقليات، ويدفعون بها ما جاء به الكتاب والسنة من توحيد الصفات وإثباتها على ما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومنها: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة)، التصريح بأنهم يقولون: نحن لم نعبدهم، نحن اتخذناهم شفعاء عند الله.

نقول: يا سبحان الله! ألا تقرءون قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]؟

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣].

يقولون: نحن لا نعبدهم لذاتهم، إنما نريد منهم أن يشفعوا لنا عند ربنا، فيفسرون الشرك بأنه شفاعة عند الله، وهل الشرك يكون شفاعة عند الله؟!

الله بين الشفاعة عنده، قال: إنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، هذه واحدة.

الثانية: أن الشفاعة إنما هي في أهل الصلاح من العصاة -عصاة الموحدين-، هم الذين تنفعهم الشفاعة بإذن الله.

وأما المشرك والكافر: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، لا تقبل فيه شفاعة أبدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: ظنهم أن الذين صوروا الصور أرادوا ذلك)**، أن الذين صوروا الصور أرادوا أن تعبد من دون الله، وهم الذين صوروا الصور إنما أرادوا أن يتذكروا احوالهم، فينشطوا على العبادة، وهذا لا يجوز، لكن هذا قصدهم، وإلا هذا عمل لا يجوز، وهو فتح باب للشرك، لا يجوز، لكنهم لم يقصدوا هذا حين صوروا صورهم، قصدوا تذكر أحوالهم والاجتهاد في العبادة والتوحيد، لكن هذا عمل غير جائز؛ لأنه يؤول إلى الشرك، وقد آل إلى الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: التصريح بأنها لم تعبد حتى نُسِي العلم)**، التصريح أنها لم تعبد -يعني: في الحديث-، لم تعبد في وجود العلماء من قوم نوح، هي عُمِلت ونُصِبَت، لكن لم يعبدوها؛ لأنهم يعلمون أن هذا شرك، لم يعبدوها بسبب وجود العلماء من قوم نوح، فلما مات العلماء أو نُسِخَ العلم، جاءهم الشيطان، فزين لهم عبادتها فعبدوها.

ففيه: أن فقد العلماء مصيبة على الإسلام والمسلمين؛ لأنهم هم الذين يبينون للناس سبيل الحق، ويدعونهم إلى العلم النافع والعمل الصالح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده)**، منفعة وجود العلم والعلماء، ومضرة فقد العلم والعلماء، وأن هذا يجرئ الشيطان على الأمة؛ لأن ليس له مضاد يضاده، ويبين ضلاله؛ لأنه فقد العلماء، فيأتي الشيطان، وليس الشيطان هو الشيطان إبليس فقط؛ شياطين الجن، لا، شياطين الإنس، الدعاة إلى الشرك من بني آدم، شياطين هؤلاء، والشياطين يكونون من الإنس كما يكونون من الجن.

﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢]، ذكر شياطين الإنس قبل شياطين الجن وحذر منهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومنها: أن سبب فقد العلم موت العلماء)**، ليس فقد العلم: رفع العلم، هذا لا يكون إلا عند قيام الساعة، العلم موجود في الكتب -الكتاب والسنة- لكن من هو الذي يحمل هذه الكتب حملًا صحيحًا، ويعرف ما فيها، ويبينه للناس؟ قليل، لا يعرفه إلا القليل.

يأتي ناس ربما عندهم مكتبة أكبر من هذا المسجد مملوءة بالكتب، وهو من أضل الناس -ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ليس الكلام على وجود الكتب، الكلام على وجود العلماء الذين يفهمون هذه الكتب، ويدعون إليها ويبينونها ويشرحونها للناس.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومنها: رد الشبه التي يسميها أهل الكلام عقليات، ويدفعون بها ما جاء به الكتاب والسنة، من توحيد الصفات، وإثباتها على ما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه)**، العقليات: هي علم الجدل وعلم المنطق

الذي يدعون إليه، ويقولون: إنه أفضل من الكتاب والسنة، علم المنطق وعلم الجدل هذا أفضل من علم الكتاب والسنة؛ لأنك تعرف كيف ترد على المشبهين. هل ترد على المشبهين بضلال؟! لا ترد على المشبهين إلا بالكتاب والسنة اللذين فيهما النور، وفيهما البيان، أما علم المنطق وعلم الجدل، هذا لا يؤتي بخير أبدًا، كان العلماء يحذرون منه غاية التحذير؛ لأنه يصد عن تعلم الكتاب والسنة، ويدعو إلى الإقبال على علم الكلام وعلم المنطق وعلم الجدل العقيم الذي لا فائدة فيه.

....

ش: ومنها: مضرة التقليد.

ومنها: ضرورة الأمة إلى ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمًا وعملًا بما يدل عليه الكتاب والسنة؛ فإن ضرورة العبد إلى ذلك فوق كل ضرورة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومنها: مضرة التقليد)**، مضرة التقليد الأعمى، التقليد الأعمى هذا فيه مضرة عظيمة، وأما التقليد الذي هو اتباع أهل الحق، بمعنى: اتباع أهل الحق والسير على طريقهم، فهذا تقليد مطلوب، ولا يسمى تقليدًا، يسمى اتباعًا، ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ﴾ [يوسف:٣٨]، لم يقل: قلدت آبائي، قال: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ﴾، يقول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يوسف:٣٨].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومنها: ضرورة الأمة إلى ما جاء به الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **علمًا وعملًا بما يدل عليه الكتاب والسنة)**، ومنها: ضرورة، يعني: اضطرار الأمة إلى الكتاب والسنة، وترك ما سواهما من علوم الجدل والكلام والمنطق والفلسفة إلى آخره.

تعلم الكتاب والسنة هذا فيه الخير للأمة وللعالم؛ لأن رسالة الرسول عامة للعالم، والقرآن هو ليس للعرب فقط، وإنما هو للعالم كافة، حجة على العالمين؛ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا

ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨]، فرسول الله ليس للعرب خاصة، وإنما هو للعالم عامة، فكل من هداه من العرب والعجم إنما هو باتباع الكتاب والسنة، وكل من ضل، فإنه بالإعراض عن الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن ضرورة العبد إلى ذلك فوق كل ضرورة)**، أشد من ضرورته إلى الطعام والشراب والهواء، أشد من ضرورته؛ لأنه لا حياة إلا بهذا، مثلما أن جسمه -أيضًا- لا حياة له إلا بالهواء والطعام والشراب.

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ». أَخْرَجَاهُ(١).

ش: قوله: (وَعَنْ عُمَرَ)، هو ابن الخطاب بن نفيل -بنون وفاء مصغرًا- العدوي أمير المؤمنين، وأفضل الصحابة بعد الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولي الخلافة عشر سنين ونصفا، فامتلأت الدنيا عدلًا، وفُتِحت في أيامه ممالك كسرى وقيصر، واستشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَنْ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ»**)، «**لَا تُطْرُونِي**»، يعني: لا تغلوا في مدحي، الإطراء: هو الغلو في المدح(٣).

«**كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ**»، يعني: عيسى ابن مريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن النصارى غلوا في عيسى ابن مريم؛ فمنهم من يقول: إنه هو الله؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥، ٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١).

(٢) انظر في ترجمة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٤٤)، وتاريخ الإسلام (٢/ ١٣٨)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٨٤)، والأعلام للزركلي (٥/ ٤٥).

(٣) انظر: اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه للقرطبي (٥/ ١٦٠)، والمفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ١٩٦).

﴿هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٢]، ومنهم من يقول: إنه ابن الله؛ ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]، الله جَلَّوَعَلَا ليس له ولد، ولم يتخذ ولدًا؛ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٣، ٤]، فهم قالوا: المسيح ابن الله، هذه طائفة منهم. والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء:١٧١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: (وَعَنْ عُمَرَ) هو ابن الخطاب بن نفيل)**، عمر بن الخطاب بن نفيل، نوفلي من بني نوفل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(العدوي)**، العدوي: من بني عدي، وبنو عدي من قريش.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أمير المؤمنين، وأفضل الصحابة بعد الصديق)**، أمير المؤمنين؛ لأنه بويع بعد وفاة الصديق بالخلافة، فهو أمير المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ونعم الأمير -رضي الله عنه وأرضاه-، بويع بعد وفاة أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لأن أبا بكر عهد إلى عمر بن الخطاب، فعمل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بهذا العهد وقبلوه، فأصبح عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو الخليفة بعد أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهذا فيه دليل على ولاية العهد، وأن لولي الأمر أن يعهد بالأمر لمن يصلح من بعده، ويلزم الرعية قبول ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولي الخلافة عشر سنين ونصفا)**، بعد أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي عشر سنين هذه فتح المشارق والمغارب، ونشر الدين، ونشر العلم فيها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفُتِحت في أيامه ممالك كسرى وقيصر، واستشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين)**، في عهده فُتِحت الفتوح، وانتشر الإسلام، وانتشرت الدعوة إلى الله في عهده، إلى أن قُتِلَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ غدرًا، قتله أبو لؤلؤة المجوسي وهو ساجد يصلي بالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فاستشهد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو ساجد بين يدي ربه.

....

ش: قوله: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ»، الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه. قاله أبو السعادات[١].

وقال غيره، أي: لا تمدحوني بالباطل، ولا تجاوزوا الحد في مدحي[٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «**لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ**». **الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه**)، الغلو في المدح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قاله أبو السعادات**)، يعني: ابن الأثير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال غيره، أي: لا تمدحوني بالباطل، ولا تجاوزوا الحد في مدحي**)، يمدح الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما فيه، لكن لا يغلو في مدحه ويتجاوز الحد، ويدعى فيه شيئًا من الألوهية أو الربوبية، لا يجوز هذا.

«**لَا تُطْرُونِي**»، مثل الذي يقول: يا أكرم الخلق، صاحب البردة؛ يغلو في الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويطريه.

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوْذُ بِهِ سِـــــوَاكَ..................

أين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! هل الله غير موجود؟! تلوذ بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!!

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوْذُ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الحَادِثِ العَمَمِ

يعني: يوم القيامة، أين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٢٣).

(٢) انظر: إرشاد الساري للقسطلاني (٥/ ٤١٧).

فَإِنَّ مِنْ جُـودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ....

إذًا ماذا بقي لله؟! صارت الدنيا وضرتها -وهي الآخرة- كلها من جود الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يبق لله شيء؟!! نسأل الله العافية!

فَإِنَّ مِنْ جُـودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا وَمِـنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللوْحِ وَالقَلَمِ

اللوح المحفوظ هذا من علوم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل بعض علوم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هل بعد هذا الغلو غلو؟! نسأل الله العافية!

إِنْ لَـمْ يَكُنْ فِي مَعَـادِي ....

يعني: يوم القيامة.

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّـةَ القَدَمِ(١)

يعني: ليس لله وجود عنده، إنما الرسول هو الذي ينجيه!! نسأل الله العافية من هذا الغلو والإطراء! ومع هذا هذه البردة يرددونها في الصباح والمساء أكثر مما يتلون القرآن -نسأل الله العافية!

....

ش: قوله: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ»، أي: لا تمدحوني، فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فادعوا فيه الإلهية. وإنما أنا عبد الله، فصفوني بذلك كما وصفني ربي، فقولوا: عبد الله ورسوله، فأبى المشركون إلا مخالفة أمره وارتكاب نهيه، فعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه، وناقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم، ووقعوا في المحذور، وجرى منهم من الغلو والشرك شعرًا ونثرًا ما يطول عده، وصنفوا فيه المصنفات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ»)، «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ»: من عباد الله، لكن فضله الله بالنبوة والرسالة، وإلا فهو من عباد الله؛ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]: الملائكة، والرسل، والعلماء، والصالحون، وجميع الخلق كلهم يأتون عبادًا لله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٩٣-٩٥]: فالله هو الخالق، والعباد عباد الله، ليسوا عبادًا للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا لغيره، الرسول عبد، ولهذا في التشهد: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، تبدأ بقولك: «عَبْده»؛ «وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣١، ٨٣٥، ١٢٠٢، ٦٢٣٠، ٦٢٦٥، ٧٣٨١)، ومسلم (٤٠٢)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما غلت النصارى في عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **فادعوا فيه الإلهية)**، ادعوا فيه الإلهية، بعضهم يقول: المسيح هو الله، وبعضهم يقول: المسيح ابن الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإنما أنا عبد الله، فصفوني بذلك كما وصفني ربي، فقولوا: عبد الله ورسوله)**، الله جَلَّ وَعَلَا وصف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأعلى المقامات؛ بأنه عبد؛ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١]. وفي مقام التنزيل: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣]. فهو عبدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل المقامات، وهو يتشرف بهذا أن يكون عبدًا لله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فأبى المشركون إلا مخالفة أمره وارتكاب نهيه)**، المشركون الذين غلوا في الرسول وعبدوه من دون الله أبوا إلا أن يخالفوه، يقول: «**لَا تُطْرُونِي**»، وهم يطرونه ويصفونه بأوصاف الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهم عصوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم)**، في غلوهم في المسيح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وجرى منهم من الغلو والشرك شعرًا ونثرًا ما يطول عده)**، من غلوهم في الشعر ما ذكرته لكم من البردة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وصنفوا فيه المصنفات)**، صنفوا المصنفات في الغلو بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

....

ش: **وقد ذكر شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في كل ما يستغاث فيه بالله، وصنف في ذلك مصنفًا رده شيخ الإسلام، ورده موجود بحمد الله**(١).

ويقول: إنه يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله. وذكر لهم أشياء من هذا النمط. نعوذ بالله من عمى البصيرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد ذكر شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في كل ما يستغاث فيه بالله**)، ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -كما قال الشارح هنا- أنه هناك من يفتي بجواز الاستغاثة بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته، وهذا ليس بغريب، هذا موجود وبكثرة، يستغيثون بالأموات هذا بكثرة، هذا أنموذج مما يفعلون وهو باطل؛ لأن الاستغاثة عبادة، فالعبادة لا تجوز إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نعم، في حياة الشخص يجوز أن يستغاث به فيما يقدر عليه؛ كما قال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ»، ومع هذا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر هذا اللفظ؛ فقال: «**إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ** عَزَّ وَجَلَّ»(٢)؛ حماية للتوحيد، وإيصادًا للباب في هذا الباب؛ حماية للتوحيد.

---

(١) وهو كتاب (الاستغاثة)، أو (الرد على البكري)، وهو مطبوع ولله الحمد والمنة.

(٢) سبق تخريجه (ص٣٦٧).

فالميت لا يستغاث به؛ لأنه غير قادر على أن يغيث نفسه مما هو فيه، فكيف يغيث الحي؟!!

أما الاستغاثة بالأحياء فيما يقدرون عليه، فلا بأس بهذا؛ ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ﴾، يعني: موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ﴾، أي: من بني إسرائيل، ﴿عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾: وهو من القبط، قوم فرعون، ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾ [القصص:١٥]: قضى على القبطي بوكزة واحدة؛ لقوة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فالاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه تجوز.

وكذلك لما أشتد أذى منافق لبعض الصحابة، وفيهم أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال أبو بكر: «قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ».

فالاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه لا بأس بهذا، أما الأموات فلا يستغاث بهم؛ لأنهم غير قادرين، ولأن هذا وسيلة إلى الشرك -أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وصنف في ذلك مصنفًا رده شيخ الإسلام)**، وصنف، يعني: شيخ الإسلام في هذه المسألة، وهي الاستغاثة، كتاب مشهور اسمه «الاستغاثة».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويقول: إنه يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله)**، يقول هذا الرجل الخرافي: إن الرسول عنده مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله، هذه مبالغة وغلو -والعياذ بالله!

مفاتيح العيب لا يعلمها إلا هو سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يعلمها أحد، لكن هذا من الغلو، وإذا قرأت قول البوصيري في هذا الموضوع، عرفت ما عند القوم من الغلو في الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوْذُ بِهِ   سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الحَادِثِ العَمَمِ

إلى أن قال:

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا، يعني: الآخرة.

وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللوْحِ وَالقَلَمِ(١): علم اللوح المحفوظ والقلم الذي كتب الله به مقادير المخلوقات في اللوح المحفوظ هذا عند الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه مبالغة وغلو -والعياذ بالله!

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول الله له: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف:١٨٨]: الرسول لا يعلم الغيب، إنما الذي يعلم الغيب هو الله؛ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦، ٢٧]: لأجل معجزة يطلع الله بعض رسله على شيء من الغيب معجزة له؛ تدل على صدقه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويقول: إنه يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله)**، وهذا مضاد لقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، هذا الرجل يقول: يعلمها غير الله جَلَّ وَعَلَا!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذكر لهم أشياء من هذا النمط)**، ذكر عن الغلاة أشياء، يعني: ذكر شيخ الإسلام من هذا النمط البغيض أشياء كثيرة؛ لأجل الاعتبار بذلك.

---

(١) سبق عزو الأبيات (ص٣٧٢).

....

ش: وقد اشتهر في نظم البوصيري قوله[1]:

يا أكرمَ الخلقِ مَا لي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُدُوثِ الْحَادثِ الْعَمَمِ

وما بعده من الأبيات التي مضمونها إخلاص الدعاء والليإذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات وأعظم الاضطرار لغير الله، فناقضوا الرسول ﷺ بارتكاب ما نهى عنه أعظم مناقضة، وشاقوا الله ورسوله أعظم مشاقة، وذلك أن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة النبي ﷺ وتعظيمه، وأظهر لهم التوحيد والإخلاص الذي بعثه الله به في قالب تنقصه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد اشتهر في نظم البوصيري قوله)**، البوصيري: نسبة إلى بوصير، اسم بلدة في مصر، وله القصيدة التي تسمى البردة، ويقرؤها الخرافيون في أيام الموالد، وهي قصيدة مغرية في لفظها، لفظها بديع لكن معناها قبيح، يتغنون بها لحسن ألفاظها، ولكن معناها قبيح -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يا أكرمَ الخلقِ مَا لي مَنْ أَلُوذُ بِهِ * سِوَاكَ عِنْدَ حُدُوثِ الحَادثِ الْعَمَمِ)**.

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوْذُ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الحَادِثِ العَمَمِ

يعني: يوم القيامة.

---

(١) انظر: ديوان البوصيري (ص٢٥٢).

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي   فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ
فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا   وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللوْحِ وَالقَلَمِ

هل بعد هذا الغلو غلو؟!! هذا غلو شديد -والعياذ بالله-، دعا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي يأخذ بأيدي الناس يوم القيامة من الكربات، ويخلصهم من كربات يوم القيامة، وادعى أن الرسول يعلم الغيب؛ حتى مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله، وادعى أن الرسول يعلم كل شيء، حتى ما في اللوح المحفوظ، والذي كُتِب بالقلم، هذا غلو -والعياذ بالله- غلو فاضح.

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذر من هذا، قال: «**لَا تُطْرُوْنِي**»، يعني: لا تغلو في مدحي، الإطراء: هو الغلو في المدح.

«**لَا تُطْرُوْنِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ**»[(١)]، النصارى قالوا: المسيح هو الله، أو هو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، غلوا في المسيح، وهو عبدٌ مخلوق، بشر، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذر من الغلو في حقه كغلو النصارى في المسيح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ من نصحه للخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحرصه على هداية أمته، وحرصه على ما ينفعها، تحذيرها مما يضرها، هذا من كمال شفقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وما بعده من الأبيات)**، ما بعد: «يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ» من الأبيات.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٩٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التي مضمونها إخلاص الدعاء واللياذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات وأعظم الاضطرار لغير الله)**، للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك يوم القيامة، وهو أن لا يخلص من أهوال القيامة ومن شدائدها إلا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأن الله ليس له وجود في ذاك الوقت!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فناقضوا الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بارتكاب ما نهى عنه أعظم مناقضة)**، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تُطْرُوْنِي**»، أي: لا تغلو في مدحي، وهذا غلا في مدح الرسول، فخالف نهي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وشاقوا الله ورسوله أعظم مشاقة)**، ومن يشاقق الله ورسوله، ويتعدى حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها.

المشاقة: أن يكون الله في شق، والمخلوق في شق آخر، فهذه من المشاقة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك أن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وتعظيمه)**، هذا هو السبب، يقول: هذا من محبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، محبة الرسول واجبة؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١).

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الآنَ يَا عُمَرُ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٢)، من حديث عبد الله بن هشام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك أن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وتعظيمه)**، هل محبة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشاقته، والوقوع فيما نهى عنه؟! هل هذه محبة للرسول؟! هذا من الكذب والافتراء، محبة الرسول تقتضي طاعته واتباعه، وترك ما نهى عنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأظهر لهم التوحيد والإخلاص الذي بعثه الله به في قالب تنقصه)**، الآن يقولون: إذا نُهوا عن الغلو في الرسول أو في الصالحين، نُهوا عن ذلك، يقولون: أنتم تبغضون الرسول، تبغضون الصالحين، لماذا؟ لأنكم تنهون عن الغلو فيهم، تنهون عن دعائهم من دون الله، هذا تنقص.

نقول: أنتم الذين تنقصتم الصالحين؛ حيث إنكم جعلتموهم في منزلة الله عَزَّوَجَلَّ، طلبتم منهم ما يطلب من الله، هذا الذي يتنقص الصالحين، وليس الذي يتنقص الصالحين يقول: الصالحون لهم مكانتهم، ولهم المحبة منا، والاقتداء والاتباع، لكن لا نغلو فيهم، ولا نرفعهم فوق منزلتهم، هذا طريق أهل السنة والجماعة.

فأينا الذي تنقص الصالحين: الذي قال: لا ترفع منزلتهم فوق ما يستحقون إلى منزلة الله سبحانه، أم الذي رفعهم إلى منزلة الله سبحانه؟! هل هذا هو الذي يحب الرسول؟! هذا لا يحب الرسول، هذا يبغض الرسول؛ لأن الرسول نهى عن ذلك؛ قال: «**لَا تُطْرُوْنِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ**»[1]، هذا الذي يبغض الرسول، لو كان يحبه لأطاعه.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٩٣).

....

ش: وهؤلاء المشركون هم المتنقصون الناقصون، أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشد النهي، وفرطوا في متابعته، فلم يعبؤوا بأقواله وأفعاله، ولا رضوا بحكمه، ولا سلموا له. وإنما يحصل تعظيم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتعظيم أمره ونهيه، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه، ونصرته، وموالاة من عمل به، ومعاداة من خالفه. فعكس أولئك المشركون ما أراد الله ورسوله علمًا وعملًا، وارتكبوا ما نهى عنه ورسوله -فالله المستعان!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهؤلاء المشركون هم المتنقصون الناقصون)**، انتبهوا! رد عليهم قولهم؛ هم الذين تنقصوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث عصوه، وغلوا فيه، واستغاثوا به بعد موته، هؤلاء هم الذين تنقصوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما من اتبع الرسول، ونهى عن الغلو، فهذا هو الذي يحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهؤلاء المشركون هم المتنقصون الناقصون، أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشد النهي، وفرطوا في متابعته، فلم يعبؤوا بأقواله وأفعاله، ولا رضوا بحكمه ولا سلموا له)**، هذا الذي يتنقص الرسول، الذي لا يرضى بحكمه؛ لأنه نهى عن الغلو، هم غلوا، وهم أشركوا، وطلبوا من الأموات قضاء الحاجات وتفريج الكربات، فهؤلاء هم الذين تنقصوا

الرسول، تنقصوا الأولياء والصالحين؛ حيث طلبوا منهم ما لا يقدرون عليه، وأنزلوهم منزلة ليست لهم، هؤلاء هم الذين تنقصوا.

فأنت حينما تمدح واحدًا من سائر الناس؛ تقول له: أنت ليس مثلك أحد، لا الملوك ولا الرؤساء، ولا أحد يشابهك، وهو مسكين فقير، ألست تستهزئ به؟ أليس كذلك؟ تستهزئ به.

يقول لك: أنت منزلتك أعلى من منزلة الملك، أنت ليس مثلك أحد، وأنت، وانت، وأنت تكذب، ليس كذلك الشخص، إنما تريد أن تسخر منه.

الحق هو تنزيل الناس منزلتهم التي يستحقونها، هذا هو الحق، وهذا هو الذي أمر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإنما يحصل تعظيم الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بتعظيم أمره ونهيه)**، تعظيم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجب، لكن تعظيمه بتعظيم أمره ونهيه، أما أنك تدعي أنك تعظم الرسول، وأنت تخالف أمره ونهيه، هذا تنقص للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه)**، هذا هو الواجب، وهذا هو الذي أطاع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ونصرته)**، ونصرة دين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٢)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وموالاة من عمل به)**، يعني: دين الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومعاداة من خالفه)**، معاداة من خالف دين الرسول، هذا هو الواجب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فعكس أولئك المشركون ما أراد الله ورسوله علمًا وعملًا، وارتكبوا ما نهى عنه ورسوله)**، الله أمرهم بالاتباع والاقتداء، وهم خالفوا ذلك؛ فلم يتبعوا الرسول، الرسول نهى عن ذلك، وهم لم يتبعوه، بل خالفوا نهيه، وارتكبوا ما نهى عنه، فهل هذه محبة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو تعظيم للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

أنت حينما تعصى ملكًا من الملوك، هل أنت عظمته أو أهنته؟ أهنته، كذلك إذا عصيت أمر الرسول، فقد أهنت الرسول، الرسول نهى عن الغلو، وأنت غلوت، فأنت تنقصت الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عصيته.

وَقَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ»(١).

ش: هذا الحديث ذكره المصنف بدون ذكر راويه. وقد رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وهذا لفظ أحمد عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ جَمْعٍ: هَلُمَّ الْقُطْ لِي، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ، قَالَ: نَعَمْ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ».

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ»)، «إِيَّاكُمْ»: هذه كلمة تحذير، إياكم، أي: احذروا.

«وَالْغُلُوَّ»: وهو الزيادة عن القدر المطلوب(٢)؛ بأن تغلو في رسول، نبي من الأنبياء، أو تغلو في صالح من الصالحين، الغلو في الأشخاص.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٠، ٥/ ٢٩٨)، والنسائي في المجتبى (٣٠٥٧، ٣٠٥٩)، وابن ماجه (٣٠٢٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) سبق عزوه (ص٦٠٢).

وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [النساء:١٧١]، الله ليس بحاجة إلى الولد؛ لأنه يملك السماوات والأرض ومن فيهن، كلهم خلقه وعبيده، هو غنيٌّ عن الولد، غنيٌّ عن الشريك، غنيٌّ عن المعين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ**»: هذا تحذير، الغلو قد يكون في شخص؛ مثل غلو النصارى في المسيح، وغلو المبتدعة في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد يكون الغلو في الدين، يعني: يزيد في دينه عن الحد المشروع؛ مثل غلو الثلاثة الذين جاءوا يسألون عن عبادة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كي يقتدوا به، فلما أُخبروا بها؛ كأنهم تقالوها، لكن التمسوا العذر للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: إنه قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يعني: فليس بحاجة إلى الإكثار من الأعمال، وقد غُفِرَ له، فقال أحدهم: أنا أصلي ولا أنام، يعني: يسهر الليل، قال الثاني: أنا أصوم ولا أفطر، قال الثالث: أنا لا أتزوج النساء؛ تدينًا.

فلما جاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأُخبر بذلك، قال: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(١).

الاقتداء بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير غلو، ومن غير إفراط، بل بالحد المشروع فقط، «**أُصَلِّي وَأَنَامُ**»، هذا المشروع، «**وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ**»، هذا المشروع،

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٠٢).

«**وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ**»، هذا المشروع، لا يتبتل يترك النساء، هذه سنة الرسول ﷺ، فمن رغب عنها، فليس على سنة الرسول ﷺ.

فالغلو قد يكون غلوًا في الشخص؛ بأن يرفع فوق منزلته، وقد يكون غلوًا في العمل؛ بأن يزيد عن الحد المشروع.

وقد يكون الغلو في القبور، وهو الواقع الآن، الغلو في القبور؛ بحيث أنه يرجو من أصحابها، ويتبرك بها، ويطلب منها الحوائج، ويقول: أنا أحب الصالحين، هؤلاء صالحون وأنا أحبهم.

هل هذه محبة الصالحين؟! هذا عكس محبة الصالحين، هذا شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، فكيف تدعي أنه محبة للصالحين، هل الصالحون يرضون بأن تشرك بالله؟ لا، فأنت لا تحب الصالحين، لو كنت تحبهم لاتبعتهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال: «قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ** ﷺ **غَدَاةَ جَمْعٍ**)، يعني: مزدلفة.

لما انصرف من مزدلفة بعد الفجر قال للفضل بن العباس، وكان رديفه على الراحلة: «**الْقُطْ لِي الْحَصَاةَ**»: حصى الجمر، فلقط له الفضل بنُ العباس سبع حصيات كحصى الخذف، فأخذها النبي ﷺ بيده الشريفة، وقال: «**أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ، فَارْمُوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ**».

لا يقل واحد: هذه صغيرة، هذه حصى صغار، ماذا تفعل؟! -كما يفعله بعض الجهال-، لا يقل: هذه صغار؛ هذه سنة، تعمل بالسنة ولا تخالفها.

بعضهم يرمى الجمرات بالأحذية، بعضهم بحجر كبير، ولا يقنعه هذا الحصى الذي رمى به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا غلو -والعياذ بالله!

«أَمْثَالَ هَـؤُلَاءِ، فَارْمُوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ»، لا يقل واحد: هذه صغار، هذه لا تفعل شيئًا. هذه هي السنة.

هذا في الجمرات، وفي غيرها أيضًا من العبادات، لكن الجمرات مثال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا**)**، يعني الفضل بن العباس، وليس عبد الله أخاه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال: «قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **غَدَاةَ جَمْعٍ)**، «غَدَاةَ جَمْعٍ»، يعني: مزدلفة، سميت جمعًا لاجتماع الحجاج فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الخَذْفِ)**، الحصى الذي يخذف على رؤوس الأصابع يسمى حصى الخذف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»)**، الغلو في الدين في الجمرات وفي غيرها.

....

ش: **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه، مثل الرمي بالحجارة الكبار؛ بناءً على أنه أبلغ من الصغار.**

ثم علله بما يقتضي مجانبة هدي من كان قبلنا إبعادًا عن الوقوع فيما هلكوا به، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **هذا عام في جميع أنواع الغلو)**، ليس بخاص بالجمرات، جميع أنواع الغلو في الدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مثل الرمي بالحجارة الكبار، بناءً على أنه أبلغ من الصغار)**، بعضهم يقول: هذا رمي الشيطان، وهذه حصيات لا تفعل فيه شيئًا، يأخذ حصى كبارًا، يريد أن يقتل الشيطان، أو يرميه بالأحذية.

يا أخي! هذا ليس برمي للشيطان، إنما هذا ذكر لله عَزَّوَجَلَّ؛ «**إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَالسَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَرَمْيَ الْجِمَارِ، لِذِكْرِ اللهِ**»(٢). فهذا ذكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس رميًا للشيطان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم علله بما يقتضي مجانبة هدي من كان قبلنا إبعادًا عن**

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٢٨-٣٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٤١/ ١٧، ٥٢٤)، وأبو داود (١٨٨٨)، والترمذي (٩٠٢)، والفاكهي في أخبار مكة -واللفظ له (١/ ٢٠١)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

الوقوع فيما هلكوا به)، «**وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ**»، هكذا يقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«**وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ**»، لماذا؟ لأن الغلو أهلك من كان قبلنا، فإذا غلونا، أهلكنا كما أهلكهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم علله بما يقتضي مجانبة هدي من كان قبلنا إبعادًا عن الوقوع فيما هلكوا به)**، «**فَإِنَّمَا أَهَلَكَ**»، دل على أن الغلو يهلك.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. قَالَهَا ثَلَاثًا»(١).

ش: قوله: (**وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. قَالَهَا ثَلَاثًا»**).

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: المتنطع: المتعمق في الشيء، المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم(٢).

ومن التنطع: الامتناع من المباح مطلقًا، كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز، ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف، ولا يلبس إلا القطن، ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أن هذا من الزهد المستحب. قال الشيخ تقي الدين: فهذا جاهل ضال. انتهى(٣).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. قَالَهَا ثَلَاثًا»**)، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»**. ثلاث مرات.

من هم المتنطعون؟ الغلاة، التنطع: هو الغلو، وهلكوا، يعني: ضلوا وحبطت أعمالهم، هذا هو الهلاك -والعياذ بالله!

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).
(٢) انظر: معالم السنن (٤/ ٣٠٠).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٣٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الخطابي)**، أبو سليمان الخطابي، إمام جليل صاحب «معالم السنن».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم)**، علم الكلام الذي هو علم المنطق أخذوه للاستدلال به، وتركوا الكتاب والسنة، يقولون: علم المنطق أبلغ؛ لأنه علم عقلي، فهم يقدمون العلوم العقلية على العلوم الشرعية -نسأل الله العافية!

يقولون: إنها أبلغ في الدلالة، وأقوى في الحجة ... إلى آخره، تركوا كتاب الله وسنة رسوله، وأخذوا علم الكلام وعلم المنطق، وجعلوه دليلًا لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن التنطع: الامتناع من المباح مطلقًا)**، من التنطع والغلو: الامتناع من أخذ المباح؛ كأكل اللحم، أنا لا آكل اللحم، الرسول يأكل اللحم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه مباح. فإذا تركت المباح تدينًا فقد غلوت، تناول ما أباحه الله لك، لكن لا تسرف، المنهي عنه هو الإسراف؛ ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١]، المنهي عنه هو الإسراف، وليس التلذذ بما أباح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الأطعمة واللحوم وغير ذلك والثمار، هذا أباحه الله، كل منه، لكن من غير مبالغة وغلو وإفراط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف)**، كالصوفية لا يلبسون إلا الصوف، يتركون القطن، يتركون الكتان،

يتركون الملابس الجميلة، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١]، زينتك، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢]، من الذي حرمها؟! استنكار من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن خذوا منها من غير مبالغة، ومن غير غلو، ومن غير زيادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يلبس إلا القطن)**، لا يلبس إلا القطن، وبعضهم لا يلبس إلا الصوف، ويعتبر هذا من الطاعة والعبادة والزهد، لا، هذا ليس من العبادة ومن الزهد، هذا من تحريم الحلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويمتنع من نكاح النساء)**، يقول: أنا سأتفرغ للعبادة، ولا يتزوج، يتقرب إلى الله بترك الزواج، الله جَلَّ وَعَلَا أمر بالزواج، ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور:٣٢]، أمر بالزواج، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

وقال: «**وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويظن أن هذا من الزهد المستحب)**، لا، الزهد: ليس هو أنك تترك ما أباحه الله، انتهبوا!

الزهد: ليس معناه أنك تترك ما أباح الله، الزهد: أنك تترك ما حرم الله، هذا الزهد، تزهد بالحرام لا تتناوله، تزهد بما في أيدي الناس، لا تطلع إليهم،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠/ ٦٣، ٢١/ ١٩١)، وابن حبان في صحيحه (٩/ ٣٣٨)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٢٠٧)، والبزار في مسنده -واللفظ له- (١٣/ ٩٥)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢١٩)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (ص٦٠٢).

لا تتطلع إلى ما في أيدي الناس، ازهد فيما عند الناس يحبك الناس، وارغب فيما عند الله يحبك الله(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الشيخ تقي الدين: فهذا جاهل ضال)**، هذا الذي يعتبر أن هذا من الزهد، هذا ليس من الزهد، الذي يترك ما أحل الله ليس هذا من الزهد.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥٢، ٧/ ١٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ١١٥، ١١٦)؛ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ**».

....

ش: **وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الغزالي: والمتنطعون في البحث والاستقصاء**[(١)].

وقال أبو السعادات: هم المتعمقون الغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم؛ مأخوذ من النطع، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم اُستعمل في كل متعمق قولًا وفعلا[(٢)].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة، واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعـراب في مخاطبة العوام ونحوهم[(٣)].

قوله: «قَالَهَا ثَلَاثًا»، أي: قال هذه الكلمة ثلاث مرات، مبالغة في التعليم والإبلاغ، فقد بلغ البلاغ المبين. صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قال الغزالي: والمتنطعون في البحث والاستقصاء)**، في البحث والاستقصاء، في البحث في المسائل التي ليسوا بحاجة إليها، والسؤال الذي ليسوا بحاجة إليه، هذا من التنطع.

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٩٥)، والصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٨٥٩)، ولفظ الغزالي وابن القيم: (المتعمقون)؛ شرحًا لحديث «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**».

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٧٤).

(٣) انظر: رياض الصالحين (ص٤٨٢).

تسأل العلماء، وتكثر السؤال؛ من أجل أن يقال: إنك جيد، لا، اسأل بقدر ما تحتاج إليه فقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو السعادات)**، أبو السعادات: ابن الأثير.

أبو السعادات مهمته يشرح الألفاظ المشكلة في الأحاديث، يشرحها ويبينها، لابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث»، يذكر الأذكار الغربية ويشرحها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو السعادات: هم المتعمقون الغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم)**، تبجح في الكلام، ويضخم صوته، ويجتهد في إخراج الحروف من مخارجها، هذا كله تنطع.

تكلم كلامًا عاديًّا قدر الحاجة، ولا تتنطع وتضخم الصوت، وتجتهد في أن تأتي بالإدغام والغنة؛ هذا في القرآن، ليس في سائر الكلام، الآن يأتون به حتى في الكلام، يأتون الإدغام والغنة وقواعد التجويد، هذا من الغلو والمبالغة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مأخوذ من النطع، وهو الغار الأعلى من الفم)**، النطع: هو أعلى الفم، المتنطعون من النطع، وهو أعلى الفم، يتكلمون بملء أفواههم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم أُستعمل في كل متعمق قولًا وفعلًا)**، ليس بخاص بالغلو في الكلام، الغلو في كل شيء؛ في الأكل والشرب في العبادة، في أي شيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة، واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم)**، يأتي بقواعد التجويد، ويأتي بغريب اللغة، ويترك الألفاظ المعروفة، يأتي بالغريب في العربية؛ من أجل أن يسألوه: ما معنى هذا؟ وما معنى هذا؟

لا تتكلف -يا أخي-، تكلم كلامًا يفهمه الحاضرون؛ إن كنت تتكلم مع عوام، تكلم بلغة العوام، وإن كنت تتكلم مع علماء، تكلم بلغة العلماء، أنزل كلًا في منزلته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «قَالَهَا ثَلَاثًا»، أي: قال هذه الكلمة ثلاث مرات)**، من باب التأكيد، كررها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثًا من باب التأكيد.

«قَالَهَا ثَلَاثًا»، ماذا؟ «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»، كررها ثلاثًا.

قال: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»، ثلاث مرات.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: أَنَّ مَنْ فَهِمَ هَذَا البَابَ وَبَابَيْنِ بَعْدَهُ، تَبَيَّنَ لَهُ غُرْبَةُ الإِسْلَامِ، وَرَأَى مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَتَقْلِيْبِهِ لِلْقُلُوْبِ العَجَبَ.

الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شِرْكٍ حَدَثَ فِي الأَرْضِ أَنَّهُ بِشُبْهَةِ الصَّالِحِيْنَ.

الثَّالِثَةُ: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شَيْءٍ غُيِّرَ بِهِ دِيْنُ الأَنْبِيَاءِ، وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ؟ مَعَ مَعْرِفَةِ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُمْ.

الرَّابِعَةُ: قَبُوْلُ البِدَعِ مَعَ كَوْنِ الشَّرَائِعِ وَالفِطَرِ تَرُدُّهَا!

الخَامِسَةُ: أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلِّهِ مَزْجُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ.

فَالأَوَّلُ: مَحَبَّةُ الصَّالِحِيْنَ.

وَالثَّانِي: فِعْلُ أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ شَيْئًا أَرَادُوا بِهِ خَيْرًا؛ فَظَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ غَيْرَهُ.

السَّادِسَةُ: تَفْسِيْرُ الآيَةِ الَّتِي فِي سُوْرَةِ نُوْحٍ.

السَّابِعَةُ: جِبِلَّةُ الآدَمِيِّ فِي كَوْنِ الحَقِّ يَنْقُصُ فِي قَلْبِهِ؛ وَالبَاطِلِ يَزِيْدُ.

الثَّامِنَةُ: فِيْهِ شَاهِدٌ لِمَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ أَنَّ البِدَعَ سَبَبُ الكُفْرِ.

التَّاسِعَةُ: مَعْرِفَةُ الشَّيْطَانِ بِمَا تَؤُوْلُ إِلَيْهِ البِدْعَةُ؛ وَلَوْ حَسُنَ قَصْدُ الفَاعِلِ.

العَاشِرَةُ: مَعْرِفَةُ القَاعِدَةِ الكُلِّيَّةِ؛ وَهِيَ النَّهْيُ عَنِ الغُلُوِّ وَمَعْرِفَةُ مَا يَؤُوْلُ إِلَيْهِ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: مَضَرَّةُ العُكُوفِ عَلَى القَبْرِ لِأَجْلِ عَمَلٍ صَالِحٍ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ النَّهْيِ عَنِ التَّمَاثِيْلِ وَالحِكْمَةِ فِي إِزَالَتِهَا.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ شَأْنِ هَذِهِ القِصَّةِ وَشِدَّةُ الحَاجَةِ إِلَيْهَا مَعَ الغَفْلَةِ عَنْهَا.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ -وَهِيَ أَعْجَبُ-: قِرَاءَتُهُمْ إِيَّاهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيْرِ وَالحَدِيْثِ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِمَعْنَى الكَلَامِ، وَكَوْنُ اللهِ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُلُوْبِهِمْ حَتَّى اعْتَقَدُوا أَنَّ فِعْلَ قَوْمِ نُوْحٍ أَفْضَلُ العِبَادَاتِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ مَا نَهَى اللهُ وَرَسُوْلُهُ عَنْهُ فَهُوَ الكُفْرُ المُبِيْحُ لِلدَّمِ وَالمَالِ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيْدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: ظَنُّهُمْ أَنَّ العُلَمَاءَ الَّذِيْنَ صَوَّرُوا الصُّوَرَ أَرَادُوا ذَلِكَ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: البَيَانُ العَظِيْمُ فِي قَوْلِهِ: «لَا تُطْرُوْنِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ»[1]، فَصَلَوَاتُ اللهُ وَسَلَامُهُ عَلَى مَنْ بَلَّغَ البَلَاغَ المُبِيْنَ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: نَصِيْحَتُهُ إِيَّانَا بِهَلَاكِ المُتَنَطِّعِيْنَ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّهَا لَمْ تُعْبَدْ حَتَّى نُسِيَ العِلْمُ، فَفِيْهَا بَيَانُ مَعْرِفَةِ قَدْرِ وُجُوْدِهِ وَمَضَرَّةُ فَقْدِهِ.

العِشْرُوْنَ: أَنَّ سَبَبَ فَقْدِ العِلْمِ مَوْتُ العُلَمَاءِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيْهِ مَسَائِلُ**)، فيه، يعني: في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الأُوْلَى: أَنَّ مَنْ فَهِمَ هَذَا البَابَ وَبَابَيْنِ بَعْدَهُ، تَبَيَّنَ لَهُ غُرْبَةُ الإِسْلَامِ، وَرَأَى مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَتَقْلِيْبِهِ لِلْقُلُوْبِ العَجَبَ**)، من فهم هذا الباب، وهو باب النهي عن الغلو.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٩٣).

الباب هذا هو باب النهي عن الغلو؛ الغلو في الأشخاص، الغلو في القبور، الغلو في العبادة، هذه أنواع الغلو.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شِرْكٍ حَدَثَ فِي الأَرْضِ أَنَّهُ بِشُبْهَةِ الصَّالِحِيْنَ)**، أول شرك حدث في الأرض هو ما حدث في قوم نوح؛ لما غلوا في الصالحين منهم، وصوروا صورهم، ونصبوها على مجالسهم؛ ليتذكروا أحوالهم، فلما طال الزمان، عبدوا هذه الصور بإيحاء الشيطان، وحدث الشرك في الأرض بسبب ذلك، بسبب الغلو، فلما حدث الشرك، أرسل الله رسوله نوحًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ينهى عن ذلك، ويدعو إلى التوحيد.

فأنتم تعلمون أن أول شرك حدث في الأرض هو بسبب الغلو في الصالحين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شَيْءٍ غُيِّرَ بِهِ دِيْنُ الأَنْبِيَاءِ، وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ)**، هو الغلو، أول شيء غُيِّرَ به دين الأنبياء -وهو التوحيد- هو الغلو في الصالحين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مَعَ مَعْرِفَةِ أَنَّ اللهَ أَرْسِلَهُمْ)**، أرسل الرسل للنهي عن ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: قَبُوْلُ البِدَعِ مَعَ كَوْنِ الشَّرَائِعِ وَالفِطَرِ تَرُدُّهَا!)**، قبول البدع، الشيطان يزينها ويبغض السنن، وهذا واقع، يعني: شياطين الإنس والجن يدعون إلى البدع، ويحسنونها إلى الناس، وينهون عن السنن؛ لأن الشيطان جندهم لذلك، أما أهل الحق، فيدعون للسنن، وينهون عن البدع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلِّهُ مَزْجُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، فَالأَوَّلُ: مَحَبَّةُ الصَّالِحِيْنَ**)، هذا حق، محبة الصالحين حق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالثَّانِي: فِعْلُ أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ شَيْئًا أَرَادُوا بِهِ خَيْرًا؛ فَظَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ غَيْرَهُ**)، يفسرون كلام أهل العلم بغير معناه؛ ليضلوا الناس، وقد فسروا قول الرسول بغير معناه، فكيف بكلام أهل العلم؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ الَّتِيْ فِي سُوْرَةِ نُوْحٍ**)، ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [نوح:٢٤]، ما هي آلهتهم؟ هي: وَدّ وَسُوَاع وَيَغُوث وَيَعُوق وَنَسْر.

﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾، يعني: يتركون الله، ويوصون بعبادة هؤلاء المخلوقين، ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾، كيف يذرون عبادة الله، ولا يذرون الآلهة التي أحدثوها؟! انظر إلى اشليطان كيف يلعب ببني آدم!

﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾: اعتبروها آلهة، ويحذرون من ترك عبادة الصالحين، ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾، أنتم تركتم عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكيف أنكم تقولون: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾، يعني: الغلو في الصالحين، وعبادة الصالحين؟!

نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول: لا تذرن عبادة الله وحده لا شريك له، وهم يقولون: لا، ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾: التي هي القبور.

وهذا هو الواقع الآن في القبوريين، إذا نُهوا عن هذا، قالوا: احذروا من الوهابية، واحذروا من الذين يدعون إلى التوحيد، هؤلاء لا يحبون الصالحين، يبغضون الصالحين.

أنتم أبغضتم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في حين أن هذا ليس بحق للصالحين؛ حتى يقال: أبغضتموهم، ليس حقًّا لهم، هذا حق لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةُ: جِبِلَّةُ الآدَمِيِّ فِي كَوْنِ الحَقِّ يَنْقُصُ فِي قَلْبِهِ؛ وَالبَاطِلِ يَزِيْدُ)**، جِبِلَّة، يعني: أن قلب الجاهل يتقبل البدع والمحدثات أكثر مما يتقبل السنن والمشروعات؛ لأن الشيطان يزين له ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّامِنَةُ: فِيْهِ شَاهِدٌ لِمَا نُقِلَ عَنْ السَّلَفِ أَنَّ البِدَعَ سَبَبُ الكُفْرِ)**، السلف يقولون: إن البدعة بريد الكفر، يعني: توصل للكفر، فأولًا البدعة، ثم الشرك، فمحبة الصالحين المبتدعة جرتهم إلى عبادة الأموات، فالبدعة لا خير فيها أبدًا؛ تجر إلى الشرك، إلى ما هو أعظم منها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التَّاسِعَةُ: مَعْرِفَةُ الشَّيْطَانِ بِمَا تَؤُوْلُ إِلَيْهِ البِدْعَةُ؛ وَلَوْ حَسُنَ قَصْدُ الفَاعِلِ)**؛ لأن الشيطان قال لهم: صوروا صورهم، وانصبوها على مجالسكم؛ حتى تنشطوا على العبادة.

هذا شيء طيب: النشاط على العبادة، لكن ليس بسبب محرم، النشاط على العبادة: بخشية الله، وطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتدبر القرآن، هذا الذي ينشط على العبادة.

ليس الذي ينشط على العبادة الغلو في الصالحين، والغلو في القبور، هذا لا ينشط العبادة، هذا يبعد عن العبادة إلى الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(العَاشِرَةُ: مَعْرِفَةُ القَاعِدَةِ الكُلِّيَّةِ؛ وَهِيَ النَّهْيُ عَنْ الغُلُوِّ وَمَعْرِفَةُ مَا يَؤُوْلُ إِلَيْهِ)**، القاعدة الكلية: النهي عن الغلو عمومًا بجميع

العبادات، والغلو حتى في المباحات، لا تغلوا في المباحات، كل واشرب والبس من غير سرف ولا مخيلة(١)، توسط، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان:٦٧]، بين الإسراف والتقتير، التقتير هو البخل، الوسط هو الخير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: مَضَرَّةُ العُكُوفِ عَلَى القَبْرِ لِأَجْلِ عَمَلٍ صَالِحٍ**)، التردد على القبور؛ من أجل طلب البركة منها، أو محبة أصحابها يجر إلى الشرك، يجر إلى عبادة القبور.

نعم، زيارة القبور للسلام على الأموات، والدعاء لهم، وتذكر الآخرة هذا مشروع، لكن زيارتهم؛ لأجل تذكر أحوالهم، ولأجل محبتهم كما يزعمون؟ هذا لا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ النَّهْيِ عَنْ التَّمَاثِيْلِ وَالحِكْمَةِ فِي إِزَالَتِهَا**)، خطر التماثيل في البيوت وفي الدكاكين وفي المجالس، لا يجوز نصب التماثيل، سواء كانت لآدميين أو لحيوانات أو لطيور، كل ذوات الأرواح لاتنصب تماثيلها في البيوت، لا تنصب في الدكاكين، لاتنصب في المكاتب، حرام هذا، لا يجوز؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك، وهذا مضاهاة لخلق الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (١١/ ٢٩٤، ٣١٢)، وابن ماجه (٣٦٠٥)، والحاكم في المستدرك -واللفظ له- (٤/ ١٥٠)، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا مَخِيلَةٍ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**».

«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»(١)؛ ذرة، هل هناك أضعف من الذرة أو أقل منها؟! دعهم يخلقون ذرة، لا يستطعيون.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج:٧٣]: لو تجمع أطباء العالم، وتجمع صناع العالم، وتجمع كل من عنده معرفة بالصناعة، تقول لهم: اصنعوا لنا ذبابًا؟ من الممكن يصنعوا صورته، لكن انفخوا فيه الروح، اجعلوه يطير ويتحرك، لا يستطيعون، هذا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ شَأْنِ هَذِهِ القِصَّةِ وَشِدَّةُ الحَاجَةِ إِلَيْهَا مَعَ الغَفْلَةِ عَنْهَا**)، قصة قوم نوح، معرفة القصة، وكيف أن الشيطان لعب بهم، وتطور بهم شيئًا فشيئًا حتى أوقعهم في الشرك؛ في الأول يحثهم على محبة الصالحين، وعلى تذكر أحوالهم، وفي النهاية قال: إن آباءكم لم ينصبوا هذه الصور إلا ليعبدوها، وبها كانوا يسقون المطر، فزين لهم ذلك، فعبدوها -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ -وَهِيَ أَعْجَبُ-: قِرَاءَتُهُمْ إِيَّاهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالحَدِيْثِ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِمَعْنَى الكَلَامِ**)، الخطاب للقبوريين الذين يدعون القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَكَوْنُ اللهِ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُلُوْبِهِمْ حَتَّى اعْتَقَدُوا أَنَّ فِعْلَ قَوْمِ نُوْحٍ أَفْضَلُ العِبَادَاتِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ مَا نَهَى اللهُ وَرَسُوْلُهُ عَنْهُ فَهُوَ الكُفْرُ**

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

المُبِيْحُ لِلدَّمِ وَالمَالِ)، لأنك تبغض الصالحين، وأنك تنهى عن محبة الصالحين، وأنك، وأنك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيْدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ)**، الذين يعبدون القبور لا يعتقدون أنها تشارك الله في الخلق والرزق والإحياء والإماتة، يقولون: هذا لله وحده، إنما يعبدونهم للشفاعة فقط؛ ليتوسطوا لهم عند الله فقط.

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، هذا في سورة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ ﴾: لاحظ! أقروا أنهم يعبدونهم، ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣]، يعني: وسائط بيننا وبين الله، وهذا الذي يقوله القبوريون اليوم: نحن نعلم أنهم لا يضرون ولا ينفعون، لكن نريد أنهم يتوسطون بينا وبين الله.

لماذا لا تسألون الله؟! الله قريب مجيب؛ لماذا تتخذون فلانًا وفلانًا يتوسطون؟! ادع الله، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ﴾، ماذا قال؟ ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر:٦٠]، الله فاتح بابه لكم، لماذا تتخذون وسائط، وتتخذون فلانًا وعلانًا، والأموات وغير ذلك؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيْدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ)**، لم يريدوا منهم، ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، لا يقولون: هؤلاء شركاء لله، يقولون: لا، ﴿ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: ظَنُّهُمْ أَنَّ العُلَمَاءَ الَّذِيْنَ صَوَّرُوا الصُّوَرَ أَرَادُوا ذَلِكَ)**، العلماء الذين صوروا الصور في قوم نوح لم يريدوا ذلك، أرادوا تذكر أحوال الصالحين والاقتداء بهم، لم يريدوا عبادتهم والتبرك بهم، كذبوا عليهم.

قال الشيطان: إن آباءكم لم ينصبوا هذه الصور إلا ليعبدوها، وبها كانوا يسقون المطر. هكذا قال لهم الشيطان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: البَيَانُ العَظِيْمُ فِي قَوْلِهِ: (لَا تُطْرُوْنِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ) فَصَلَوَاتُ اللهُ وَسَلَامُهُ عَلَى مَنْ بَلَّغَ البَلَاغَ المُبِيْنِ)**، قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُطْرُوْنِي**»، أي: لا تغلوا في مدحي.

«**كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ**»: كما غلت النصارى في المسيح ابن مريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا: إنه الله؛ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٢]، وبعضهم قال: إن ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]، وبعضهم قال: ﴿ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]. الله، والمسيح وروح القدس، ثلاثة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: نَصِيْحَتُهُ إِيَّانَا بِهَلَاكِ المُتَنَطِّعِيْنَ)**، في قوله: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُوْنَ**»، يعني: لا تهلكوا مثلهم، لا تفعلوا مثل فعلهم فتهلكوا، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّهَا لَمْ تُعْبَدْ حَتَّى نُسِيَ العِلْمُ)**، هذا في الحديث: إنه لما طال الزمان، ونُسِيَ العلم -أو نُسِخَ العلم-، ومات

العلماء، دب الشيطان إليهم، وقال: إن آباءكم لم ينصبوها إلا ليعبدوها، وبها كانوا يسقون المطر.

يوم أن كان العلماء موجودين لم يستطع الشيطان أن يقول هذا.

ففيه: أن فقد العلم مصيبة عظيمة على الأمة؛ لأن هم الذين ينكرون المنكر، وعالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد[1]، العالم الواحد أشد على الشيطان من ألف عابد جاهل.

فمكانة العلماء وفضلهم في الأمة هم النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَفِيْهَا بَيَانُ مَعْرِفَةِ قَدْرِ وُجُوْدِهِ وَمَضَرَّةُ فَقْدِهِ**)، وجود العلم، وفقد العلم، والعلم لا يوجد إلا بالعلماء، ولا يفقد إلا بموت العلماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**العِشْرُوْنَ: أَنَّ سَبَبَ فَقْدِ العِلْمِ مَوْتُ العُلَمَاءِ**)، موت العلماء نقص في العلم.

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٣٦).

١٩- بَابُ مَا جَاءَ مَنْ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللَّهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!

ش: وقوله المصنف: (بَابُ مَا جَاءَ مَنْ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!)، أي: الرجل الصالح؛ فإن عبادته هي الشرك الأكبر، وعبادة الله عنده وسيلة إلى عبادته، ووسائل الشرك محرمة؛ لأنها تؤدي إلى الشرك الأكبر، وهو أعظم الذنوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ مَا جَاءَ مَنْ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!**)، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ مَنْ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!)، يعني: عبد صاحب القبر، وذلك أنه لا تجوز الصلاة عند القبور؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تصلوا إليها**»(١)؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك.

الصلاة عند القبور وسيلة إلى الشرك، وإن كان المصلي يصلي لله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن الشرع جاء بسد الوسائل المفضية إلى الشرك، ولهذا نُهي عن الصلاة عند القبور، إلا صلاة الجنازة؛ تجوز الصلاة على الجنازة في المقبرة، وأما غير صلاة الجنازة من الفرائض والسنن، فلا يصلى عند القبور؛ لأن هذا وسيلة إلى الغلو في القبور، ثم إلى الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٢): عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ، وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا**».

(بَابُ مَا جَاءَ مَنْ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!)، إذا عبد القبر، هذا شرك صريح.

الأول: وسيلة إلى الشرك، والثاني: شرك صريح، والشرع جاء بالنهي عن الشرك وعن ذرائعه وعن وسائله الموصلة إليه؛ حفاظًا على عقيدة التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قول المصنف)**، قول المصنف، يعني: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جد الشارح رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ مَا جَاءَ مَنْ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!)**، فإذا عَبَدَهُ، صار شركًا، وأما إذا عبد الله، ولم يعبد القبر صار وسيلة إلى الشرك عند القبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أي: الرجل الصالح)**، أي: عبد الرجل الصالح الميت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن عبادته هي الشرك الأكبر)**، عبادة غير الله هي الشرك الأكبر، شرك أهل الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعبادة الله عنده وسيلة إلى عبادته)**، والشرع سد الوسائل المفضية إلى الشرك، الموصلة إلى الشرك.

هناك من يغيظهم سد الوسائل، ويقولون: هذا لا أصل له، لماذا تضيقون على الناس؟!! هذا في القرآن والسنة، سد الوسائل المفضية إلى الشرك، ليس بشيء من عندنا.

يقولون: الواجب فتح الوسائل، وليس الواجب سد الوسائل.

وهذا تضليل؛ فتح الوسائل يؤدي إلى الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ووسائل الشرك محرمة؛ لأنها تؤدي إلى الشرك الأكبر، وهو أعظم الذنوب)**، وكل ما يؤدي إلى الشرك الأكبر، فإنه محرم، وإن كان أصله مباحًا، لكن إذا كان يفضي إلى الشرك الأكبر ووسيلة، فإنه محرم.

فِي الصَّحيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ وما فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ. فَقَالَ: أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوِ العَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»[(١)]. فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةَ القُبُورِ، وَفِتْنَةَ التَّمَاثِيلِ[(٢)].

ش: قوله: (فِي الصَّحِيحِ)، أي: الصحيحين.

قوله: «أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ»، هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أبي سلمة سنة أربع، وقيل: ثلاث، وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلى الحبشة، ماتت سنة اثنتين وستين[(٣)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ وما فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ. فَقَالَ: أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوِ العَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»)، أم سلمة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧، ٤٣٤، ١٣٤١، ٣٨٧٨)، ومسلم (٥٢٨).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ١٨٤).

(٣) انظر في ترجمتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٩٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠١)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٧٤١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٣٤٢).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة؛ لما ضايق المشركون أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة، أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة عند النجاشي، وهو نصراني ولكنه كان عادلًا؛ لا يظلم أحدٌ عنده. فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر أصحابه المضايقين في مكة -ومنهم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بالهجرة إلى الحبشة؛ فرارًا بدينهم، وبعدًا عن ضغط الكفار والمشركين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةَ القُبُوْرِ، وَفِتْنَةَ التَّمَاثِيْلِ)**، يقول شيخ الإسلام -هذه الكلمة مأخوذة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية-: هؤلاء الذين يعظمون القبور جمعوا بين فتنتين: فتنة الشرك -والعياذ بالله-، وفتنة وسائل الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةَ القُبُوْرِ، وَفِتْنَةَ التَّمَاثِيْلِ)**؛ **فتنة القبور**: وهي الصلاة عندها وتعظيم القبور.

وفتنة التماثيل: وهي الصور المنحوتة على شكل إنسان؛ مثلما فعل قوم نوح؛ لما مات الصالحون في زمانهم، فحزنوا عليهم، فجاءهم الشيطان في صورة مناصح، وفي صورة مشفق عليهم من الحزن الذي هم فيه، قال: صوروا صورهم، وانصبوها فوق مجالسهم؛ حتى تتذكروا أحوالهم، وينشطكم ذلك على عبادة الله، فصوروا صور الصالحين: وَدّ وَسُوَاع وَيَغُوث وَيَعُوق وَنَسْر، ونصبوها على مجالسهم، ولم تعبد في وقت العلماء؛ كان فيهم علماء، فلم تعبد؛ لأن العلماء يمنعونهم من ذلك، وينهونهم عن ذلك. الشيطان لا يريد أهل هذا العصر الذي فيه العلماء، يريد العصر الذي يأتي ليس فيه علماء، فيدب

إليهم. فلما مات العلماء، جاء الشيطان إليهم، وقال: إن آباءكم لم ينصبوا هذه الصور إلا ليعبدوها، وبها كانوا يسقون المطر، فزين لهم عبادتها، فعبدوها، فحدث الشرك في الأرض.

هذا أول حدوث الشرك في الأرض بعد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أول حدوث الشرك في الأرض في قوم نوح، وسببه: تصوير الصالحين، ونصب صورهم، هذا يؤدي إلى الشرك.

فلما مات العلماء، ونُسِخ العلماء، جاءهم وقال: إن آباءكم لم ينصبوا هذه الصور إلا ليعبدوها، وبها كانوا يسقون المطر، فعبدوها، وهذا أول شرك حدث في الأرض بعد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو الذي بعث من أجله نبيه نوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلما نهاهم عن الشرك وعن عبادة القبور، قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ [نوح:٢٣، ٢٤]، وهذا شأنهم.

فلا يتساهل في وسائل الشرك أبدًا، ولهذا أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطمس الصور، «**لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا**»، يقول لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا**»(١)، أمر بطمس الصور، ونهى عن تعليق الصور على الجدران؛ لأن ذلك وسيلة إلى عبادتها، ولو لم يكن في الجيل الأول، وإنما يأتي في الأجيال اللاحقة؛ حين ينشأ الجهل، فيجدون هذه الصور المعظمة والمعلقة، فيعبدونها من دون الله.

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٢٨).

ولهذا لما رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سترة جعلتها عائشة على فتحة في جدار، وفيها تماثيل لم يدخل الحجرة، تغيظ ولم يدخل الحجرة، حتى هُتِكَت هذه الستره، وجُعِلت وسائد ممتهنة، فدخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحجرة[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةَ القُبُوْرِ، وَفِتْنَةَ التَّمَاثِيْلِ)**، يعني: فتنة القبور والغلو فيها، وفتنة التماثيل المعلقة والمنحوتة والمنصوبة على الجدارن للمعظمين؛ لأنه لا يعلق إلا إنسان معظم؛ إما ملك، وإما عالم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: (فِي الصَّحِيحِ) أي: الصحيحين)**، يعني: البخاري ومسلم، أي: في الحديث الصحيح، فإذا كان متفقًا عليه، فهو أصح شيء بعد كتاب الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ» هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية)**، من بني مخزوم؛ لأن قريشًا تتكون من بني هاشم، وهم الذين فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبني مخزوم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أبي سلمة)**، هاجر أبو سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المدينة، وهاجرت معه أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثم إن الله قدر على أبي سلمة فمات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما قال لها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قُولِي: اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»**.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٤٧٩، ٥٩٥٤، ٥٩٥٥، ٦١٠٩)، ومسلم (٢١٠٧): عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّهَا كَانَتِ اتَّخَذَتْ عَلَى سَهْوَةٍ لَهَا سِتْرًا فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَهَتَكَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتَّخَذَتْ مِنْهُ نُمْرُقَتَيْنِ، فَكَانَتَا فِي البَيْتِ يَجْلِسُ عَلَيْهِمَا».

قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(١)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ماتت سنة اثنتين وستين)، من الهجرة.**

---

(١) أخرجه مسلم (٩١٨).

....

ش: قوله: «ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ»، وفي الصحيحين: أن أم حبيبة وأم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ[(١)].

والكنيسة -بفتح الكاف وكسر النون-: معبد النصارى.

قوله: «أُولَئِكِ» بكسر الكاف: خطاب للمرأة.

قوله: «إِذَا مَاتَ فِيهِمُ العَبْدُ الصَّالِحُ، أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ»، هذا -والله أعلم- شك من بعض رواة الحديث: هل قال النبي ﷺ هذا أو هذا؟ ففيه التحري في الرواية، وجواز الرواية بالمعنى.

قوله: «وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ»، الإشارة إلى ما ذكرت أم سلمة وأم حبيبة من التصاوير التي في الكنيسة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وفي الصحيحين: أن أم حبيبة وأم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ذكرتا ذلك لرسول الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا)، أم حبيبة: هي زوج النبي ﷺ، وهي بنت أبي سفيان بن الحارث[(٢)]، وكلاهما هاجرت إلى الحبشة مع أزواجهن.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٢٧، ١٣٤١، ٣٨٧٣)، ومسلم (٥٢٨): عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكِ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

(٢) أُمُّ حَبِيبَةَ أُمُّ المُؤْمِنِينَ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ الأُمَوِيَّةُ، انظر في ترجمتها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: الاستيعاب =

ذكرتا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنيسة للنصارى بأرض الحبشة وما فيها من التصاوير المعلقة والمرسومة، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ -أَوِ: الْعَبْدُ الصَّالِحُ- بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»**، نسأل الله العافية!

وجاء في الحديث: **«إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»**(١)، أولئك شرار الخلق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والكنيسة -بفتح الكاف وكسر النون-: معبد النصارى)**، الكنيسة: معبد النصارى، الْبِيَعَةُ: معبد اليهود، والمسجد: معبد المسلمين؛ **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾** [الحج: ٤٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أُولَئِكِ» بكسر الكاف: خطاب للمرأة)**، لأم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ -أو العَبْدُ- الصَّالِحُ» هذا -والله أعلم- شك من بعض رواة الحديث: هل قال النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **هذا أو هذا؟)**، فالراوي إذا شك؛ يقول: كذا أو كذا. هذا من ثقتهم وتورعهم

= في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٤٣)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٨)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٥٥٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ١٤٠).

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٩٤، ٧/ ٢٠٩، ٧/ ٣٦٠)، والبزار في مسنده (٥/ ١٣٦، ١٨٥)، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ٢١٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٦)، وابن حبان في صحيحه (٦/ ٩٤، ١٥/ ٢٦٠)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٨٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ورحم من جاء بعدهم، فإنهم لا يجزمون إذا كان الكلام فيه احتمال آخر، فيأتون به محتملًا: كذا أو كذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ففيه التحري في الرواية)، في هذا: التحري في الرواية؛ أن الإنسان لا يجزم، إذا كانت الرواية فيها احتمال، يذكر ذلك ويبينه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وجواز الرواية بالمعنى)، الرواية بالمعنى: «**أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ -أَوِ: الرَّجُلُ الصَّالِحُ-**»، يعني: هذا شك من الراوي، لم يجزم بأحد الأمرين، هذا من الثقة في الرواية، ففيه التحري من الرواية، وأنه لا يجزم إلا بما لا يحتمل معنى آخر.

....

ش: قوله: «أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»، وهذا يقتضي تحريم بناء المساجد على القبور، وقد لُعِنَ من فعل ذلك -كما سيأتي.

قال البيضاوي: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا لشأنهم، ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثانًا، لعنهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

قال القرطبي: وإنما صور أوائلهم الصور ليتأسوا بها، ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها. فحذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مثل ذلك؛ سدًّا للذريعة المؤدية إلى ذلك[(٢)].

قوله: «فَهؤلاءِ جَمَعُوا بينَ فِتنتينِ: فِتنةِ القُبُورِ، وفِتنةِ التَّماثيلِ».

هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)]، ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تنبيهًا على ما وقع من شدة الفتنة بالقبور والتماثيل؛ فإن الفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام أو أشد.

---

(١) انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي (١/ ٢٥٧). وانظر -أيضًا-: فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٢٥).

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ١٢٨)، وتفسير القرطبي (٢/ ٥٨)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ٥٢٥)، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (٢/ ٤٣٧).

(٣) لم أقف عليه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ووقفت عليه من كلام تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في إغاثة اللهفان (١/ ١٨٤)، فلعله نقله عن شيخه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»)**، **«شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»**: الذين يبنون مساجد على القبور: شرار الخلق عند الله، جمع شرير.

وهم يقولون: هذا من محبة الصالحين، نبني عليها من محبة الصالحين. هل هذه من محبة الصالحين؟! لا يجوز هذا؛ محبة الصالحين تكون بالدعاء لهم، والاقتداء بهم، لا بالبناء على قبورهم.

يقولون: لهم حق علينا، فنبني على قبورهم؛ أداء للواجب -نسأل الله العافية-، يزين لهم الشيطان ذلك.

ليس هناك أفضل من صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا في عهده يدفنون في البقيع، ولا يجعل عليهم القباب، ولا يجعل عليهم إشارات، حتى الكتابة نُهي عنها، ونُهي عن تجصيص القبور، نُهي عن ذلك؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك، فكانوا يدفنون تحت التراب، ويسوى عليهم التراب، ولا يزاد على ذلك في عهد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صحابة الرسول أفضل هذه الأمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد لُعِنَ من فعل ذلك)**، لعن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين يبنون على القبور، فقال: **«لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»**. هذا وهو في النزع، يقاسي نزع الموت صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **«لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: **«يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»**(١)؛ يحذر أمته، يخشى أن يفعلوا بقبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلما فُعِلَ بقبور الأنبياء من

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥، ٣٤٥٣، ٤٤٤٣، ٥٨١٥)، ومسلم (٥٣١).

قبله، ولذلك دُفِنَ في بيته، في حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ محافظة عليها من الغلو ومن الشرك، دُفِنَ في بيته، ولم يبرز مع أصحابه في البقيع؛ خشية عليه من الغلو.

قال عائشة: «وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ، لَكِنَّهُ خُشِيَ -أو خَشِيَ- أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لعنهم النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، واللعنة: هي الطرد والإبعاد عن رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال القرطبي)**، القرطبي المحدث غير القرطبي المفسر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال القرطبي: وإنما صور أوائلهم الصور ليتأسوا بها، ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم)**، هذا الذي زينه الشيطان لهم، يقول: صوروا صورهم؛ من أجل أن تقتدوا بهم، وتنشطوا على العبادة وما أشبه ذلك، هذا القصد.

ولكن هذا لا يجيز هذا القصد -وإن كان حسنًا-، يعني: الاقتداء بهم، والاقتداء بأفعالهم ومحبتهم هذا مشروع، ولكن ليس معنى ذلك أنهم يبنى لهم مشاهد أو مساجد ويدفنون فيها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويعبدوا الله عند قبورهم)**، ولكن هذا لا يجوز، هذا القصد لا يجوز، وإن كان قصدهم صالحًا، فلا يجوز هذا العمل، لماذا؟ لأنه

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٠، ١٣٩٠، ٤٤٤١)، ومسلم (٥٢٩).

(٢) سبق عزوه (ص١٦١).

وسيلة إلى الشرك، فلا ينظر إلى نية الفاعل، وإنما ينظر إلى الفعل وما يؤدي إليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها)**؛ كما فعل الشيطان بقوم نوح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فحذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مثل ذلك؛ سدًّا للذريعة المؤدية إلى ذلك)**؛ المؤدية إلى الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تنبيهًا على ما وقع من شدة الفتنة بالقبور والتماثيل، فإن الفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام أو أشد)**، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[(١)]، قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يجوز الغلو فيه، ولا يجوز التمسح به، ولذلك صانه الله وحماه، ودُفِن من وراء جدران، لا يراه أحد، ولا يصل إليه أحد؛ حماية لقبره من الغلو والشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن الفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام أو أشد)**، القبور أشد؛ لأنها قبور صالحين، هي أشد من الأصنام التي هي حجارة أو شجر.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٣).

....

ش: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه العلة -التي لأجلها نهى الشارع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اتخاذ المساجد على القبور- هي التي أوقعت كثيرًا من الأمم؛ إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك. فإن النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك. فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر، ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه العلة -التي لأجلها نهى الشارع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اتخاذ المساجد على القبور**)، بناء المساجد على القبور، المساجد، أليست تبنى المساجد، لماذا؟ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حث على بناء المساجد؛ «**مَنْ بَنَى لِلهِ مَسْجِدًا قَدْرَ مَفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**»(١).

فبناء المساجد للصلاة فيها وذكر الله مشروع، وهو من أفضل الأعمال، لكن إذا كان المسجد مبنيًّا على قبر فهذا محرم، وإن كان مسجدًا، بناء المسجد على القبر محرم؛ لأنه وسيلة إلى الشرك.

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (١/ ٣٦٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٢٧٥)، والبزار في مسنده -واللفظ له- (٩/ ٤١٢)، وابن حبان في صحيحه (٤/ ٤٩٠، ٤٩١)، والطبراني في الصغير (٢/ ٢٤٦)، من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(اتخاذ المساجد على القبور- هي التي أوقعت كثيرًا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك)**، والآن هناك في كثير من أمصار المسلمين المسجد الذي ليس فيه قبر ليس له قيمة عندهم، ولا يتوجهون إليه، لا يتوجهون إلا إلى المساجد التي على القبور، وهذا هو الذي خشيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين نهى عن بناء المساجد على القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك)**؛ لأن المشركين على قسمين:

- قسم يعبدون القبور والأشجار والأحجار.
- وقسم يعبدون الكواكب؛ يجعلون لها صورًا ويعبدونها. وهذا شرك البابليين الذين بُعِث إليهم إبراهيم الخليل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بابل، وملكهم النمرود، وحصل منهم على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما حصل، ثم هاجر إلى الشام عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذهب بإسماعيل وأمه إلى مكة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك)**، هؤلاء المنجمون، عباد النجوم، البابليون قوم النمرود يعبدون الكواكب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر)**، الشرك بعبادة الصالحين أقرب من الشرك بالأشجار والأحجار؛ لأن القلوب تتعلق بالصالحين أكثر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون)**، تجد عباد القبور يبكون عندها، ويصيحون، ويعكفون عندها،

ويجدون من الخشية والخوف عندها أكثر مما يجدونه في المساجد التي هي بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا من الفتنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر)**، لا يفعلونها في المكان الفاضل، أو الزمان الفاضل، المكان الفاضل: المساجد، والزمان الفاضل: مثل وقت السحر، آخر الليل، وقت النزول الإلهي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنهم من يسجد لها)**، إذا فُتِحَ الباب وصلوا إلى هذا الحد؛ صاروا يسجدون لها، ويتبركون بتربتها، ويتمرغون عليها -نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد)**، يرجون الإجابة عند القبور أكثر مما يرجونها في المساجد التي هي بيوت الله التي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ [النور:٣٦].

....

ش: فلأجل هذه المفسدة حسم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقًا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته؛ كما يقصد بصلاته بركة المساجد. كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها؛ لأنها أوقات يقصد فيها المشركون الصلاة للشمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذ، وإن لم يقصد ما قصده المشركون؛ سدًّا للذريعة.

وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله؛ فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن الصلاة عند القبور منهي عنها، وأنه لعن من اتخذها مساجد.

فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك: الصلاة عندها واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها. وقد تواترت النصوص عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فلأجل هذه المفسدة حسم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقًا)، نهى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة في المقابر؛ خشية على أمته من الانحدار إلى الشرك، سدًّا للذريعة، فالمقابر من المواطن التي نُهِيَ عن الصلاة فيها.

بعض الجهال أو المتعالمين يقولون: النهي عن الصلاة في المقابر؛ خشية النجاسة؛ لأن فيها نجاسة، القبور فيها نجاسة، القبور ليس فيها نجاسة.

يقولون: لا، من الممكن أن يخرج من القبر شيء، فيصير المكان نجسًا. لا، ليس خشية النجاسة، بل خشية الشرك، وهي ليست بنجسة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته)**، إذا حضرت الصلاة، فلا تصلِّ في المقبرة، فهي من المواقع التي نهى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها)**، نهى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة وقت بزوغ الشمس ووقت غروبها؛ لأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، فنهينا عن التشبه بالكفار الذين يعظمون غروب الشمس وطلوعها(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لأنها أوقات يقصد فيها المشركون الصلاة للشمس)**، الصلاة للشمس: يسجدون لها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ولرسوله)**، أما إذا قصد هذا: الصلاة في المقبرة؛ تبركًا بها، فهذا أشد من إذا لم يقصد، وربما يؤول إلى الشرك.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٩، ١٦٢٩)، ومسلم -واللفظ له- (٨٢٨): عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَحَرَّوْا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ، وَلَا غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بِقَرْنَيْ الشَّيْطَانِ»**.

يقول: أنا لا أصلي إلا لله. نقول: نعم، أنت تصلي لله، لكن في مكان لم يأذن الله لك بالصلاة فيه؛ خشية عليك من الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنه لعن من اتخذها مساجد)**، يعني: مصليات، وإن لم يبن عليها، المسجد: هو الذي يصلي فيه الإنسان.

ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**»[1].

فالمسجد: هو الذي يصلي فيه الإنسان، وإن لم يبن مسجدًا، فالذي يصلي عند القبور قد اتخذها مساجد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك: الصلاة عندها واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها)**، هذا أشد.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥، ٤٣٨)، ومسلم (٥٢١)، من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها؛ متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة، وصرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك.

وطائفة أطلقت الكراهة، والذي ينبغي أن تحمل على كراهة التحريم؛ إحسانًا للظن بالعلماء، وأن لا يظن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن فاعله والنهي عنه. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها)**، طوائف المسلمين

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وطائفة أطلقت الكراهة، والذي ينبغي أن تحمل على كراهة التحريم)**؛ لأن الكراهة في أول الإسلام تطلق على التحريم؛ ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء:٣٨]. وفيه الشرك.

الأمور التي نهى الله عنها في سورة الإسراء أولها الشرك؛ ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء:٢٢]، هذا شرك، ووعد، ووعد، ثم قال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء:٣٨]، يعني: محرمًا.

---

(١) نقله ابن القيم بلفظه وحروفه عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية في إغاثة اللهفان (١/ ١٨٤- ١٨٥)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٢).

ثم عند المتأخرين قسموا الكراهة إلى قسمين: كراهة تحريم، وكراهة تنزيه[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وطائفة أطلقت الكراهة، والذي ينبغي أن تحمل على كراهة التحريم)**، لا على كراهة التنزيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إحسانًا للظن بالعلماء)**، لا يظن بهم أنهم يريدون كراهة التنزيه؛ لأن كراهة التنزيه قد لا يلتزم بها بعض الناس ويتساهل فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن لا يظن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لعن فاعله والنهي عنه)**، لو كان كراهة تنزيه، لما لعن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعله ولم ينه عنه، فهو كراهة تحريم.

---

(١) انظر: روضة الناظر: (١/ ١٣٧)، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ١٢٢)، وإعلام الموقعين (١/ ٣٢- ٣٤)، والبحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٣٩٣- ٣٩٤).

وَلَهُمَا: عَنْهَا -أَيْ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: «لَمَّا نُزِلَ بِرَسُوْلِ اللّٰهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيْصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا، كَشَفَهَا فَقَالَ -وَهُوَ كَذَلِكَ-: لَعَنَ اللّٰهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ -يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا- وَلَوْلَا ذَلِكَ؛ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا». أَخْرَجَاهُ[1].

ش: قوله: (وَلَهُمَا: عَنْهَا)، أي: البخاري ومسلم. وهو يغنى عن قوله: في آخره: أخرجاه.

قوله: «لَمَّا نُزِلَ» هو بضم النون وكسر الزاي، أي: نزل به ملك الموت والملائكة الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَلَهُمَا)**، ولهما، أي: البخاري ومسلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(عَنْ عَائِشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قَالَتْ: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُوْلِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، **«لَمَّا نُزِلَ»**، يعني: نزل به ملك الموت عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيْصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ)**، يغطي وجهه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم إذا احتاج إلى التنفس، كشفها عن وجهه، وهو في سكرات الموت.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَقَالَ -وَهُوَ كَذَلِكَ-)**، «وَهُوَ كَذَلِكَ»: يعاني من سكرات الموت، لكن لم ينس الحرص على أمته، وتجنيبها عن الشرك في آخر لحظة من حياته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥، ٤٣٦، ١٣٣٠، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤١، ٥٨١٥)، ومسلم (٥٣١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا)**: أن يفعل بقبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَوْلَا ذَلِكَ؛ أُبْرِزَ قَبْرُهُ)**، تقول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «وَلَوْلَا ذَلِكَ»، أي: الخشية من الغلو فيه «لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ» مع أصحابه في البقيع.

«وَلَكِنَّهُ خُشِيَ -أَوخَشِيَ- أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»؛ فلذلك دُفِنَ في بيته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجرة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ولا يزال محفوظًا -ولله الحمد-؛ لا يغلى فيه، ولا يدعى، لا يتمكن أحد من ذلك، والحمد لله.

أولًا: أنه مصون بالجدارن، لا يراه أحد، ولا يصل إليه أحد.

ثانيًا: أن الدولة -وفقها الله -جعلت حراسة على هذا القبر، وجعلوا مرشدين للذين يأتون للسلام على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يبينون لهم، إذا انتقدوهم في شيء، بينوا لهم أن هذا لا يجوز، فجعلت حراسًا، وجعلت معهم من أهل العلم مرشدين للزائرين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَلَهُمَا: عَنْهَا»، أي: البخاري ومسلم)**، هذا أصح حديث، إذا اتفق الشيخان عليه، فهو أصح حديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو يغنى عن قوله في آخره: أخرجاه)**، لهما: ثم قال في آخره: أخرجاه؛ كأن الشيخ نسي ما سبق من كلامه، الأول يكفي، (لهما) هذا يكفي عن (أخرجاه).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «لَمَّا نُزِلَ» هو بضم النون وكسر الزاي، أي: نزل به ملك الموت والملائكة الكرام** عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ**)**، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البشر؛ يجري عليه من المرض ومن الموت، وقد توفي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء:٣٤، ٣٥]؛ الأنبياء وغيرهم.

....

ش: قوله: «طَفِقَ» بكسر الفاء وفتحها، والكسر أفصح. وبه جاء القرآن، ومعناه: جعل[(١)].

قوله: «خَمِيصَةً» بفتح المعجمة والصاد المهملة. كساء له أعلام.

قوله: «فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا». أي: عن وجهه.

قوله: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُبينُ أَنَّ مَنْ فَعَلَ مِثل ذلك حَلَّ عليه من اللعنة ما حلَّ على اليهودِ والنصارىِ.

قوله: «يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا» الظاهر أن هذا كلام عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لأنها فهمت من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك تحذير أمته من هذا الصنيع الذي كانت تفعله اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم، فإنه من الغلو في الأنبياء، ومن أعظم الوسائل إلى الشرك.

ومن غربة الإسلام أن هذا الذي لعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعليه -تحذيرًا لأمته أن يفعلوه معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع الصالحين من أمته- قد فعله الخلق الكثير من متأخري هذه الأمة، واعتقدوه قربة من القربات، وهو من أعظم السيئات والمنكرات، وما شعروا أن ذلك محادة لله ورسوله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «طَفِقَ»)، «طَفِقَ»: هذا من أفعال الشروع عند النحاه، من أفعال الشروع: طفق، وأخذ، يفعل كذا وكذا.

---

(١) انظر: العين (٥/ ١٠٦)، وتهذيب اللغة (٩/ ٢٧)، ولسان العرب (١٠/ ٢٢٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «طَفِقَ» بكسر الفاء وفتحها، والكسر أفصح)**، طَفَقَ، أو طَفِقَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومعناه: جعل)**، معناه: جعل، من أفعال الشروع.

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٢]؛ يعني: الأبوين عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «خَمِيصَةً» بفتح المعجمة والصاد المهملة. كساء له أعلام)**، الخميصة: كساء له أعلام؛ لأنهم كانوا يلبسون الإزار والرداء، والخميصة: هي الرداء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُبِينُ أَنَّ مَنْ فَعَلَ مِثل ذلك حَلَّ عليه من اللعنة ما حلَّ على اليهودِ والنصارىِ)**، وهذا من شفقته بأمته، وهو يعاني من سكرات الموت لم ينس تحذير أمته من الشرك ووسائله، وقد بلغ البلاغ المبين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا» الظاهر أن هذا كلام عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا؛ **لأنها فهمت من قول النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ذلك تحذير أمته من هذا الصنيع)**، وهو الصحيح؛ لأن الرسول لم يقل هذا في هذه الحالة إلا لأنه يحذر من صنيع اليهود والنصارى في القبور.

وهذا يسمونه المدرج في الحديث، ما كان من كلام الراوي بعد الحديث فهو يسمى بالمدرج[١].

---

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص٩٥- ٩٨)، والتذكرة في علوم الحديث لابن الملقن (ص١٨)، والمختصر في أصول الحديث = رسالة في أصول الحديث (ص٨٠)، والديباج المُذَهَّب في مصطلح الحديث (ص٣٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(تحذير أمته من هذا الصنيع الذي كانت تفعله اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم، فإنه من الغلو في الأنبياء، ومن أعظم الوسائل إلى الشرك)**، وهذا من أعظم آفات التشبه باليهود والنصارى، التشبه باليهود والنصارى حذر منه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد التحذير، والآن الذي يتشبه بهم يعد من التقدم والرقي -يقولون-، حتى في أمور الدين؟! أما أمور الدنيا، فأمرها سهل، لكن حتى في أمور الدين؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن غربة الإسلام أن هذا الذي لعن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فاعليه؛ تحذيرًا لأمته أن يفعلوه معه** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، (معه)، يعني: في قبره، أن يصنعوا في قبره ما كانت اليهود والنصارى تصنع في قبور أنبيائهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن غربة الإسلام أن هذا الذي لعن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فاعليه قد فعله الخلق الكثير من متأخري هذه الأمة)**، الغلو في القبور تزايد في العصور المتأخرة، واشتد هذا، وصار الآن هو الدين عندهم.

أنت لا تحب الرسول، لا تحب الصالحين، لماذا تنهى عن البناء على قبره، واتخاذه مسجدًا؟! وما أشبه ذلك، أنت لا تحبهم.

يقولون: الحب للصالحين هو البناء، ومن الوفاء لهم، ومن إظهار قدرهم، وما أشبه ذلك من أقوال الشيطان -نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واعتقدوه قربة من القربات، وهو من أعظم السيئات والمنكرات)**، وهذا منتشر في كثير من بلاد المسلمين إلا هذه البلاد- ولله الحمد- حماها الله بدعوة هذا الإمام المبارك، فصارت ملتزمة بما شرعه

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القبور، فتجد أن العامي والعالم والصالح وغيرهم يدفنون سواء، ولا يصير لهذا القبر مزية عن غيرهم؛ كما كان الصحابة في البقيع على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يظهر لأحدهم علامة على قبره؛ بناء، أو كتابة، أو ما أشبه ذلك.

....

ش: **قال القرطبي في معنى الحديث: وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها؛ كما كان السبب في عبادة الأصنام. انتهى[(١)].**

إذ لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه وعبادة الصنم.

وتأمل قول الله تعالى عن نبيه يوسف بن يعقوب حيث قال: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ [يوسف:٣٨]**، نكرة في سياق النفي تعم كل شرك.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال القرطبي في معنى الحديث)**، القرطبي: هذا شارح مسلم، صاحب المفهم على صحيح مسلم، وهو غير القرطبي المفسر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال القرطبي في معنى الحديث: وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها؛ كما كان السبب في عبادة الأصنام)**، كلام القرطبي جيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل ذلك لقطع الذريعة)**، قطع الذريعة، يعني: سد الوسيلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها)**؛ لأنها إذا بُنِيَ عليها، وكُتِبَ عليها، وجصصت بالجص أو غيره وزينت، جُعِلَ

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٦٢٨)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠).

عليها الستور وصناديق النذور، فإن العوام يفتنون بها، والقبر المجرد الذي ليس عليه شيء لا يلتفتون إليه.

الذي على السنة لا يلتفتون له، إنما يلتفتون للقبر الذي عليه ستر، والذي عليه بناية، وعليه كتابة، وأيضًا مضاء بالمصابيح والكهرباء، هذا هو الذي يلتفتون إليه -ولا حول ولا قوة إلا بالله!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما كان السبب في عبادة الأصنام)**، السبب في عبادة الأصنام هو الغلو فيها، واعتقاد أنها تنفع وتضر من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(إذ لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه وعبادة الصنم)**، لا فرق في ذلك، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه: «**اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[1].

فالقبر يصير صنمًا، ويصير وثنًا، ولهذا يقول ابن القيم في النونية:

فَأَجَابَ رَبُّ العَالَمِيْنَ دُعَاءَهُ، يعني: قوله: «**اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**».

فَأَجَابَ رَبُّ العَالَمِيْنَ دُعَاءَهُ ... وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الجُدْرَانِ[2]

ولذلك هناك الآن من يقول: الشرك هو عبادة الأصنام فقط، وأما عبادة الصالحين والقبور، فهذا حقهم علينا أن نعظمهم، ونكرمهم ... إلى آخره.

أنتم لا تحبون الصالحين، ولهذا فُتِن كثير من الناس بهذا الكلام وهذا الغلو -نسأل الله العافية!

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٣).

(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٣٥٢).

اتباع السنة هو العصمة من الفتن ومن الشرور ومن الشرك؛ «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي**»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إذ لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه وعبادة الصنم)**، لأن كله شرك؛ عبادة القبر وعبادة الصنم كله شرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتأمل قول الله تعالى عن نبيه يوسف بن يعقوب حيث قال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [يوسف:٣٨]، نكرة في سياق النفي تعم كل شرك)**، ﴿شَيْءٍ﴾، يعني: يعم كل شيء.

يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما أُدخل السجن، جعل يدعو إلى الله في السجن، لما رأوا فضله، وأنه يفسر الرؤيا، ويعلم الخير، أعجبوا به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال: ﴿ذَٰلِكُمَا﴾: هذا الذي سأقوله لكم، ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾، لم يقل: هذا من عندي، قال: ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٣٧].

ثم بين السبب: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٖ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾: أبناء الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾، يعني: التوحيد.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف:٣٧، ٣٨].

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ١٧٢)، والدارقطني في سننه (٥/ ٤٤٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: **قوله: «وَلَـوْلَا ذَلِـكَ»، أي: ما كان يحذر من اتخاذ قبر النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **مسجدًا «لَأُبرِزَ قبره»، مع قبور أصحابه الذين كانت قبورهم في البقيع.**

قوله: «غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»، روي بفتح الخاء وضمها، فعلى الفتح يكون هو الذي خشي ذلك صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، **وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قُبِضَ فيه.**

وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة؛ غلوًّا وتعظيمًا بما أبدى وأعاد من النهي والتحذير منه ولعن فاعله.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(قوله: «غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا» روي بفتح الخاء)**، خَشِيَ، يعني: الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(وضمها)**، ضمها: خُشِيَ، أي: خشي الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ إن أبرزوا قبره أن يتخذ مسجدًا، فدفنوه في حجرته عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قُبِضَ فيه)**، لما اختلفوا في دفنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، روى لهم أحد الصحابة حديثًا: «أن كل نبي يدفن في المكان الذي مات فيه»(١). فحسم النزاع.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (١٠١٨)، وابن ماجه (١٦٢٨): عَنْ عَائِشَةَ =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة)**، والصحابة هم أعلم الناس بسنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خير القرون، وأعلم القرون بسنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك لم يدفنوه في البقيع، وإنما دفنوه في بيته؛ حفاظًا عليه من الغلو، ولا يراه أحد، ولا يصل إليه أحد.

= رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ، قَالَ: «**مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي المَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ**»، ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ.

....

ش: **قال القرطبي: ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المدخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم خافوا أن يُتَّخَذَ موضع قبره قبلة إذ كان مستقبل المصلين، فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال، حتى لا يمكنوا أحدًا من استقبال قبره. انتهى**(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قال القرطبي: ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المدخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وكان قبره في وقت الخلفاء الراشدين وصدرًا من خلافة بني أمية في بيته خارج المسجد النبوي في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خارج المسجد، فلما وُسِعَ المسجد في إمارة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ على المدينة، أدخل القبر في المسجد، أدخل الحجرات في المسجد، وكان ذلك خيرًا كثيرًا؛ لأنه لو بقي قبر الرسول خارج المسجد، لحصل الغلو فيه، ولتجمع عليه الناس، وتعلقوا به، ولكنه الآن حُفِظَ -والحمد لله- داخل المسجد، ولا يقدر أحد أن يزيد عن السلام عليه، يسلم ويمشي.

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل على صحيح مسلم (٢/ ١٢٨).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ثم خافوا أن يُتَّخَذَ موضع قبره قبلة إذ كان مستقبل المصلين، فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين)**، يعني: خشوا أنه لو كان عليه جدار ممتد من جهة الشمال، لصاروا يصلون إلى هذا الجدار الذي هو على القبر، فلذلك سنَّموه، جعلوه مسنمًا نحو الشمال، مسنمًا حتى لا يستقبله أحد، هو من جهة الشمال مسنم، لا يستقبله أحد، ولا يتمكن أحد أن يستقبله.

ولهذا يقول ابن القيم:

فَـأَجَـابَ رَبُّ الـعَـالَـمِـيْـنَ دُعَـاءَهُ   وَأَحَـاطَـهُ بِـثَـلَاثَـةِ الـجُـدْرَانِ[(١)]

ليست أربعة، ثلاثة مسنمة من جهة الشمال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال)**، مسنم، هذا المسنم من جهة الشمال مسنم، لا يقدر أحد أن يستقبله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(حتى لا يمكنوا أحدًا من استقبال قبره)**،

فَـأَجَـابَ رَبُّ الـعَـالَـمِـيْـنَ دُعَـاءَهُ   وَأَحَـاطَـهُ بِـثَـلَاثَـةِ الـجُـدْرَانِ

....

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسائل: (**الأُوْلَى: مَا ذَكَرَ الرَّسُوْلُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِيْمَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُعْبَدُ اللهُ فِيْهِ عَلَى قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، وَلَوْ صَحَّتْ نِيَّةُ الفَاعِلِ**)، النية لا تبرر المحرم، ولو كانت نية الإنسان صالحة، إذا فعل محرمًا فلا يقلد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمِنْهَا: النَّهْيُ عَنْ التَّمَاثِيْلِ بِتَغْلِيظِ الأَمْرِ**)، التماثيل صور، يعني: سواء كانت مجسمة أو غير مجسمة، كلها تسمى تماثيل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمِنْهَا: نَهْيُهُ عَنْ فِعْلِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ القَبْرُ**)، هذا من علامات النبوة، من المعجزات، قبل أن يوجد القبر حذر من الغلو في قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمِنْهَا: أَنَّهُ مِنْ سُنَنِ اليَهُوْدِ وَالنَّصَارَى فِي قُبُوْرِ أَنْبِيَائِهِمْ**)، «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُوْدِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمِنْهَا: لَعَنَهُ إِيَّاهُمْ عَلَى ذَلِكَ**)، واللعن لا يكون إلا على كبيرة من كبائر الذنوب، ووسيلة الشرك كبيرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمِنْهَا: أَنَّهَا هِيَ العِلَّةُ فِي عَدَمِ إِبْرَازِهِ**)، العلة في عدم إبرازه: خشية أن يتخذ مسجدًا، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**وَلَوْلَا ذَلِكَ؛ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ**».

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٣).

(٢) سبق تخريجه (ص٧١٦).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَبْلَ أَنْ يَمُوْتَ بِخَمْسٍ-، وَهُوَ يَقُوْلُ: إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُوْنَ لِي مِنْكُمْ خَلِيْلٌ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيْلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيْلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيْلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُوْنَ قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُوْرَ مَسَاجِدَ؛ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»(١).

فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ -وَهُوَ فِي السِّيَاقِ- مَنْ فَعَلَهُ، وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ - وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ -، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا: «خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»(٢)؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُوْنُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلَاةُ فِيْهِ فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فِيْهِ يُسَمَّى مَسْجِدًا؛ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُوْرًا»(٣).

ش: قوله: (عَنْ جُنْدُبِ بَنْ عَبدِ اللهِ)، أي: ابن سفيان البجلي، وينسب إلى جده، صحابي مشهور، مات بعد الستين(٤).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢).
(٢) سبق تخريجه (ص٧٢٧).
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥، ٤٣٨)، ومسلم (٥٢١)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) انظر في ترجمته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/ ٥٧٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢٥٦)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٧٤)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٦٢٤).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَبْلَ أَنْ يَمُوْتَ بِخَمْسٍ-، وَهُوَ يَقُوْلُ: **«إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُوْنَ لِي مِنْكُمْ خَلِيْلٌ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيْلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيْلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيْلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُوْنَ قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُوْرَ مَسَاجِدَ؛ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»**)، في هذا الحديث أمور عظيمة، وهذا الحديث من آخر ما تكلم به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبيل وفاته؛ من نصحه للأمة أنه في هذه الحالة، حتى وهو يقاسي سكرات الموت صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه نهى أن يغلى في قبره كما غلت النصارى في المسيح ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما غلت اليهود في عزير.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن الغلو فيه حيًّا وميتًا، مع أنه أكرم الخلق وأفضل الخلق، وإمام الأنبياء والمرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصح أمته عن الغلو فيه.

والغلو: هو الزيادة[(١)]، الزيادة في التعظيم، ولذلك لما قالوا له: أَنْتَ سَيِّدُنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا! قَالَ: **«قُوْلُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بِبَعْضِ قَوْلِكُمْ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُوْلُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُهُ»**[(٢)].

فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذر من الغلو فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والغلو هو الزيادة في المدح.

ومن الغلو -بل أشد الغلو-: الصلاة عند القبور تعظيمًا للمقبورين ورجاء شفاعتهم -كما يقولون.

---

(١) سبق عزوه (ص٦٠٢).
(٢) سبق تخريجه (ص٢٩٣).

الصلاة عند القبور حرام، ولا تصح، لا تصح الصلاة عند القبور؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك، ولهذا عند قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما يسلم عليه فقط.

وإذا أراد المسلم أن يدعو الله، فإنه يذهب إلى المسجد النبوي، ويستقبل القبلة، ويدعو الله بما شاء، ولا يدعو عند القبر، غير السلام على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى صاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كل هذا من المحافظة على عقيدة التوحيد.

والناس -كما تعلمون- في الأمصار وفي البلاد الأخرى ابتليت بالغلو في القبور، والغلو في قبور الصالحين، إلا هذه البلاد؛ لأنها مهبط الوحيين ومنبع الرسالة، فقد منَّ الله عليها بدعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ المجدد الذي جاء بالدعوة إلى التوحيد، والنهي عن الغلو بجميع أشكاله.

فكانت هذه البلاد -ولله الحمد- خالية من تعظيم القبور، والعكوف عندها، والذبح لها، والنذر لها؛ لأنها قبلة المسلمين، وما يفعل فيها سيتخذ في بقية البلاد، يتخذ قدوة، فالحمد لله الذي حمى بلاد التوحيد ومنبع الرسالة ومهبط الوحي، حماها من الغلو في القبور؛ ابتداء من قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقبر صاحبيه، وقبور أصحابه في البقيع، كل هذا من فضل الله ومنه على هذه البلاد التي هي تحمل لواء الدعوة إلى التوحيد، وهي القدوة لبقية بلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وفي هذا الحديث أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس، قيل: خمس ليال، بخمس، يعني: بخمس ليال، حذر أمته، قال: «**وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»، يعني: من اليهود والنصارى، كانوا يبنون ويتخذون القبور مساجد.

قال: «**أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُوْرَ مَسَاجِدَ؛ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»(٢)، فاستجاب الله دعاءه، وحماه؛ بأن دُفِن في بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يبرز قبره مع أصحابه في البقيع.

الله جَلَّ وَعَلَا حماه ببركة دعوته، قوله: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»(٣)، وهذا من نصحه لله، ولكتابه، ولأمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن القيم:

فَأَجَابَ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ دُعَاءَهُ ... وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الْجُدْرَانِ(٤)

وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الجُدْرَانِ: فهو وقع قبره في مثلث بين جدران ثلاثة مسنمة من جهة الشمال؛ بحيث لا يستطيع أحدٌ أن يصلي إلى القبر؛ لأنه مسنم، البناء مسنم، فلا يستطيع أن يستقبل القبر في صلاته، وهذا من إجابة دعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالحاصل: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيْلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلا**»(٥)، والخليل: هو الذي بلغ غاية المحبة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والخلة لم تحصل من الله لأحد إلا لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]. وإلا لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال: «**فَإِنَّ**

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٤١).
(٢) سبق تخريجه (ص١٣٣).
(٣) سبق تخريجه (ص١٣٣).
(٤) سبق عزوه (ص٧٣٤).
(٥) سبق تخريجه (ص٧٤١).

اللهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيْلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلا». وحذر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُوْنَ قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(١)، مساجد، يعني: يصلون عندها ولو لم يبن مسجد؛ لأن الذي يصلي في مكان، فقد اتخذه مسجدًا ولو مؤقتًا.

ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُوْرًا**»(٢)، يعني: صالحة للصلاة فيها، فكل من صلى في مكان، فقد اتخذ مسجدًا ولو مؤقتًا.

فالصلاة لا تجوز عند القبر، ولا إلى القبر، وهي باطلة؛ لأنها صلاة منهي عنها، والنهي يقتضي الفساد.

وأيضًا لأن الصلاة عند القبر وسيلة إلى الغلو فيه، وعبادته من دون الله، ولهذا لا يصلى عند القبور ولا في المقابر إلا صلاة الجنازة، لا يصلي في المقابر، ولا عند القبور، ولا لقبر واحد، لا يصلى عنده؛ لحماية التوحيد مما وقع في الأمم السابقة من الغلو في الأموات، واتخاذ قبورهم مساجد يتبرك بها.

الصلاة عند القبر؛ إن كان المصلي يقصد التقرب إلى القبر، وطلب البركة منه، فهذا شرك أكبر، وإن كان لا يقصد إلا الله جَلَّ وَعَلَا بصلاته، لكنه صلى عند القبر؛ رجاء بركته، فإن صلاته باطلة ولا تصح، ولا تقبل عند الله؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك، فلا يصلى إلى القبور، ولا عند القبور، ولا في المقابر؛ حماية للتوحيد، وصيانة للعقيدة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٤١).

(٢) سبق تخريجه (ص٧٢٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الشرح: قوله: «عَنْ جُنْدُبٍ بَنْ عَبدِ اللهِ»، أي: ابن سفيان البجلي، وينسب إلى جده، صحابي مشهور، مات بعد الستين)، جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: قوله: «أَنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ»، أي: أمتنع عما لا يجوز لي أن أفعله.

والخلة فوق المحبة. والخليل: هو المحبوب غاية الحب، مشتق من الخَلة -بفتح الخاء-، وهي تخلل المودة في القلب؛ كما قال الشاعر:

قَدْ تَخَلَّلْتِ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وَلِذَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلا[1]

وهذا هو الصحيح في معناها؛ كما ذكره شيخ الإسلام وابن القيم وابن كثير وغيرهم[2].

قال القرطبي: وإنما كان ذلك؛ لأن قلبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد امتلأ من محبة الله وتعظيمه ومعرفته، فلا يسع خُلَّة غيره[3].

قوله: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيْلًا» فيه بيان أن الخلة فوق المحبة[4].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أما ما يظنه بعض الغالطين من أن المحبة أكمل من الخلة، وأن إبراهيم خليل الله، ومحمدًا حبيب الله ـ فمن جهلهم، فإن المحبة عامة، والخلة خاصة، وهي نهاية المحبة.

---

(١) البيت للشاعر العباسي بشار بن برد. انظر: أدب الدنيا والدين (ص١٦١)، وتفسير القرطبي (٥/ ٤٠٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٠٣)، والجواب الكافي (١٣٤).

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ١٢٩).

(٤) انظر: مراتب المحبة في: مدارج السالكين (٣/ ٢٢، ٢٣)، وروضة المحبين (ص٤٧)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص١٦٤).

وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله قد اتخذه خليلًا، ونفى أن يكون له خليلٌ غير الله، مع إخباره بحبه لعائشة ولأبيها، ولعمر بن الخطاب، وغيرهم.

وأيضًا فإن الله سبحانه يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب الصابرين، وخلته خاصة بالخليلين(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والخلة فوق المحبة)**، الخلة: أعلى درجات المحبة؛ لأن المحبة درجات، أعلاها الخلة، ولم ينالها من البشر مع الله إلا اثنان: إبراهيم، ومحمد -عليهما الصلاة والسلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال القرطبي: وإنما كان ذلك؛ لأن قلبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد امتلأ من محبة الله وتعظيمه ومعرفته، فلا يسع خُلَّة غيره)**، لا يشارك الله جَلَّ وَعَلَا في قلبه رسوله أحدٌ غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيْلًا» فيه بيان أن الخلة فوق المحبة)**، «اتَّخَذَنِي خَلِيْلا»، الخلة خاصة، وهي فوق المحبة، أما المحبة فكل مؤمن فإن الله يحبه، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢، ٦٣]، فكل مؤمن فإن الله يحبه، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

---

(١) انظر: الجواب الكافي (ص١٩١).

المحبة أوسع من الخلة، تحصل لكل مؤمن بقدر إيمانه، أما الخلة فهي خاصة، ولم يصل إليها إلا الخليلان: إبراهيم، ومحمد -عليهما الصلاة والسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أما ما يظنه بعض الغالطين من أن المحبة أكمل من الخلة، وأن إبراهيم خليل الله، ومحمدًا حبيب الله ـ فمن جهلهم)**، يقولون: محمد حبيب الله، وإبراهيم خليل الله، فمحمد أفضل من إبراهيم؛ لأن المحبة أعلى من الخلة، وهذا غلط، غلط على اللغة، وغلط على الشرع؛ فإن الخلة هي أعلى درجات المحبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد أخبر النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أن الله قد اتخذه خليلًا، ونفى أن يكون له خليلٌ غير الله، مع إخباره بحبه لعائشة ولأبيها، ولعمر بن الخطاب، وغيرهم)**، فدل على أن المحبة أوسع من الخلة، فهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ويحب أباها أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويحب أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ويحب كل مؤمن صادق الإيمان، فكل محبوب لا يسمى خليلًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأيضًا فإن الله سبحانه يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب الصابرين)**، هذا عام؛ يحب التوابين، كل تواب، ويحب المتطهرين، فكل متطهر من الذنوب والمعاصي متطهر من الأحداث والأنجاس فإن الله يحبه، فالمحبة أوسع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وخلته خاصة بالخليلين)**، المحبة واسعة، والخلة مخصوصة بالخليلين: إبراهيم، ومحمد -عليهما الصلاة والسلام.

....

ش: قوله: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»، فيه: بيان أن الصديق أفضل الصحابة.

وفيه: الرد على الرافضة وعلى الجهمية، وهما شر أهل البدع، وأخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة.

وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد. قاله المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو كما قال بلا ريب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»)، وهذا فيه فضل أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأنه أفضل الأمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ لأن الرسول لو اتخذ خليلًا من أهل الأرض، لاتخذ أبا بكر خليلًا، فالرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يتخذ خليلًا من أمته، ولو اتخذ لاتخذ أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، مع أنه يحب كل المؤمنين، يحب الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ويحب المهاجرين والأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ويحب كل المؤمنين، وأما الخلة، فلا، لم يتخذ خليلًا من أمته؛ لأن الله اتخذه خليلًا، والخلة لا تقبل الاشتراك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»)، فهذا فيه فضل أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفيه: الرد على الرافضة)، الرد على الرافضة الذين يلعنون أبا بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، والخلفاء الراشدين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وعلى الجهمية)**، وعلى الجهمية الذين ينفون المحبة أصلًا، يقولون: الله لا يحب أحدًا؛ لأن المحبة ميل في القلب ...، إلى ما يعللون به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهما شر أهل البدع)**، الرافضة: هم غلاة الشيعة، سموا الرافضة؛ لأنهم رفضوا زيدًا لما لم يوافقهم على البراءة من أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالوا: إذًا نرفضك، فرفضوه، رفضوا زيدًا؛ لأنه لم يتبرأ من أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأما الجهمية: فهم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي، رأس الجهمية الذين ينفون الأسماء والصفات عن الله سبحانه، ويقولون بخلق القرآن، يقولون: القرآن مخلوق غير منزل، ولهم أقوال قبيحة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة)**، المذكورة في قوله: «**سَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**»(١).

بعض العلماء يقول: ليس منهم الجهمية والرافضة، ليسوا من الثنتين والسبعين، خارجين عن الثنتين والسبعين؛ لشدة ضلالهم -والعياذ بالله!

---

(١) هذا حديث الافتراق المشهور، وهو حديث حسن جاء من طرق متعددة عن عدد من الصحابة بألفاظ متقاربة، فقد روي من حديث أبي هريرة، وأنس، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمرو بن عوف المزني، وعوف بن مالك، وأبي أمامة، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو، رضي الله عنهم أجمعين. أخرجه أبو داود (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١، ٣٩٩٢، ٣٩٩٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٢)، (٣/ ١٢٠)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ١٥٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٧، ٢١٧)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٧٧)، (١٨/ ٧٠)، وفي الأوسط (٥/ ١٣٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٠٨).
وانظر تمام تخريجه في السلسلة الصحيحة (ح٢٠٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبسبب الرافضة حدث الشرك، وعبادة القبور)**، هم أول من بنى على القبور، وهم أول من عبد القبور على يد الفاطميين، وهم غلاة الشيعة الذين استولوا على مصر والشام والحجاز في قوتهم، ونشروا البناء على القبور، ونشروا تأسيس الأضرحة، دب على المسلمين من الفاطميين، وهم طائفة شيعة غلاة في المغرب، واستولوا على بلاد المسلمين على عهدهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهم أول من بنى عليها المساجد)**، أول من بنى المساجد عل القبور هم الرافضة على أئمتهم، يسمونها مراقد الأئمة، بنوا عليها في كربلاء وفي غيرها، فهم سبب الضلال الذي حصل والغلو في القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قاله المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ)**، قاله المصنف: الذي هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مصنف كتاب التوحيد الذي هذا شرحه: «فتح المجيد».

....

ش: **وفيه إشارة إلى خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأن من كانت محبته لشخص أشد، كان أولى به من غيره.**

وقد استخلفه على الصلاة بالناس، وغضب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قيل: يصلي بهم عمر، وذلك في مرضه الذي توفي فيه صلوات الله وسلامه عليه(١).

واسم أبي بكر: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة الصديق الأكبر، خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأفضل الصحابة بإجماع من يعتد بقوله من أهل العلم. مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفيه إشارة إلى خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)**، لقوله: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلا**»(٣)، قال هذا عند وفاته، فهذه من الإشارات؛ لأن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اختاره الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اختيارًا، ولم يعهد إليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن الرسول أعطى إشارات تدل على أنه هو الخليفة من بعده، منها: أنه استخلف على الصلاة في مرضه.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٦٤، ٧١٢، ٧١٣)، ومسلم (٤١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيه: «...**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**...».

(٢) انظر في ترجمته: معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٢٢)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٦٣)، ووفيات الأعيان (٣/ ٦٤)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٦٠)، والإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٣٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٨٣) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومنها: أنه كان للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أبواب يدخلون منها على المسجد النبوي، فأمر بسدها إلا باب أبي بكر؛ فإنه استثناه ولم يسد؛ لأنه سيكون هو إمام المسلمين بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنها: هذا الحديث: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**»، فهذه إشارات إلى خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفيه إشارة إلى خلافة أبي بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ لأن من كانت محبته لشخص أشد كان أولى به من غيره)**، أولى بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غيره، فأولى الصحابة بالرسول: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وغضب** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لما قيل: يصلي بهم عمر)**، لما مرض الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وثقل، قال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ. قَالَتْ عَائِشَةُ:** يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ -يعني: سريع البكاء، إذا وقف في موقفك يبكي-، قال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**». كررها، وزجر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا دل على أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الإمام بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(واسم أبي بكر: عبد الله بن عثمان بن عامر)**، أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كنيته، وأما اسمه: فهو عبد الله بن عثمان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بن كعب بن سعد بن تيم)**، أبو بكر تيمي، من بني تيم، وبنو تيم من قريش.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأفضل الصحابة بإجماع من يعتد بقوله من أهل العلم)**، هو أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالإجماع، لم يخالف في هذا من يعتد بقوله.

....

ش: قوله: «أَلَا»: حرف استفتاح، «أَلَا وَأَنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ،...». الحديث.

قال الخلخالي: وإنكار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صنيعهم هذا يُخرج على وجهين:

أحدهما: أنهم يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا لهم.

الثاني: أنهم يجوزون الصلاة في مدافن الأنبياء والتوجه إليها حالة الصلاة؛ نظرًا منهم بذلك إلى عبادة الله والمبالغة في تعظيم الأنبياء.

والأول: هو الشرك الجلي. والثاني: الخفي، فلذلك استحقوا اللعن[١].

قوله: (فَقَدْ نَهَى عنهُ في آخِرِ حَيَاتِهِ)، أي: كما في حديث جندب. وهذا من كلام شيخ الإسلام، وكذا ما بعده.

قوله: (ثُمَّ أَنَّهُ لَعَنَ -وَهُوَ في السِّياقِ- مَنْ فَعلَهُ)؛ كما في حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

قلت: فكيف يسوغُ مع هذا التغليظ من سيد المرسلين أن تعظم القبور، ويبنى عليها، ويصلى عندها وإليها؟! هذا أعظم مشاقة ومحادة لله -تعالى- ولرسوله لو كانوا يعقلون.

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٢٧٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثاني: أنهم يجوزون الصلاة في مدافن الأنبياء والتوجه إليها حالة الصلاة)**، يعني: عند الأمم السابقة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكيف يسوغُ مع هذا التغليظ من سيد المرسلين أن تعظم القبور، ويبنى عليها، ويصلى عندها وإليها؟)**، إذا كان قبر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لايصلى عنده، ولا يتخذ مسجدًا، ولعن صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعل ذلك، فما بال القبورية يتخذون قبور الأنبياء والصالحين مساجد في البلاد الأخرى، ويعكفون عندها، يذبحون عندها، وينذرون لها؟!!

هذه مصائب عظيمة، وهذا مراغمة لما حذر منه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغلو في قبور الأنبياء والصالحين.

....

ش: قوله: (الصَّلاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ)، أي: من اتخاذها مساجد الملعون فاعله. وهذا يقتضي تحريم الصلاة عند القبور وإليها.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ، إِلَّا الْمَقْبَرَةَ، وَالْحَمَّامَ». رواه أحمد وأهل السنن وصححه ابن حبان والحاكم[(١)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: (الصَّلاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ)، أي: من اتخاذها مساجد الملعون فاعله. وهذا يقتضي تحريم الصلاة عند القبور وإليها)**، عند القبور، يعني: سواء استقبلها أو لم يستقبلها، أو إليها: يستقبلها، وهذا أشد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وعن أبي سعيد الخدري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا: «الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ، إِلَّا الْمَقْبَرَةَ، وَالْحَمَّامَ»)**، **«الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ»**، يعني: صالحة للصلاة.

«جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»[(٢)]: يتيمم من ترابها، ويصلي فيها، وهذا من تيسير الله على هذه الأمة، إلا القبور وما حولها فلا يصلى عندها؛ حماية للتوحيد.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨/ ٣٠٧، ٣١٢)، وأبو داود (٤٩٢)، والترمذي (٣١٧)، وابن ماجه (٧٤٥)، وابن حبان (٤/ ٥٩٨، ٦/ ٨٩، ٩٢)، والحاكم (١/ ٣٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (ص٧٢٤).

هناك سبعة مواطن تحرم الصلاة فيها منها: المقابر، ومنها قارعة الطريق، ومنها المزبلة، ومنها الحمام إلى آخره[١].

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٣٤٦)، وابن ماجه (٧٤٦): عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُصَلَّى فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ: فِي الْمَزْبَلَةِ، وَالْمَجْزَرَةِ، وَالْمَقْبَرَةِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَفِي الْحَمَّامِ، وَفِي مَعَاطِنِ الإِبِلِ، وَفَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ اللهِ».

....

ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقاصده، جزم جزمًا لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغته -صيغة: «لا تفعلوا»، وصيغة: «إني أنهاكم عن ذلك»- ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقل نصيبه أوعُدم من لا إله إلا الله.

فإن هذا وأمثاله من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له، وغضب لربه أن يُعدل به سواه، فأبى المشركون إلا معصية لأمره وارتكابًا لنهيه، وغرهم الشيطان بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم لها أشد تعظيمًا وأشد فيهم غلوًا، كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد.

ولعمر الله، من هذا الباب دخل على عباد يغوث ويعوق ونسر، ودخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة، فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم، فهدى الله أهل التوحيد لسلوك طريقتهم وأنزلهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها من العبودية وسلب خصائص الإلهية عنهم[1].

قال الشارح: وممن علل بخوف الفتنة بالشرك: الإمام الشافعي، وأبو بكر الأثرم، وأبو محمد المقدسي، وشيخ الإسلام وغيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ١٨٩).

وهو الحق الذي لا ريب فيه[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهم عن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مقاصده، جزم جزمًا لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغته -صيغة: «لا تفعلوا» وصيغة: «إني أنهاكم عن ذلك»)**، «**لَا تَتَّخِذُوا**»: هذه «لا تفعلوا»، «**لَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ**». ثم قال: «**إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغته -صيغة: «لا تفعلوا» وصيغة: «إني أنهاكم عن ذلك»- ليس لأجل النجاسة)**؛ لأن هناك من يقول: إن النهي عن الصلاة عند القبر أو في المقابر؛ مخافة النجاسة؛ لأن صديد الأموات -لاحظ الكلام الفارغ- أن صديد الأموات ينتشر في الأرض، فتكون نجسة، أين صديد الأموات؟! ربما أن الميت يكون له آلاف السنين، أين الصديد؟! لكن هذا الكلام الباطل يفضح نفسه، ويفضح صاحبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه)**، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨]، نعم، نجاسة، لكنها نجاسة الشرك، وليست النجاسة الطارئة الحكمية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكلما كنتم لها أشد تعظيمًا وأشد فيهم غلوًا، كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد)**، يقولون هكذا.

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٢٧٦).

(٢) سبق تخريجه (ص٧٤١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(من هذا الباب دُخِلَ على عباد يغوث ويعوق ونسر)**، دخل، يعني: الشيطان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ودخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة)**، ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ [نوح:٢٣]، قال قوم نوح: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح:٢٣]، هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، لما ماتوا حزنوا عليهم، فأتاهم الشيطان، فقال: انصبوا صورهم على مجالسهم؛ حتى تتذكروا أحوالهم فتنشطوا على العبادة، قال لهم الشيطان ذلك، فقاموا وفعلوا هذا، ولم تعبد في عهد العلماء من قوم نوح، ولما هلك العلماء، جاءهم الشيطان مرة ثانية، قال: إن آباءكم لم ينصبوا هذه الصور إلا ليعبدوها، وبها كانوا يسقون المطر. فعبدوها، وحدث الشرك في الأرض، أول شرك حدث في الأرض هو بسبب الغلو في القبور، قبور الصالحين من قوم نوح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم)**؛ لأن طريقة الأنبياء: النهي عن الغلو في القبور، فهؤلاء طعنوا حتى في طريقة الأنبياء وخالفوها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الشارح)**، قال الشارح: الذي هو الشيخ سليمان؛ لأنه صاحب الأصل، صاحب «تيسير العزيز الحميد»، الذي «فتح المجيد» مختصر له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وممن علل بخوف الفتنة بالشرك: الإمام الشافعي، وأبو بكر الأثرم)**، الأثرم: من أصحاب الإمام أحمد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأبو محمد المقدسي)**، الذي هو: الموفق بن قدامة صاحب المغني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وشيخ الإسلام)**، هو شيخ الإسلام: ابن تيمية.

....

ش: قوله: (فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا)، أي: لما علموا من تشديده في ذلك، وتغليظه، ولعن من فعله.

قوله: (وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلاةُ فِيهِ، فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِدًا)، أي: وإن لم يبن مسجدًا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا، يعني: وإن لم يقصد بذلك؛ كما إذا عرض لمن أراد أن يصلي، فأوقع الصلاة في ذلك الموضع الذي حانت الصلاة عنده من غير أن يقصد ذلك الموضع بخصوصه، فصار بفعل الصلاة فيه مسجدًا.

قوله: (كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»)، أي: فسمى الأرض مسجدًا، تجوز الصلاة في كل بقعة منها، إلا ما استثنى من المواضع التي لا تجوز الصلاة فيها، كالمقبرة ونحوها.

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح السنة: أراد أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، فأباح الله لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا؛ تخفيفًا عليهم وتيسيرًا، ثم خص من جميع المواضع: الحمام والمقبرة والمكان النجس. انتهى(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلاةُ فِيهِ فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِدًا»، أي: وإن لم يبن مسجدًا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا)، فمن صلى عند القبر، ولو لم يبن عليه مسجدًا، اتخذه مسجدًا، يعني: مصلى.

---

(١) انظر: شرح السنة للبغوي (١٣/ ١٩٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما إذا عرض لمن أراد أن يصلي، فأوقع الصلاة في ذلك الموضع الذي حانت الصلاة عنده من غير أن يقصد ذلك الموضع بخصوصه، فصار بفعل الصلاة فيه مسجدًا)**، إذا صلى الإنسان في مكان، فقد اتخذه مسجدًا، يعني: مصلى، ومن صلى عند القبر -ولو لم يقصد ذلك-، فقد اتخذه مسجدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال البغوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شرح السنة: أراد أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا في بيعهم وكنائسهم)**، أراد بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»**[1]: أن الله وسع على هذه الأمة، فجعل الأرض كلها صالحة للصلاة فيها إذا توفرت الشروط.

وأما أهل الكتاب، فلا يصلون إلا في كنائسهم وبيعهم، ولا يصلون خارجها، وهذا من التضييق عليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم خص من جميع المواضع: الحمام والمقبرة والمكان النجس)**، سبعة مواضع مذكورة لا يصلى فيها.

(١) سبق تخريجه (ص٧٢٤).

وَلأحمدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ». وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ(١).

ش: قوله: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ»، بكسر الشين جمع شرير.

قوله: «مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ»، أي: مقدمتها؛ كخروج الدابة، وطلوع الشمس في مغربها، وبعد ذلك ينفخ في الصور نفخة الفزع.

قوله: «وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»؛ معطوف على خبر إن في محل نصب على نية تكرار العامل، أي: وإنَّ من شرارِ النَّاسِ الذين يتخذُون القبور مساجد، أي: بالصلاة عندها وإليها، وبناء المساجد عليها.

وتقدم في الأحاديث الصحيحة أن هذا من عمل اليهود والنصارى، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعنهم على ذلك؛ تحذيرًا للأمة أن يفعلوا مع نبيهم وصالحيهم فعل اليهود والنصارى، فما رَفَعَ أكثرهم بذلك رَأسًا، بل اعتقدوا أنَّ هذا الأمر قربة إلى الله، وهو مما يبعدهم عن الله، ويطردهم عن رحمته ومغفرته.

والعجب أن أكثر من يدعي العلم ممن هو من هذه الأمة لا ينكرون ذلك، بل ربما استحسنوه، ورغبوا في فعله، فلقد اشتدت غربة الإسلام، وعاد

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٩٤، ٧/ ٢٠٩، ٧/ ٣٦٠)، والبزار في مسنده (٥/ ١٣٦، ١٨٥)، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ٢١٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٦)، وأبو حاتم ابن حبان في صحيحه (٦/ ٩٤، ١٥/ ٢٦٠)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٨٨)، من حديث عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلأحمدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «إنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»)**، في هذا الحديث: أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، أما أهل الإيمان، فيقبضون قبل ذلك، ويبقى شرار الناس وحدهم؛ «**حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ**»[1]، ثم تقوم الساعة، يعني: القيامة، تقوم القيامة عليهم، وهم صنفان:

الصنف الأول: «إنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ»، هذا الصنف الذي تدركهم الساعة وهم أحياء هؤلاء من شرار الناس.

والصنف الثاني: «وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»: الذين يبنون المشاهد على القبور، هذا محل الشاهد من الحديث في كتاب التوحيد، يبنون المشاهد على القبور.

المشاهد: هي الأضرحة، والمساجد عليها؛ يتقربون إليها، لأصحابها، يتبركون بها، فهؤلاء من شرار الناس بنص الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم يزعمون أنهم من أحسن الناس.

يزعمون أن هذا توقير للصالحين، ومحبة لهم، وأن الذي لا يبني على القبور أنه لا يحب أصحابها، هكذا زين لهم شياطين الإنس والجن، وهم

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٨)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

شرار الناس، وهم عند أنفسهم هم خيار الناس، وهم الذين يحبون الأولياء والصالحين، زين لهم الشيطان أعمالهم -نسأل الله العافية!

ودعاة الضلال أيضًا -شياطين الإنس- يشاركون شياطين الجن في هذا الأمر، لم تبن المشاهد على القبور إلا بسبب هؤلاء الذين يدعون إلى تعظيمها، ويزعمون أنها تمنح البركة، ويغطون هذا بقولهم: هذه محبة للصالحين! الصالحون لا يرضون بهذا، بل هذه عدواة لهم؛ لأنهم لا يرضون بهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «مَنْ تُدْرِكُهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ»، أي: مقدمتها)**، مقدمات الساعة، علامات الساعة الكبرى المتتابعة التي أولها طلوع الشمس من مغربها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كخروج الدابة)**، خروج الدابة التي تخرج على الناس؛ تكتب على وجوههم: كافر أو مسلم، الكافر تكتب على وجهه كافر، وتكتب على المسلم مسلم؛ فيتميز هذا عن هذا في آخر الزمان، والمسلم يقول: يا كافر، أعطني كذا، بع عليَّ كذا، والكافر يقول: يا مسلم، اعمل كذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وطلوع الشمس في مغربها)**، وطلوع الشمس في مغربها؛ الله جَلَّ وَعَلَا يأتي بالشمس من المشرق إلى المغرب في آخر الزمان، ومن علامات قيام الساعة وقربها: أنها تطلع من المغرب، تعكس سيرها، والله على كل شيء قدير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبعد ذلك ينفخ في الصور نفخة الفزع)**، وبعد ذلك ينفخ إسرافيل في الصور نفخة الفزع، يعني: الخوف، ثم بعدها تأتي نفخة

الصعق؛ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: هذه نفخة الموت، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾: هذه نفخة البعث؛ تطير الأرواح من القرن -الصور- الذي ينفخ فيه إسرافيل، تطير الأرواح إلى أصحابها؛ ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»)**، هذا محل الشاهد من الحديث: «إِنَّ مِنْ شَرَارِ النَّاسِ»: الذين يتخذون المساجد على القبور؛ يبنون عليها مساجد، أو يصلون عندها، ولو لم يبن عليها.

يتخذونها مساجد -يعني: مصليات-، سواء بُنِيَ عليها أو لم يبن، هؤلاء شرار الناس، وهم يزعمون أنهم خيار الناس، وأنهم يحبون الصالحين، وأنهم يتقربون إلى الله بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»، معطوف على خبر إن في محل نصب على نية تكرار العامل)**، «إِنَّ»: تنصب الاسم وترفع الخبر.

«إِنَّ مِنْ شَرَارِ النَّاسِ»: **«مِنْ»** هذه زائدة، للتأكيد، ليست زائدة حشو، لا، زائدة للتأكيد، الأصل: إن شرار الناس، فزيدت للتأكيد.

«مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ»: لأن الساعة لا تقوم على المؤمنين، إنما تقوم على الأشرار.

الصنف الثاني -وهو محل الشاهد-: الذين يبنون المساجد على القبور، أو **«وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»**: مصليات، يتبركون بها؛ لأن هذا إن

كان يتقرب إلى الميت، فهو شرك أكبر، وإن كان يتقرب إلى الله، فهذا بدعة؛ لأن الله لم يشرع الصلاة عند القبور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أي: وإنَّ من شرارِ النَّاسِ الذين يتخذُون القبور مساجد أي بالصلاة عندها وإليها، وبناء المساجد عليها)**، يشمل من صلى عندها من غير بناء، فقد اتخذها مساجد، ويشمل من بنى عليها المساجد، وهذا أشد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أي: وإنَّ من شرارِ النَّاسِ الذين يتخذُون القبور مساجد أي بالصلاة عندها وإليها، وبناء المساجد عليها)** «عندها، وإليها»: يستقبلونها.

والذين يتخذونها مساجد ولو لم يستقبلوها، فلو صلوا عندها، جعلوها خلف ظهورهم أو عن يمينهم، أو عن شمائلهم، فالمعنى واحد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وتقدم في الأحاديث الصحيحة أن هذا من عمل اليهود والنصارى)**؛ **«لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»**(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فما رَفَعَ أكثرهم بذلك رَأسًا)**، لم يستقيظ أكثرهم، أكثر القبوريين لم ينتبهوا، ولم يلتفتوا إلى هذا الحديث، ماضون فيما هم عليه من البناء على المساجد، والرسول يلعنهم، وهم يزعمون أنهم يتقربون إلى الله، وأنهم مثابون على هذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بل اعتقدوا أنَّ هذا الأمر قربة إلى الله)**، قربة إلى الله، أن اتخاذ القبور مساجد قربة إلى الله، وهو بعدٌ عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ [التوبة:٣٧].

---

(١) سبق تخريجه (ص٧١٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو مما يبعدهم عن الله، ويطردهم عن رحمته ومغفرته)**؛ لأن الرسول لعن من فعل هذا، واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والعجب أن أكثر من يدعي العلم ممن هو من هذه الأمة لا ينكرون ذلك)**، هذه المصيبة، لو أن العلماء ينكرون هذا، ويرجعون إلى الله، ويبينون للناس لما حصل هذا، أو لقلَّ ولم يكثر، لكن لما سكت العلماء عنهم، تمادوا في هذا.

فالعلماء عليهم واجب، فلا يجوز لهم السكوت وترك الناس على ما هم عليه، ولو لم يشاركوهم، فإذا شاركوهم، فالأمر أشد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل ربما استحسنوه ورغبوا في فعله)**، هذه هي المساجد على القبور في الأمصار وفيها علماء، ولم ينكروا هذا، العلماء لم ينكروا هذا، مصر مليئة بالعلماء، لكن أين جهودهم؟ الشام؟ ليس هناك بلد إلا وفيها علماء، لكن أين جهودهم، والقيام بما أوجب الله عليهم؟ هم إما موافقون، وإما ساكتون عنهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلقد اشتدت غربة الإسلام)**، «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ**»(٢).

ومن غربة الإسلام: حصول هذه المسألة، فشو بناء المساجد على القبور من غير نكير، من ينكرها، ينكرون عليه؛ يقولون: أنت لا تحب الصالحين، أنت وهابي، أنت كذا وكذا!!

---

(١) سبق عزوه (ص١٦١).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعاد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا)**؛ كما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه في آخر الزمان يعود «**الْمَعْرُوف مُنْكَرًا وَالْمُنْكَر مَعْرُوفًا**»[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والسنة بدعة والبدعة سنة)**، في آخر الزمان تعود السنة بدعة، من عمل بها قالوا: هذا مبتدع، هذا مخالف لما عليه الناس، وهذه البدعة عندهم.

البدعة: ما أُحدث في الدين مما ليس منه؛ «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[(٢)]. «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَأَمْرُهُ رَدٌّ**»[(٣)].

هذه البدعة، أما مخالفة الناس فقد تكون محمودة، وقد تكون مذمومة، والسكوت عن البناء على القبور هذه بدعة مذمومة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير)**، إذا تُرِك الأمر، ولم يحصل أمرٌ بالمعروف ونهي عن المنكر، فإن الناس يتربون على هذا، ويألفونه، ومن أنكره أنكروا عليه.

هذا من أسباب فشو البناء على القبور، سكوت العلماء. وواجبهم الإنكار، والدعوة إلى الله، والتوضيح للناس.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩/ ١٢٩)، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٣٠٤): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَيْفَ بِكُمْ إِذَا فَسَقَ شَبَابُكُمْ، وَطَغَى نِسَاؤُكُمْ؟**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ ذَلِكَ لَكَائِنٌ؟ قَالَ: «**وَشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ سَيَكُونُ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا؟**».

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم -واللفظ له- (١٧١٨)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٣) هذه رواية أحمد لحديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا السابق (٤٢/ ٦١).

....

ش: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما بناء المساجد على القبور، فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه؛ متابعة للأحاديث الصحيحة، وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه. ثم ذكر الأحاديث في ذلك، قال: ولا ريب في القطع بتحريمه. ثم ذكر الأحاديث في ذلك، إلى أن قال: وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين أو الملوك وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو بغيره. هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يجب هدم القباب التي بنيت على القبور؛ لأنها أُسست على معصية الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

وقد أفتى جماعة من الشافعية بهدم ما في القرافة من الأبنية، منهم ابن الجُمَّيزي، والظهير التَّزْمَنتي وغيرهما(٣).

وقال القاضي ابن كجٍّ: ولا يجوز أن تجصص القبور، ولا أن يبنى عليها قباب، ولا غير قباب، والوصية بها باطلة(٤).

وقال الأذْرُعي: وأما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الأبنية وإنفاق الأموال الكثيرة، فلا ريب في تحريمه(٥).

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٨٤ - ١٨٧).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢١٠).

(٣) انظر: المدخل لابن الحاج (١/ ٢٥٣)، وتنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين (ص ٤٨٢).

(٤) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل (ص١٦٩)، وتيسير العزيز الحميد (ص٢٧٩).

(٥) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل (ص٣٦، ١٧٠)، وتيسير العزيز الحميد (ص٢٧٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أما بناء المساجد على القبور، فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه؛ متابعة للأحاديث الصحيحة**)، عامة الطوائف من هذه الأمة صرحوا بالنهي عنه؛ عملًا بهذا الحديث وأمثاله.

فالحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة والظاهرية ينكرون هذا؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استنكره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وصرح أصحابنا**)، وصرح أصحابنا، يعني: الحنابلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه**)، هذا كلام شيخ الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال: ولا ريب في القطع بتحريمه**)؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عنه، والنهي يقتضي التحريم؛ كما هي القاعدة[(١)]، الأصل أن النهي يقتضي التحريم؛ فإن صرفه صارف عن التحريم، صار للكراهة، كراهة التنزيه[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إلى أن قال: وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين، أو الملوك وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو بغيره**)، يجب إزالتها؛ أما إن كان القبر قديمًا، والبناء حدث عليه، يهدم البناء، ويبقى القبر، أما إن كان المسجد هو القديم، والقبر دُفِنَ فيه بعد ذلك، ينقل القبر، ويبقى المسجد، أما أنه يبقى ولا يغير، فهذا لا يجوز.

---

(١) انظر: التبصرة في أصول الفقه (ص٩٩)، والتمهيد في أصول الفقه (١/ ٣٦٢)، والإبهاج في شرح المنهاج (٢/ ٦٦)، ونهاية السول (ص١٧٧).

(٢) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج (٢/ ٦٧)، ونهاية السول (ص ١٧٧)، والأصول من علم الأصول (ص٣٠).

فإما أن يهدم المسجد ويبقى القبر، وإما أن ينقل القبر، ويبقى المسجد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين)**، يقول الشيخ تقي الدين: هذا مما لا أعلم فيه خلافا، يعني: هذا إجماع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد أفتى جماعة من الشافعية بهدم ما في القرافة من الأبنية)**، ما في القرافة، يعني: المقبرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال القاضي ابن كجٍّ: ولا يجوز أن تجصص القبور)**؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن تجصيص القبور؛ لأن هذا يغر الجهال؛ إذا رأوا القبر مجصصًا، قالوا: هذا ولي، وهذا له شأن، فأقبلوا عليه؛ فلا تجصص القبور، ولا تلون بالبويات أو بغيرها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والوصية بها باطلة)**، الوصية بها؛ من أوصى أن يبنى على قبره، أو يجصص، أو يكتب عليه، فالوصية باطلة، لا يجوز تنفيذها.

....

ش: وقال القرطبي في حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: نهى أن يجصص القبر أو يبنى عليه. وبظاهر هذا الحديث قال مالك، وكره البناء والجص على القبور. وقد أجازه غيره، وهذا الحديث حجة عليه[١].

وقال ابنُ رُشْد: كره مالك البناء على القبر، وجعل البلاطة المكتوبة، وهو من بدع أهل الطول، أحدثوه إرادة الفخر والمباهاة والسمعة، وهو مما لا اختلاف عليه[٢].

وقال الزَّيْلعي في «شرح الكنز»: ويكره أن يبنى على القبر[٣].

وذكر قاضي خان: أنه لا يجصص القبر، ولا يبني عليه؛ لما رُوِي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه نهى عن التجصيص والبناء فوق القبر.

والمراد بالكراهة عند الحنفية رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ كراهة التحريم. وقد ذكر ذلك ابن نجيم في شرح الكنز[٤].

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أكره أن يعظم مخلوق، حتى يجعل قبره مسجدًا؛ مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس[٥]. وكلام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبين أن مراده بالكراهة كراهة التحريم.

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٦٢٦).

(٢) انظر: البيان والتحصيل (٢/ ٢٢٠- ٢٢١)، ومواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٢/ ٢٤٧).

(٣) انظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (١/ ٢٤٦).

(٤) انظر: البحر الرائق (٢/ ٢٠٩).

(٥) انظر: الأم (١/ ٣١٧)، والمهذب للشيرازي (١/ ٢٥٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكره البناء والجص على القبور)**، كره، يعني: حرم؛ لأن الكراهة عند القدامى معناها التحريم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد أجازه غيره، وهذا الحديث حجة عليه)**، من أجازه فإن هذا الحديث يرد عليه، والعبرة بقول الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لا بقول من خالفه، وإن كان من العلماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابنُ رُشْد)**، هناك ابن رشد: الجد، وهو يقصد هنا الحفيد صاحب كتاب «التحصيل».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وجعل البلاطة المكتوبة، وهو من بدع أهل الطول)**، الطول، يعني: الغنى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو من بدع أهل الطول، أحدثوه إرادة الفخر والمباهاة والسمعة، وهو مما لا اختلاف عليه)**، لا يجوز أن المقابر يعمل عليها شيء يلفت أنظار العوام؛ لا كتابة، ولا تجصيص، ولا رفع عن الأرض، ولا بناء قبة عليها.

قد يقول بعض الناس: لماذا قبر الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عليه قبة؟ فنقول: الرسول دُفِنَ في بيته، وهو أوصى بذلك، دُفِن صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في بيته، وكان عليه سقف، البيت مسقوف، إلا أنه لما تغير الزمان، جاء بعض السلاطين، وجعل بدل من سقف البيت جعل بدله قبة، القبة المعروفة، وبقيت؛ خشية الفتنة، لو أزيلت لحصل فتنة، فدرءًا للفتنة يحفظ القبر، ويحافظ عليه من البدع، ويجعل عليه حراسة، وتبقى درءًا للفتنة، وهذا هو الحاصل، والحمد لله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الزَّيْلعي في «شرح الكنز»)**، الزيلعي من الحنفية، من أئمة الحنفية في شرح كتاب للحنفية اسمه «الكنز»، فشرحه الإمام الزيلعي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الزَّيْلعي في «شرح الكنز»: ويكره أن يبنى على القبر)**، يعني: يحرم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذكر قاضي خان: أنه لا يجصص القبر)**، قاضي خان من الحنفية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمراد بالكراهة عند الحنفية** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ **كراهة التحريم)**، الدليل قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهًا ﴾ [الإسراء:٣٨]، لما ذكر الأشياء المحرمة، وأولها الشرك: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [الإسراء:٢٢]، إلى قوله: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهًا ﴾ [الإسراء:٣٨]، يعني: محرمًا، فالكراهة عند القدامى يراد بها التحريم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمراد بالكراهة عند الحنفية** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ **كراهة التحريم)**، وعند غيرهم أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد ذكر ذلك ابن نجيم في «شرح الكنز»)**، من الحنفية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أكره أن يعظم مخلوق، حتى يجعل قبره مسجدًا)**، أكره، يعني: أحرم؛ لأن الكراهة عرفنا أنها عند الأئمة والقدامى: التحريم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكلام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يبين أن مراده بالكراهة كراهة التحريم)**، وهو كذلك.

....

ش: **قال الشارح: (وجزم النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح المهذب بتحريم البناء مطلقًا[١]، وذكر في شرح مسلم نحوه أيضًا[٢])[٣].**

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة إمام الحنابلة صاحب المصنفات الكبار -كـ«المغنى»، و«الكافى»-: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَعْنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى...» الحديث[٤].

وقد روينا: أن ابتداء عبادة الأصنام: تعظيم الأموات واتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها، انتهى[٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الشارح)**، قال الشارح: الذي هو الشيخ سليمان ابن عبد الله في «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، الذي «فتح المجيد» مختصر له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الشارح: وجزم النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح المهذب بتحريم البناء مطلقًا، وذكر في شرح مسلم نحوه أيضًا)**، النووي في شرح المهذب «المجموع شرح المهذب» إلا أنه لم يكمل.

(١) انظر: المجموع شرح المهذب (٥/ ٣١٦- ٣١٧).
(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (٥/ ١١- ١٤).
(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٢٧٩).
(٤) سبق تخريجه (ص٧٢٧).
(٥) انظر: المغني (٣/ ٤٤١).

والكتاب الثاني: شرح صحيح مسلم؛ لأن النووي شرح صحيح مسلم، وهذا موجود ومطبوع، وفيه خير وعلم غزير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة إمام الحنابلة صاحب المصنفات الكبار)**، ومنها: «المغني».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد روينا: أن ابتداء عبادة الأصنام: تعظيم الأموات واتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها)**، فلا يجوز تصوير الصالحين، ونصب صورهم على المجالس؛ كما حصل لقوم نوح، عبدوهم في النهاية، قوم نوح عبدوها في النهاية، فحصل الشرك في الأرض، وأرسل الله نبيه نوحًا لإنكار هذا.

فلا يجوز تعظيم القبور إلى هذا الحد الذي يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله، نعم، القبور تحترم ولا تمتهن، وتصان عن أن يوطأ عليها، أو يجلس عليها، أو تلقى عليها القاذورات، لا يجوز هذا، لا تمتهن، ولا يغلى فيها وتعظم، بل يتوسط، الدين وسط، ولله الحمد.

....

ش: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما المقبرة، فلا فرق فيها بين الجديدة والعتيقة، ومن انقلبت تربتها أو لم تنقلب، ولا فرق بين أن يكون بينه وبين الأرض حائل أو لا؛ لعموم الاسم وعموم العلة؛ ولأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن الذين اتخذوا قبور الأنبياء مساجد، ومعلوم أن قبور الأنبياء لا تنجس.

وبالجملة فمن علل النهي عن الصلاة في المقبرة بنجاسة التربة خاصة، فهو بعيد عن مقصود النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم لا يخلو أن يكون القبر قد بُنِيَ عليه مسجد، فلا يصلى في هذا المسجد، سواء كان خلف القبر أو أمامه بغير خلاف في المذهب؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَلَا وَأَنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»(١)، وخص قبور الأنبياء والصالحين؛ لأن عكوف الناس على قبورهم أعظم، واتخاذها مساجد أشد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما المقبرة، فلا فرق فيها بين الجديدة والعتقية، ومن انقلبت تربتها أو لم تنقلب)، لأن بعض الناس يقول: المقبرة إذا صارت قديمة تحللت، يجوز استعمالها، ويجوز البناء عليها.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٤١).

لا، لا يجوز، ما دامت مقبرة، لا يجوز، ولو طال عليها الزمان، هي مقبرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا فرق بين أن يكون بينه وبين الأرض حائل أو لا؛ لعموم الاسم وعموم العلة)**، لعموم الأحاديث لا تُستثنى القديمة من القبور، عممت الأحاديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولأن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لعن الذين اتخذوا قبور الأنبياء مساجد)**، الذين يقولون: إن العلة: النجاسة. بعض الجهال أو بعض الضلال يقول: ليس النهي عن الصلاة عند القبور لخوف الشرك، وإنما خوف النجاسة؛ لأن صديد الأموات قد ينتشر، الأموات الذين لهم مئات السنين، أين صديدهم؟!

ليست العلة: النجاسة أو صديد الأموات، العلة: الخوف على العقيدة، نجاسة الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومعلوم أن قبور الأنبياء لا تنجس)**، وقبور الأنبياء قديمة، فإذا سلمنا أن الأرض تتنجس بصديد الأموات، فقبور الأنبياء ليست كذلك، «**إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**»(١)، وليس لها صديد -كما تقولون-، ومع هذا لعن اليهود والنصارى، لماذا؟ لأنهم «**اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(٢)، هل العلة: النجاسة؟ لا، العلة: خوف الشرك، وإلا الأنبياء ليس في قبورهم نجاسة.

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥)، من حديث أوس بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (ص٧١٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبالجملة فمن علل النهي عن الصلاة في المقبرة بنجاسة التربة خاصة، فهو بعيد عن مقصود النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، بلا شك الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف على أمته من الشرك، لم يخف عليهم من النجاسة في المقبرة، المقبرة ليس فيها نجاسة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم لا يخلو أن يكون القبر قد بُنِيَ عليه مسجد، فلا يصلى في هذا المسجد، سواء كان خلف القبر أو أمامه)**، ما دام القبر متصلًا بالمسجد، فلا تجوز الصلاة في هذا المسجد، سواء كان القبر خلف المسجد أو أمامه أو إلى جانبه ما دام متصلًا به.

فإن كان بينه وبين المقبرة أو القبر فاصل من طريق -مثلًا-، أو أرض فضاء، فلا مانع من ذلك؛ لأن القبر منفصل عن المسجد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وخص قبور الأنبياء والصالحين؛ لأن عكوف الناس على قبورهم أعظم، واتخاذها مساجد أشد)**، إذا كانت قبور الأنبياء والصالحين لا يجوز أن تتخذ مساجد ومصليات، فكيف بقبور غيرهم؟!

....

ش: وكذلك إن لم يكن بُنِيَ عليه مسجد، فهذا قد ارتكب حقيقة المفسدة التي كان النهي عن الصلاة عند القبور من أجلها، فإن كل مكان صُلِيَ فيه يسمى مسجدًا؛ كما قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»(١)، وإن كان موضع قبر أو قبرين.

وقال بعض أصحابنا: لا يُمنع الصلاة فيها؛ لأنه لا يتناولها اسم المقبرة، وليس في كلام أحمد ولا بعض أصحابه هذا الفرق، بل عموم كلامهم يقتضي منع الصلاة عند كل قبر.

وقد تقدم عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «لا أصلي في حمام ولا عند قبر»(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكذلك إن لم يكن بُنِيَ عليه مسجد)، فالصلاة عنده تجعله مسجدًا، إذا صلى عنده فقد جعله مسجدًا؛ لقوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»، فالمسجد: هو الذي يصلى فيهن سواء بُنِي أو لم يبن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن كل مكان صُلِيَ فيه يسمى مسجدًا؛ كما قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»، وإن كان موضع قبر أو

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٢٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١٥٤): عَنِ الحَكَمِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: «لَا تُصَلِّ تُجَاهَ حُشٍّ، وَلَا حَمَّامٍ، وَلَا مَقْبَرَةٍ».

قبرين)، يشمل هذا القبر الواحد وأكثر من القبرين، إذا صلى عنده، لا يجوز هذا؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال بعض أصحابنا)**، وقال بعض أصحابنا، يعني: بعض الحنابلة: هذا كلام شيخ الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال بعض أصحابنا: لا يُمنع الصلاة فيها؛ لأنه لا يتناولها اسم المقبرة)**، إذا كان قبر أو قبرين، لا تسمى مقبرة. هذا كلام باطل، سواء كان قبرًا واحدًا أو عدة قبور، لا يصلى عندها؛ لأن العلة واحدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وليس في كلام أحمد ولا بعض أصحابه هذا الفرق)**، وليس في كلام أحمد ولا أصحابه المعتبرين التفريق بين القبر الواحد أو عدة قبور لا يصلى عندها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بل عموم كلامهم يقتضي منع الصلاة عند كل قبر)**، عند كل قبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد تقدم عن علي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أنه قال: «لا أصلي في حمام ولا عند قبر»)**، «لا أصلي في حمام»: وهو محل الاغتسال والتنظف الذي يدخله الناس للتنظف ببخاره أو بمائه الساخن، لا يصلى فيه؛ لأن هذا من المواضع التي نُهِيَ عن الصلاة فيها.

....

ش: فعلى هذا يكون النهي متناولًا تحريم القبر وبنائه، ولا تجوز الصلاة في مسجد بُنِيَ في مقبرة، سواء كان له حيطان تحجز بينه وبين القبور، أو كان مكشوفًا.

قال في رواية الأثرم: إذا كان المسجد بين القبور، لا يصلى فيه الفريضة، وإن كان بينها وبين المسجد حاجز، فرخص أن يصلى فيه على الجنائز، ولا يصلى فيه على غير الجنائز. وذكر حديث أبي مرثد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُصَلُّوا عَلَى الْقُبُورِ...»[1]، وقال: إسناده جيد، انتهى[2].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فعلى هذا يكون النهي متناولًا تحريم القبر وبنائه)**، ولو كان واحدًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ولا تجوز الصلاة في مسجد بُنِيَ في مقبرة، سواء كان له حيطان تحجز بينه وبين القبور، أو كان مكشوفًا)**، لا يجوز بناء المسجد في المقبرة، إلا إذا كان سكن الحراس في جانب من المقبرة ومنفصل، فلا بأس أن يكون لهم مسكن، ويكون لهم مسجد يصلون فيه، إذا كان منفصلًا عن المقبرة؛ لأن الحاجة تدعو إلى بقائهم؛ حراسة المقابر، والعمل فيها والحفر.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٢).

(٢) انظر: شرح عمدة الفقه (٢/ ٤٦٨ - ٤٧٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا تجوز الصلاة في مسجد بُنِيَ في مقبرة، سواء كان له حيطان تحجز بينه وبين القبور أو كان مكشوفًا)**، لا يصلى في المقبرة إلا على الجنازة فقط، يصلى في المقبرة على الجنازة، أما صلاة النافلة أو الفريضة، فلا، لا تجوز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال في رواية الأثرم)**، قال أحمد في رواية صاحبه الأثرم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن كان بينها وبين المسجد حاجز فرخص أن يصلى فيه على الجنائز ولا يصلى فيه على غير الجنائز)**، على الجنائز فقط.

....

ش: ولو تتبعنا كلام العلماء في ذلك، لاحتمل عدة أوراق.

فتبين بهذا أن العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ بينوا أن علة النهي ما يؤدي إليه ذلك من الغلو فيها وعبادتها من دون الله -كما هو الواقع-، والله المستعان!

وقد حدث بعد الأئمة الذين يعتد بقولهم أناس كثر في أبواب العلم بالله اضطرابهم، وغلظ عن معرفة ما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم حجابهم، فقيدوا نصوص الكتاب والسنة بقيود أوهنت الانقياد، وغيروا بها ما قصده الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالنهي وأراد، فقال بعضهم: النهي عن البناء على القبور يختص بالمقبرة المسبلة، والنهي عن الصلاة فيها لتنجسها بصديد الموتى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فتبين بهذا أن العلماء** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ **بينوا أن علة**)، تبين بهذا، انتبهوا!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فتبين بهذا أن العلماء** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ **بينوا أن علة النهي ما يؤدي إليه ذلك من الغلو فيها وعبادتها من دون الله**)، وليس العلة كما يقول بعضهم: النجاسة، ليس فيها نجاسة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما هو الواقع، والله المستعان**)، كما هو الواقع ممن اتخذوا القبور مساجد، أشركوا بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقيدوا نصوص الكتاب والسنة بقيود أوهنت الانقياد، وغيروا بها ما قصده الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بالنهي وأراد)**، هذه قيود من عندهم هم، لاتقيد الأحاديث إلا بأحاديث صحيحة، لا تقيد بكلام العلماء أو آراء فلان، لا يجوز هذا، إنما يقيد الحديث بحديث مثله أو أصح منه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقال بعضهم: النهي عن البناء على القبور يختص بالمقبرة المسبلة)**، المسبلة؛ لأن هذا يضيقها على الناس -يقولون-، والشرك ليس له أهمية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والنهي عن الصلاة فيها لتنجسها بصديد الموتى)**، أين صديد الموتى؟ ليس هناك صديد ولا شيء، تذهب بها السيول والأمطار، ومرت سنون، وليس فيها صديد.

....

ش: **وقد حدث بعد الأئمة الذين يعتد بقولهم أناس كثر في أبواب العلم بالله اضطرابهم، وغلظ عن معرفة ما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم حجابهم، فقيدوا نصوص الكتاب والسنة بقيود أوهنت الانقياد، وغيروا بها ما قصده الرسول ﷺ بالنهي وأراد.**

فقال بعضهم: النهي عن البناء على القبور يختص بالمقبرة المسبلة، والنهي عن الصلاة فيها لتنجسها بصديد الموتى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد حدث بعد الأئمة الذين يعتد بقولهم أناس كثر في أبواب العلم بالله اضطرابهم، وغلظ عن معرفة ما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم حجابهم، فقيدوا نصوص الكتاب والسنة بقيود أوهنت الانقياد، وغيروا بها ما قصده الرسول** ﷺ **بالنهي وأراد)**، لا يزال الكلام للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصف ما حدث بعد القرون المفضلة التي هي صدر الأمة -الصحابة والتابعون، واتباع التابعين- حدث بعدهم تغير مع طول الزمان، وكثرة الدخيل من علماء الضلال، فأرادوا أن يغيروا معالم هذا الدين على أهوائهم، وإلى آراء مشايخهم.

ولكن الله قيض لهذا الدين من ينصره ويحميه من بقايا العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلاميذه كابن القيم، والمزي، وابن كثير وغيرهم ممن حافظوا على هذه السنة، وبينوها للناس.

وهذا من لطف الله أنه يقيم في كل وقت من ينتصر لهذا الدين، ويبين الزيف والدخيل، ويدعو إلى السنة الواضحة التي تركنا عليها رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ مصداقًا لقوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ»(١).

وهذا من حفظ الله لهذا الدين؛ كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(فقال بعضهم: النهي عن البناء على القبور يختص بالمقبرة المسبلة)**، هذا من أباطيلهم، الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نهى عن البناء على القبور؛ بناء الأضرحة، بناء المشاهد التي يتبرك بها، ويمارس الشرك عندها باسم التوسل بالأولياء والصالحين بزعمهم.

فقالوا: المراد بالنهي عن البناء على القبور: المقبرة المسبلة: الموقوفة يعني؛ لأن هذا اعتداء على الوقف، مع أن هذا اعتداء على السنة، وليس على الوقف، اعتداء على سنة الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهذا من الأباطيل التي أحدثوها.

يقولون: ليس هناك مانع من البناء على القبور، ولكن الحديث المراد به: المقبرة المسبلة والموقوفة، لا أحد يعتدي عليها.

نقول: لا، المراد منع الاعتداء على العقيدة، ليس الاعتداء على المقابر الموقوفة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. والبخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. ومسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، و(١٩٢٣) من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والنهي عن الصلاة فيها لتنجسها بصديد الموتى)**، ما شاء الله! النهي عن الصلاة عند القبور من أجل أن صديد الموتى نجس، فهم يصلون في مكان نجس متنجس بصديد الموتى.

أين صديد الموتى، ولهم مئات السنين ميتون، وهم في بطن الأرض؟! أين هو هذا الصديد؟!

هذا تحريف لمراد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه علل من عندهم، وإلا فالعلة هي خشية الشرك بدعاء الأموات وطلب الحوائج منهم، هذه العلة.

....

ش: **وهذا كله باطل لوجوه:**

منها: أنه من القول على الله بلا علم، وهو حرام بنص الكتاب.

ومنها: أن ما قالوه لا يقتضي لعن فاعله والتغليظ، وما المانع له أن يقول: من صَلىَّ في بقعة نجسة، فعليه لعنة الله.

ويلزم على ما قاله هؤلاء أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يبين العلة، وأحال الأمة في بيانها على من يجيء بعده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد القرون المفضلة والأئمة، وهذا باطل قطعًا وعقلًا وشرعًا؛ لما يلزم عليه من أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عجز عن البيان أو قصر في البلاغ، وهذا من أبطل الباطل، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغ البلاغ المبين، وقدرته في البيان فوق قدرة كل أحد، فإذا بطل اللازم، بطل الملزوم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا كله باطل)**، بلا شك أن هذا باطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(منها: أنه من القول على الله بلا علم)**، النصوص لا تقيد إلا بنصوص أخرى، كلام الرسول يقيد بكلام الرسول، هناك أدلة مطلقة تقيد بالأدلة المقيدة لها، لا بكلام فلان أو علان، لا يقيد الحديث إلا بحديث عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا باطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو حرام بنص الكتاب)**، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:٣٣].

الشاهد في قوله: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]، جعله فوق الشرك يدل على شناعة القول بغير علم، فلا يقيد كلام الله وكلام رسوله إلا بأدلة من الكتاب والسنة، لا بقول فلان وعلان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: أن ما قالوه لا يقتضي لعن فاعله والتغليظ)**، أن ما قالوه من التوسل بالأموات لا يقتضي لعن من فعل هذا، هذا كلام باطل، بل يقتضي لعن من فعل هذا؛ لأنه غيَّر دين الله عَزَّوَجَلَّ، وأحدث الشرك، فكيف لا يقتضي اللعن؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما المانع له أن يقول: من صَلىَّ في بقعة نجسة، فعليه لعنة الله)**، الرسول يلعن من صلى في البقعة النجسة؟!!

الصلاة في البقعة النجسة أعظم ما يقال: إن صلاته باطلة؛ لأن من شروط صحة الصلاة: طهارة الثوب والبدن، والبقعة التي يصلي فيها، ولكن ليست هذه هي العلة، العلة: مخافة الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويلزم على ما قاله هؤلاء أن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لم يبين العلة، وأحال الأمة في بيانها على من يجيء بعده** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وبعد القرون المفضلة والأئمة)**، يلزم على هذا أن الرسول ترك الأمة، ولم يبين لها حتى يأتي هؤلاء، فيبينون للناس في مقالهم وابتداعهم.

وهذا كذب على الله ورسوله، الرسول ترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها، وقال: **«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: كِتَابُ اللهِ وَسُنَّتِي»**(١).

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٣٥).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويلزم على ما قاله هؤلاء أن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لم يبين العلة)**، لم يبين علة منع البناء على القبور، ولعن من فعل ذلك، لم يبن العلة، يقولون، بل بين العلة، العلة: هي مخافة الشرك.

«أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ -يعني: مصليات-؛ **فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»**(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهذا باطل قطعًا وعقلًا وشرعًا)**، هذا اتهام للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لم يبن للأمة عقيدتها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لما يلزم عليه من أن الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عجز عن البيان أو قصر في البلاغ)**، حتى يأتي هؤلاء يبينون للناس، فيكونون أحرص من الرسول على الأمة، وهذا فيه اتهام السنة بالقصور، واتهام الرسول بعدم البيان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهذا من أبطل الباطل، فإن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بلغ البلاغ المبين)**، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى:٤٨]، وقد بلغ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البلاغ المبين حتى استشهد الله على أمته في عرفة؛ قال: **«أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»**. يقول في عرفة، خطبة عرفة في حجة الوداع: **«أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»** قالوا: نشهد -يا رسول الله- أنك بلغت، الرسول قال: **«اللَّهُمَّ اشْهَدْ»**(٢).

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧، ١٠٥، ١٧٣٩، ١٧٤١، ١٧٤٢، ٤٤٠٣، ٤٤٠٦، ٥٥٥٠، ٦٧٨٥، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧)، ومسلم (١٢١٨)، (١٦٧٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بلغ البلاغ المبين، وقدرته في البيان فوق قدرة كل أحد)**، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغ البلاغ المبين؛ كما أمره الله عَزَّ وَجَلَّ، البلاغ المبين، يعني: البين الواضح، حتى شهد له أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في عرفة أنه بلغ البلاغ المبين، استشهد الله عليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا بطل اللازم، بطل الملزوم)**، إذا بطل أن الرسول لم يبين فبين، بطل الملزوم، وهو كلامهم الفاسد الذي يقيدون به النصوص الشرعية.

....

ش: ويقال -أيضًا-: هذا اللعن والتغليظ الشديد إنما هو فيمن اتخذ قبور الأنبياء مساجد، وجاء في بعض النصوص ما يعم الأنبياء وغيرهم.

فلو كانت هذه هي العلة، لكانت منتفية في قبور الأنبياء؛ لكون أجسادهم طرية لا يكون لها صديد يمنع من الصلاة عند قبورهم، فإذا كان النهي عن اتخاذ المساجد عند القبور يتناول قبور الأنبياء بالنص، عُلِمَ أن العلة ما ذكره هؤلاء العلماء الذين قد نقلت أقوالهم.

والحمد لله على ظهور الحجة وبيان المحجة، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويقال -أيضًا-: هذا اللعن والتغليظ الشديد إنما هو فيمن اتخذ قبور الأنبياء مساجد)، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى**»، في آخر لحظة من حياته، وهو يعاني سكرات الموت، تحذيرًا لأمته من أن يفعلوا فعل اليهود والنصارى في قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«**اتَّخَذُوا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»: هذا نهي صريح، ثم قال: «**فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[1]، يعني: بيان بعد بيان في آخر لحظة من حياته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يترك الأمر لهؤلاء.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٤١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وجاء في بعض النصوص ما يعم الأنبياء وغيرهم)**، وغيرهم من الصالحين؛ **«اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ»** في بعض الروايات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلو كانت هذه هي العلة، لكانت منتفية في قبور الأنبياء)**، لو كانت العلة: النجاسة -كما يقولون- العلة في النهي عن الصلاة عند القبور النجاسة بصديد الموتى -كما يقولون من هذا القول الساقط-، لو كانت العلة كذلك، فلا شك أن الأنبياء أجسامهم طاهرة عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليس فيها نجاسة، من أين جاءت النجاسة إذًا؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لكون أجسادهم طرية لا يكون لها صديد يمنع من الصلاة عند قبورهم)**، الله حرم على الأرض أن تأكل أجسام الأنبياء، حرم ذلك على الأرض، أجسامهم طرية عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لا تأكلها الأرض كما تأكل أجسام غيرهم، من أين يأتي الصديد إذًا، وأجسامهم محفوظة وطرية، ليس فيها صديد؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لكون أجسادهم طرية لا يكون لها صديد يمنع من الصلاة عند قبورهم)**، دل على أن العلة ليست هي الصديد والنجاسة، العلة: مخافة الشرك، نجاسة الشرك، ليست نجاسة الصديد كما يقولون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا كان النهي عن اتخاذ المساجد عند القبور يتناول قبور الأنبياء بالنص، عُلِمَ أن العلة ما ذكره هؤلاء العلماء الذين قد نقلت أقوالهم)**، أن العلة هي مخافة الشرك والغلو في الأنبياء والصالحين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والحمد لله على ظهور الحجة وبيان المحجة، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)**، هذا من فضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن هدى أهل السنة والجماعة لسلوك الطريق الصحيح القائم على كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا على تخرصات المبتدعة والضالين.

فيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: مَا ذَكَرَ الرَّسُوْلُ ﷺ فِيْمَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُعْبَدُ اللهُ فِيْهِ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، وَلَوْ صَحَّتْ نِيَّةُ الفَاعِلِ.

الثَّانِيَةُ: النَّهْيُ عَنْ التَّمَاثِيْلِ وَغِلَظُ الأَمْرِ فِي ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: العَبْرَةُ فِي مُبَالَغَتِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ كَيْفَ بَيَّنَ لَهُمْ هَذَا أَوَّلًا، ثُمَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ قَالَ مَا قَالَ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي السِّيَاقِ لَمْ يَكْتَفِ بِمَا تَقَدَّمَ.

الرَّابِعَةُ: نَهْيُهُ ﷺ عَنْ فِعْلِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ القَبْرُ.

الخَامِسَةُ: أَنَّهُ مِنْ سُنَنِ اليَهُوْدِ وَالنَّصَارَى فِي قُبُوْرِ أَنْبِيَائِهِمْ.

السَّادِسَةُ: لَعَنَهُ إِيَّاهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

السَّابِعَةُ: أَنَّ مُرَادَهُ ﷺ تَحْذِيرُهُ إِيَّانَا عَنْ قَبْرِهِ.

الثَّامِنَةُ: العِلَّةُ فِي عَدَمِ إِبْرَازِ قَبْرِهِ.

التَّاسِعَةُ: فِي مَعْنَى اتِّخَاذِهَا مَسْجِدًا.

العَاشِرَةُ: أَنَّهُ قَرَنَ بَيْنَ مَنْ اتَّخَذَهَا مَسْجِدًا وَبَيْنَ مَنْ تَقُوْمُ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ، فَذَكَرَ الذَّرِيعَةَ إِلَى الشِّرْكِ قَبْلَ وُقُوْعِهِ مَعَ خَاتِمَتِهِ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: ذِكْرُهُ فِي خُطْبَتِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ الرَّدَّ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَشَرُّ أَهْلِ البِدَعِ، بَلْ أَخْرَجَهُمْ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ مِنَ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِيْنَ فِرْقَةً، وَهُمُ الرَّافِضَةُ وَالجَهْمِيَّةُ، وَبِسَبَبِ الرَّافِضَةِ حَدَثَ الشِّرْكُ وَعِبَادَةُ القُبُوْرِ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَى عَلَيْهَا المَسَاجِدَ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَا بُلِيَ بِهِ ﷺ مِنْ شِدَّةِ النَّزْعِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَا أُكْرِمَ بِهِ ﷺ مِنَ الخُلَّةِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّهَا أَعْلَى مِنَ المَحَبَّةِ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّ الصِّدِّيْقَ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الإِشَارَةُ إِلَى خِلَافَتِهِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال المصنف)**، قال المصنف: هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب كتاب التوحيد أي مصنف كتاب التوحيد الذي هذا شرحه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فِيهِ مَسَائِلُ)**، في الباب، يعني في هذا الباب مسائل، وهي فقه الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأُوْلَى: مَا ذَكَرَ الرَّسُوْلُ ﷺ فِيْمَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُعْبَدُ اللهُ فِيْهِ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، وَلَوْ صَحَّتْ نِيَّةُ الفَاعِلِ)**، إذا بنى مسجدًا عند قبر رجل صالح، فهذا ممنوع -ولو كان الذي بنى لم يقصد التبرك بالقبر، لكن يأتي من يعتقد هذا، ولو على المدى البعيد-؛ سدًا للذريعة، صيانة للعقيدة، يمنع بناء المساجد على القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِيَةُ: النَّهْيُ عَنْ التَّمَاثِيْلِ وَغِلَظُ الأَمْرِ فِي ذَلِكَ)**، النهي عن التماثيل، وهي الصور المبنية على أشكال بني آدم أو الحيوانات، التمثيل، الصور المبنية، وهذه أشد من الصور المرسومة باليد والقلم، التماثيل أشد؛ لأن الفتنة بها أعظم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: العِبْرَةُ فِي مُبَالَغَتِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ كَيْفَ بَيَّنَ لَهُمْ هَذَا أَوَّلًا، ثُمَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ قَالَ مَا قَالَ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي السِّيَاقِ**

لَمْ يَكْتَفِ بِمَا تَقَدَّمَ)، بخمس، يعني: بخمس ليال، قال: (قبل موته بخمس)، يعني: تقريبًا خمس ليال آخر حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي السِّيَاقِ، لَمْ يَكْتَفِ بِمَا تَقَدَّمَ**)، بل قال وهو يقاسي سكرات الموت: «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُوْنَ قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُوْرَ مَسَاجِدَ؛ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[1].

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا راوية الحديث: «وَلَوْلَا ذَلِكَ؛ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ، وَلَكِنَّهُ خُشِيَ -أو خَشِيَ- أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»[2].

فدُفِن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته، في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ حفاظًا عليه من هذا الغلو.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: نَهْيُهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَنْ فِعْلِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ القَبْرُ**)، نهى عن أن يفعل عند قبره ما كانت تفعل اليهود والنصارى عند قبور أنبيائهم قبل أن يدفن، وقبل ان يوجد القبر؛ نصيحة للأمة، وإبلاغًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: أَنَّهُ مِنْ سُنَنِ اليَهُوْدِ وَالنَّصَارَى فِي قُبُوْرِ أَنْبِيَائِهِمْ**)، أن البناء على القبور من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم، وقد نُهينا عن التشبه باليهود والنصارى، بل لعن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتشبهين باليهود والنصارى[3].

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٤١).

(٢) سبق تخريجه (ص٧١٧).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢٦٩٥): عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى ...**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةُ: أَنَّ مُرَادَهُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **تَحْذِيرُهُ إِيَّانَا عَنْ قَبْرِهِ)**، مراده بقوله: «**لَعَنَ الله اليَهُوْدَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[١]، ما القصد من هذا؟ يحذرنا أن نفعل بقبره مثل فعل اليهود النصارى بقبور أنبيائهم، وقد استجاب الله دعاءه، قال: «**اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[٢]. وقد استجاب الله دعاءه، فصان قبر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن القيم:

فَأَجَابَ رَبُّ العَالَمِيْنَ دُعَاءَهُ وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الجُدْرَانِ[٣]

ثلاثة جدران على شكل مسنم من جهة الشمال؛ لئلا يستقبله أحد، ثلاثة جدران على شكل مثلث؛ بحيث لا يستقبله أحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّامِنَةُ: العِلَّةُ فِي عَدَمِ إِبْرَازِ قَبْرِهِ)**، العلة في عدم إبراز قبره مع قبور أصحابه، وهي خشية أن يتخذ مسجدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التَّاسِعَةُ: فِي مَعْنَى اتِّخَاذِهَا مَسْجِدًا)**، أن يصلى عندها، ولو لم يبن مسجدًا.

اتخاذها مسجدًا، يعني: مصليات عندها، ولو لم تبن مساجد؛ لأن من صلى في مكان، فقد اتخذه مسجدًا؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُوْرًا**»[٤].

---

(١) سبق تخريجه (ص٧١٦).
(٢) سبق تخريجه (ص١٣٣).
(٣) سبق عزوه (ص٧٣٤).
(٤) سبق تخريجه (ص٧٢٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(العَاشِرَةُ: أَنَّهُ قَرَنَ بَيْنَ مَنْ اتَّخَذَهَا مَسْجِدًا وَبَيْنَ مَنْ تَقُوْمُ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ)**، «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ** -أي: قيام الساعة- **وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِيْنَ يَتَّخِذُوْنَ المَسَاجِدَ عَلَى القُبُوْرِ**»[(١)]، هؤلاء من شرار الناس، وهم يزعمون أنهم من خيار الناس، وأنهم يحبون الصالحين، وهم من شرار الناس -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَذَكَرَ الذَّرِيعَةَ إِلَى الشِّرْكِ قَبْلَ وُقُوْعِهِ مَعَ خَاتِمَتِهِ)**، مع خاتمة حياة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من نصحة للأمة، لم يشغله الموت وسكرات الموت عن نصح الأمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: ذِكْرُهُ فِي خُطْبَتِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ الرَّدَّ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَشَرُّ أَهْلِ البِدَعِ، بَلْ أَخْرَجَهُمْ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ مِنَ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِيْنَ فِرْقَةً، وَهُمُ الرَّافِضَةُ وَالجَهْمِيَّةُ، وَبِسَبَبِ الرَّافِضَةِ حَدَثَ الشِّرْكُ وَعِبَادَةُ القُبُوْرِ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَى عَلَيْهَا المَسَاجِدَ)**، أول ما بُنِي على القبور لما استولى الفاطميون الشيعة الذين جاءوا من المغرب، الفاطميون الذين ينتسبون إلى فاطمة -بزعمهم- من الشيعة، فبنوا على قبور الصالحين في مصر مساجد ومصليات. أول ما حدث بناء المساجد على القبور على أيدي الفاطميين الشيعة، والفاطميون هم أشر أنواع الشيعة، سُمِوا بالفاطميين؛ لأنهم ينتسبون إلى فاطمة، وفاطمة بريئة منهم كل البراءة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: ذِكْرُهُ فِي خُطْبَتِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ الرَّدَّ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَشَرُّ أَهْلِ البِدَعِ، بَلْ أَخْرَجَهُمْ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ مِنَ الثِّنْتَيْنِ**

---

(١) سبق تخريجه (ص٧١٧).

وَالسَّبْعِيْنَ فِرْقَةً، وَهُمُ الرَّافِضَةُ وَالجَهْمِيَّةُ)، الرافضة من الشيعة، والجهمية من نفاة الصفات أتباع الجهم بن صفوان الذين نفوا أسماء وصفاته وحرفوها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَبِسَبَبِ الرَّافِضَةِ حَدَثَ الشِّرْكُ وَعِبَادَةُ القُبُوْرِ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَى عَلَيْهَا المَسَاجِدَ**)، الفاطميون لما استولوا على مصر والحجاز، نشروا البناء على القبور، ولم يكن معروفًا البناء على القبور قبلهم، فجلبوه معهم، واستمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَا بُلِيَ بِهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِنْ شِدَّةِ النَّزْعِ**)، ما ابتلي به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شدة النزع، يعني: اشتدت عليه سكرات الموت أكثر من غيره، «يَطْرَحُ خَمِيْصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ»: يغطي وجهه بها، «فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ -في هذه الحالة-: **لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُوْدِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُوْرَ مَسَاجِدَ؛ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَا أُكْرِمَ بِهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِنَ الخُلَّةِ**)، من الخلة؛ لأنه أخبر أن الله اتخذه خليلًا؛ كما اتخذ إبراهيم خليلًا.

والخلة: هي أعلى درجات المحبة؛ لأن المحبة درجات، أعلاها الخلة، ولم ينلها من البشر إلا شخصان: إبراهيم، ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-؛ «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيْلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلا**»[2].

---

(١) سبق تخريجه (ص٧١٦).
(٢) سبق تخريجه (ص٧٤١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّهَا أَعْلَى مَنْ المَحَبَّةِ**)، أن الخلة أعلى من المحبة، بل هي أعلى درجات المحبة، سميت خلة؛ لأنها تتخلل القلب:

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي ... وَبِذَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلا[(١)]

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيْحُ بِأَنَّ الصِّدِّيْق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ**)، وذلك لقوله: «**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيْلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيْلا**»[(٢)]، فهذا يدل على أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الإِشَارَةُ إِلَى خِلَافَتِهِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، هذا إشارة، أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس هناك نص على أنه الخليفة بعد الرسول، لكن هناك إشارات تدل على أنه هو الخليفة:

أولها: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استخلفه على الصلاة، ولما مرض وثقل، قال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»[(٣)]، هذا إشارة إلى أنه سيكون الخليفة من بعده.

- كذلك أمر بسد الأبواب التي على المسجد للصحابة إلا باب أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه تركه مفتوحًا، هذه إشارة إلى خلافته، وأنه سيصلي بالناس بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) سبق عزوه (ص٧٤٧).

(٢) سبق تخريجه (ص٧٥٣).

(٣) سبق تخريجه (ص٧٥٣).

انظروا! إلى عظمة هذا الكتاب -كتاب التوحيد-، وما فيه من الفقه؛ فقه التوحيد، ليس فقه الفروع، لا، فقه التوحيد وفقه العقيدة، وهو يسمى الفقه الأكبر.

الفقه الأكبر: هو فقه العقيدة، أما فقه الأحكام الشرعية، والحلال والحرام هذا دون الفقه الأكبر.

٢٠ - بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ)**، الغلو: هو الزيادة[1]، فالغلو في قبور الصالحين واحترام القبور -قبور الصالحين- أكثر من غيرها، وتمييز قبور الصالحين عن غيرها يصيرها أوثانًا.

الشيطان يتدرج بالناس شيئًا فشيئًا، القبور لا يغلى فيها؛ لا قبور الأنبياء، ولا قبور الصالحين، ولا قبور سائر المؤمنين، هي لا يغلى فيها، هي لا تمتهن وتوطأ وتداس، أو تلقى عليها القاذروات، ولا يغلى فيها؛ السنة: الوسط فيها؛ تصان، وتجنب الأذى والوطء والمشي عليها، ولكنها لا يغلى فيها، وتعظم تعظيمًا يؤول بها إلى أن تكون أوثانًا تعبد من دون الله، الدين وسط -ولله الحمد-، المقابر لا تمتهن، ولا يغلى فيها.

---

(١) سبق عزوه (ص ٦٠٢).

رَوَى مَالِكٌ فِي الْمُوطَّأِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(١).

ش: هذا الحديث رواه مالك مرسلًا عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار: «أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال...» الحديث.

ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم به، ولم يذكر عطاء(٢)، ورواه البزار عن زيد عن عطاء عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا(٣).

وله شاهد عند الإمام أحمد بسنده عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رفعه: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(٤).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (رَوَىَ مَالِكٌ فِي الْمُوطَّأِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ

---

(١) أخرجه الإمام مالك مرسلا في الموطأ (٨٥) (١/ ١٧٢)، من حديث عطاء بن يسار.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١٥٠، ٣/ ٣٠)، عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ.
(٣) لم أقف عليه في مسند البزار.
(٤) أخرجه أحمد (١٢/ ٣١٤).

أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»)، في آخر حياته ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**».

وثنًا، الوثن: هو ما عُبِدَ من دون الله، سواء كان على صورة أو على غير صورة، ومنه القبور، القبور ليس لها صورة(١).

وأما الصنم: فإنه يطلق على الصورة -صورة الحيوان والإنسان-، هذا الصنم: ما كان على صورة؛ صورة إنسان، أو صورة حيوان، هذا يسمى بالصنم(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**«اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**)، «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ**»: هذا إما إخبار من الرسول ﷺ عن شدة غضب الله، أو هو دعاء عليهم بشدة الغضب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، سواء كان إخبارًا أو دعاءً فالأمر شديد في هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**هذا الحديث رواه مالك مرسلًا عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار: «أن رسول الله ﷺ قال...» الحديث**).

هو أصل الكلام ليس لصاحب «فتح المجيد»، أصله للشيخ سليمان صاحب «تيسير العزيز الحميد»، لكن الشيخ عبد الرحمن اختصره وهذبه.

الشيخ سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ محدث، يعتبر من المحدثين؛ أخذ عن الإمام الشوكاني، وأخذ عن غيره من العلماء علم الحديث.

---

(١) سبق بيانه (ص١٩٣).

(٢) سبق بيانه (ص١٩٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن أبي هريرة رفعه: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»)**، وهذا من نصحه للأمة، من نصحه للأمة عند وفاته حذر من اتخاذ قبره وثنًا يعبد كما عُبِدت قبور الأنبياء والصالحين، فاستجاب الله دعاءه، وصان قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

....

ش: قوله: (رَوىَ مَالكُ في المُوطَّإِ)، هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبدالله المدني. إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، وأحد المتقنين للحديث؛ حتى قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين، وقيل: أربع وتسعين. وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة(١).

قوله: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»، قد استجاب الله دعاءه؛ كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢):

فَأَجَابَ رَبُّ العَالَمِينَ دُعَاءَهُ ... وَأَحَاطَهُ بِثَلاثَةِ الجُدْرَانِ

حَتَّى غَدتْ أَرْجَاؤهُ بِدُعَائِهِ ... فِي عِزةٍ وَحِمَايةٍ وَصِيانِ

ودل الحديث على أن قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو عُبِدَ، لكان وثنًا، لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس، فلا يوصل إليه.

ودل الحديث على أن الوثن: هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها.

وقد عظمت الفتنة بالقبور بتعظيمها وعبادتها؛ كما قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَنْشَأُ فِيهَا

---

(١) انظر في ترجمته: مشاهير علماء الأمصار (ص٢٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٧١٩)، والأعلام للزركلي (٥/ ٢٥٧).

(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٣٥٢).

الصَّغِيرُ، تَجْرِي عَلَى النَّاسِ، يَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً،إِذَا غُيِّرَتْ قِيلَ: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ»[1] انتهى[2].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأحد الأئمة الأربعة)**، الأئمة الأربعة الذين هم: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأحد المتقنين للحديث؛ حتى قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر)**، مالك عن نافع عن ابن عمر، هذا أصح الأسانيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة)**، بلغ الإمام مالك، عُمِّرَ تسعين سنة عند الواقدي، والواقدي مؤرخ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»، قد استجاب الله دعاءه)**، أجاب رب العالمين دعاءه، وصان قبره عن أن يعبد من دون الله -ولله الحمد والمنَّة-؛ يزار ويسلم عليه، ولكن لا أحد يدعوه من دون الله، أو يتبرك به، أو ما أشبه ذلك؛ كما يفعل بالقبور الأخرى في بعض البلاد أو كثير من البلاد، قبر الرسول مصان من هذا -ولله الحمد-؛ إجابة لدعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٨٦٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٥٢)، والدارمي (١/ ٢٧٨)، وابن وضاح في البدع (ص٧٢)، والشاشي في مسنده (٢/ ٩٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٠).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٢٨٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ودل الحديث على أن قبر النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لو عُبِدَ، لكان وثنًا)**، إذا كان قبر الرسول لو عُبِد، لكان وثنًا، فكيف بقبر غيره؟!

هذا دليل على أن الوثن: هو ما عُبِدَ من دون الله، سواء بُنِيَ عليه، أو لم يبن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس؛ فلا يوصل إليه)**، قبر الرسول لا أحد يراه؛ دونه حجب، ودونه سواتر، ولا أحد يراه إلا من دخل بالحجرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ودل الحديث على أن الوثن: هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها)**، الوثن: هو ما عُبِد من دون الله، سواء كان قبرًا، أو صنمًا، أو حجرًا، أو شجرًا، أو غير ذلك، هذا الوثن[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد عظمت الفتنة بالقبور بتعظيمها وعبادتها)**، الفتنة عظمت بالقبور، وكان في هذه البلاد نصيب من ذلك على قبر زيد بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في عقرباء -موقعة اليمامة-، كان عليه قبة وكانوا يطوفون بها، حتى ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فطلب من أمير العيينة ابن معمر أن يهدم هذه القبة. فابن معمر لم يباشر هدمها؛ خرج مع الشيخ يناصره، ويدافع عنه، حتى هدمها الشيخ، هدمها بيده رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأراح المسلمين منها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ»)**، «إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ»، يعني: لا بستكم وخالطتكم فتنة -والعياذ بالله-، هذا خبر من ابن مسعود على أنه سيحصل هذا الشيء.

---

(١) سبق بيانه (ص١٩٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**«يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَنْشَأُ فِيهَا الصَّغِيرُ»**)، تبقى حتى يتوارثها الناس، ويظنونها سنة، فإذا غُيِّرَتْ، قالوا: غُيِّرَتِ السنة، مع أنها بدعة، لكن بالممارسة وطول المدة اندرجت وصارت سنة.

وهكذا فلا يجوز التساهل في أمر البدع وتركها، بل يبادر بتغييرها وإزالتها، لا سيما ما يكون على القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**«تَجْرِي عَلَى النَّاسِ، يَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً،إِذَا غُيِّرَتْ قِيلَ غُيِّرَتِ السُّنَّةُ»**)، وهذا الذي أخبر به ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حصل.

....

ش: ولخوف الفتنة نهى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن تتبع آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال ابن وضاح: سمعت عيسى بن يونس يقول: «أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَطْعِ الشَّجَرَةِ الَّتِي بُويِعَ تَحْتَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَطَعَهَا؛ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَذْهَبُونَ فَيُصَلُّونَ تَحْتَهَا، فَخَافَ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ»[١].

وقال المعرور بن سويد: «صَلَّيْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ رَأَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ مَذَاهِبَ، فَقَالَ، أَيْنَ يَذْهَبُ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مَسْجِدٌ صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُمْ يُصَلُّونَ فِيهِ، فَقَالَ: إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم بِمِثْلِ هَذَا -كَانُوا يَتَتَبَّعُونَ آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ وَيَتَّخِذُونَهَا كَنَائِسَ وَبِيَعًا-، فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فِي هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، فَلْيُصَلِّ، وَمَنْ لَا، فَلْيَمْضِ، وَلَا يَتَعَمَّدَهَا»[٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولخوف الفتنة نهى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن تتبع آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، كان من أشد الصحابة منعًا للبدع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكانوا إذا جاءوا عند الحديبية يذهبون.

---

(١) أخرجه ابن وضاح في البدع (ص٨٨)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠). وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٧٦).

(٢) أخرجه ابن وضاح في البدع (ص ٨٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢/ ١١٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١٥١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٢/ ٥٤٤).

قال عمر، أين يذهب هؤلاء؟ قالوا: يذهبون إلى شجرة بيعة الرضوان التي بايع الصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحتها؛ ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، يذهبون إليها؛ ليتبركوا بها. فقام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقطعها، قطع شجرة البيعة؛ حماية للعقيدة، فهذا فيه إزالة أسباب الفتنة وأسباب الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال ابن وضاح)**، ابن وضاح: له كتاب «البدع والحوادث»، مطبوع، رسالة جيدة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(سمعت عيسى بن يونس يقول: «أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **بِقَطْعِ الشَّجَرَةِ الَّتِي بُويِعَ تَحْتَهَا النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقَطَعَهَا»)**، لما رأى الناس يذهبون إليها، قطعها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ منعًا للفتنة، وقطعًا لوسيلة الشرك؛ «**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم بِمِثْلِ هَذَا، كَانُوا يَتَتَبَّعُونَ آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ وَيَتَّخِذُونَهَا كَنَائِسَ وَبِيَعًا**».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(«فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فِي هَذِهِ المَسَاجِدِ فَلْيُصَلِّ، وَمَنْ لَا، فَلْيَمْضِ، وَلَا يَتَعَمَّدَهَا»)**، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى في أماكن لا قصدًا، وإنما حضرته الصلاة، صلى فيها في سفره، فلا نتتبع ما صلى فيه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذا نهى عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن من حضرته الصلاة، فليصل فيها، ومن لم تحضره الصلاة، فلا يتحراها ويذهب إليها.

....

ش: وفي مغازي ابن إسحاق من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار، قال: حدثنا أبو العالية، قال: لما فتحنا تستر، وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف، فحملناه إلى عمر، فدعا له كعبًا، فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل قرأه من العرب، قرأته مثلما أقرأ القرآن. فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان بالليل، دفناه، وسوينا القبور كلها لنعميه عن الناس؛ لا ينبشونه. قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حُبِست عنهم، برزوا بسريره، فيمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له: دانيال. فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة. قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تُبليها الأرضُ[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لما فتحنا تستر)، تستر في بلاد المشرق، بلد يقال لها: تستر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت)، الهرمزان: الذي هو ملك الفرس.

---

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق (ص٦٦-٦٧). وانظر -أيضًا-: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٧٠-٢٧١)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٩- ٢٠٠)، وإغاثة اللهفان (١/ ٢٠٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فدعا له كعبًا، فنسخه بالعربية)**؛ لأن كعبًا يعرف اللغة السريانية ولغة اليهود، يعني: يعرف العبرية التي هي لغة اليهود، ويعرف السريانية التي هي لغة النصارى.

والمراد بكعب: كعب الأحبار، كان من يهود اليمن فأسلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلما كان بالليل، دفناه، وسوينا القبور كلها لنعميه عن الناس؛ لا ينبشونه)**، دانيال هذا نبي من الأنبياء، وكانت جثته على سرير، وعنده كتاب عند رأسه فيه أخبار هذه الأمة ونبيها، فأخذوا الكتاب هذا وترجموه، وأما دانيال فإنهم نقلوه من مكانه، ودفنوه في المقبرة، وعموا قبره؛ لأنهم حفروا ثلاثة قبور أو أربعة أو أكثر، ودفنوه في واحد منها، لا يدرى أيًّا متها؛ لئلا يقصدوه ويغلوا فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كانت السماء إذا حُبِست عنهم)**، يعني: إذا حُبِسَ المطر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تُبليها الأرضُ)**، وهو نبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

....

ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره؛ لئلا يفتتن به، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفر به المتأخرون، لجالدوا عليه بالسيوف، ولعبدوه من دون الله(١).

قال شيخ الإسلام: وهو إنكار منهم لذلك، فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها -ولم يستحب الشارع قصدها-، فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله عندها، أو لينسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التى لم يشرع تخصيصها به لا نوعًا ولا عينًا، إلا أن ذلك قد يجوز بحكم الاتفاق، لا لقصد الدعاء فيها؛ كمن يزورها ويسلم عليها، ويسأل الله العافية له وللموتى؛ كما جاءت السنة به. وأما تحري الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره، فهذا هو المنهي عنه. انتهى ملخصًا(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره؛ لئلا يفتتن به، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به)، هذا فعل الصحابة بهذا النبي أنهم أخفوا قبره؛ لئلا يفتتن به.

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢٠٣- ٢٠٤).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٥- ٢٠٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام: وهو إنكار منهم لذلك)**، إنكار من الصحابة للغلو في القبور؛ لأنهم عموا قبر دانيال عن الناس، فحفروا ثلاثة قبور، ودُفِن في واحد منها، لا يدرى أيًا منها؛ لأجل أن لا يقصد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها -ولم يستحب الشارع قصدها-، فهو من المنكرات)**، تخصيص بقعة لم يخصصها الشارع هذا من البدع وأسباب الشرك، فلا يخصص؛ الأرض كلها سواء؛ «**جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**»[1]، كلها سواء إلا ما خصصه الله سبحانه، المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى[2]، أما غير ذلك فالمساجد سواء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبعضه أشد من بعض، سواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله عندها، أو لينسك عندها)**، شيء لم يشرعه الله ولا رسوله لا نفعله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو لينسك عندها)**، ينسك: يذبح عندها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إلا أن ذلك قد يجوز بحكم الاتفاق، لا لقصد الدعاء فيها؛ كمن يزورها ويسلم عليها، ويسأل الله العافية له وللموتى؛ كما جاءت السنة به)**، أن زيارة القبور يدعو لهم، ويقول: «**نَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ**»[3]،

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٢٤).

(٢) كما في الحديث الذي سبق تخريجه (ص٢١٢): «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى**».

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٥): عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ -فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ-: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ =

«اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ»(١)، **«وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ»**(٢). هذا القصد من زيارة القبور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأما تحرى الدعاء عندها؛ بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه فى غيره، فهذا هو المنهي عنه)**، أجوب، يعني: أشد إجابة من الله له.

= الدِّيَارِ، -وَفِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ-: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ».

(١) أخرجه مسلم بنحوه (٩٧٤)، وأحمد -واللفظ له- (٤٠/ ٤٨٦، ٤١/ ٢٥، ٣١٠)، وابن ماجه (١٥٤٦): عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقَدْتُهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا هُوَ بِالْبَقِيعِ، فَقَالَ: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ، وَإِنَّا بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ»، تَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) هذه زيادة في الدعاء موجودة في كتب الفقه، ولم أجدها في الحديث. انظر: التنبيه للشيرازي (ص٥٢)، والهداية على مذهب الإمام أحمد (ص١٢٣)، وعمدة الفقه (ص٣٤).

....

ش: قوله: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[1].

فيه تحريم البناء على القبور، وتحريم الصلاة عندها، وأن ذلك من الكبائر.

وفي «القِرَى» للطبري عن أصحاب مالك عن مالك أنه كره أن يقول: زرت قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلل ذلك بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»[2]. الحديث. كره إضافة هذا اللفظ إلى القبر؛ لئلا يقع التشبه بفعل أولئك، سَدًّا للذريعة[3].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**)، في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، بمعنى أنهم يصلون عندها، يتبركون بها، ويظنون أن الصلاة عندها فيها فضيلة، أو أشد من هذا؛ أنهم يتقربون إلى أصحاب القبور بهذه الصلاة، ويطلبون منهم المدد، وهذا هو الغالب على القبوريين.

يكفيهم أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن الله جَلَّ وَعَلَا اشتد غضبه عليهم، اشتد غضب الله عليهم؛ لأنهم يحادون الله ورسوله، ويصرفون العبادة إلى غير الله، أو يحولون العبادة من المساجد إلى القبور، فيجعلونها عند القبور، فهم حرفوا وغيروا، وبدلوا، وابتدعوا وأشركوا -والعياذ بالله!

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٣).

(٢) سبق تخريجه (ص١٣٣).

(٣) انظر: القِرَي لقاصد أم القرى (ص٦٢٩).

القبور لا تعظم بهذه الصفة، إنما القبور تحترم وتحفظ من الامتهان، والمشي عليها، لكنها لا تعظم، ويرجى من ورائها نفع أو ضر، هذه هي سنة اليهود والنصارى مع قبور أنبيائهم وصالحيهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فيه تحريم البناء على القبور، وتحريم الصلاة عندها**)، إذا بُنِي عليها فالأمر أشد، وإذا لم يبن لكن يصلى عندها فكذلك، هذا من اتخاذها مساجد.

يعني أمران: تحريم البناء عليها، وهذا أشد، وتحريم الصلاة عندها، ولو لم يبن عليها، كله يشمله قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأن ذلك من الكبائر**)؛ لأن الوعيد لا يكون إلا على كبيرة، لا يكون الوعيد إلا على كبيرة من كبائر الذنوب، والشرك أكبر الكبائر، وكذلك وسائل الشرك من الكبائر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي القِرَى للطبري**)، «القِرَى»: كتاب في المناسك لمحب الدين الطبري المكي، «القِرَى لقاصد أم القرى»، وهو كتاب جيد، يورد الأحاديث، ثم يعلق عليها بكلام جميل جيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عن أصحاب مالك عن مالك أنه كره أن يقول: زرت قبر النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فمالك يكره قول الرجل: زرت قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذا من تعظيمه للقبر وقصده، لكن يسلم عليه بدون أن يقول: زرت

---

(١) سبق تخريجه (ص٧١٦).

قبر الرسول، يقول: زرت مسجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يقول: زرت قبر الرسول.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وعلل ذلك بقوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»**[1]**. الحديث. كره إضافة هذا اللفظ إلى القبر؛ لئلا يقع التشبه بفعل أولئك؛ سَدًّا للذريعة)**، الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ من أكثر الناس حذرًا من الشرك، وتحذيرًا من الشرك، فهو يكره أن يقول: زرت قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ خشية الغلو، وإنما يقول: زرت مسجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو يقول: سلمت على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سلمت، ولا يقول: زرت، يقول: سلمت على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٣).

....

ش: قال شيخ الإسلام: ومالك قد أدرك التابعين، وهم أعلم الناس بهذه المسألة، فدل ذلك على أنه لم يكن مَعروفًا عِندهم ألفاظ زيارة قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إلى أن قال: وقد ذكروا في أسباب كراهته أن يقول: زُرت قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذا اللفظ قد صار كثير من الناس يريد به الزيارة البدعية، وهو قصد الميت لسؤاله ودعائه، والرغبة إليه في قضاء الحوائج، ونحو ذلك مما يفعله كثير من الناس، فهم يعنون بلفظ الزيارة مثل هذا. وهذا ليس بمشروع باتفاق الأئمة.

فكَره مالك أن يتكلم بلفظ مجمل يدل على معنى فاسد، بخلاف الصلاة والسلام عليه، فإن ذلك مما أمر الله به. أما لفظ الزيارة في عموم القبور، فلا يفهم منها مثل هذا المعنى، أَلا ترى إلى قوله: «فَزُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ»(١). مع زيارته لقبر أمه(٢). فإن هذا يتناول قبور الكفار، فلا يفهم من ذلك زيارة الميت لدعائه وسؤاله والاستغاثة به، ونحو ذلك مما يفعله أهل الشرك والبدع، بخلاف ما إذا كان المزور معظمًا في الدين كالأنبياء والصالحين، فإنه كثيرًا ما يعني بزيارة قبورهم هذه الزيارة البدعية الشركية؛

---

(١) أخرجه أحمد (٧/ ٣٤١)، وابن ماجه (١٥٧١)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٢٦١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٣١، ٢/ ٣٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٢٩)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلهذا كره مالك ذلك في مثل هذا، وإن لم يكره ذلك في موضع آخر ليس فيه هذه المفسدة. اهـ(١).

وفيه: أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يستعذ إلا مما يُخاف وقوعه. ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام: ومالك قد أدرك التابعين)**، مالك من أقدم الأئمة الأربعة بعد أبي حنيفة، أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ هو أقدم الأئمة الأربعة، ثم من بعده الإمام مالك، ثم الإمام أحمد، ثم الشافعي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فدل ذلك على أنه لم يكن مَعروفًا عِندهم ألفاظ زيارة قبر النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، فلا يقول هذه الكلمة: زرت قبر النبي، لكن يقول: سلمت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقد ذكروا في أسباب كراهته لأن يقول: زُرت قبر النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ **لأن هذا اللفظ قد صار كثير من الناس يريد به الزيارة البدعية، وهو قصد الميت لسؤاله ودعائه)**، قصد الإمام مالك سد هذا الباب على الذين يذهبون إلى قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا من أجل السلام عليه، إنما من أجل التبرك به، وطلب الحرائج منه أو عنده، فالسلف كانوا يسدون الوسائل التي تفضي إلى الشرك.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٥٨- ٣٥٩).
(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٢٨٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهم يعنون بلفظ الزيارة مثل هذا)**، يعنون -يعني: المبتدعة- بلفظ الزيارة مثل هذا: التبرك بالقبور، وطلب الحوائج، لا يعنون الزيارة الشرعية، هذه لا تقنعهم، إنما يريدون الزيارة البدعية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكَره مالك أن يتكلم بلفظ مجمل يدل على معنى فاسد)**، تجنبًا بهذا المعنى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بخلاف الصلاة والسلام عليه، فإن ذلك مما أمر الله به)**، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُ كُنْتُمْ** -في المشرق أو في المغرب-؛ **فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**»(١). ولا حاجة إلى أنك تذهب إلى قبر الرسول، تقول: لأصلي وأسلم عليه. صلِّ عليه وأنت في مكانك، وهذا يبلغه الله إياه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أما لفظ الزيارة في عموم القبور، فلا يفهم منها مثل هذا المعنى)**، زيارة القبور العادية لا يفهم منها الغلو، إنما زيارة قبر الرسول يخشى فيها من الغلو، وصرف الزيارة عن معناها الشرعي إلى المعنى البدعي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ألا ترى إلى قوله: «فَزُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ»)**، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ**»، وهذا في أول الأمر، لما كانوا حديثي عهد بالجاهلية كان ينهاهم عن زيارة القبور؛ خشية

---

(١) أخرجه أحمد (١٤/ ٤٠٣)، وأبو داود (٢٠٤٢)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عليهم من الغلو، ثم لما استقرت العقيدة واتضحت، رخص لهم فقال: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، أَلَا فَزُورُوهَا**»؛ لأنه زال المحذور، «**ألا فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ بِالْآخِرَةَ**»، إذا رأيت الأموات الذين كانوا يمشون معك بالأمس، أو يمشون في بلدك وتسمع عنهم، رأيت قبورهم؛ فإنك تتذكر أن مصيرك مثل مصيرهم عما قريب، وأنك ستجاورهم عما قريب فتستعد لذلك، هذه ناحية، ومن أغراض زيارة القبور: أنها تذكر الآخرة، وهذا الغرض يشمل زيارة قبور المسلمين وزيارة قبور الكفار؛ لأنها تذكر بالآخرة، قبور الكفار تذكر بالآخرة أيضًا، هذا الغرض الأول.

الغرض الثاني: قصد نفع الميت بالدعاء له، قصد نفع الميت بالسلام عليه والدعاء؛ له فإنه ينتفع بذلك، ويفرح به، هذا المقصود من زيارة القبور، هذا الأمران: تذكر الآخرة، ونفع الميت الذي تزوره بالسلام عليه والدعاء له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ألا ترى إلى قوله: «فَزُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ» مع زيارته لقبر أمه، فإن هذا يتناول قبور الكفار)**، إنها تزار لتذكر الآخرة، حتى قبور الكفار تزار وينظر إليها؛ لتذكر الآخرة.

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زار قبر أمه، استأذن ربه أن يزور قبر أمه في الأبواء، فأذن له، ثم إنه طلب من ربه أن يأذن له بالاستغفار لها فنهاه عن ذلك، ومنعه من ذلك، طلب من ربه أن يأذن له أن يستغفر لها فمنعه الله من ذلك؛ لأنها مشركة، ولا يجوز الاستغفار للمشركين؛ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ

أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣]، فزيارة قبور المشركين لغرض واحد، وهو تذكر الآخرة، أما زيارة قبور المؤمنين، فلها غرضان:

الغرض الأول: تذكر الآخرة.

الغرض الثاني: الدعاء للأموات، والسلام عليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا يفهم من ذلك زيارة الميت لدعائه وسؤاله والاستغاثة به)**، هذا عكس المقصود، وعكس المشروع، تزار القبور للتبرك بها، وسؤال الحوائج من أصحابها هذا عكس المشروع، هذه عادات الجاهلية والقبوريين وأهل الكتاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بخلاف ما إذا كان المزور معظمًا في الدين كالأنبياء والصالحين، فإنه كثيرًا ما يعني بزيارة قبورهم هذه الزيارة البدعية الشركية)**، يعني: إذا كان صاحب هذا القبر له شأن؛ إما أنه نبي، أو صاحبي، أو من الصالحين، فإنه يُخشى لمن زاره أن يغلو فيه، وأن يسأله الحوائج.

الخطر في هذا شديد، يجب الحذر من هذا، وتعليم الناس الزيارة الشرعية، وبيان الغرض منها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلهذا كره مالك ذلك في مثل هذا)**، كره قول: «زرت قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»؛ خشية الغلو.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن لم يكره ذلك في موضع آخر ليس فيه هذه المفسدة)**، الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يمنع من زيارة قبر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسلام

عليه، إنما يمنع الغلو فيه وطلب الحوائج منه، هذا الذي خشيه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: أَنَّ النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لم يستعذ إلا مما يُخاف وقوعه. ذكره المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، لم يستعذ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»(١)، لم يقل هذا إلا أنه يخشى من الغلو في قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الله استجاب له، وحمى قبره من أن يحصل الذي خشيه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حمى قبره فلا يصل إلى قبره أحد، ولا يراه أحد؛ لأنه داخل جدران، محاط فلا يراه أحد، إنما يقف عند الشباك، ويسلم عليه وينصرف.

وإذا أراد الدعاء، يستقبل القبلة في المسجد -في المسجد النبوي- في أي مكان من المسجد النبوي يصلي، ويستقبل القبلة، ويدعو الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٣).

وَلابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ؛ عَنْ سُفيانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم:١٩]، قَالَ: «كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبرِهِ»[١].

وَكَذَا قَالَ أبو الجَوْزَاءِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ، للحَاجِّ»[٢].

ش: قوله: (وَلابْنِ جَرِيرٍ)، هو الإمام الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، صاحب التفسير و«التاريخ» و«الأحكام» وغيرهما.

قال ابن خزيمة: لا أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير. وكان من المجتهدين لا يقلد أحدًا، وله أصحاب يتفقهون على مذهبه، يأخذون بأقواله. وُلِد سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة[٣].

قوله: (عَنْ سُفيانَ) الظاهر: أنه سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ فقيه إمام عابد، كان مجتهدًا، وله أتباع يتفقهون على مذهبه. مات سنة إحدى وستين ومائة، وله أربع وستون سنة[٤].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٨).

(٣) انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام (٧/ ١٦٠)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٠)، وطبقات الشافعيين (١/ ٢٢٢)، والأعلام للزركلي (٦/ ٦٩).

(٤) انظر في ترجمته: مشاهير علماء الأمصار (ص ٢٦٨)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩)، وإكمال تهذيب الكمال (٥/ ٣٨٧)، والأعلام للزركلي (٣/ ١٠٤).

قوله: (عَنْ مَنْصُورٍ)، هو ابن المعتمر بن عبد الله السلمي، ثقة ثبت فقيه. مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة[١].

قوله: (عَنْ مُجاهِدٍ) هو ابن جبر -بالجيم والموحدة- أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، ثقة، إمام في التفسير، أخذه عن ابن عباس وغيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. مات سنة أربع ومائة، قاله يحيى القطان، وقال ابن حبان: مات سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد، وُلِد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ)، المصنف: الذي هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفيانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجاهِدٍ فِي قولِهِ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم:١٩])، ﴿ٱللَّٰتَ﴾ بالتشديد هذه قراءة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفيانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجاهِدٍ فِي قولِهِ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم:١٩]، قَالَ: «كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبرِهِ)، كان هذا رجلًا صالحًا في الطائف، كان يطعم الحجاج يلت لهم السويق، السويق معروف، يصلحه لهم ويأكلونه، فلما

---

(١) انظر في ترجمته: مشاهير علماء الأمصار (ص ٢٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٠٢)، وإكمال تهذيب الكمال (١١/ ٣٧٣)، والأعلام للزركلي (٧/ ٣٠٥).

(٢) انظر في ترجمته: مشاهير علماء الأمصار (ص ١٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩)، وإكمال تهذيب الكمال (١١/ ٧٦)، والأعلام للزركلي (٥/ ٢٧٨).

مات، عكفوا على قبره، هذا على قراءة التشديد أن المراد بـ﴿ٱللَّتَ﴾: الرجل الذي كان يلت السويق، ويطعمه للحجاج؛ تقربًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا من الغلو في الصالحين.

وأما على قراءة التخفيف، فـ﴿ٱللَّتَ﴾: الصخرة أو الصنم الذي كانوا يتبركون به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: (وَلابْنِ جَرِيرٍ) هو الإمام الحافظ محمد بن جرير ابن يزيد الطبري، صاحب التفسير**)، تفسير الطبري هو أكبر التفاسير، وهو مرجع المفسرين أيضًا. وأصح التفاسير، وهو المرجع للمفسرين الذين جاءوا من بعده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والتاريخ**)، تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، هذا اسم تاريخه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال ابن خزيمة: لا أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير**)، ابن خزيمة: هو إمام الأئمة صاحب كتاب الصفات، الكتاب المشهور المطبوع المتداول الآن، صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكان من المجتهدين لا يقلد أحدًا**)، كان مجتهدًا مستقلًّا؛ لا يقال عنه: أنه مالكي ولا حنفي، ولا شافعي، ولا حنبلي، مستقل لغزارة علمه وتقدمه وإدراكه للفطاحل من العلماء وأخذه عنهم، فهو إمام جليل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وله أصحاب يتفقهون على مذهبه يأخذون بأقواله**)، لكن اندرس مذهبه، واقتصر الأمر على الأئمة الأربعة، وهذا فيه البركة، والحمد لله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وُلِد سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة)**، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: (عَنْ سُفيانَ) الظاهر: أنه سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري)**، السفيانان اثنان: سفيان الثوري: هذا عالم العراق، وسفيان ابن عيينة: هذا عالم الحجاز، من علماء مكة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: (عَنْ مُجاهدٍ) هو ابن جبر -بالجيم والموحدة)**، الموحدة، يعني: الباء؛ فيها نقطة واحدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أخذه عن ابن عباس)**، مجاهد: تلميذ ابن عباس ترجمان القرآن.

....

ش: قوله: «كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ».

وفي رواية: «فيطعم من يمر من الناس. فلما مات عبدوه، وقالوا: هو اللات». رواه سعيد بن منصور(١).

ومناسبته للترجمة: أنهم غَلوا فيه لصلاحه، حتى عَبدُوه، وصَار قبره وثنًا من أوثان المشركين.

قوله: (وَكَذَا قَالَ أبو الجَوْزَاءِ)، هو أوس بن عبد الله الرَّبْعي، بفتح الراء والباء، مات سنة ثلاث وثمانين(٢).

قال البخاري: حدثنا مسلم -وهو ابن إبراهيم- قال: حدثنا أبو الأشهب، قال: حدثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الحَاجِّ»(٣).

قال ابن خزيمة: وكذا العزى، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها؛ كما قال أبو سفيان يوم أحد: «لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ...»(٤) (٥).

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه كما في الدر المنثور (٧/ ٦٥٣).

(٢) انظر في ترجمته: مشاهير علماء الأمصار (ص ١٤٩)، وتاريخ الإسلام (٢/ ١٠٢٤)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧١)، وإكمال تهذيب الكمال (٢/ ٢٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣٩، ٣٩٨٦، ٤٠٤٣، ٤٠٦٧، ٤٥٦١).

(٥) لم أقف عليه عن ابن خزيمة، ولكن وجدته مرويا عن الطبري في تفسير ابن كثير (٧/ ٤٥٥-٤٥٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومناسبته للترجمة: أَنهم غَلوا فيه لصلاحه، حتى عَبدُوه، وصَار قبره وثنًا من أوثان المشركين)**، من أكبر أوثان المشركين اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ: هذه أكبر أوثان المشركين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن خزيمة: وكذا العزى، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، بين مكة والطائف)**، هذه لأهل مكة، العزى: لأهل مكة، واللات: لأهل الطائف، ومناة: لأهل المدينة، يحرمون من عندها، هذه أكبر أصنام العرب، الثلاث هذه هي أكبر أصنام العرب.

وادي نخلة: معروف الآن يمر به الطريق إلى مكة بعد السيل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال أبو سفيان يوم أحد: «لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ...»)**، أبو سفيان كان قائد المشركين في وقعة أحد، ولما حصل على المسلمين ما حصل من النكبة، جاء يفتخر، ويقول: «لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قولوا له: اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ**»، ردوا عليه هذا الرد العظيم، أنتم لكم العزى، لكن نحن لنا الله، وأنتم لا مولى لكم.

ثم منَّ الله على أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأسلم، وصار من قادة المسلمين رضي الله عنه وأرضاه، والهداية بيد الله.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ». رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ(١).

ش: قلت: وفي الباب حديث أبي هريرة وحديث حسان بن ثابت. فأما حديث أبي هريرة، فرواه أحمد والترمذي وصححه(٢).

وحديث حسان أخرجه ابن ماجه من رواية عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ...»(٣).

وحديث ابن عباس هذا في إسناده أبو صالح مولى أم هانئ، وقد ضعفه بعضهم، ووثقه بعضهم.

قال علي بن المديني عن يحيى القطان: لم أر أحدًا من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانئ، وما سمعت أحدًا من الناس يقول فيه شيئًا، ولم يتركه شعبة ولا زائدة ولا عبد الله بن عثمان(٤).

قال ابن معين: ليس به بأس(٥)، ولهذا أخرجه ابن السكن في صحيحه. انتهى من «الذهب الإبريز» عن الحافظ المزي(٦).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧١، ٤/ ٣٦٣، ٥/ ١٢٨، ٢٢٧)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٤/ ١٦٤، ١٦٥، ٣٠٥)، والترمذي (١٠٥٦)، وابن ماجه (١٥٧٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤/ ٤٢٤)، وابن ماجه (١٥٧٤).

(٤) انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي (١/ ١٦٥)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ٤٣٢)، والكامل في ضعفاء الرجال (٢/ ٢٥٦).

(٥) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ٤٣٢)، والاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى (٢/ ٧٦٧)، وبيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٥/ ٥٦٣).

(٦) لم أقف على كتاب الذهبي الإبريز للحافظ المزي رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **زَائِرَاتِ الْقُبُورِ»**)، يخبر الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الله لعن «زَائِرَاتِ الْقُبُورِ»، هذه رواية. والرواية الأخرى: «**زُوَّارَاتِ الْقُبُورِ**»[1]، بالتشديد.

فدل على أن المرأة لا يجوز لها أن تزور للقبور، إنما زيارة القبور خاصة بالرجال؛ لأن المرأة ضعيفة، فإذا رأت قبر أخيها أو زوجها أو قريبها، فإنها تجزع، ولذلك نُهيت عن زيارة القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**«وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»**)، «**وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ**»: الذين يصلون عند القبور، أو يبنون عليها المساجد، سواء بُنِي مسجد أو لم يبن، الصلاة عند القبر لا تجوز.

المصلون عند القبور ملعونون؛ «**لَعَنَ زُوَّارَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ**»، يعني: مصليات.

«**وَالسُّرُجَ**»: الذين يضيئون المقابر بالأنوار؛ لأجل أن يتعلق قلوب الناس بها، الأضرحة يجعلون عليها سرج وأنوار تجذب الناس إليها -الجهال-، لا يجوز إسراج القبور.

نعم، عند الدفن لا بأس، يأخذون معهم مصباحًا، أو يأخذون معهم آلة كهربائية، يضيء لهم القبر، ثم بعد ذلك لا يبقون شيئًا من الإنارة بالقبور، محرم هذا؛ «**وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ**».

---

(١) رواية أبي هريرة السابق تخريجها الصفحة السابقة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: وفي الباب حديث أبي هريرة)**، «قلت»: هذا الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الشيخ عبد الرحمن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحديث حسان أخرجه ابن ماجه من رواية عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ....»)**، «زَوَّارَاتِ»: بالتشديد.

....

ش: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طريقين:

فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ»، وذكر حديث ابن عباس.

ثم قال: ورجال هذا ليس رجال هذا، فلم يأخذه أحدهما عن الآخر. وليس في الإسنادين من يتهم بالكذب، ومثل هذا حجة بلا ريب.

وهذا من أجود الحسن الذي شرطه الترمذي، فإنه جعل الحسن ما تعددت طرقه، ولم يكن فيه متهم، ولم يكن شاذًا، أي: مخالفًا لما ثبت بنقل الثقات.

وهذا الحديث تعددت طرقه، وليس فيها متهم، ولا خالفه أحد من الثقات، هذا لو كان عن صاحب واحد، فكيف إذا كان رواه عن صاحب وذاك عن آخر؟ فهذا كله يبين أن الحديث في الأصل معروف.

والذين رخصوا في الزيارة اعتمدوا على ما رُوِي عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن، وقالت: «لَوْ شَهِدْتُكَ مَا زُرْتُكَ»(١)، وهذا يدل على أن الزيارة ليست مستحبة للنساء كما تستحب الرجال؛ إذ لو كان كذلك لاستحبت زيارته، سواء شهدته أم لا(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٥٥)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٤١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٤٥-٣٥١).

قلت: فعلى هذا لا حجة فيه لمن قال بالرخصة.

وهذا السياق لحديث عائشة رواه الترمذي من رواية عبد الله بن أبي مليكة عنها، وهو يخالف سياق الأثرم له.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَيْضًا: «أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَقْبَلَتْ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْمَقَابِرِ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَيْسَ نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، نَهَى عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، ثُمَّ أُمِرَ بِزِيَارَتِهَا»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ثم قال: ورجال هذا ليس رجال هذا، فلم يأخذه أحدهما عن الآخر)**، يعني: تعددت طرقه، صار له طريقان، تعدد الطرق يقوي الحديث.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(هذا لو كان عن صاحب واحد)**، صاحب، يعني: صاحبي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والذين رخصوا في الزيارة)**، الذين رخصوا في زيارة النساء للقبور؛ لأن هناك من يرى هذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(اعتمدوا على ما رُوِي عن عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **أنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن، وقالت: «لَوْ شَهِدْتُكَ مَا زُرْتُكَ»)**، كأن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم يبلغها الحديث: «**لَعَنَ اللهُ زَائِرَاتِ -أو زَوَّارَاتِ- الْقُبُورِ**»، لم يبلغها، فهي أخذت بالأصل، وزارت قبر أخيها.

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥٣٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٣١)، وأصله عند ابن ماجه (١٥٧٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَيْضًا: «أَنَّ عَائِشَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **أَقْبَلَتْ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ المَقَابِرِ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، أَلَيْسَ نَهَى رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، نَهَى عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، ثُمَّ أُمِرَ بِزِيَارَتِهَا»**)، هي ذهبت إلى العموم، الرسول نهى عنها في الأول؛ لأن الناس حدثاء عهد بالجاهلية، ثم لما توطن التوحيد في قلوبهم، رخص فيها للرجال خاصة.

....

ش: فأجاب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا، وقال: ولا حجة في حديث عائشة؛ فإن المحتج عليها احتج بالنهي العام، فدفعت ذلك بأن النهي منسوخ، ولم يذكر لها المحتج النهي الخاص بالنساء، الذي فيه لعنهن على الزيارة.

يبين ذلك قولها: «ثُمَّ أُمِرَ بِزِيَارَتِهَا»، فهذا يبين أنه أمر بها أمرًا يقتضي الاستحباب، والاستحباب إنما هو ثابت للرجال خاصة، ولو كانت تعتقد أن النساء مأمورات بزيارة القبور، لكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجال، ولم تقل لأخيها: «لما زرتك».

واللعن صريح في التحريم، والخطاب بالإذن في قوله: «فَزُورُوهَا»[1] لم يتناول النساء، فلا يدخلن في الحكم الناسخ، والعام إذا عُرِف أنه بعد الخاص لم يكن ناسخًا له عند جمهور العلماء، وهو مذهب الشافعي وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهو المعروف عن أصحابه، فكيف إذا لم يعلم أن هذا العام بعد الخاص؟! إذ قد يكون قوله: «لَعَنَ اللهُ زَوَّارات الْقُبُورِ» -بعد إذنه للرجال في الزيارة- يدل على ذلك أنه قرنه بالمتخذين عليها المساجد والسرج، ومعلوم أن اتخاذ المساجد والسرج المنهي عنها محكم؛ كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة وكذلك الآخر.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٧) من حديث بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولم يذكر لها المحتج النهي الخاص بالنساء، الذي فيه لعنهن على الزيارة)**، كأنه لم يبلغها هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولو كانت تعتقد أن النساء مأمورات بزيارة القبور، لكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجال، ولم تقل لأخيها: «لما زرتك»)**، «لَوْ شَهِدْتُكَ»، يعني: لو حضرت جنازتك، لما زرتك بعد الدفن.

....

ش: والصحيح: أن النساء لم يدخلن في الإذن في زيارة القبور لعدة أوجه:

أحدها: أن قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَزُورُوهَا» صيغة تذكير. وإنما يتناول النساء أيضًا على سبيل التغليب، لكن هذا فيه قولان:

قيل: إنه يحتاج إلى دليل منفصل، وحينئذ فيحتاج تناول ذلك للنساء إلى دليل منفصل.

وقيل: إنه يحمل على ذلك عند الإطلاق.

وعلى هذا فيكون دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعام لا يعارض الأدلة الخاصة، ولا ينسخها عند جمهور العلماء، ولو كانت النساء داخلات في هذا الخطاب، لاستحب لهن زيارة القبور، وما علمنا أحدًا من الأئمة استحب لهن زيارة القبور، ولا كان النساء على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفائه الراشدين يخرجن إلى زيارة القبور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أحدها: أن قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَزُورُوهَا» صيغة تذكير)**، الخطاب للذكور، «فَزُورُوهَا»، لا تدخل فيه النساء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وعلى هذا فيكون دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعام لا يعارض الأدلة الخاصة)**، يحمل العام على الخاص -هذه قاعدة-، فيخصصه.

....

ش: ومنها: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علل الإذن للرجال بأن ذلك: «يذكر الموت، ويرقق القلب، وتدمع العين»، هكذا في مسند أحمد(١).

ومعلوم أن المرأة إذا فُتِحَ لها هذا الباب، أخرجها إلى الجزع والندب والنياحة؛ لما فيها من الضعف وقلة الصبر.

وإذا كانت زيارة النساء مظنة وسببًا للأمور المحرمة، فإنه لا يمكن أن يحد المقدار الذي لا يفضي إلى ذلك، ولا التمييز بين نوع ونوع.

ومن أصول الشريعة: أن الحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة، عُلِّقَ الحكم بمظنتها، فيحرم هذا الباب سدًا للذريعة؛ كما حرم النظر إلى الزينة الباطنة، وكما حُرِّمَ الخلوة بالأجنبية وغير ذلك.

وليس في ذلك من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة، فإنه ليس في ذلك إلا دعاؤها للميت، وذلك ممكن في بيتها.

ومن العلماء من يقول: التشييع كذلك، ويحتج بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ، فإنكنَّ تفتنَّ الحي وتُؤذينَ الميت»(٢)، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفاطمة: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ بَلَغْتِ مَعَهُمُ الْكُدَى، لَمْ تَدْخُلِي الْجَنَّةَ»(٣)،

---

(١) أخرجه أحمد (٢١/ ١٤٠، ٢٢٣) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٤٥٦).

(٣) أخرجه أحمد (١١/ ٦٥٣)، وأبو داود (٣١٢٣)، والنسائي في المجتبى (١٨٨٠)، وابن حبان (٧/ ٤٥١)، والحاكم (١/ ٥٢٩)، والطبراني في الكبير (١٣/ ٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٩٩).

ويؤيده ما ثبت في الصحيحين من أنه نهى النساء عن اتباع الجنائز[١].

ومعلوم أن قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ تَبِعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ»[٢]، هو أدل على العموم من صيغة التذكير؛ فإن لفظ (مَنْ) يتناول الرجال والنساء باتفاق الناس.

وقد علم بالأحاديث الصحيحة أن هذا العموم لم يتناول النساء لنهي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهن عن اتباع الجنائز، فإذا لم يدخلن في هذا العموم، فكذلك في ذلك بطريق الأولى. انتهى ملخصًا[٣].

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ومعلوم أن المرأة إذا فُتِحَ لها هذا الباب، أخرجها إلى الجزع والندب والنياحة)، إذا رأت قبر قريبها.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وليس في ذلك من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة، فإنه ليس في ذلك إلا دعاؤها للميت، وذلك ممكن في بيتها)، تدعو لميتها، وهي في بيتها، ليس هناك حاجة إلى أن تذهب إلى المقبرة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ومن العلماء من يقول: التشييع كذلك)، التشييع مثل الزيارة، تشييع النساء للجنائز -أيضًا- ممنوع، خاصة بالرجال.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣١٣، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ٥٣٤٠، ٥٣٤١، ٥٣٤٢، ٥٣٤٣)، ومسلم (٩٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٩٤٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٤٣-٣٥٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويحتج بقوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ارْجِعْنَ مَــأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ، فإنكنَّ تَفتنَّ الحي وتُؤذينَ الميت»)**، لما رأى نساء يتبعن الجنائز، أرجعهن وزجرهن عن ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لفاطمة: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ بَلَغْتِ مَعَهُمُ الْكُدَى، لمَ تَدْخُلِي الجَنَّةَ»)**، مع الرجال. أنكر على بنته فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا؛ لما ذهبت تشيع الميت، أنكر، وقال: لو وصلتِ إلى قريب من المقبرة، لم تدخل الجنة. هذا وعيد شديد.

....

ش: **قلت: وعن ما استدل به القائلون بالنسخ أجوبة أيضًا.**

منها: أن ما ذكروه عن عائشة وفاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا معارض مما ورد عنهما في هذا الباب، فلا يثبت به نسخ.

ومنها: أن قول الصحابي وفعله ليس حجة على الحديث بلا نزاع.

وأما تعليمه عائشة كيف تقول إذا زارت القبور ونحو ذلك، فلا يدل على نسخ ما دلت عليه الأحاديث الثلاثة من لعن زائرات القبور؛ لاحتمال أن يكون ذلك قبل هذا النهي الأكيد والوعيد الشديد، والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(منها: أن ما ذكروه عن عائشة وفاطمة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **معارض مما ورد عنهما في هذا الباب، فلا يثبت به نسخ)**، القائلون بنسخ تحريم زيارة النساء للقبور معارضون بأجوبة:

أحدها: أنه رُوِي عن عائشة وفاطمة ما يؤيد النهي؛ نهي النساء عن زيارة القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: أن قول الصحابي وفعله ليس حجة على الحديث بلا نزاع)**، الجواب الثاني -أو من الأجوبة-: أنه لو صح أن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أو غيرها من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ قال قولًا أو فعل فعلًا، فإن حديث الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حجة عليه، فيؤخذ بالحديث، ولا يؤخذ بقول أو فعل الصحابي الذي اجتهد فيه، وخالف الدليل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما تعليمه عائشة كيف تقول إذا زارت القبور ونحو ذلك، فلا يدل على نسخ ما دلت عليه الأحاديث الثلاثة من لعن زائرات القبور؛ لاحتمال أن يكون ذلك قبل هذا النهي الأكيد والوعيد الشديد)**، عائشة يروى أنها قالت لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا زرت القبور، فماذا أقول؟ فأجابها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قالوا: فهذا ناسخ لنهي النساء عن زيارة القبور.

فنقول: هذا لا يصلح للنسخ؛ لأن حديث النهي صحيح، وأما الأحاديث المحتملة أو الأحاديث التي لم تثبت هذه لا يثبت بها نسخ، إنما ينسخ الدليل بمثله سندًا ومتنًا.

....

ش: قال محمد بن اسماعيل في كتابه «تطهير الاعتقاد»: فإنَّ هذه القِبابَ والمشاهدَ التي صارت أعظمَ ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبرَ وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه، غالبُ -بل كلُّ- مَن يَعمُرُها هم الملوكُ والسلاطينُ والرؤساء والولاةُ، إمَّا على قريب لهم أو على مَن يُحسنون الظنَّ فيه، مِن فاضل أو عالِمٍ أو صوفيٍّ أو فقير أو شيخ أو كبير، ويزورُه الناسُ الذين يعرفونه زيارة الأموات، مِن دون توسُّل به ولا هَتف باسمه، بل يَدْعون له ويستغفرون، حتَّى ينقرِضَ مَن يَعرفه أو أكثرُهم، فيأتي مَن بعدهم من يرى قبرًا قد شيد عليه البناءُ، وسُرِجَت عليه الشموعُ، وفُرِشَ بالفراش الفاخر، وأُرْخِيَت عليه الستورُ، وأُلْقِيَت عليه الأورادُ والزهور، فيعتقد أنَّ ذلك لنفع أو لدفع ضر، وتأتيه السَّدَنة يكذبون على الميِّت بأنَّه فعلَ وفعل، وأنزل بفلان الضَّرَرَ، وبفلان النفع، حتى يَغرسُوا في جِبلَّتِهِ كلَّ باطل.

ولهذا الأمر ثبت في الأحاديث النبوية اللَّعنُ على مَن أَسْرَجَ على القبور، وكتب عليها وبنى عليها، وأحاديث ذلك واسعةٌ معروفة، فإنَّ ذلك في نفسه منهي عنه، ثم هو ذريعةٌ إلى مفسدة عظيمة. انتهى[(١)].

ومنه تعلم مطابقة الحديث للترجمة، والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال محمد بن اسماعيل في كتابه تطهير الاعتقاد)، محمد بن

---

(١) انظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٨٣).

إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»، وهو كتاب جيد ومفيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال محمد بن اسماعيل في كتابه تطهير الاعتقاد: فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد: غالب من يعمرها الملوك والسلاطين)**، جواب من الإمام الصنعاني في كتابه: «تطهير الاعتقاد»: أن الذين يبنون على القبور؛ إما ملوك وإما وزراء بقوة السلطة، لا بقوة العلم، وإنما بقوة السلطة، ولا يقدر أحد أن يمنعهم من ذلك، وهم بنوا عليه من أجل أن يعرفوه للزيارة.

يأتي بعدهم أناس جهال، فيظنون أنه لم يبن على هذا القبر إلا؛ لأنه صاحبه ينفع ويضر، فيعبدونه من دون الله، أو يتوسلون به إلى الله، فالبناء على القبور ذريعة لهذه المشاكل.

قبور الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ -وهم أفضل الأمة- في البقيع، ليس عليها أبنية كغيرهم من الموتى على عهد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانت قبور ضاحية للشمس والهواء، مرفوعة عن الأرض قدر شبر، أو أقل من ذلك، هذا الذي تركهم عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم أفضل الأمة. والذين جاءوا من بعدهم ليسوا بأفضل منهم، ومع هذا لم يبن عليهم مشاهد ولا أضرحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتأتيه السَّدَنة يكذبون على الميِّت)**، إذا بُنِي على القبر وأسرج، صار عليها سرج أو مصابيح كهربائية، وجُعِل له سدنة، فإن السدنة

هم الذين يفتون الناس بهذه القبور، ويضعون لها أكاذيب أنها تنفع، وأنها تضر، وأنها..، وأنها، السدنة هم البلاء الذي يستشري بعد ذلك، فهذا ليس حجة على سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الذي ترك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته عليه: أن القبور لا يبنى عليها شيء، ولا ترفع فوق تربتها، ولا تميز بشيء يميزها عن غيرها، هذا الذي ترك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته عليه.

فإن قلت: أليس قبر الرسول مبنيًّا عليه؟

نقول لك: لا، لم يبن على قبر الرسول، الرسول دُفِنَ في بيته، البيت مبني من قبل، تسكن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، والرسول يسكن معها في البيت، ويدخل عليها ويخرج، فهو بيت للرسول، وبيت لعائشة، وليس هو مبني من أجل القبر.

وإنما دُفِنَ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه محافظة عليه من الغلو، فلو أبرز قبره، لتقاتل الناس عليه بالزحام والشركيات، فهو دُفِنَ في بيته محافظة عليه من الغلو؛ كما في الحديث قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»(١).

قالت عائشة: «وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ -أو خَشِيَ- أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»(٢).

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٤١).
(٢) سبق تخريجه (ص ٧١٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتأتيه السَّدَنة يكذبون على الميِّت بأنَّه فعلَ وفعل)**، السدنة هم الآفة؛ لأنهم يجبون أموالهم من الزائرين، فهم يضعون الأكاذيب أن هذا الميت ينفع ويضر، وأننا سنرفع حاجتهم إليه، وأنه يقول كذا وكذا.

والشيطان قد يتمثل في صورة الميت، ويخرج أمامهم، ويقول: ما هي حوائجكم، فيخاطبونه ويخاطبهم ويظنون أنه هو الميت، وهو الشيطان يتمثل في صورة الميت؛ ليفتن الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنزل بفلان الضَّرَرَ، وبفلان النفع، حتى يَغرسُوا في جِبلَّتِهِ كلَّ باطل)**، فالسدنة يدعون إليه؛ لأجل أن يجبوا الأموال من الناس، لأجل أخذ أموال الناس بالباطل، فهم يكذبون ويغررون بالجهال، وهذه آفة عظيمة.

لا سدنة، ولا بناء، ولا شيء، القبور سواء كانت قبور صحابة أو قبور علماء، هم مثل غيرهم من المسلمين؛ تدفن في المقبرة، ويهال عليها ترابها، ولاترفع أكثر من ترابها، هذه سنة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وليس عند الأموات لا نفع ولا ضر، النفع والضر بيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، الميت بحاجة إلى الحي يدعو له، ويستغفر له، ويزوره، وليس الحي بحاجة إلى الميت، هذا حي يمشي يذهب ويأتي، وهذا ميت لا يملك شيئًا، لكن إذا انتكست الفطر، جاءت البلايا والدواهي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولهذا الأمر ثبت في الأحاديث النبوية اللَّعنُ على مَن أَسْرَجَ على القبور، وكتب عليها وبنى عليها)**، كل هذه لا تجوز في القبور: لا

البناء عليها، ولا إسراجها -وضع السرج والكهرباء-، ولا ما يغري الجهال، ولا وضع الستائر عليها،... إلى آخره.

كل هذه من أعمال سدنة القبور الذين يضعون صناديق على القبور، صناديق النذرور -يسمونها-، ويطلبون من الزوار أن يضعوا في هذه الصناديق دراهم ثم يقتسمونها، يعيشون على هذا -والعياذ بالله- ويتوارثون هذا سادن فلان، ويأتي بعده ابنه، فيرثه، وهكذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكتب عليها)، كتب عليها، لا يجوز البناء على القبور، هذه واحدة.**

لا يجوز الكتابة على القبر، على الصخرة التي عليه أو على طرفيه؛ حتى الرقم لا يكتب رقم.

من أراد أن يعرف قبر قريبه، فليضع عنده حجرًا لا يعرفه إلا هو؛ كما فعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقبر عثمان بن مظعون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ وضع عنده حجرًا ليعرفه، ويزوره، ويسلم عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)]، هذه سنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٣٢٠٦): عَنْ كَثِيرِ بْنِ زَيْدٍ الْمَدَنِيِّ، عَنِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، أُخْرِجَ بِجَنَازَتِهِ فَدُفِنَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا أَنْ يَأْتِيَهُ بِحَجَرٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَمْلَهُ، فَقَامَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ، قَالَ كَثِيرٌ: قَالَ الْمُطَّلِبُ: قَالَ الَّذِي يُخْبِرُنِي ذَلِكَ: عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ ذِرَاعَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ حَسَرَ عَنْهُمَا ثُمَّ حَمَلَهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَقَالَ: «**أَتَعَلَّمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي، وَأَدْفِنُ إِلَيْهِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي**».

وكما في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه (١٥٦١)، والطبراني في الأوسط (٤/ ١٦٩): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أَعْلَمَ قَبْرَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ بِصَخْرَةٍ**».

لا يكتب على القبر، لا يسرج عند القبر، لا يبنى على القبر، كل هذه أمور محرمة، وهي وسائل للشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأحاديث ذلك واسعةٌ معروفة)**، الأحاديث في هذا الأمر والنهي عن البناء على القبور كثيرة وواضحة ومعروفة، ويكفي واحد منها، لكن إذا تظافرت وتكاثرت، يكون هذا أقوى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإنَّ ذلك في نفسه منهي عنه، ثم هو ذريعةٌ إلى مفسدة عظيمة)**، في نفسه، يعني: إنشاء هذه الأشياء على القبور منهي عنه.

ثم -أيضًا- هذا ذريعة إلى الغلو في القبر، فالقبر لا يميز ببناء ولا كتابة، لا يكتبون عليه اسمه ولا تاريخ وفاته، لا يكتب عليه شيء، حتى الرقم لا يوضع عليه رقم، إنما يوضع عليه حجر لا يعرفه إلا من وضعه، ولا يوضع عليه شيء يميزه عن غيره من القبور؛ محافظة على عقيدة التوحيد، وإبعادًا للناس عن الشرك والغلو في الموتى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم هو ذريعةٌ إلى مفسدة عظيمة، انتهى)**، ليس هناك أعظم من مفسدة الشرك، فهذا الذي يحصل على القبور من البناء والتسريج والكتابة والتجصيص كلها سبب للغلو في هذا القبر.

يقولون: لم يعمل به هذا إلا لأن له شأن، وأنه ينفع ويضر، ويقضي الحوائج وما أشبه ذلك. فسدًّا للذريعة تمنع هذه الأشياء على القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنه تعلم مطابقة الحديث للترجمة، والله أعلم)**.

الحديث، الحديث ما هو؟ والترجمة ما هي؟

الغلو في القبور، باب النهي عن الغلو في القبور، من عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟

هذه التراجم التي ترجم بها الشيخ في هذا الكتاب المبارك؛ لحماية التوحيد.

....

ش: قوله: «وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ»، تقدم شرحه في الباب قبله.

قوله: «وَالسُّرُجَ»، قال أبو محمد المقدسي: لو أبيح اتخاذ السرج عليها، لم يلعن من فعله؛ لأن فيه تضييعًا للمال في غير فائدة، وإفراطًا في تعظيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر[2].

قوله: (رواه أهل السنن)، يعني: أن أبا داود والترمذي وابن ماجه فقط، ولم يروه النسائي[3].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ» تقدم شرحه في الباب قبله)، «وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ»: الذين يبنون مساجد عليها، أو يصلون عندها، ولو لم يبن مسجدًا؛ لأن من صلى في مكان، فقد اتخذه مسجدًا؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»[4]، ليس بلازم أنه يبنى.

(١) انظر: المغني لابن قدامة (٣/ ٤٤٠- ٤٤١).
(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ١٩٧).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، و ابن ماجه (١٥٧٥)، وقد رواه النسائي في المجتبى (٢٠٤٣).
(٤) سبق تخريجه (ص٧٢٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «وَالسُّرُجَ». قال أبو محمد المقدسي**)، هو الموفق بن قدامة صاحب «المغنى».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «وَالسُّرُجَ». قال أبو محمد المقدسي: لو أبيح اتخاذ السرج عليها، لم يلعن من فعله**)، لو كان اتخاذ السرج عليها مباحًا، لما لعن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعل ذلك؛ «لَعَنَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ القُبُوْرِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وإفراطًا في تعظيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام**)، الأصنام لم تعبد إلا بهذا السبب، قوم نوح لم يقعوا في الشرك إلا بهذا السبب، لما غلوا في الصالحين، وضعوا صورهم على المجالس، صار هذه وسيلة إلى أن اتخذوهم أربابًا من دون الله، أول شرك حدث في الأرض كان بسبب هذا على عهد نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر**)؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن من فعل هذا، واللعن لا يكون إلا على كبيرة من كبائر الذنوب.

فضابط الكبيرة: ما خُتِمَ بلعنة أو غضب أو نار.

هذا ضابط الكبيرة: ما خُتِمَ بلعنة؛ لعن الله من فعل كذا، أو غضب الله على من فعل كذا، أو غير ذلك من الزواجر(٢).

---

(١) سبق تخريجه (ص٨٣٧).

(٢) انظر: الكبائر للبرديجي (ص١١٣)، ومجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٠- ٦٥١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «رواه أهل السنن»، يعني: أن أبا داود والترمذي وابن ماجه فقط، ولم يروه النسائي)**، رواه أهل السنن الأربع، سنن أبي داود وابن ماجه والترمذي والنسائي، هذه السنن الأربع.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ الأَوْثَانِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ العِبَادَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا مِمَّا يُخَافُ وُقُوعُهُ.

الرَّابِعَةُ: قَرْنُهُ بِهَذَا اتِّخَاذَ قُبُوْرِ الأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ.

الخَامِسَةُ: ذِكْرُ شِدَّةِ الغَضَبِ مِنَ اللهِ.

السَّادِسَةُ: وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا؛ مَعْرِفَةُ صِفَةِ عِبَادَةِ اللَّاتِ -الَّتِيْ هِيَ مِنْ أَكْبَرِ الأَوْثَانِ.

السَّابِعَةُ: مَعْرِفَةُ أَنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ صَالِحٍ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ اسْمُ صَاحِبِ القَبْرِ، وَذِكْرُ مَعْنَى التَّسْمِيَةِ.

التَّاسِعَةُ: لَعْنُهُ زَوَّارَاتِ القُبُوْرِ.

العَاشِرَةُ: لَعْنُهُ مَنْ أَسْرَجَهَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيْهِ مَسَائِلُ**)، يعني: في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ الأَوْثَانِ**)، تفسير الأوثان؛ «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[1]؛ أنه الغلو في القبر، ولو لم يبن عليه.

«**وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**»[2]، يعني: تعتادون التردد عليه.

«**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا**»[3]: لا تصلون فيها صلاة الليل، فهي مثل القبر، إذا لم يصل فيه صلاة الليل، لا يتلى فيه القرآن، صار مثل القبر.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٣).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٢٣).

(٣) سبق تخريجه (ص٢٢٣).

لا تجعل بيتك قبرًا، بل اذكر الله فيه، واقرأ القرآن، وصلِّ في الليل؛ حتى يكون بيتك نورًا لا قبرًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ العِبَادَةِ)**، تفسير العبادة، **«اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»**[١]، ما معنى العبادة؟ معناها: الغلو في القبر، التردد عليه، الصلاة عنده، التوسل بأصحاب القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا مِمَّا يُخَافُ وُقُوعُهُ)**، لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه، وقد استعاذ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغلو في القبور، وتوعد على ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: قَرْنُهُ بِهَذَا اتِّخَاذَ قُبُوْرِ الأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ)**، قرن بهذا النهي أن هناك من الأمم السابقة من اتخذ قبور أنبيائهم مساجد؛ ألا إن من كان قبلكم كانوا يبنون المساجد على القبور، فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن ذلك، وحذر منه؛ لأنه وسيلة إلى الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: ذِكْرُ شِدَّةِ الغَضَبِ مِنَ اللهِ)**، في الحديث: **«اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**[٢]؛ شدة الغضب من الله هذا يدل على أن هذه معصية كبيرة، وهل هناك أكبر من الشرك ووسائل الشرك؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةُ: وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا؛ مَعْرِفَةُ صِفَةِ عِبَادَةِ اللَّاتِ -الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ الأَوْثَانِ)**، ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم:١٩]، فيها قراءتان:

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٣).

(٢) سبق تخريجه (ص١٣٣).

- اللَّاتَّ: بالتشديد، كان رجلًا يلت السويق للحجاج ويطعمهم؛ تقربًا إلى الله، رجل صالح يطعم الحجاج، فلما مات، جعلوا قبره مسجدًا، وصاروا يترددون عليه، صار من أكبر الأوثان الثلاثة: ﴿ٱللَّٰتَ﴾، بدأ به، ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩، ٢٠]، وهذا كان رجلًا صالحًا، ولما مات عكفوا على قبره

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةُ: مَعْرِفَةُ أَنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ صَالِحٍ)**، معرفة، يعني: جعل شيئًا يشير للناس أنه قبر رجل صالح، والمفروض أن القبور لا تميز بعضها عن بعض، لا قبور الصالحين ولا من دونهم، لا تميز القبور، بل تكون صفتها واحدة؛ بحيث لا يكون لبعضها ميزة على بعض، يقال: هذا قبر عالم، وهذا قبر سيد، لا، القبور سواء، لا تعرف هذا من هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ اسْمُ صَاحِبِ القَبْرِ، وَذِكْرُ مَعْنَى التَّسْمِيَةِ)**؛ أن اللات اسم صاحب القبر.

وذكر معنى التسمية: أنه كان رجل محسن، رجل صالح كان يطعم الحجاج، ويلت لهم السويق؛ تقربًا إلى الله، فلما مات جعلوا قبره مزارًا، وجعلوا قبره يتبركون به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التَّاسِعَةُ: لَعْنُهُ زَوَّارَاتِ القُبُوْرِ)**، «لعن صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوارات القبور»[1]: النساء، وفي رواية: «زائرات»[2]؛ حتى لا يقال: إن هذا نهي عن تكرار الزيارة، وإنما الرسول نهى، قال: «زائرات»، ولو مرة واحدة،

---

(١) سبق تخريجه (ص٨٣٧).

(٢) سبق تخريجه (ص٨٣٧).

فإنها تحصل عليها اللعنة، لماذا؟ لأن النساء ضعيفات؛ فإذا رأت قبر قريبها، فإنها تجزع، وتتسخط من موته، فلذلك مُنِعت النساء من زيارة القبور.

وأيضًا: إذا سُمِح للنساء بزيارة القبور، خرجت المرأة إلى زيارة القبور يطمع فيها الفساق، فتحصل الفتنة بذلك، فهذا سد أيضًا لذريعة الزنا بعد سد سد ذريعة الشرك، المرأة لا تزور القبور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(العَاشِرَةُ: لَعْنُهُ مَنْ أَسْرَجَهَا)**، لعن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتخذين عليها السرج؛ «لَعَنَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ -أو زَوَّارَاتِ- القُبُوْرِ وَالْمُتَّخِذِينَ»، يعني: ولعن «الْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ»، يعني: المصليات.

«وَالسُّرُجَ»: الإضاءة، فالمقابر لا تضاء؛ خشية من الغلو، وإذا احتاجوا إلى إضاءة لدفن الميت، يأتون معهم بسراج أو نحوه، أو كهرباء يحملونها معهم، مصباح كهربائي يدوي يحملونه معهم، فإذا فرغوا، ذهبوا به، ولا يبقى في المقبرة إضاءة.

٢١ - بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المُصْطَفَى جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسدِّه كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسدِّه كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ).

الجناب: هو الجانب. والمراد حمايته عما يقرب منه أو يخالطه من الشرك وأسبابه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسدِّه كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ))**، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى جناب، يعني: جانب التوحيد، حماه مما يخل به، حماه حماية تامة؛ حتى لا يتطرق إليه خلل.

حمى التوحيد من جميع النواحي، ونهى عن الوسائل التي تخل بالتوحيد، كل هذا حماية للتوحيد، وحرصًا على حفظه.

فيجب على المسلمين أن يحرصوا على التوحيد، وأن يتعلموا ما هو التوحيد وأن يعملوا به.

عكس الذين يقولون: الناس كلهم مسلمون، وكلهم موحدون، وليست هناك حاجة إلى تعلم التوحيد، أتعلمون المسلمين التوحيد؟! هم مسلمون.

نقول: نعم، هم مسلمون، لكن لا يعرفون أحكام التوحيد وأحكام العقيدة إلا بالتعلم والتفصيل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الجناب: هو الجانب)**، جناب التوحيد، يعني: جانب التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمراد حمايته عما يقرب منه أو يخالطه من الشرك وأسبابه)**، حمايته عن أمرين:

- حمايته من الشرك، حماية التوحيد من الشرك؛ لأن الشرك يبطل التوحيد.
- ثم حمايته -أيضًا- مما يوصل إلى الشرك، وهي وسائل الشرك، حماية التوحيد من وسائل الشرك التي توصل إليه.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

ش: قوله: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: **يقول -تعالى- ممتنًا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولًا من أنفسهم، أي: من جنسهم وعلى لغتهم؛ كما قال إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٢٩].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨])، الله جَلَّ وَعَلَا وصف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الصفات:

﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، يعني: من جنسكم ومن قومكم تعرفونه، ليس بأجنبي لا تدرون من أين جاء، وما هي عقيدته.

هو منكم عاش معكم، وتسمونه الأمين، كانوا يلقبونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأمين قبل أن يبعث عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يعرفونه، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ﴾: هذه الصفة الثانية، ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾، يعني: يشق عليه ما يشق عليكم، كان رحيمًا بالمؤمنين، كان يكره المشقة لهم، ويحب التسهيل لأمته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، لا يعنتهم ولا يشق عليهم.

هذه من صفاته، ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾، يعني: يشق عليه ما يشق عليكم، هذه هي الصفة الثانية.

الصفة الثالثة: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: يَرْأَفُ بهم غاية الرأفة والإحسان.

الصفة الرابعة: ﴿رَّحِيمٌ﴾، رحيم بالمؤمنين يرحمهم ويعطف عليهم، ويواسيهم بنفسه بالطعام والشراب ونحو ذلك مما ينفعهم.

هذه صفات الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ التي وصفه الله بها في هذه الآية: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

ما وجه المناسبة؟ سياق هذه الآية في هذا الباب؟

إذا كان الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يتصف بهذه الصفات، فإنه أيضًا بمقتضى هذه الصفات أن يبعد أمته عن الشرك ووسائله، يبعدهم عن الشرك وعن وسائل الشرك؛ حماية لهم ونصحًا لهم عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(قال ابن كثير)**، ابن كثير في تفسيره المعروف الذي هو بأيدينا، تفسير جليل، تفسير مفيد.

فهو بعد ابن جرير في النقاء، وفي صحة ما فيه، وفي نفعه شيء معروف هذا، تفسير ابن كثير يأتي بعد تفسير ابن جرير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يقول -تعالى- ممتنًا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولًا من أنفسهم)**، هذا من منَّة الله.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(من أنفسهم، أي: من جنسهم وعلى لغتهم)**، يعرفون نسبه؛ حتى لا يقولوا: لا نعرف هذا الشخص، ولا ندري عنه، ربما أنه غاش، لا، بل يعرفون نسبه منهم، عاش بينهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه الصفة الأولى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال إبراهيم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾**)**، رسولنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إجابة لدعوة إبراهيم.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾، يعني: بني إسماعيل.

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾، استجاب الله دعوة خليله إبراهيم، فبعث فيهم محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: من نسبهم، ومن جنسهم، ومن مساكنيهم في بلدهم.

....

ش: وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨]، **أي: منكم؛ كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي**[١]**، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولًا منا نعرف نسبه وصفته، ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته...وذكر الحديث**[٢]**.**

وقال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨]، **قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية**[٣]**.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال تعالى:** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨]، **أي: منكم؛ كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي)**، جعفر بن أبي طالب هاجر مع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلى الحبشة عند النجاشي ملك الحبشة، وكان لا يظلم أحدٌ عنده، وكان على دين النصارى، لكنه على الدين الصحيح من دين النصارى. فلما قدموا عليه، سألهم عن هذا الرسول

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٦٦، ٣٧/ ١٧٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١١٥)، والبيهقي في سننه الكبرى (٩/ ١٦، ٢٤٢)، وابن خزيمة (٤/ ١٣)، وانظر: تاريخ الإسلام (١/ ١٩٢-١٩٣)، والبداية والنهاية (٣/ ٩٣)، والكامل في التاريخ (١/ ٦٧٧).

(٢) أخرجه الطبري في التاريخ (٣/ ٤٩٦)، وأبو نعيم في الدلائل (١/ ٥٤٥ رقم ٤٧٦)، وانظر: البداية والنهاية (٧/ ٤٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٩٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٠٨).

الذي بُعِثَ فيهم، فبينوا له أنه منهم، وأنه من بلدهم، وأنهم يعرفون نسبه، وأنه جاءهم بقرآن، وجاءهم بالهدى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولًا منا نعرف نسبه وصفته، ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته**)، والمغيرة بن شعبة قبل أن يسلم قال هذا لرسول قيصر، فقيصر ملك الروم جمعهم في الشام، كان أهل الحجاز يذهبون إلى الشام للإتجار، فلما بلغهم مبعث هذا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحجاز، قال: ائتوا لي بالقادمين من الحجاز. فوجدوا هؤلاء الجماعة، فجاء بهم عندهم، وجمع قومه قيصر ملك الروم، سألهم عن هذا الرجل، وهم مشركون، ولم يقدروا أن يكذبوا مع أنهم كفار يعادون الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن لم يقدروا أن يكذبوا، فأجابوه بالجواب الصحيح عن هذا الرسول.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال سفيان بن عيينة عن جعفر**)، سفيان بن عيينة: هذا فقيه الحجاز، وهناك سفيان الثوري: فقيه العراق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾** [التوبة:١٢٨]، **قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية**)، وُلِد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أبوين شريفين معروفين، ولم يصبه شيء مما يصيب مواليد الجاهلية من أنهم ينشؤون على تغيير الفطرة، ويحرفون عن الفطرة الصحيحة.

....

ش: وقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة:١٢٨]، أي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته، ويشق عليها، ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال: «بُعِثْتُ بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»(١).

وفي الصحيح: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ»(٢)، وشريعته كلها سمحة سهلة كاملة، يسيرة على من يسرها الله عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة:١٢٨]، أي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته)، يعني: يتعبه ما يتعبهم، فهو لا يريد التعب لأمته، فإذا تعب أحدٌ من أمته، فإن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعب من الشفقة عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال: «بُعِثْتُ بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»)، «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ»: ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

«السَّمْحَةِ»: التي لا مشقة فيها؛ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، فهي ملة سمحة -ولله الحمد- على حسب ظروف الإنسان؛ المريض والكبير تعاملهم بما يستطيعون، ولا تشق عليهم، والصغير -أيضًا- الشريعة تعامله على حسب استطاعته.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦/ ٦٢٣- ٦٢٤)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢١٦)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩، ٥٦٧٣، ٦٤٦٣، ٧٢٣٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي الصحيح: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ»**)، «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ**»: دين **محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**يُسْرٌ**»: ليس فيه مشقة.

المشقة موضوعة، فالمسافر له أحكام تختلف عن أحكام المقيم، المريض له أحكام تختلف عن أحكام الصحيح، الجاهل له أحكام تختلف عن أحكام العالم، الشريعة تتمشى مع أحوال الناس، ولا تكلفهم ما لا يطيقون أو الذي يشق عليهم.

....

ش: قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، أي: على هدايتكم، ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم.

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «تَرَكْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الهَوَاءِ إِلَّا وَهُوَ يَذْكُرُ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا». أخرجه الطبراني.

وقال: فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ بَيَّنْتُهُ لَكُمْ»[1].

قوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]؛ كما قال -تعالى-: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء:٢١٥، ٢١٦]. وهكذا أمره -تعالى- في هذه الآية الكريمة[2].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، أي: على هدايتكم)، كان متفانيًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طلب هدايتهم، ويأسف إذا لم يهتد أحدٌ منهم، يأسف لذلك، ويشق عليه؛ لأنه يريد لهم الخير، ولا يريد لهم الشقاء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «تَرَكْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الهَوَاءِ إِلَّا وَهُوَ يَذْكُرُ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا»)، الرسول بين لأمته كل ما يحتاجون إليه، لم يترك عليهم تقصيرًا في دينه أبدًا، دينه كامل.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١٥٥). وأخرجه -أيضًا-: أحمد (٣٥/ ٢٩٠، ٣٤٦)، والبزار في مسنده (٩/ ٣٤١)، ووكيع في الزهد (ص٨٤٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤١- ٢٤٣).

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣]: لم يتوف الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وقد تكامل هذا الدين، فليس فيه نقص.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال: فَقَالَ:** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ بَيَّنْتُهُ لَكُمْ**»)، وصدق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يترك شيئًا يباعدهم عن النار، ويقربهم من الجنة، إلا وبينه لهم غاية البيان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى:** ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢١٥ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [الشعراء:٢١٥، ٢١٦])، ﴿**وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ**﴾.

يقول الله لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿**وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾، يعني: تواضع لهم، خفض الجناح هو التواضع، تواضع لهم، سهل عليهم أمور دينهم، لا تكلفهم ما يشق عليهم.

....

ش: قلت: فاقتضت هذه الأوصاف التي وصف الله بها رسول الله ﷺ في حق أمته أن أنذرهم وحذرهم الشرك الذي هو أعظم الذنوب، وبين لهم ذرائعه الموصلة إليه، وأبلغ في نهيهم عنها.

ومن ذلك: تعظيم القبور والغلو فيها، والصلاة عندها وإليها، ونحو ذلك مما يوصل إلى عبادتها -كما تقدم، وكما سيأتي في أحاديث الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: فاقتضت هذه الأوصاف التي وصف الله بها رسول الله** ﷺ **في حق أمته أن أنذرهم وحذرهم الشرك الذي هو أعظم الذنوب)**، هذا وجه سياق المؤلف هذه الآية في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبين لهم ذرائعه الموصلة إليه)**، لم يترك شيئًا يقربهم من النار إلا وهم حذرهم منه، ولم يتركهم شيئًا يقربهم من الجنة إلا وبينه لهم ودعاهم إليه ﷺ.

نهى عن الشرك، ونهى عن الوسائل والذرائع التي توصل إلى الشرك؛ حماية للتوحيد والعقيدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن ذلك: تعظيم القبور والغلو فيها، والصلاة عندها وإليها)**، كل هذا جاءت الأحاديث بالنهي عنه، وإبعاد الأمة منه: الغلو في القبور، الصلاة عندها، بالتردد عليها، بالاعتقاد فيها أنها تنفع وتضر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونحو ذلك مما يوصل إلى عبادتها -كما تقدم، وكما سيأتي في أحاديث الباب)**، المؤلف ساق أحاديث في هذا الباب من تحذير الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الغلو في القبور وتعظيم القبور أكثر مما تستحق، كل هذا حماية للتوحيد، وحماية للعقيدة الصحيحة.

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ رُوَاتُهُ ثِقَاتٌ[(١)].

ش: قوله: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا».

قال شيخ الإسلام: أي: لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تَشَبَّهَ بهم من هذه الأمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»**)، هذا الحديث فيه نهيان، وفيه أمر:

النهي الأول: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»**، أي: تخلو من ذكر الله، ومن صلاة الليل، فتشبه القبور، بل أحيوها بذكر الله، وتلاوة القرآن؛ حتى تكون بيوتًا حية منورة بالذكر. وهذا يتنافى مع الذين يجعلون بيوتهم -الآن- للشبكات التي يعرض فيها كل شر، وكل فتنة تشغلهم وتشغل أولادهم ونساءهم عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فهذه شر من القبور.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وابن أبي شيبة (٢/ ٦٠)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٢).

فالواجب أن يتنبه المسلمون لذلك على سبيل العموم، ويتنبه طلبة العلم والمشايخ لهذا الأمر، فيعتنوا ببيوتهم.

النهي الثاني: «وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»: تعتادون التردد عليه، كلما دخل المسجد النبوي، يذهب ويقول: سأسلم على الرسول، أو يجلس عنده -عند القبر- قريبًا منه، هذا لا يجوز.

العيد ينقسم إلى قسمين:

- **عيد زماني**: كعيد الفطر وعيد الأضحى.

- **وعيد مكاني**: مثل المشاعر المقدسة، ومكة، المسجد الحرام، هذه أعياد مكانية شرعية يتردد عليها، ويجلس فيها، وتحيا وتعمر بالعبادة.

أما الأمر: فهو قوله: **«وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»**: بعض الناس يتردد على القبر، ويقول: سأصلي على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا.

الرسول يقول: **«وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»**: في المشرق أو المغرب، ليس بلازم أنك تذهب لتصلي عليه عند قبره، صلِّ عليه في المشرق أو في المغرب.

«وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُ كُنْتُمْ»: قريبًا أو بعيدًا.

«فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي»: وكل الله ملكًا يبلغ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسلام من يسلم عليه، ويرد عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يرد عليه السلام.

رأى أحد ذرية الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أولاد علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -أولاد فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- رأى رجلًا يتردد على قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقف

عند فرجة على القبر، فلما رآه يتردد دعاه، فلما جلس عنده كان يتعشى، أمره أن يتعشى معه، ثم قال له: أراك تتردد على القبر، لماذا؟ قال: لأصلي وأسلم عليه، هناك فرجة يقف عندها، ويصلي ويسلم على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: لا تفعل، لا تفعل، صلِّ عليه في أي مكان، وروى له هذ الحديث: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُ كُنْتُمْ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**»، وليس هناك حاجة للتردد على قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثم قال له: ما أنت ومن بالأندلس إلا سواء.

إذا صلى عليه من بالأندلس، أو صليت عليه أنت عند قبره كله سواء، هذا يبلغ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويرد السلام على من سلم عليه.

فهذا فيه النهي عن الغلو في القبور، والتردد عليها؛ إذا كان قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتردد عليه، فكيف بغيره من القبور؟!!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا». قال شيخ الإسلام، أي: لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور**)، وهذا عكس كثير من بيوت طلبة العلم، لا أقول العوام، بل الآن أصحبت قبور لا تسمع فيها ذكر الله، ولا يتلى فيها القرآن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تَشَبَّهَ بهم من هذه الأمة**)، أمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تحيى البيوت بذكر الله، تلاوة القرآن، صلاة الليل، ولا تكون بمثابة القبور لا يذكر فيها اسم الله، ولا تنور بطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا**».

ثم قال: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**»: فليس هناك حاجة إلى أنك تتردد على القبر، هذا يصيره عيدًا مكانيًّا، فلا تتردد عليه.

نعم، القادم إلى المدينة من سفر يذهب إلى قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقبري صاحبيه، ويسلم عليهم مرة واحدة، يسلم عليهم وينصرف، وإذا أراد الدعاء يدعو في المسجد النبوي لا يدعو عند القبر، يدعو في المسجد النبوي؛ يتوجه إلى القبلة ويدعو.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور)**، إذا كان قبر الرسول لا تتحرى عنده العبادة؛ لأن هذا وسيلة للغلو، فكيف بقبر غيره من قبور المشايخ والأولياء وما أشبه ذلك، هذا يصيرها أوثانًا تعبد مع كثرة التردد عليها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تَشَبَّهَ بهم من هذه الأمة)**، النصارى جعلوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد يصلون عندها، فنتج عن ذلك حدوث الشرك في النصارى، والغلو في المسيح، والغلو في الأحبار والرهبان.

....

ش: وفي الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا»[1].

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يَسْمَعُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ فِيهِ»[2][3].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا»)، «اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ»، يعني: صلاة التطوع، أما صلاة الفريضة هذه في المساجد، ولا يصلي في البيت إلا إما معذور، وإما من فاتته الصلاة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يَسْمَعُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ فِيهِ»)، «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ». فيحرص الإنسان عل أن يقرأ سورة البقرة في بيته؛ ليطرد الشيطان عنه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢، ١١٨٧)، ومسلم (٧٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٧٨٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٥٧).

....

ش: قوله: «وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا».

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائدًا إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، ونحو ذلك[(١)].

وقال ابن القيم: العيدُ ما يُعتاد مَجيئه وقَصده من زمان ومكان، مأخوذ من المعاودة والاعتياد.

فإذا كان اسمًا للمكان، فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة أو لغيرها؛ كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيدًا للحنفاء ومثابة؛ كما جعل أيام التعبد فيها عيدًا.

وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها، وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى، كما عوضهم من أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر[(٢)].

قوله: «وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ».

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم، فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيدًا. انتهى[(٣)].

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٤١).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ١٩٠).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٥٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد)**، عيد مكاني يعني، عيد مكاني للاجتماع عنده، والدعاء عنده لا يجوز هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر)**، مشاعر الحج من عرفة ومزدلفة ومنى، هذه يجتمع فيها المسلمون في الحج، هذه عيد مكاني للمسلمين مشروع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(جعلها الله عيدًا للحنفاء ومثابة)**، الحنفاء: الموحدون الذين هم على ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها)**، أبطل أعياد الجاهلية الزمانية والمكانية، وجعل للمسلمين يومين: يوم الفطر، ويم الأضحى، عيد الفطر وعيد الأضحى، وبطلت أعياد الجاهلية كلها..

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى)**، وأيام منى، أيام الحج يجتمع فيها المسلمين اجتماع، هذا عيد مكاني للمسلمين كل سنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم، فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيدًا)**، التردد على قبري لأجل الصلاة والسلام عليه؟ لا، تصلي عليه في أي مكان، وتصل صلاتك وتسليمك إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويرد عليك.

وعَنْ عليِّ بْنِ الحُسَيْنِ؛ «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيْءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فَيَدْخُلُ فِيْهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ، فَقَالَ: أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُوْلِ اللّٰهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ قَالَ: لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيْدًا، وَلَا بُيُوْتَكُمْ قُبُوْرًا؛ فَإِنَّ تَسْلِيْمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ». رَوَاهُ فِي المُخْتَارَةِ**[1].

ش: هذا الحديث والذي قبله جيدان حسنا الإسنادين.

أما الأول، فرواه أبو داود وغيره من حديث عبد الله بن نافع الصائغ، قال: أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة، فذكره، ورواته ثقات مشاهير.

لكن عبد الله بن نافع قال فيه أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ، تعرف وتنكر. وقال ابن معين: هو ثقة. وقال أبو زرعة: لا بأس به.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: ومثل هذا إذا كان لحديث شواهد عُلِمَ أنه محفوظ، وهذا له شواهد متعددة[2].

وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي: هو حديث حسن جيد الإسناد، وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة[3].

---

(١) أخرجه الضياء المقدسي في المختارة (٢/ ٤٩)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠)، وأبو يعلى (١/ ٣٦١).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٥٤).

(٣) انظر: الصارم المنكي في الرد على السبكي (٤١٤).

وأما الحديث الثاني، فرواه أبو يعلى والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء في المختارة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين هم من رسول الله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قرب النسب وقرب الدار؛ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا له أضبط. اهـ[1].**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُوْلِ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**)**، «سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي»: من أبيه الحسين، جده علي بن أبي طالب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(رَوَاهُ فِي الْمُخْتَارةِ)**، الأحاديث المختارة للضياء المقدسي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ومثل هذا إذا كان لحديث شواهد عُلِمَ أنه محفوظ، وهذا له شواهد متعددة)**، مع كونه قوي الإسناد أيضًا له شواهد، أحاديث أخرى تؤيده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي)**، محمد بن عبد الهادي: هذا من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، له كتاب: «الصارم المنكي في الرد على السبكي».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت)**، من أهل المدينة: مدينة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ،

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٦٠).

وأهل البيت؛ لأن هذا من رواية الحسين بن علي، ثم رواه عنه ابنه، وتوراثوا هذه الرواية أهل البيت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(من أهل المدينة وأهل البيت الذين هم من رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قرب النسب وقرب الدار؛ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا له أضبط)**، هذا فيه رد على الغلاة الذين يغلون في أهل البيت، هؤلاء أهل البيت رووا هذا الحديث: «**وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِيْ عِيْدًا**». هذا من رواية أهل البيت، بيت الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

....

ش: وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا عبد العزيز بن محمد، قال: أخبرني سهيل بن أبي سهيل، قَالَ: رَآنِي الحَسَنُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْقَبْرِ فَنَادَانِي، وَهُوَ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ يَتَعَشَّى، فَقَالَ: هَلُمَّ إِلَى الْعَشَاءِ. فَقُلْتُ: لَا أُرِيدُهُ. فَقَالَ: مَالِي رَأَيْتُك عِنْدَ الْقَبْرِ؟ فَقُلْت: سَلَّمْت عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: إِذَا دَخَلْت المَسْجِدَ فَسَلِّمْ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ، لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا، مَا أَنْتُمْ وَمَنْ بِالأَنْدَلُسِ إِلَّا سَوَاءٌ»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَالَ: إِذَا دَخَلْت المَسْجِدَ، فَسَلِّمْ)، أول دخولك المسجد تقدم رجلك اليمنى -في مسجد الرسول وغيره-، وتقول: «بِسْمِ اللهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ». تصلي وتسلم عليه عند دخولك المسجد، أي مسجد، المسجد النبوي وغيره.

---

(١) أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص٤٠) من مراسيل الحسن بن علي، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠، ٣/ ٣٠)، وعبد الرزاق (٣/ ٥٧٦)، والضياء في المختارة (٢/ ٤٩)، وأما سنن سعيد بن منصور فأكثره مفقود، وهذا الحديث لم أجده في المطبوع منه.

وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٧٢) وعزاه إلى سنن سعيد بن منصور، وقال: (فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث، لاسيما وقد احتج به من أرسله، وذلك يقتضي ثبوته عنده لو لم يكن روي من وجوه مسندة غير هذين، فكيف وقد تقدم مسندًا؟!).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا)**، يحذرنا من فعل اليهود والنصارى الذين غلوا في قبور أنبيائهم، هذا نهي منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نغلو في قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مَا أَنْتُمْ وَمَنْ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَّا سَوَاءٌ)**، والأندلس: هي أوروبا، البلد المعروف الذي فتحه المسلمون، وصار ولاية إسلامية طويلة، وأنتج العلماء، وأنتج العباد، حتى سقط في يد الأسبان.

لما اختلف أهل الأندلس، وصارت هناك عدة أمراء تنازعوا، فجاء الأسبان، واستردوا الأندلس، هو مأخوذ منهم في الأول، استردوه وطردوا المسلمين بسبب اختلاف المسلمين.

يقول الشاعر(١):

مِمَّا يُزَهِّدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدُلسٍ ... أَسْمَاءُ مُعْتَضِدٍ فيهَا وَمُعْتَمَدِ
أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا ... كَالْهِرِّ يَحْكِي انْتِفَاخًا صُورَةَ الأَسَدِ

---

(١) البيتان لابن رشيق القيرواني. انظر: معجم الأدباء (٦/ ٢٦٣٧)، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص٥٩)، ونفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (١/ ٢١٣- ٢١٤).

....

ش: وقال سعيد -أيضًا-: حدثنا حبان بن علي، قال: حدثنا محمد عجلان عن أبي سعيد مولى المهري، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَتَّخِذُوا بَيْتِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي»(١).

قال شيخ الإسلام: فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث، لا سيما وقد احتج به من أرسله، وذلك يقتضي ثبوته عنده، هذا لو لم يرو من وجوه مسندة غير هذين، فكيف وقد تقدم مسندًا؟!(٢).

قوله: (عن علي بن الحسين)، أي: ابن علي بن أبي طالب، المعروف بزين العابدين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أفضل التابعين من أهل البيت وأعلمهم.

قال الزهري: ما رأيتُ قُرشيًا أفضل منه.

مات سنة ثلاث وتسعين على الصحيح(٣).

وأبوه الحسين سبط رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وريحانته، حفظ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وله ست وخمسون سنة(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠، ٣/ ٣٠)، وعبد الرزاق (٣/ ٥٧٦).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٧٢).

(٣) انظر في ترجمته رَحِمَهُ اللهُ: طبقات الفقهاء (ص٦٣)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٦٦- ٢٦٧)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٦)، وتقريب التهذيب (ص٤٠٠).

(٤) انظر في ترجمته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الثقات لابن حبان (٣/ ٦٨- ٦٩)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/ ٦٦١)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٩٢)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٠).

قوله: «**أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ**»؛ **بضم الفاء وسكون الراء، وهي الكوة في الجدار والخوخة ونحوهما.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن أبي سعيد مولى المهري، قال: قال رسول الله** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَتَّخِذُوا بَيْتِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**»**)**، تعددت الأحاديث من الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتحذير من هذا؛ من الغلو في بيته، والغلو في قبره، وهذا محافظة على عقيدة التوحيد أن يدخلها شيء من الشرك بسبب الغلو في الصالحين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واستشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين)**، استشهد في كربلاء ذاهبًا إلى العراق، فلقيتهم سرية اقتتلوا معها، فقُتِلَ الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في هذا المكان، ودُفِنَ فيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: قوله: «فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ»: هذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد؛ لأجل الدعاء والصلاة عندها.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما علمت أحدًا رخص فيه؛ لأن ذلك نوع من اتخاذه عيدًا، ويدل أيضًا على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهى عنه؛ لأن ذلك لم يشرع(١).

وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، قال: ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ »)، «فَيَدْخُلُ فِيهَا»، يعني: يُدخل رأسه فيها، يزعم أن هذا أقرب إلى القبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ»: هذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد؛ لأجل الدعاء والصلاة عندها)، هذا غلو في القبور، لا يدعى عندها، الدعاء في أي مكان، في المساجد، أفضل شيء في المساجد، ليس عند القبور.

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٤١- ٢٤٢).

(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٨٨، ٢٠٥)، ومجموع الفتاوى (١/ ٢٣١، ٣٥٣، ٢٤/ ٣٥٨، ٢٧/ ١١٧- ١١٨، ٣٨٤، ٣٩٦)، والمدخل لابن الحاج (١/ ٢٦٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ: **ما علمت أحدًا رخص فيه؛ لأن ذلك نوع من اتخاذه عيدًا)**، ما علمت أحدًا رخص فيه: هذا حكاية للإجماع على هذا الأمر أنه لا يجوز الدعاء عند القبور، إلا الدعاء للميت، يدعى له عند قبره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويدل أيضًا على أن قصد القبر للسلام)**، القبر، يعني: قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(إذا دخل المسجد ليصلي)**، المسجد النبوي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويدل أيضًا على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهى عنه؛ لأن ذلك لم يشرع)**، لا يشرع إلا للقادم من السفر، أما من كان بالمدينة -سواء من أهلها، أو من الوافدين عليها- لا يجوز له التردد على قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسلام عليه، هذا غلو.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك)**، الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، هو عالم المدينة، وهو ينهى عن التردد على قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لعلمه بالسنة النبوية.

ومعنى كره، يعني: حرم؛ لأن الكراهية في عرف السابقين تعني: التحريم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال: ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها)**، هذه الكلمة المشهورة عن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»، وهو الكتاب والسنة.

....

ش: وكان الصحابة والتابعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يأتون إلى مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيصلون، فإذا قضوا الصلاة، قعدوا أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام؛ لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل.

وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك، أو للصلاة والدعاء، فلم يشرعه لهم، بل نهاهم في قوله: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي»[1].

فبين أن الصلاة تصل إليه من بُعد وكذلك السلام، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد[2].

وكانت الحجرة في زمانهم يُدخل إليها من الباب؛ إذ كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيها، وبعد ذلك إلى أن بُنِيَ الحائط الآخر، وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون عليه، لا لسلام ولا لصلاة، ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم. ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلامًا أو سلامًا، فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم، وبين لهم الأحاديث، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج؛ كما طمع الشيطان في غيرهم، فأضلهم عند قبره وقبر غيره، حتى ظنوا أن صاحب القبر

---

(١) سبق تخريجه (ص٨٧٨).

(٢) سبق تخريجه (ص٨٠٨).

يأمرهم وينهاهم، ويفتيهم، ويحدثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجًا من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم، وأن روح الميت تجسدت لهم، فرأوها كما رآهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج[١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولم يكونوا يأتون القبر للسلام؛ لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل)، الصلاة على الرسول ركن من أركان الصلاة في التشهد الأخير، يكفي هذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بل نهاهم في قوله: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي»)، اللهم صلِّ على محمد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد)، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُوْدِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[٢]، هذا سبب اللعنة، وهذه اللعنة تأتي على من اتخذ قبر الرسول مسجدًا يصلي عنده كلما دخل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون عليه، لا لسلام ولا لصلاة، ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم)، يأتون للصلاة في المسجد النبوي الصحابة والتابعون، والقبر قريب مهم، وهو في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لا يزال باقيًا، لم يكونوا يذهبون إليه، ويدخلون فيه، ويسلمون على الرسول كما يفعل الجهال أبدًا؛ لعلمهم أن هذا لا يجوز.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٨٦).

(٢) سبق تخريجه (ص٧١٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا لسؤال عن حديث أو علم)**، الرسول لا يُسأل بعد موته عن حديث ولا عن شيء، يُسأل العلماء الذين هم خلفاء الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على العلم والتبليغ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلامًا أو سلامًا، فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم، وبين لهم الأحاديث)**؛ لأن الشيطان يتمثل بالمتأخرين عند القبر، ويتمثل بصورة الميت الذي في القبر، ويقول: أنا سمعت كلامكم، وأنا قضيت حوائجكم، وأنا، وأنا.

هذا شيء معروف عند القبوريين؛ أن الشيطان يتمثل لهم في صورة الميت الذي جاءوا للتوسل به، والدعاء عند قبره ليفتنهم بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم، وأن روح الميت تجسدت لهم، فرأوها)**، وإنما هو الشيطان، تجسد لهم الشيطان، وادعى أنه هو الميت فيستقبلهم، ويقول: أنا سمعت دعواتكم وسأبلغها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما رآهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليلة المعراج)**، ليلة المعراج صلى بالأنبياء في بيت المقدس قبل أن يعرج به إلى السماء صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بمعنى أن الله أتى بهم في صورهم، وصلى بهم الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ تكريمًا له صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

....

ش: والمقصود: أن الصحابة -رضوان الله عليهم- لم يكونوا يعتادون السلام عليه عند قبره؛ كما يفعله من بعدهم من الخلوف، وإنما كان بعضهم يأتي من خارج، فيسلم عليه إذا قدم من سفر؛ كما كان ابن عمر يفعله.

قال عبيد الله بن عمر عن نافع: «كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ أَتَى قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ، ثُمَّ يَنْصَرِف»(١).

قال عبيد الله: «مَا نَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَ ذَلِكَ إِلَّا ابْنَ عُمَرَ»(٢)، وهذا يدل على أنه لا يقف عند القبر للدعاء إذا سلم كما يفعله كثير.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: لأن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة، فكان بدعة محضة(٣).

وفي «المبسوط»: قال مالك: لا أرى أن يقف عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن يسلم ويمضي(٤).

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٦٦)، والبيهقي في الصغرى (٢/ ٢١٠)، وفي الكبرى (٥/ ٤٠٢، ٤٠٣)، وفي شعب الإيمان (٦/ ٤٥، ٥٢)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٨)، وعبد الرزاق (٣/ ٥٧٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٥٧٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٩٦).

(٤) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٨٥، ١٩٩).

ونص أحمد أنه يستقبل القبلة، ويجعل الحجرة عن يساره؛ لئلا يستدبره[(١)].

وبالجملة فقد اتفق الأئمة على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر، وتنازعوا: هل يستقبله عند السلام عليه أم لا؟[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنما كان بعضهم يأتي من خارج، فيسلم عليه إذا قدم من سفر)**، كان بعضهم، يعني: بعض السلف؛ الصحابة والتابعون لا يسلمون على الرسول عند قبره إلا إذا قدموا من سفر، أما ترددهم على المسجد للسلام، لم يكونوا يفعلون هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا يدل على أنه لا يقف عند القبر للدعاء إذا سلم كما يفعله كثير)**؛ كما يفعله كثير من الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي «المبسوط»)**، المبسوط من كتب المالكية، وهو كتاب مشهور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال مالك: لا أرى أن يقف عند قبر النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ولكن يسلم ويمضي)**، بعد السلام يمضي، لا يقف يدعو عند القبر، إذا أراد أن يدعو في المسجد، ينصرف في المسجد، ويستقبل القبلة ويدعو.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونص أحمد أنه يستقبل القبلة، ويجعل الحجرة عن يساره؛ لئلا يستدبره)**، ويدعو في المسجد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبالجملة فقد اتفق الأئمة على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر)**، يستقبل القبلة.

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٣٩، ٢/ ٢٣٩)، والفروع وتصحيح الفروع (٦/ ٦٦)، والمبدع في شرح المقنع (٣/ ٢٣٧)، ومنتهى الإرادات (٢/ ١٧٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٣٠).

....

ش: وفي الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلى غيره من القبور والمشاهد؛ لأن ذلك من اتخاذها أعيادًا، بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها.

وهذه هي المسألة التي أفتى بها شيخ الإسلام -أعني: من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين-، ونقل فيها اختلاف العلماء، فمن مبيح لذلك -كالغزالي وأبي محمد المقدسي-، ومن مانع لذلك -كابن بطة وابن عقيل، وأبي محمد الجويني، والقاضي عياض-، وهو قول الجمهور، نص عليه مالك، ولم يخالفه أحد من الأئمة، وهو الصواب؛ لما في الصحيحين عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدُ الحَرَامُ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالمَسْجِدُ الْأَقْصَى»(١).

فدخل في النهي شدها لزيارة القبور والمشاهد، فإما أن يكون نهيًا، وإما أن يكون نفيًا، وجاء في رواية بصيغة النهي، فتعين أن يكون للنهي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفي الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلى غيره من القبور والمشاهد)**، لا يسافر الإنسان، ويقول: أنا سأسلم على قبر الرسول، سأسلم على قبر والدي، سأسلم على قبر العالم الفلاني، لا يسافر من أجل زيارة القبور أبدًا.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٧، ١٩٩٥)، ومسلم (٨٢٧).

قال ﷺ: **«لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى»**، هذه التي يسافر من أجل العبادة فيها، هذه المساجد الثلاثة؛ لأنها مساجد الأنبياء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لأن ذلك من اتخاذها أعيادًا، بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها)**، مع التردد يتخذونها أعيادًا، ويعتقدون فيها البركة والخير، فالشيطان يستدرجهم إلى هذه الأمور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأبي محمد المقدسي)**، أبو محمد: ابن قدامة، يعني: صاحب المغني، أخطأ في هذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومن مانع لذلك -كابن بطة وابن عقيل، وأبي محمد الجويني، والقاضي عياض-، وهو قول الجمهور)**، مختلف المذاهب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى»)**، لا يسافر إلى مكان لأجل الصلاة فيه إلا هذه المساجد الثلاثة فقط.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فدخل في النهي شدها لزيارة القبور والمشاهد، فإما أن يكون نهيًا، وإما أن يكون نفيًا)**، **«لَا تُشَدُّ»**: هل هو نهي أو نفي؟

«لَا تُشَدُّ»: «لا» ناهية أو نافية، كلاهما بمعنى واحد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وجاء في رواية بصيغة النهي)**، **«لَا تَشُدُّوا»**: هذا مما يرجح أنها للنهي، أن «لا» للنهي؛ لأن هناك رواية: لَا تَشُدُّوا.

....

ش: ولهذا فهم منه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ المنع؛ كما في الموطأ والمسند والسنن عن بَصْرَةَ بْنَ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيّ أنه قَالَ لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ أَقْبَلَ مِنْ الطُّورِ: لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، لَمَا خَرَجْتَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تُعْمَلُ المَطِيُّ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ بَيْتِ المَقْدِسِ»(١).

وروى الإمام أحمد وعمر بن شبة في أخبار المدينة بإسناد جيد عن قَزَعَةَ، قَالَ: «أَتَيْتُ ابْنَ عُمَرَ، فَقُلْتُ: إِنِّي أُرِيدُ الطُّورَ. فَقَالَ: إِنَّمَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدَ المَدِينَةِ، وَالمَسْجِدِ الْأَقْصَى، فَدَعْ عَنْكَ الطُّورَ فَلَا تَأْتِهِ»(٢).

فابن عمر وبصرة بن أبي بصرة جعلا الطور مما نُهِيَ عن شد الرحال إليه؛ لأن اللفظ الذي ذكراه فيه النهي عن شدها إلى غير الثلاثة مما يقصد به القربة، فَعُلِمَ أن المستثنى منه عام في المساجد وغيرها، وأن النهي ليس خاصًّا بالمساجد، ولهذا نهيا عن شدها إلى الطور مستدلين بهذا الحديث.

والطور إنما يسافر من يسافر إليه لفضيلة البقعة، فإن الله سماه الوادي المقدس، والبقعة المباركة، وكلم كليمه موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هناك، وهذا هو الذي عليه الأئمة الأربعة وجمهور العلماء.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٠٨)، وأحمد (٣٩/ ٢٦٧)، والنسائي في المجتبى (١٤٣٠)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ٤٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٤١٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٨)، والفاكهي في أخبار مكة (٢/ ٨٧).

ومن أراد بسط القول في ذلك والجواب عما يعارضه، فعليه بما كتبه شيخ الإسلام مجيبًا لابن الإخنائي فيما اعترض به على ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة وأخذ به العلماء، وفي الجواب الباهر الذي نقل عنه ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**، وقياس الأولى؛ لأن المفسدة في ذلك ظاهرة.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما في الموطأ)**، الموطأ: للإمام مالك، سُمِي بالموطأ؛ لأنه قربه، وطأه، يعني: قربه، سهل تناوله لمن يقرأ فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن بَصْرَةَ بْنَ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ أنه قَالَ لأبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**، وَقَدْ أَقْبَلَ مِنْ الطُّورِ: لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، لَمَا خَرَجْتَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ: «لَا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»)**، أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ زار جبل الطور الذي كلم الله عليه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهذا لم يفعله أحدٌ، إنما يسافر للمساجد للثلاثة، لا يسافر للطور الذي كلم الله عليه موسى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن أراد بسط القول في ذلك والجواب عما يعارضه، فعليه بما كتبه شيخ الإسلام مجيبًا لابن الاخنائي فيما أعترض به على ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة)**، كتابان لشيخ الإسلام ابن تيمية: «الجواب الباهر لزوار المقابر»، والثاني: «الرد على الإخنائي المالكي»، وهو مطبوع أيضًا.

....

ش: وأما النهي عن زيارة غير المساجد الثلاثة، فغاية ما فيها: أنها لا مصلحة في ذلك توجب شد الرحال، ولا مزية تدعو إليه.

وقد بسط القول في ذلك الحافظ محمد بن عبد الهادي في كتاب الصارم المنكي في رده على السبكي(١)، وذكر فيه علل الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وذكر هو وشيخ الإسلام رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ أنه لا يصح منها حديث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن أحد من أصحابه، مع أنها لا تدل على محل النزاع؛ إذ ليس فيها إلا مطلق الزيارة، وذلك لا ينكره أحد بدون شد الرحال، فيحمل على الزيارة الشرعية التي ليس فيها شرك ولا بدعة.

قوله: (رَوَاهُ فِي الْمُخْتَارَةِ)، المختارة: كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين.

ومؤلفه: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ ضياء الدين الحنبلي أحد الأعلام.

قال الذهبي: أفنى عمره في هذا الشأن مع الدين المتين، والورع والفضيلة التامة والإتقان. فالله يرحمه ويرضى عنه(٢).

---

(١) انظر: الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص١٢١).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٢٦).

وقال شيخ الإسلام: تصحيحه في مختاراته خير من تصحيح الحاكم بلا ريب(١). مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما النهي عن زيارة غير المساجد الثلاثة، فغاية ما فيها: أنها لا مصلحة في ذلك توجب شد الرحال، ولا مزية تدعو إليه)**، المساجد ما عدا الثلاثة، المساجد كلها سواء، لا مزية لبعضها على بعض، ولا يسافر إليها، لا يسافر إلى غير المساجد الثلاثة فقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد بسط القول في ذلك الحافظ محمد بن عبد الهادي في كتاب الصارم المنكي في رده على السبكي)**، وهو مطبوع، وموجود بأيدي طلبة العلم والعلماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذكر فيه علل الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، في هذا الكتاب، ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تناول كل الأحاديث الواردة في السفر للقبور وأبطلها، وبين أسانيدها واحدًا واحدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذكر هو وشيخ الإسلام** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ **أنه لا يصح منها حديث عن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، بين ابن عبد الهادي في الصارم المنكي أسانيد هذه الأحاديث كلها، تكلم عليها، وبين أنها ليس لها أصلها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مع أنها لا تدل على محل النزاع؛ إذ ليس فيها إلا مطلق الزيارة، وذلك لا ينكره أحد بدون شد الرحال)**، زيارة القبور لمن كان في

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٢٦)، والفتاوى الكبرى (٢/ ١٧٦).

(٢) انظر في ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تاريخ الإسلام (١٤/ ٤٧٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٢٦)، والأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٥).

البلد، فلا يسافر من أجل زيارة القبور؛ لا قبور الأنبياء ولا غيرهم أبدًا، لا يسافر.

لا تشد الرحال إلا للصلاة، للصلاة ليس لزيارة القبور، للصلاة في المساجد الثلاثة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال الذهبي: أفنى عمره في هذا الشأن مع الدين المتين، والورع والفضيلة التامة والإتقان. فالله يرحمه ويرضى عنه**)، الحافظ المقدسي صاحب هذا الكتاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال شيخ الإسلام: تصحيحه في مختاراته خير من تصحيح الحاكم بلا ريب**)، تصحيح الضياء في مختاراته أو في الأحاديث المختارة، تصحيحه أحسن من تصحيح الحاكم في المستدرك.

فهذا يبين لنا أن الأمر -والحمد لله-، موضح ليس فيه غموض لمن يطلب الحق.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ (بَرَاءَة).

الثَّانِيَةُ: إِبْعَادُهُ ﷺ أُمَّتَهُ عَنْ هَذَا الحِمَى غَايَةَ البُعْدِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ حِرْصِهِ ﷺ عَلَيْنَا وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

الرَّابِعَةُ: نَهْيُهُ عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ؛ مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ.

الخَامِسَةُ: نَهْيُهُ عَنْ الإِكْثَارِ مِنَ الزِّيَارَةِ.

السَّادِسَةُ: حَثُّهُ عَلَى النَّافِلَةِ فِي البَيْتِ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ لَا يُصَلَّى فِي المَقْبَرَةِ.

الثَّامِنَةُ: تَعْلِيلُ ذَلِكَ بِأَنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ يَبْلُغُهُ -وَإِنْ بَعُدَ-، فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا يَتَوَهَّمُهُ مَنْ أَرَادَ القُرْبَ.

التَّاسِعَةُ: كَوْنُهُ ﷺ فِي البَرْزَخِ تُعْرَضُ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ (بَرَاءَة)**)، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة:١٢٨]، إلى آخر الآية.

فإذا كان الرسول حريصًا علينا، كيف يترك هذه الأمور لم يبينها لنا؟! بينها ﷺ، بين حكم السفر إلى القبور، بين لنا حكم الغلو في الصالحين؛ لأنه حريص علينا ﷺ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِيَةُ: إِبْعَادُهُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أُمَّتَهُ عَنْ هَذَا الحِمَى غَايَةَ البُعْدِ)**، أبعد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته عما يخل بالتوحيد، وجعل للتوحيد حمى يحميه، وهذا منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من باب البيان والتوضيح للأمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ حِرْصِهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَلَيْنَا وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ)**، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، في نفس الآية: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٩]، صفات للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: نَهْيُهُ عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ؛ مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ)**، نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص بسفر، أما زيارته لمن كان في المدينة قادمًا إليها، لا بأس بذلك؛ للسلام عليه فقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: نَهْيُهُ عَنْ الإِكْثَارِ مِنَ الزِّيَارَةِ)**، «**وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيْدًا**»[1]: هذا معناه التردد على قبره، إذا تردد الإنسان عليه، جعله عيدًا؛ يذهب ويعود إليه، يذهب ويعود إليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةُ: حَثُّهُ عَلَى النَّافِلَةِ فِي البَيْتِ)**، صلوا في البيوت، ولا تجعلوها قبورًا، حث صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةُ: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ لَا يُصَلَّى فِي المَقْبَرَةِ)**، عند المخاطبين أنه لا يصلى في المقبرة؛ «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوْتَكُمْ قُبُوْرًا**»، المقبرة لا يصلى فيها، فلا تجعلوا بيوتكم مثل المقبرة لا يصلى فيها.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٢٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّامِنَةُ: تَعْلِيْلُ ذَلِكَ بِأَنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ يَبْلُغُهُ -وَإِنْ بَعُدَ-، فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا يَتَوَهَّمُهُ مَنْ أَرَادَ القُرْبَ**)، قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**»، فالقريب والبعيد سواء في هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: كَوْنُهُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي البَرْزَخِ تُعْرَضُ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ**)، كونه في البرزخ، يعني: في القبر، سُمِي برزخًا؛ لأنه فاصل بين الآخرة والدنيا؛ لأن الدنيا، ودار البرزخ، ودار الآخرة ثلاث دور يمر بها الإنسان، والاستقرار في الآخرة؛ ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر:٣٩]؛ إما في الجنة، وإما في النار، هي دار القرار، ليس بعدها انتقال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: كَوْنُهُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي البَرْزَخِ تُعْرَضُ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ**)، ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠]، المراد بذلك القبر.

فهرس الموضوعات

انتهى بحمد الله تعالى الجزء الثاني، ويليه الجزء الثالث،

(بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةَ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ)